علوم القرآن
المستوى الأول

الشيخ/ محمد بن عبد العزيز الخضيري

الدرس (١) مقدمة فى علوم القرآن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً- اللهم لا سهل إلا ماجعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن - إذا شئت – سهلاً، أسأل الله - سبحانه وتعالى بمنه وكرمه- أن يجعلني وإياكم ممن يطلبون العلم من المهد إلى اللحد وأن ينظمنا في سلك العلماء العاملين والطالبين للعلم ما بقي فيهم نفس يتردد أو عين تطرف.

أيها الإحبة: موضوعنا في هذه الحلقات وفي هذه الدروس المباركة هو علوم القرآن، علوم القرآن من الموضوعات التي قل طرطها في هذا الزمان وأصبحت شبه مهجورة في كثير من ميادين العلم وعلى أسماع الناس وهذا يؤكد علينا جميعاً طلب هذا العلم والسعي في دراسته وإحياءه في الناس؛ لأن العلم به- كما سيأتي إن شاء الله في درسنا- مهم جداً لمعرفة القرآن وحقيقته، ومهم جداً للرد على المناوئين والشانئين والمشككين في كتاب الله- سبحانه وتعالى - وهو فرع من فروع الاعتقاد.

ثم أيها الأحبة العلم بالقرآن يقتضي أن يتعلم الإنسان علوم القرآن؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يفهم القرآن حق فهمه إلا بعد علمه بعلوم القرآن، وقد مر علي بن أبي طالب برجل يعظ الناس ويذكرهم وقال أتعرف ناسخ القرآن من منسومخه؟ فقال: لا... قال: قم فإنما أنت ابن اعرفوني. يعني إنما تريد بموعظتك وكلامك الشهرة فقط لا غير؛لأنه لا يتعرف على ناسخ القرآن من منسوخه .

ثم أيها الأحبة: هذا المجلس وغيره من مجالس العلم في هذه الأكاديمية وغيرها هو من مجالس الذكر التي تحفها الملائكة، وتغشاها الرحمة، وتنزل عليها السكينة، ويذكر الله أهلها فيمن عنده، ويقال لأهلها بعد هذا المجلس: قوموا مغفوراً لكم، ويباهي الله - سبحانه وتعالى - بأهل هذا المجلس ملائكته، فنسأل - الله سبحانه وتعالى- أن يجعل مجلسنا من هذه المجالس وأن لا يحرمنا هذا الخير العظيم إنه ولي ذلك والقادر عليه .

إن عادة أهل العلم- أيها الأحبة- هي أنهم يبدؤون كل علم بذكر مقدمات مهمة في ذلك العلم فيا ترى ما هي هذه المقدمات التي يبدؤون بها عادة عندما يعرفون الناس بذلك العلم وتكون مدخلاً لفهم ذلك العلم؟ وقد نظم هذه المقدمات وهذه المبادئ أحد الناظمين بقوله:

إن مبادئ كل علم عشـــرة *** الحد والموضوع ثم الثـمرة

ونسبته وفضله والواضـــع*** الاسم الاستمداد حكم الشــارع

مسائل والبعض بالبعض اكتـفى*** ومن درى الجميع حاذ الشـرفا.

هذه المبادئ هي المبادئ العشرة التي يبتدأ العلماء بها ذكر أو يقدم العلماء بها للعلوم التي يتحدثون عنها فمن عرفها- بتمامها وكمالها- فقد استوعب ذلك العلم ومن عرف تلك المقدمات وجملاً منها فقد عرف شيئاً يميز به هذا العلم عن غيره من العلوم.

هذه هي المبادئ العشرة لهذا العلم على وجه الإجمال.

ماهي أسماء القرآن وما حكمة تعددها؟

إن أسماء القرآن كثيرة جداً قد عد العلماء منها نيفاً وتسعين اسماً ومنهم من بلغها المائة ولكن أشهرها - كما يقول العلماء- القرآن والكتاب والذكر والفرقان والنور هذه الأسماء الخمسة هي أشهر أسماء القرآن وأشهر هذه الأسماء الخمسة كما تعلمون من خلال قراءاتكم لكلام الله - سبحانه وتعالى - هو القرآن والكتاب (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ) [ص: ٢٩](تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ) [يونس: ١] إلى آخره من الآيات التي ورد فيها ذكر اسم القرآن واسم الكتاب وحكمة تعددها - كما تعلمون - هو أن الشيء إذا كثرت أسماؤه دل على شرفه وعلو منزلته، فلعلو منزلة القرآن وعظم مكانته كثرت أسماؤه . ثم هذه الأسماء كل واحد منها يدل على معنى في ذاته وإن كانت جميعاً تتفق في أنها تدل على القرآن من حيث هو. أي أن هذه الأسماء كل اسم قد تضمن وصفاً للقرآن لم يتضمنه الاسم الآخر مع أنها جميعاً تدل على ذات القرآن الكريم.

ننتقل الآن إلى التعريف بعلوم القرآن:

كما قدمنا قبل قليل في المبادئ العشرة التي ذكرها العلماء في كل فن نأخذها واحداً واحد وقد قدمتم ذكر معرفة الحد وهو ما يمكن أن يطلق عليه باللغة المعاصرة: التعريف، فالتعريف بعلوم القرآن يتضمن التعريف بكلمة علوم لغة واصطلاحها وكلمة القرآن لغة وشرعاً والتعريف بعلوم القرآن علماً على فن معين؛ لأن عادة العلماء - رحمهم الله تعالى - أنهم إذا كان اسم الفن مركباً تركيباً إضافياً فإنهم يعرفون كل جملة من هذا المركب على حدة، ثم يعرفون المركب كاملاً مثل أصول الفقه مثلاً وأصول التفسير وعلوم القرآن فهذه الموضوعات أو أسماء الفنون مركبة تركيباً إضافياً إذن لابد أن نعرف كلمة علوم في اللغة والاصطلاح وكلمة القرآن في اللغة والشرع ، ثم نعرف هاتين الكلمتين علماً على هذا الفن المعين فلنبدأ أولاً بكلمة العلوم العلوم: جمع علم والعلم - كما تعلمون- هو نقيض الجهل ويراد به إدراك الشيء على حقيقته ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة إذن العلم يطلق في الاصطلاح على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة مثل علم اللغة علم النحو علم الفرائض علم الأصول علم الفقه إلى آخره فكل واحد من هذه العلوم فيه مسائل وفيه قواعد كلية تجتمع في جهة واحدة.

ننتقل بعد هذا إلى تعريف القرآن في اللغة وتعريف القرآن في الشرع ولم نقل: في الاصطلاح لأن القرآن اسم شرعي والأسماء الشرعية ينبغي ألا يقال فيها: اصطلاحاً إنما تقال كلمة اصطلاحاً في الأسماء التي اصطلح العلماء عليها وأحدثها الناس وتصالحوا عليها أما الكلمات التي جاء بها الشرع فإنه يقال في تعريفها تعريفها شرعاً وكذلك كلمة القرآن فإنها كلمة شرعية.

وبالنسبة لتعريف كلمة القرآن في اللغة القرآن فإن العلماء بعد اتفاقهم على أنه اسم وليس بفعل ولا حرف اختلفوا هل هو جامد أو مشتق والمعروف عند النحاة أن الجامد هو الذي لا يتصرف مثل كلمة أسد فإن كلمة أسد كلمة جامدة لا تتصرف يعني لا يأتي منها اسم الفاعل ولا اسم المفعول ولا فعل ونحو ذلك فمنهم من يقول: إن كلمة القرآن اسم وقد أخذ بهذا المذهب جماعة من أهل العلم وإن كانوا قلة وآخرون وهم الكثرة وهم في جهور العلماء أن القرآن مشتق أي مشتق من مصدر أو فعل وقد اختلف هؤلاء القائلون بالاشتقاق هل هو مشتق من مادة قرن فتكون النون فيه أصلية أو من مادة قرأ فبعض العلماء يرى أنه مشتق من قرن لأن القرآن قرنت سوره وآياته بعضها ببعض. وبعض العلماء يرى أنه مشتق من قرأ فالهمزة فيه أصلية والنون زائدة على وزن غفران اسم مصدر على وزن الغفران وهذا القول هو الذي عليه أكثر العلماء واختاره الزجاج من علماء اللغة واللحياني - رحمة الله على الجميع- هذا بالنسبة لتعريف القرآن في اللغة.

أما تعريف القرآن في الشرع فإنه قد عرف بتعريفات كثيرة وهذه التعريفات كلها تصب في قالب واحد لكن كل واحد من أهل العلم يلحظ ملحظاً معيناً في تعريف القرآن الكريم لا يلحظه الآخر والتدقيق في التعريفات وإعطاؤها أكثر مما تستحق ليس من طريقة السلف لأن السلف - رحمهم الله- كانوا يعنون بالحقائق أكثر من التعريفات فالتعريف- أيها الأحبة- إنما يراد به التوصل إلى معرفة حقيقة الشيء ولذلك كان السلف يعرفون بالمثال أحياناً ولا يضطرون إلى التعريف الذي يعرف عند المناطقة بالحد بمعنى أن يكون التعريف جامعاً لأجزاء المحدود مانعاً من دخول غيره فيه وعليه فنحن نختار هذا التعريف الذي نراه سهلاً وينطبق على القرآن الكريم انطباقاً جيداً.

فنقول في تعريف القرآن: هو كلام الله المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم- المتعبد بتلاوته. هذا التعريف من عادة العلماء - رحمهم الله- أنهم إذا ذكروا تعريفاً للشيء يشرحون التعريف ويشرحون محترزاته فدعونا ننظر إلى شرح هذا التعريف وذكر محترزاته حتى نبين أنه منطبق على القرآن ولا يدخل فيه غيره.

فأما كلمة كلام الله المنزل على محمد: كلام الله: خرج بهذه الكلمة كلام الخلق من الملائكة والأنبياء والإنس والجن وغيرهم فإن كلام هؤلاء ليس هو كلام الله تعالى.

العبارة الثانية: من هذا التعريف "المنزل" خرج بهذا كلام الله - سبحانه وتعالى – الذي ينزله مما استأثر الله بعمله أو مما ألقاه على ملائكته للعمل به.

العبارة الثالثة: على محمد- صلى الله عليه وسلم- وهذا خرج بها ما أنزل على غير محمد -صلى الله عليه وسلم -من الأنبياء السابقين فقد أنزل الله - سبحانه وتعالى - على إبراهيم صحفاً وأنزل على موسى التوراة وأنزل على عيسى الإنجيل وأنزل على داود الزبور فهذه كتب أنزلت على رسل سابقين ومحمد - صلى الله عليه وسلم- أنزل عليه القرآن .

وأما قولنا: المتعبد بتلاوته فقد خرج به الحديث القدسي فإن الحديث القدسي كلام الله - سبحانه وتعالى - لكنه ليس متعبداً بتلاوته وحتى نوضح هذه العبارة توضيحاً تاماً نقول: إن مرادنا بقولنا متعبد بتلاوة أمران : الأمر الأول: أنه الذي يقرأ به في الصلاة فالمقصود بقولنا: المتعبد بتلاوته أي الذي نقرأ به في الصلاة دون ما سواه فنحن في صلاتنا لا نقرأ عند القيام إلا بالقرآن الكريم وهو الذي تعبدنا الله - سبحانه وتعالى - بقراءته في الصلاة.

الثاني مما نريده بهذه الكلمة: أن الثواب على تلاوته لا يعدله ثواب؛ ولذلك قال النبي- صلى الله عليه وسلم: (من قرأ حرفاً من كتاب الله - سبحانه وتعالى - فله به حسنة والحسنة بعشرة أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) وهذا الحديث كما تعلمون فيه ثواب عظيم لمن تلا القرآن وقرأه، هذا الثواب لا يناله إلا من قرأ القرآن لأنه أعلى الكلام وأجله وأعظمه وهذا الكلام يقودنا إلى التفريق بين الحديث القدسي وبين القرآن الكريم وقد ذكر العلماء - رحمهم الله تعالى - فروقاً كثيرة بين القرآن وبين الحديث القدسي.

الفرق الأول: فهو أن القرآن وقع به التحدي وحصل به الإعجاز، التحدي بأن يأتوا بمثل القرآن أو أن يأتوا بعشر سور من مثله أو يأتوا بسورة من مثله أو حديث مثله أما الحديث القدسي فلم يقع به التحدي هذا هو الفرق الأول بين القرآن وبين الحديث القدسي.

الفرق الثاني: أن القرآن منقول كله بالتواتر فمن جحد حرفاً منه فقد كفر أما الحديث القدسي فمنه ما نقل بالتواتر وهو قليل جداً، ومنه - وهو الأكثر- ما نقل بالآحاد وقد تعرفت في مصطلح الحديث على الفرق بين المتواتر والآحاد والحديث القدسي بآحاده منه ما هو صحيح ومنه ما هو ضعيف ومنه ما هو حسن أما القرآن فكله متواتر قد أجمع المسلمون على تلقيه وعلى تواتر جميع ما فيه من كلمات وحروف حتى الضبط والشكل فيه مجمع عليه ومتواتر فيه .

الفرق الثالث : أن القرآن من عند الله لفظاً ومعنى أما الحديث القدسي فمعناه قطعاً من عند الله - سبحانه وتعالى - وإلا فكيف ينسبه النبي - صلى الله عليه وسلم- إلى الله -جل وعلا أما لفظه فقد اختلف فيه لذلك النبي - صلى الله عليه وسلم- يقول في الحديث القدسي أو الرواة يذكرون في الحديث القدسي يقولون : عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه.

الفرق الرابع: القرآن لا ينسب إلا إلى الله فيقال قال الله - عز وجل- أما الحديث القدسي فيقال قال الله تعالى أو يقال قال النبي - صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه.

أيضاً من الفروق بين القرآن والحديث القدسي أن القرآن لا يمسه إلا المطهرون وسيأتينا - إن شاء الله- بحث هذه القضة في أحكام المصحف في آخر هذه الدروس - بإذن الله جل وعلا- أما الحديث القدسي فيمسه الطاهر وغيره حتى الجنب يجوز له أن يمس الكتاب الذي فيه أحاديث قدسية أو الورقة التي فيها أحاديث قدسية.

أيضاً من الفروق أما القرآن تحرم روايته بالمعنى أما الحديث القدسي فيجوز لمن عرف معناه أن يرويه بالمعنى.

ومن الفروق أيضاً التي ذكرها العلماء بين القرآن والحديث القدسي أن القرآن له رسم خاص معروف وقد اختلفوا هل يجوز لأحد أن يكتب القرآن بغير الرسم الذي وضع عليه في عهد عثمان - رضي الله عنه - أو لا؟ هذا سيأتينا- إن شاء الله - في مبحث خاص في رسم القرآن الكريم.

أما الحديث القدسي فيكتب بأي صفة شاء الناس إذا كان ذلك مطابقاً للفظ النبي- صلى الله عليه وسلم- والمعنى المراد منه.

ومن الفرق التي تذكر في ذلك المقام أن القرآن تشرع له الاستعاذة عند التلاوة والبسملة في أول السور بخلاف الحديث القدسي فلا يشرع فيه ذلك.

ثم إن القرآن تسمى الجملة منه آية وتسمى جملة الآيات منه سورة أما الحديث القدسي فلا يسمى شيء منه لا آية ولا سورة. هذه جملة من الفروق بين الحديث القدسي والقرآن جر الحديث إليها ذكر الفرق بين القرآن والحديث القدسي من خلال التعريف الذي عرفنا به القرآن.

ما هو أفضل الكتب في علوم القرآن؟

الحقيقة أن الكلام على أفضل الكتب أو في تفسير علوم القرآن ينبني على معرفة السائل فإن السائل إذا كان من طلاب العلم المتمكنين يقال له: أفضل الكتب في علوم القرآن مثلا كتاب الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي- رحمه الله تعالى- المتوفي في عام ١١٩٠ وإن كان الطالب من المبتدئين فهناك كتب معاصرة في علوم القرآن من أفضلها - فيما أرى- كتاب "مباحث في علوم القرآن" لشيخنا مناع القطاع وكذلك كتاب "دراسات في علوم القرآن" للشيخ الدكتور فهد الرومي، وكذلك نقول هذا الجواب في تفسير القرآن الكريم فإن تفسير القرآن الكريم إذا سئلنا عن أفضل تفسير نقول من السائل؟ وماذا تريد من التفسير؟ فإذا كان السائل من طلاب العلم المتمكنين قلنا له: تفسير الطبري. وإن كان من طلاب العلم المتوسطين قلنا له: تفسير ابن كثير. وإن كان من طلاب العلم المبتدئين قلنا له: عليك بتفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي أو التفسير الميسر الذي أصدره مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم .

متى نقول اصطلاحاً ومتى نقول شرعاً؟

يقال شرعاً في الكلمات التي وردت على لسان الشارع أو الشرع مثل كلمة الصلاة والزكاة والصوم والحج والقرآن غيرها من الكلمات التي جاء بها الشارع الحكيم فهذه يقال في تعريفها شرعاً لأن المراد معرفة الحقيقة الشرعية وأما إذا كانت الكلمة كلمة اصطلاحية يعني اصطلح العلماء عليها وجاءوا بها ليعرفوا شيئاً معيناً فنقول اصطلاحاً مثل كلمة علوم وكلمة صوم وكلمة فرائض مثلاً أو نحوها من الكلمات التي يذكرها العلماء في كتب العلم.

بعد أن عرفنا علوم القرآن أو عرفنا كل جزئية من هذا المركب وهو كلمة علوم وكلمة قرآن نأتي إلى تعريف علوم القرآن علماً على هذا الفن المعروف عند أهل العلم وهو علوم القرآن ماذا نعني بعلوم القرآن؟ حقيقة لا بد أن نلجي هذه القضية في هذا المكان حتى نعرف العلم الذي سندرسه ولئلا يختلط علينا بعلوم أخرى؛ لأن كلمة علوم القرآن يمكن أن تستعمل علماً على فن معين وهو الذي نريده في هذا المقام ويمكن أن تستعمل في معنى آخر معنىً إضافياً وهو العلوم التي جاء بها القرآن فعلم العقيدة من علوم القرآن وعلم الفقه من علوم القرآن وعلم الفرائض من علوم القرآن لأن القرآن جاء بالدلالة عليها وعلم السلوك والتربية من علوم القرآن لأن القرآن حث على تعلمها وعلى العمل بها وبين قواعدها وأصوله فليس هذا هو المراد عندما نتحدث عن علوم القرآن إنما نريد به ما اصطلح عليه العلماء - رحمهم الله تعالى - ويمكن أن نختار هذا التعريف من بين تعريفات كثيرة ذكرها أهل العلم في هذا المقام فيقال في تعريف علوم القرآن:

مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءاته وناسخه ومنسوخه ومكيه ومدنيه ونحو ذلك.

فهي مجموعة البحوث التي تدرس في هذا العلم ليعرف من خلالها القرآن كيف نزل؟ كيف جمع؟ كيف كتب؟ كيف ضبط؟ كيف كان حال ناسخه ومنسوخه؟ كيف أمثاله وقصصه؟ كيف رسمه؟ كيف تكون قراءته وعلى أي شيء؟ ما المراد بالأحرف السبعة؟ ونحو هذه المباحث التي يدرسها العلماء - رحمهم الله تعالى - في هذا الفن الخاص وبهذا نكون قد ميزنا بين أمرين مهمين علوم القرآن علماً على فن معين وهو الفن الذي سنتفرغ لدراسته في هذا الفصل الدراسي- نسأل الله التوفيق والسداد- وعلوم القرآن بمعنى العلوم التي دل عليها القرآن أو وردت في القرآن أو حث القرآن على تعملها فهذه ليست مرادة لنا في هذا الدرس.

هل هناك حديث قدسي موضوع؟

نعم كما أن هناك حديثاً نبوياً موضوعاً بمعنى أن هناك أحاديث وضعت عن النبي- صلى الله عليه وسلم - كذلك هناك أحاديث قدسية وضعت في هذا المقام ولعل أخي السائل يراجع الكتب الخاصة بالأحاديث المضوعة ككتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام السيوطي وكتاب الشوكاني - رحمه الله - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ليعرف الأحاديث التي ذكرت نبويةً كانت أو قدسيةً وحكم عليها العلماء بالوضع لأن الوضاعين لا يفرقون عندما يريدون أن يكذبوا على النبي - صلى الله عليه وسلم- أو يكذبوا على الله -جل وعلا.

القضية الثانية من قضايا المبادئ العشرة التي تحدثنا عنها في أول هذه الحلقة لنعرف بهذا العلم قلنا في المبادئ العشرة إن مبادئ كل علم عشرة الحد والموضع ثم الثمرة ونسبته وفضله والواضع. الحد والموضوع. الموضوع ما هو؟ موضوع كل شيء ما يبحث فيه فمثلاً موضوع الفقه ما هو؟ هو الأحكام الشرعية لأنه يبحث في الأحكام الشرعية الفرعية أحكام الصلاة أحكام الزكاة أحكام الصوم أحكام الحج. موضوع علم الطب ما هو؟ هو بدن الإنسان من حيث الحفاظ على سلامته ووقايته من الأمراض ومن حيث مداواته وشفائه. موضوع علوم القرآن هو القرآن الكريم من حيث بيان نزوله وجمعه ومكيه ومدنيه ورسمه وقصصه وأمثاله وناسخه ومنسوخه. وحقيقة القرآن ما هي؟ أنه كلام الله - سبحانه وتعالى - الذي أوحاه إلى جبريل ونزل به جبريل - عليه الصلاة والسلام- على محمد - صلى الله عليه وسلم- فهذا هو موضوع علوم القرآن.

هل الأفضل أن أقول هذا مصحف عند الإشارة إلى كتاب الله تعالى أو هذا قرآن؟

لا مانع من الإشارة به بأي العبارتين أن تقول هذا مصحف فتريد الصحف والجلد والمداد ومجموع هذا كله أو تقول: قرآن تريد بذلك أهم ما في هذه الصحف وهو القرآن المكتوب الذي أنزله الله - سبحانه وتعالى- على نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم .

ننتقل بعد ذلك إلى القضية الثالثة من المبادئ، وهي ثمرة تعلم القرآن ، فقد ذكرنا أن مبادئ كل علم عشرة: الحد والموضع ثم الثمرة، فيا ترى ما هي الثمرة التي نجنيها عندما ندرس علوم القرآن ، وعندما ندرس هذه الدروس وعندنا نقرأ في الكتب المتخصصة في علوم القرآن الكريم إنها ثمرات كثيرة جداً، ولعلي أشير إلى أبرزها وأهمها فأما أول هذه الثمرات، هي فهم معاني القرآن.

إن الإنسان لن يفهم القرآن حق الفهم ولن يستفيد حق الاستفادة ولن يستطيع تفسير كلام الله - جل وعلا- على الوجه الصحيح اللائق بكتاب الله -جل وعلا- إلا عندما يتعلم علوم القرآن الكريم فكيف يا إخواني يمكن لإنسان أن يفسر آية ولا يبين أنها ناسخة أو منسوخة .

كيف يمكن أن يعرف الفرق بين المكي والمدني؟ كيف يمكن أن يفسر آية وهو لا يدري ما سبب نزولها؟ كيف يمكن أن يحمل آية من القرآن الكريم على سبب من الأسباب ولها سبب آخر مغاير لذلك السبب الذي حملها عليه لا يدريه ولا يعلمه؟ لا يمكن للإنسان أن يقوم بهذا حقاً حتى يتعلم علوم القرآن ويعرف هذه البحوث التي سنتحدث عنها في دروسنا - بإذن الله سبحانه وتعالى .

الفائدة الثانية أوالثمرة الثانية التي يجنيها من يتعلم علوم القرآن: الدفاع عن القرآن ورد شبهات المغرضين حوله.

ذلكم أنه يتعرض القرآن كما يتعرض الإسلام ، بل يتعرض الرب - سبحانه وتعالى - لسب وشتم الخلق فالقرآن أيضاً يتعرض لشبهات يكيدها ويقولها الحاقدون عليه ومنهم المستشرقون في هذا العصر الذي ابتلي الناس فيه بكتاباتهم وابتلي المسلمون وبعض من يسمون بالمثقفين ممن لا يدرون العلم الشرعي ولا يعرفونه ولم يطلبوه من أماكنه الصحيحة بالتلقي عن هذه الكتب التي فيها دسٌّ كثير مثل الذي كتبه جولدتسيهر عن القرآن الكريم فقد تكلم وذكر شبهات كثيرة تنطلي على ضعاف العقول ومن كانت معلوماتهم في القرآن الكريم ضحلة.

من درس علوم القرآن حق الدراسة وفهم هذه العلوم حق الفهم فإن هذه الشبهات لا يمكن أن تنطلي عليه بل يمكن أن يكون الإنسان شجناً في حلوق هؤلاء وسهماً مسدداً في نحور هؤلاء يرد عليهم ويذب عن كلام الله - سبحانه وتعالى - كما فعل مثلاً الشيخ عبد الفتاح القاضي - رحمه الله تعالى- عندما رد على جولدتسيهر شبهاته المغرضة حول القرآن الكريم في كتاب مستقل في هذا الخصوص وكما فعل أيضا عبد العظيم الزرقاني في كتابه القيم مناهل العرفان في علوم القرآن عندما ختم كثيراً من بحوث علوم القرآن في كتابه القيم بذكر شبهات هؤلاء المغرضون ورد عليها رداً قوياً علمياً مأصلاً يعرفك بأهمية داسة علوم القرآن أيضاً من فوائد دراسة هذا الفن أن يعرف الإنسان القرآن على حقيقته وكيف وصل إلينا ؛ لأن بعض الناس يقول: هل كتب القرآن بهذه الطريقة في عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- هل هذه الطريقة التي وصل القرآن إليها بها هي الطريقة التي كتب عليها القرآن تماماً سواءاً بسواء منقوطاً مضبوطاً بالشكل الفتحة والضمة والأحزاب والأثمان والأرباع والأجزاء وغيرها؟ إن معرفتك بعلوم القرآن تزيدك علماً بالكيفية التي وصل إلينا بها القرآن الكريم.

أيضاً من فوائد تعلم علوم القرآن: إدراك الجهود التي بذلت في حق القرآن الكريم فهذا القرآن بذل المسلمون في حفظه والعناية به جهوداً عظيمة جداً لا يمكن للإنسان أن يعرفها إلا من خلال دراسته لعلوم القرآن الكريم يكفي أن تجد في المبحث الواحد من مباحث علوم القرآن الكريم عشرات من الكتب: انظر مثلا في ناسخ القرآن ومنسوخه كم عدد الكتب التي كتبها العلماء منذ القرن الثاني الهجري إلى اليوم؟ إنها كتب كثيرة لا تكاد تقع تحت الحصر انظر إلى الكتب التي كتبت في نزول القرآن أو أسباب نزوله إنها كثيرة جداً وغير ذلك. فتعلمنا لعلوم القرآن يعرفنا بالجهود التي بذلت وبذلها علماء المسلمين في حفظ هذا القرآن والعناية به ولفت الأنظار إليه وبيان معانيه وإزالة كل مشكلة عنه. وعلى المسلمين أن يسلكوا نهج أسلافهم في العناية بالقرآن تلك العناية التي عني بها العلماء.

هل يجوز للشخص أن يفسر القرآن بدون تعلم علوم القرآن ؟

لا يجوز للمسلم أن يفسر القرآن وليس عنده علم بعلوم القرآن الكريم؛ لأن القرآن كلام الله-جل وعلا - ولا يجوز لأحد أن يتخوض في كلام الله - جل وعلا- دون بينة قال الله - جل وعلا- (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) [الإسراء: ٣٦] ومعنى قوله (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أي لا تتبع ولا تقل شيئاً ليس لك به علم فلا يجوز للإنسان أن يتبع شيئاً ليس عنده به علم أو يقول شيئاً من دون علم فقال الله- جل وعلا -(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [الأعراف آية: ٣٣] قال العلماء إن الله - سبحانه وتعالى - قد رتب الآثام والذنوب في هذه الآية بدءاً من الأصغر وابتهاءً بالأعظم. فأعظم الذنوب وأجلها: القول على الله بغير علم حتى المشرك الذي أشرك مع الله غيره لم يشرك إلا بعدما قال على الله بغير علم وجعل لهذه الآلة التي يعبدها من دون الله -جل وعلا- حقاً في العبودية وحقاً في الربوبية. فلا يجوز للمسلم أن يتخوض في تفسير القرآن دون أن تكون معه الآلة التي يعرف بها تفسير القرآن ويحق له بها أن يتكلم في تفسير القرآن، ومن أعظم الآلات في هذا الميدان هي تعلم علوم القرآن الكريم كما قلت لكم في مقدمة وفي مطلع هذا الدرس أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- مر على رجل يعظ الناس أي يعملهم في المسجد ويذكرهم فقال له: أتعرف ناسخ القرآن من منسوخه؟ قال: لا.. قال: اسكت يا هذا إنما أنت ابن اعرفوني يعني إنما قمت هذا المقام ليعرفك الناس فليس عندك علم تعلمه الناس لأنك لا تعرف ناسخ القرآن من منسوخه فقد يقرأ الإنسان آية ويفتي بمضمونها وهي منسوخة قد جاء في القرآن ما يزيل حكم هذه الآية.

هل يجوز الاستدلال بآية قرآنية بالمعنى إن نسيها؟

لا يجوز رواية القرآن بالمعنى ؛ لأن القرآن من القدسية والمكانة بحيث لا يجوز للإنسان أن يتلوه بالمعنى لكن لا يمنع أن يقول الإنسان وردت آية في القرآن مضمونها كيت وكيت أما أن يقول فيما معناه ويذكر الآية فإن هذا تحريف للقرآن والقرآن يجب أن يصان من حيث لفظه ومن حيث معناه أما إن قال: هناك آية في القرآن تدل على كذا فهذا لا شيء فيه؛ لأن الإنسان قد يحفظ معنى الآية بمعنى مضمونها يعني هناك آية في القرآن تحرم الزنا هناك آيات في القرآن فيها ذكر الوصايا العشر يجب على كل مسلم احترامها. بهذه الطريقة لا بأس أما أن يقول آية فيما معناها ويخلط الآية بألفاظها ومعانيها فهذا لا يجوز.

فضل علوم القرآن الكريم:

لست بحاجة إلى الإفاضة في هذا المقام لأن فضل الشيء بفضل ما فيه فشرف العلم بشرف المعلوم والمعلوم في علوم القرآن هو القرآن والقرآن كما تعلمون فضله لا ينكره أحد من المسلمين، بل إن القرآن هو كلام الله - سبحانه وتعالى - وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه - سبحانه وتعالى - فينبغي أن يُعلم أن فضل علوم القرآن متعلق بفضل القرآن الكريم فمن أراد أن يتعلم علوم القرآن فليستشعر أنه إنما يريد بذلك تعلم القرآن الكريم.

ننتقل بعد ذلك إلى اسم علوم القرآن الكريم ؟

ماذا يسمى هذا العلم؟

هذا العلم يسمى علوم القرآن الكريم، ويسمى أيضا اسما آخر موجوداً عند أهل العلم وهو أصول التفسير أو قواعد التفسير وقد ألف بعض العلماء - رحمهم الله تعالى -كتباً في علوم القرآن الكريم سموها بهذا الاسم مثل كتاب الطوفي الإكسير في علوم التفسير ويقصدون بذلك علوم القرآن الكريم يسمونها علوم التفسير.

إذن له اسماه معروفان عند أهل العلم علوم القرآن وعلوم التفسير.

ننتقل بعد هذا- أيها الأحبة- إلى استمداد علوم القرآن الكريم ممَ يستمد هذا العلم ؟ يستمد هذا العلم من القرآن، ويستمد أيضاً من السنة ويستمد من أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم- فهذه هي المجالات التي نستمد منها علوم القرآن الكريم .

ثم ننتقل بعد ذلك إلى حكم تعلم القرآن الكريم.

علوم القرآن الكريم من فروض الكفايات والمقصود بفروض الكفايات يعني إذا قام من المسلمين من يكفي بتعلم هذا العلم سقط الإثم عن الباقي فلا يلزم كل المسلمين أن يتعلموا علوم القرآن الكريم بل إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقي وهكذا يقال في سائر العلوم التي ليست من الضروريات فتعلم مثلا ما تقوم به صلاة الإنسان هذا فرض عين على كل مسلم؛ لأن كل مسلم مطالب بالصلاة في اليوم والليلة خمس مرات فيقال فيها: فرض عين أي فرض متعين على كل فرد من أفراد المسلمين أما إذا كان العلم واجباً على جماعات من المسلمين دون آخرين فيقال في حقه: فرض كفاية.

ثم ننتقل بعد هذا إلى نشأة علوم القرآن الكريم والحديث عن نشأة علوم القرآن الكريم طويل جدا وسنقسمه بين هذه المحاضرة والمحاضرات القادمة- إن شاء الله تعالى- لكن نقدم له ببعض المقدمات: هذا العلم موجود منذ عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- فبدايته مع نزول القرآن الكريم؛ لأن المقصود من هذا العلم معرفة كيف نزل القرآن كيف أوحى الله سبحانه إلى جبريل؟ وكيف أنزله الله - سبحانه وتعالى - من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا؟ وكيف نزل به جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم؟ وكيف جمع الصحابة هذا القرآن ؟ وكيف كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يأمر الصحابة بكتابة القرآن ؟ من هنا بدأت علوم القرآن لكنها لم تكن في عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- مدونةً؛ لأنها كانت جزءاً من تاريخ هذا القرآن وتنزله ولم يكن تدوين العلوم في عهد النبي - صلى

الله عليه وسلم- بل إن النبي- صلى الله عليه وسلم- نهى عن كتابة شيء سوى القرآن الكريم قال (من كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه) وذلك احتياطاً للقرآن لئلا يختلط بغيره وليضبط المسلمون كتاب الله - جل وعلا- دون أن يلتبس بغيره من كلام رسوله - صلى الله عليه وسلم- أو مما يكون تفسيراً لهذا القرآن الكريم ثم استمر الأمر على ذلك في عهد الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم- لأن الصحابة لم يدونوا شيئاً من علوم القرآن الكريم؛ أولاً لأمية أكثرهم وثانياً لقلة توافر أدوات الكتابة فقد كانوا يكتبون القرآن الذي هو المقصود الأعظم على النخاب وعلى أوراق الشجر وعلى الجلود وعلى العظام والأكتاف وهذه الأدوات يصعب توفرها لكتابة ما سوى القرآن الكريم ثم أيضا انشغالهم بنشر الإسلام فلأجل ذلك كان الصحابة - رضوان الله عليهم- لم يكتبوا شيئاً من علوم القرآن الكريم لكنهم كانوا معنين بعلوم القرآن وكانوا حريصين أشد الحرص على ضبط علوم القرآن أشد الضبط ، استمع لابن مسعود - رضي الله عنه- وهو يقول: في الحديث الذي رواه البخاري عنه: " والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه " .

تصور هذه الدقة في معرفة ابن مسعود- رضي الله عنه - لعلوم القرآن يعرف الآية النازلة أين نزلت، ويعرف في أي شيء نزلت، ويعرف فيمن نزلت، ولو أنه يعلم أحداً أعلم منه بكتاب الله - سبحانه وتعالى - تبلغه الإبل لذهب إليه وهاجر في طلب العلم مما يدل على أنهم كانوا حريصين أشد الحرص على تعلم علوم القرآن وحفظ هذه العلوم بكل دقائقها فقد استوعبوها في صدورهم وحفظوها في قلوبهم ونقولها لهذه الأمة نقلاً تاماً لا يخلو منه شيء. وهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- الذي كان يثني عليه عمر بن الخطاب بقوله قضية ولا أبا حسن لها، يقول علي - رضي الله عنه - وهو على المنبر: "سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم واسألوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل" تصوروا - أيها الإخوة- كيف أن الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- كانوا شديدي العناية بمعرفة حتى أماكن نزول القرآن على السهل والجبل في الليل والنهار في الصيف والشتاء في الحرب أو السلم أو غير ذلك فما بالكم ببقية علوم القرآن الكريم من الناسخ والمنسوخ والقصص والأخبار والأحكام والأمثال وغيرها ومما يؤكد ذلك أن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم- اشتهر منهم بالتفسير جماعة ونقل عنهم هذا التفسير فممن نقل عنهم هذا التفسير: أبو بكر - رضي الله عنه- وعمر وعثمان وعلي وابن عباس وهو أشهر من نقل عنه التفسير حتى يكاد تفسيره أن يكون شاملاً للقرآن كله ومنهم أيضا ابن مسعود وأبيٌّ بن كعب وأبو موسى الأشعري وزيد بن ثابت وعائشة - رضي الله تعالى عنها- وعبد الله بن الزبير هؤلاء كلهم ممن نقل عنهم في التفسير واشتهر عنهم الرواية في تفسير القرآن مما يدل على أنهم كانوا معنين أشد العناية بفهم القرآن والعناية به ولم يكن تفسيرهم تفسيراً مجرداً للمعاني بل كان يتضمن ذكر الغيب ويتضمن مكان النزول وسبب النزول وموضوع الآية والأمثال والقصص وغير ذلك.

هل يعد علم التجويد من علوم القرآن ؟

نعم هو بالمعنى العام من علوم القرآن لكن العلماء - رحمهم الله تعالى - اصطلحوا على إفراد علم التجويد بفن مستقل ولذلك يدرس علم التجويد مستقلاً عن علوم القرآن الكريم فنجد أن المؤلفات التي ألفت في علوم القرآن لا تتضمن الدروس المعروفة في علم التجويد وذلك؛ لأن التجويد علم يتصل بالأداء وكيفيته وطرائق قراءة القرآن الكريم والطريقة النبوية لتلاوة كلام الله - سبحانه وتعالى - ولأنه طويل وفيه ذيول وأبواب وفصول مختلفة فإن العلماء جعلوه علماً مستقلاً لكنه في الجملة يدخل من حيث العموم في علوم القرآن الكريم.

أحسنت يا فضيلة الشيخ ، لو تكرم بإعادة هذه الأبيات لأن لي عدة أسئلة؟

إن مبادئ كل علم عشــــرة *** الحد والموضوع ثم الثــمرة

ونسبته وفضله والواضـــــع*** الاسم الاستمداد حكم الشـــارع

مسائل والبعض بالبعض اكتفى*** ومن درى الجميع حاذ الشـرفا.

فوائد تعلم علوم القرآن الكريم جملة؟

فوائد تعلم علوم القرآن الكريم التي قدمناها لكم كثيرة جداً ولكن نلخص منها هذه الخمسة أولا: فهم معاني القرآن فلا يمكن أن يفهم القرآن حق الفهم من لم يتعلم علوم القرآن الكريم.

الثاني: الدفاع عن القرآن ورد شبهات المغرضين نحوه.

الثالث: درء التعارض وحل المشكل، فإنه قد ترد أحيانا أشياء يظن الإنسان أنها متعارضة في القرآن الكريم ومشكلات لا يستطيع الإنسان أن يفهمها لضعف علمه بعلوم القرآن الكريم فإذا تعلم علوم القرآن الكريم ذهب ذلك التعارض الذي وقع في قلبه واندفع الإشكال.

الرابع: المعرفة التامة بالقرآن وكيف وصل إلينا والطريقة التي وصل القرآن إلينا بها.

الخامس: إدراك الجهود التي بذلت لحفظ هذا القرآن الكريم وبيان جميع مضامينه ومعانيه وما فيه وأن الأمة قد عنيت بذلك أتم العناية فعلى المسلمين جميعاً أن يواصلوا العناية بالقرآن فإنه لا عز للمسلمين ولا رقي لهم ولا مجد إلا بالذي حصل لأوائلهم فمتى عدنا إلى هذا القرآن عاد إلينا بالخير قال النبي - صلى الله عليه وسلم : (إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين).

وانظروا إلى حالنا - أيها الأحبة- لما نبذ المسلمون في هذا العصر القرآن وطرحوه خلف ظهورهم واتجهوا يبحثون عن فتات موائد الأمم الأخرى ساروا من أراذل الناس ومن أقل الأمم ومن أهونها على الخلق ولما كانوا في الزمن السابق مهتمين بالقرآن عاملين به متعلمين له يدورون حيثما دار كانوا أصحاب عز وأصحاب رقي وأصحاب حضارة في الدين والدنيا وكان لهم من وراء ذلك الأجر الأخروي العظيم الذي لا يقدر مقداره ولا يعلم منتهاه إلا الله - سبحانه وتعالى .

هل لا بد من معرفة مبادئ اللغة قبل دراسة علوم القرآن ؟

قبل دراسة علوم القرآن لا يلزم الإنسان أن يكون متبحراً في اللغة لكن لا بد له أن يعرف قدرا من اللغة يستطيع به الخوض في علوم القرآن الكريم أما إذا كان يريد أن يفسر القرآن فلا بد أن يكون متمكنا في اللغة العربية لأن تفسير القرآن ينبغي على الإنسان فيه أن يكون عارفاً باللغة التي نزل بها أما علوم القرآن فلا يلزم فيه ذلك يعني يكون متبحراً متمكناً في اللغة العربية لكن يلزمه أن يكون عنده قدر أولي من علوم اللغة يستطيع به فهم مصطلحات هذا العلم ومعرفة مراميه مثلا إذا جاء إلى كلمة " النسخ " النسخ في اللغة ما معناه هذا يحتاج إلى علم باللغة إذا جاء إلى كلمة " مثل " هذه الكلمة لها معانٍ في اللغة ولها معاني عند البلاغيين ينبغي على الإنسان أن يكون عنده علم بهذه المعاني حتى يستطيع أن يفهم هذا العلم على صورته الصحيحة وحقيقته اللائقة.

أرجو توضيح الفرق بين تعريف القرآن وبين المصحف؟

القرآن الكريم: هو كلام الله - سبحانه وتعالى - الذي أنزله على محمد - صلى الله عليه وسلم- فالقرآن هو الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين .

أما المصحف: فهو فهذه الأوراق التي بين أيدينا قد كتب فيها القرآن الكريم فالورق والجلد والمداد وغير ذلك والتجليد هذا كله يسمى مصحفاً لكن لا يسمى الجلد مثلا قرآناً إنما القرآن هو ذلك الكلام الموجود داخل المصحف.

فالمصحف عبارة عما فعله الناس وقام به الناس ولذلك المصاحف تنسب إلى الناس أما القرآن فلا ينسب إلا إلى قائله وهو الله - سبحانه وتعالى - المتكلم به جل وعلا.

ما هي المدارس التفسيرية في عهد التابعين؟

قد قدمنا قبلُ في نشأة علوم القرآن وقلنا: إن علوم القرآن وجدت مع وجود القرآن لكن لم تكن مدونة في عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- بل ولا في عهد الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم- وفي عهد التابعين بدأ تدوين

علوم القرآن وذلك عندما بدأ تدوين الحديث النبوي وهذا ما سنتحدث عنه - إن شاء الله- في الحلقة القادمة على وجه التفصيل.

لكن قبل هذا تكونت عند التابعين الذين تلقوا العلم عن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم- تكونت مدارس هذه المدارس سببها أن الصحابة تفرقوا في الأمصار كل منهم قد سلك مسلكاً ونهج منهجاً يبلغ به دين الله - سبحانه وتعالى - ويقدم لهذا الدين ما يستطيع أن يقدمه من خدمة ومن الصحابة من كان مهتماً بالقرآن عالماً به متمكناً فيه متبحراً كما كان عليه الحال عند ابن عباس - رضي الله عنهما- وعند عبد الله بن مسعود وعند أبي بن كعب - رضي الله عنهم- فهؤلاء الثلاثة تفرغوا لتعليم القرآن ونشر علومه ولذلك نشأت هذه المدارس الذي يسميها المعاصرون مدارس التفسير ففي مكة جاءت مدرسة التفسير المكية مدرسة ابن عباس - رضي الله عنهما- لأن ابن عباس استقر في مكة فلزمه جملة من الطلاب ممن تلقوا عنه تفسير القرآن وتلقوا عنه علوم القرآن ومن أبرز هؤلاء مجاهد بن جبر الذي إذا جاءك التفسير عنه فحسبك به كما قال سفيان الثوري؛ لأنه كان قد عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات يوقفه عند كل آية يسأله عنها ومنهم سعيد بن جبير - رضي الله عنه ورحمه الله- ومنهم أيضا عكرمة مولى ابن عباس الذي كان ابن عباس يعلمه علوم القرآن وكان في بداية الأمر يربطه على تعلم علوم القرآن حتى صار من كبار علماء القرآن ومنهم طاووس بن كيسان اليماني وعطاء بن أبي رباح هؤلاء هم أشهر تلاميذ هذه المدرسة المكية أما المدرسة الأخرى فهي مدرسة المدينة الذي كان إمامها وسيدها أبي بن كعب - رضي الله عنه- فأبي ابن كعب استقر في المدينة ولزمه جملة من الطلاب أشهرهم زيد بن أسلم وأبو العالية الرياحي ومحمد بن كعب القرظي وهؤلاء من أشهر من روي عنهم التفسير ورواياتهم في التفسير مبسوطة في كتب التفسير المأثورة.

إن كثيراً من مدارس تعليم القرآن يركزون على التجويد ويهملون قضايا التفسير ودراسات علوم القرآن؟ فما توجيهكم؟

ما هو الفرق بين تفسير القرآن وعلوم القرآن ؟

هذه الملاحظة صحيحة ويراها كل إنسان ويلمسها في الواقع وهي أن عناية كثير من حلقات التحفيظ والمحفظين منصبة على تعليم الناس تلاوة القرآن الكريم دون تعليم الناس فقه القرآن وفهمه وتدبره وغرس هذا الأمر في نفوس الناس وهذا مخالف للطريقة التي كان عليها أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول أبو عبد الرحمن السلمي وهو من تلاميذ عبد الله بن مسعود حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا العلم والعمل والقرآن جميعا.

تصوروا - أيها الأحبة- أنهم لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا العلم والعمل والقرآن أي والتلاوة مما يدل على أنهم كانوا يمزجون هذه العلوم. وأبو سعيد الخدري وغيره من الصحابة ذكروا أن هذه الطريقة التي تلقوا بها القرآن وهو أنهم كانوا يتلقون القرآن شيئاً فشيئاً حتى يتعلموا القرآن تعلماً حقيقياً بألفاظه ومعانيه بل إن نزول القرآن منجماً على حسب الحوادث والوقائع ولم ينزل جملة واحدة من السماء للنبي- صلى الله عليه وسلم- من أجل هذه الحكمة قال الله - سبحانه وتعالى - (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) [الإسراء: ١٠٦]، من أجل أن يفهمه الناس، وقالوا: (لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) [الفرقان: ٣٢] إذن فالحكمة العظمى من إنزال القرآن منجماً هي أن يفهم الناس كلام الله - جل وعلا- ويتدبروا معاني هذا القرآن. ابن عمر بقي ثماني سنين في سورة البقرة ليس لأنه لا يستطيع تلاوتها فهؤلاء عرب أقحاح يقرؤون القرآن قضاً طرياً كما أنزل لكنهم كانوا يتأملوا المعاني ويتدبرون القرآن حق التدبر وكذلك روي مثل ذلك عن عمر وعن غيره من أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأقول ينبغي أن تتوجه العناية إلى تدبر معانيه كما كان عليه السلف الصالح- رضوان الله عليهم- وأن نعود بالناس إلى الطريقة السلفية فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

هل هناك فرق بين تفسير القرآن وعلوم القرآن؟

في أول الأمر كان تفسير القرآن جزءاً من علوم القرآن ثم بعد ذلك انفك هذان العلمان لماذا؟ لأن علم تفسير القرآن أصبح علماً مستقلاً حيث إنه تشعب وكثر وصارت له مناهج وطرق مختلفة وعلوم القرآن بقي مصطلحاً

على العلوم والبحوث التي تعرفنا بحقيقة القرآن الكريم وكيفية نزوله وجمعه وناسخه ومنسوخه وما إلى ذلك، فعلوم القرآن التي سندرسها - إن شاء الله - في هذه المحاضرات إنما هي التعريف بالقرآن كيف نزل؟ كيف جمع؟ كيف ضبط؟ كيف قسم؟ كيف كتب؟ كيف وصل إلينا؟ وما إلى ذلك وتفسير القرآن أصبح علماً مستقلاً بذاته بعد ذلك.

هل لدراسة مادة علوم القرآن أثر في حفظ القرآن الكريم ؟

لا شك أن دراسة علوم القرآن ترغب الإنسان في القرآن وتبين له معاني القرآن وتجلي له مراميه فيكون عند الإنسان رغبة في حفظ القرآن وفهم ما يقرأ ولا شك أن الإنسان إذا فهم ما يقرأ سهل عليه حفظه أما إذا قرأ شيئاً لا يفهمه فإن حفظه يكون عليه شديداً أو فيه شيء من العسر لكن نقول: ليس ضرورياً بمعنى أنه لا يمكن للإنسان أن يحفظ القرآن إلا بعد أن يتعلم علوم القرآن. لا.. هذا غير صحيح لكن الإنسان الذي يتعلم علوم القرآن يسهل عليه حفظه ، ويكون عنده شغف وشوق وهمة لتعلم وحفظ القرآن الكريم.

نسمع من بعض العلماء القول بأن للقرآن في كل زمن عطاء مختلف فهل يعني هذا أن بعض كلام المفسرين المعاصرين لم يعلمه الصحابة الكرام والتابعين؟

أما من جهة التفسير- أيها الأخ الكريم - فإن تفسير القرآن قد علمه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما علمهم إياه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولا يجوز لنا أن نقول: إنهم قد خفي عليهم شيء من القرآن بان لنا نحن بعد أربعة عشرة قرناً من الزمان فإن هذا لا يلزم منه خلو تلك الأعصار من قائم لله بالحجة والقرآن- كما تعلم يا أخي- بين قال الله - سبحانه وتعالى : (هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى) [آل عمران: ١٣٨]، فهو بين (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) [القمر: ٢٢]، لكن إذا أريد بهذا الكلام أنه قد يتجلى للإنسان من معاني القرآن وعطاءاته وفهومه بحسب نظره إليه وبحسب العصر الذي هو فيه مع أن معنى القرآن الذي نزل به هو معناه الذي كان عليه في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وفي عهد أصحابه فهذا لا بأس به يعني أن للناس الحق في أن يستنبطوا من القرآن ما شاءوا إذا كان منضبطاً بالضوابط العلمية ومنسجماً مع القواعد الشرعية وقد يستنبط عالم من آية في هذا الزمان حكماً شرعياً أو فائدة علمية أو تربوية أو غير ذلك لم يستنبطها من سبقوه لكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن يكون الذين سبقوا لم يعلموا ذلك الحكم الشرعي هم علموه بطريقة أخرى أو يكون بطريقة علموه لكن بطريقة أخرى أو علموه ولكن لم يبلغونا إياه ولا يجوز لمسلم أبداً أن يقول: أنا فهمت من هذه الآية ما لم يفهمه ابن عباس نقول أن الفهم الذي فهمه ابن عباس والفهم الذي فهم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الفهم الذي ينبغي أن يفهم عليه كلام الله - سبحانه وتعالى - إنما أنت تفهم استنباطات من القرآن تفهم فوائد وأحاكم إضافية من القرآن لا بأس بهذا أما أن يقول الإنسان: أنا فهمت شيئا لم يفهمه الناس من قبل فهذا لا يكون ويرد على هذا أمر مهم جدا في هذا الميدان وهي ما يسمى بالإعجاز العلمي هل هذا الإعجاز العلمي فهم جديد للقرآن؟ ليس فهماً جديداً القرآن. الفهم الذي فهمه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- هو الذي يجب أن نفهمه في هذا الزمان وذلك الفهم هو الفهم الصحيح، هذه المكتشفات هي أشياء دل عليها القرآن الكريم ولا يمنع أن يدل القرآن على أشياء أيضا لم تأت بعدُ، لكن معنى الآية هو معنى الآية في الزمن الأول لم يتغير منه شيء فينبغي عليكم - أيها الإخوة المشاهدون- أن تفهموا هذه الحقيقة من أجل أن تعرفوا من أين نتلقى تفسير القرآن؟ نتلقى تفسير القرآن الكريم من ذلك الرعيل ومن ذلك الجيل. والله أعلم.

نحن في بلاد الغرب وهناك دروس تقام للدعوة يطلب مني أحياناً وأنا دارسة لعلوم القرآن والتفسير أن أقوم بتقديم مواضيع حول تفسير كتاب الله- عز وجل- ولكنني أتمنع من ذلك وأرى أن كتاب الله -عز وجل- أعظم من أن نتحدث في تفسيره ولو كان نقلاً من الكتب وتبييناً للمعاني . فما معاني دراسة علوم القرآن في الجامعة؟

أقول للأخت: إذا كانت عندها مقدمات جيدة في العلوم الشرعية فلا بأس أن تقدم لأخواتها في المركز الإسلامي تفسير القرآن من خلال الكتب المأمونة كتفسير ابن كثير وتفسير السعد تقرأ عليهم كلام المفسر وتشرحه وتبينه لهم لتأمن العسار وتنفع أخواتها في ذلك المكان لأنها لو أحجمت هي من أجل تعظيم القرآن والورع من القول فيه فإن ذلك يؤدي إلى أن لا ينشر العلم الشرعي لكن لا يجوز للإنسان أن يتخوض في تفسير القرآن من دون علم أو يقول في القرآن برأيه فهذا هو المحظور، أما إذا اعتمد الإنسان على المصادر المأمونة فلا بأس بذلك- إن شان الله

تعالى- وإذا أشكل عليك شيئاً لم تفهميه حق فهمه أو التبس عليك مراد المؤلف منه فاستفهمي واستوضحي من أهل العلم في هذا المجال.

لدينا في نهاية هذه الحلقة توجيه سؤالين للإخوة المتابعين لنا؟

هناك سؤالان أحب أن أذكرهما للإخوة المشاهدين؟

السؤال الأول: من أول من ألف في علوم القرآن بالمصطلح المعروف؟

السؤال الثاني : ما هو أشهر كتاب في علوم القرآن الكريم؟

الدرس الثاني

بيان بعض مدارس علوم القرآن وأمثال من كتب علوم القرآن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

في الدرس الأول من دروس علوم القرآن في هذا الفصل الدراسي قدمنا بذكر المباديء العشرة التي يحتاجها طالب العلم للدخول في أي فن من فنون العلوم الإسلامية، وواصلنا الحديث حتى وصلنا إلى نشأة مدارس التفسير وفي بداية الحلقة وضعنا سؤالين لكم جميعاً- أيها الإخوة المشاهدين- ولإخواننا أيضاً من الحاضرين للإجابة عليها.

كان هذين السؤالين أحدهما يقول: من أول من ألف في علوم القرآن بالمصطلح المعروف؟

فإذا كان لأحد إجابة فليتفضل بها.

يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أول من ألف في علوم القرآن بالمصطلح المعروف هو علي بن إبراهيم المعروف بالجوفي المتوفى عام أربعمائة وثلاثين من الهجرة فقد ألف كتاب البرهان في علوم القرآن والله أعلم

الإجابة الأخرى: يقول: إن أشهر كتاب في علوم القرآن لم أستطع الوقوف عليه لكن من أشهر الكتب كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي وكتاب فنون الأثمان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي وكتاب مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان

الأخ يقول: إجابة السؤال الأول: أول من ألف في علوم القرآن بالمصطلح المعروف هو ابن الجوزي حيث ألف كتابه فنون الأثمان في علوم القرآن وألف أبو شامة المتوفي في سنة ٦٦٥هـ كتاب سماه المرشد الوجيز فيما يتعلق بالكتاب العزيز.

جواب السؤال الثاني: أشهر كتاب في علوم القرآن: السيوطي -رحمه الله تعالى- الله وضع كتابه الحافل الذي جمع كل ما كتب من قبل وفي الأصل حديث الشيخ الزرقاني -رحمه الله تعالى- ، نسمع تعليقكم أي الإجابات أصح.

إجابة الأخ الأول يقول: إن أول من ألف في علوم القرآن بالمصطلح الحديث هو علي المعروف بالحوفي ذكر أنها الجوفي والصحيح أنها الحوفي، هذا من علماء القرن الخامس الهجري والصحيح أن هذا ليس هو أول من ألف في علوم القرآن الكريم ذلكم أن كتابه على الصحيح ليس اسمه البرهان في علوم القرآن، وإنما اسمه: الصحيح البرهان في تفسير القرآن الكريم، أما إجابته الثانية فأشهر كتاب في علوم القرآن هي ما ذكره الأخ فقد أصاب الإجابة، أشهر كتب علوم القرآن على الإطلاق وعليه المعول فيمن جاء بعده هو الإمام السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" فإجابة الأخ هذه صحيحة. أما الأخ الآخر عندما ذكر أشهر مؤلفي علوم القرآن ذكر فنون الأفنان نقول: ليس الأمر كذلك، أو أول من ألف في علوم القرآن قال: إنه ابن الجوزي في فنون الأفنان نقول: إن ابن الجوزي من علماء القرن السادس الهجري وقد تقدمه بعض العلماء كما سيأتي - إن شاء الله تعالى- تعالى.

تقول: أول من ألف في علوم القرآن هو ابن الجوزي وكتاب فنون الأفنان وأشهر كتاب هو الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

إجابتها الثانية صحيحة أما الأولى فليست كذلك.

تقول أول من ألف في علوم القرآن هو السيوطي في كتابه الإتقان وأشهر الكتب الإتقان في علوم القرآن ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان.

إجابتها الثانية صحيحة وأما الأولى فليست كذلك فقد تقدم السيوطي علماء كثيرون جداً كتبوا في علوم القرآن بالمصطلح المعروف.

يقول: إجابة السؤال الأول: على بن إبراهيم الحوفي ثم ابن الجوزي وإجابة السؤال الثاني الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

تقدم الإجابة على مثل هذا الجواب وبينا أن الإجابة الأولى خاطئة والثانية صحيحة.

تقول: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي -رحمه الله تعالى-

كذلك نقول في إجابة هذه الأخت.

بقي هذا السؤال لم يجب أحد عليه سنجيب عليه - إن شاء الله تعالى- في هذا الدرس بإذن الله -جل وعلا.

أما أشهر الكتب فكما ذكر الإخوة من أن أشهر كتب علوم القرآن هو كتاب الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي -رحمه الله تعالى- والإمام السيوطي -رحمه الله تعالى- ألف -كما سنبين- كتابين في علوم القرآن أشهرهما كتاب الإتقان وهذا الكتاب جمع فيه كثيراً مما كتب قبله في علوم القرآن فأصبح موسوعة علمية في هذا الشأن،

لدينا أسئلة في الدرس الماضي السؤال الأول يقول: هل اسم القرآن جامد أم مشتق؟

تحدثنا بالأمس عن كلمة القرآن وقلنا: من العلماء من يقول: إنها جامد ومنهم من يقول: إنها من المشتقات فما هو الصواب من هذه المسألة؟

الصحيح الذي عليه جمهور الفقهاء أن لفظ القرآن مشتق وليس بجامد.

الصحيح أن لفظ القرآن مشتق وليس بجامد.

السؤال الثاني: ما هي المباديء العشرة للعلوم؟

تحدثنا في الدرس الماضي عن المباديء العشرة للعلوم فمن يذكرها على سبيل العد ولست أقصد بذلك تلك الأبيات التي رددناها في الدرس الماضي؟

المباديء العشرة: الحد والموضوع والثمرة ونسبته وفضله والواضع الاسم والاستمداد حكم الشارع ومسائل الفن.

هذه هي مباديء الفنون التي تدرس في بداية كل علم، وبالأمس لم يبين معنى كلمة ونسبته، يعني هذا العلم ينسب إلى أي العلوم؟ فعلوم القرآن تنسب إلى علوم الشريعة، فعلم التشريح مثلاً ينسب إلى علم الطب وهكذا المقصود إلى أي شيء ينتسب هذا العلم نقول ينتسب إلى علوم الشريعة.

السؤال الثالث: ما أسماء هذا الفن؟ من يجيب؟

أسماء هذا الفن يسمى علوم القرآن الكريم وأصول التفسير وقواعد التفسير أحسنت يسمى علوم القرآن الكريم ويسمى أيضاً أصول التفسير ويسمى قواعد التفسير بمعنى أنك تجد بعض الكتب وجد عنوان لها بهذه الصورة لكن

داخلها هو في علوم القرآن مثلاً الشيخ ابن عثيمين له كتاب اسمه أصول التفسير أو مقدمة في أصول التفسير وهي حقيقة في علوم القرآن فعلينا أن ننتبه إلى هذا الأمر ولأجل هذا ذكرنا هذه القضية في مباديء علوم القرآن الكريم.

السؤال الأخير الذي نختم به: ما موضوع علوم القرآن الكريم؟

موضوع علوم القرآن هو القرآن الكريم من حيث بيان نزوله وجمعه وكتابته وناسخه ومنسوخه .

أحسنت موضوع علوم القرآن هو القرآن يعني البحث في علوم القرآن يدور حول القرآن من حيث هذه الأمور التي ذكرتها جزاك الله خيراً: جمعه، ناسخه، منسوخه، أمثاله، قصصه، نزوله، كتابته، رسمه، قراءاته... إلى آخره مما ذكره أهل العلم.

كنا توقفنا بالأمس عند مدارس التفسير في عهد التابعين تطرقنا إلى شيء من ذلك ولم يسعفنا الوقت إلى التطرق إليها كله لو أخذناها من أوله

كنا في الدرس الماضي تحدثنا عن نشأة هذا العلم وبينا أنه في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كان هذا العلم موجوداً؛ لأنه وجد هذا العلم مع نزول القرآن الكريم فطريقة نزول القرآن، وكتابة القرآن والوحي الذي ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- وكيفياته وجمع القرآن وما يكون في القرآن الكريم من ناسخ ومنسوخ كان ذلك كله موجوداً على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- واستمر الأمر على ذلك في عهد الصحابة وبينا كيف أن الصحابة عنوا بهذا الأمر أشد العناية حتى إنهم كانوا يميزون الآية ويعرفون -رضي الله عنهم- أين نزلت؟ هل نزلت في الليل أم في النهار؟ في جبل أم في سهل؟ في صيف أو شتاء؟ من شدة عنايتهم بضبط هذا القرآن وعنايتهم به -رضون الله عليهم- ثم انتقل الأمر بعد ذلك إلى عهد التابعين- رضوان الله عليهم- وذلك أن التابعين تلقوا هذا العلم عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يبقوا في المدينة وإنما تفرقوا في الأمصار في الدعوة إلى الله تعالى والدعوة إلى هذا الله - سبحانه وتعالى- وتبليغ هذا الدين، منهم المجاهدون الذين يفتحون الأمصار بالسنان ومنهم العلماء الربانيون الذين يفتحون الأمصار بالحجة والبرهان ويعلمون الناس دين الله -جل وعلا- يقول الله -جل وعلا- (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)) [التوبة: ١٢٢] فنشأت هناك مدارس حسب المواقع التي ذهب إليها أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدرسة الأولى مدرسة مكة وهي أشهر مدارس التفسير وهي المدرسة التي كان يقودها ويرأساً فيها ابن عباس -رضي الله عنه- كيف ذلك؟ ابن عباس -رضي الله عنه- بقي بمكة فاجتمع عليه طالبو العلم من أهل مكة وأخذوا يتتلمذون عليه كمجاهد بن جبر، عكرمة مولاه أيضاً طاووس بن كيسان اليماني عطاء بن أبي رباح وغير هؤلاء ممن عكفوا على التتلمذ على ابن عباس -رضي الله عنه- وأخذت هذه المدرسة تنشر هذا العلم الذي بثه فيها ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن؛ لأن ابن عباس قد مدحه النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله أو دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله : (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل) فأخذت الأمة تأويل القرآن عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- وخرج من تلاميذه علماء أفذاذ نقلوا علماً كثيراً للأمة بل إن أكثر علم التفسير وعلوم القرآن أخذ من هذه المدرسة التي تسمى: المدرسة المكية.

المدرسة الثانية: مدرسة المدينة وهي المدرسة التي كان فيها كثير من الصحابة - رضون الله عليهم- لأن كثيرين من الصحابة بقوا في المدينة وهي المدرسة التي كان فيها أبي بن كعب -رضي الله عنه- وزيد بن ثابت أيضاً ومن أشهر تلاميذ هذا المدرسة من التابعين: زيد بن أسلم وأبو العالية الرياحي ومحمد بن كعب القرظي وهذه المدرسة مدرسة حفظت لنا علماً كثيراً من السير والمغازي والسنن النبوية بل حتى علم القراءة اشتهرت هذه المدرسة بالعناية به وما زالت القراءة في أهل المدينة إلى اليوم باقية.

المدرسة الثالثة: هي مدرسة الكوفة وهي المدرسة التي أنشأها وقام عليها عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- هذه المدرسة كان من أشهر تلاميذها علقمة بن قيس -رحمه الله تعالى- وعمرو بن شرحبيل وأبو عبد الرحمن السلمي الذي كان له مقرأة يقرأ فيها خلق كثير القرآن الكريم بل كان يطوف عليهم على حمار كان يركبه -رحمه الله تعالى- وقد تفرغ لإقراء القرآن أكثر من ستين عاماً يقرأ الناس كلام الله - جل وعلا- ويعلمهم تلاوة القرآن الكريم وهو الذي روى حديث(خيركم من تعلم القرآن وعلمه) عن عثمان -رضي الله عنه-

هذه ثلاث مدارس يذكرها كثير من الكاتبين في علوم القرآن، ويضاف إليها مدرسة مهمة جداً هي المدرسة الرابعة: وهي المدرسة البصرية والتي كان رأساً فيها أنس بن مالك وأبو موسى الأشعري ومن تلاميذهم الإمامان الجليلان: الحسن البصري وقتادة بن دعامة السدوسي هذه المدرسة مدرسة متميزة أيضاً في علوم القرآن وفي علم التفسير وفي الروايات بشكل عام فهذه المدرسة كان لها دور كبير في حفظ كثير من علم التفسير، بل إن أكثر مرويات التفسير كما أثبت ذلك الدكتور محمد بن عبد الله البصيري في رسالته الماتعة رسالة الدكتوراة " تفسير التابعين" قال: إن أكثر مرويات التفسير بعد المدرسة المكية تروى عن هذه المدرسة البصرية مع إغفال الكثير من الكاتبين لعلوم القرآن لهذه المدرسة فهذه المدارس الثلاث انطلقت منها الجمل أو المرويات العلمية في التفسير وفي علوم القرآن وفي سائر فنون الشريعة انطلقت منها وتفرعت عنها حيث تلاميذ هذه المدارس تفرقوا في الأمصار ونقلوا للناس ما عندهم من علوم، بل إنك تجد أحياناً بعض طلاب المدرسة المكية تتلمذ على يد المدرسة الكوفية أو البصرية كما حصل لسعيد بن جبير -رضي الله عنه وأرضاه- وأبي العالية الرياحي فقد تتلمذ على مدرستين وأخذ من الطائفتين فهذه جملة ما حصل من المدارس في عهد التابعين.

أسئلة الحضور

هل هناك فرق بين هذه المدارس في المنهجية؟

نعم الذين تتبعوا حقائق هذا المدارس وما صدر عنها من علوم ومرويات وجدوا أن هناك فروقاً كثيرة جداً ومن أحسن من كتب في هذا الباب فيما رأيت: ما ذكرته من رسالة الدكتور للدكتور محمد بن عبد الله البصيري "تفسير التابعين" وهي رسالة جديرة بالقراءة والاقتناء.

من الفروق مثلاً:

- المدرسة المكية هي أشهر المدارس في بث علم التفسير وهي مدرسة أيضاً تعتمد في كثير من التفسير على الرأي والاجتهاد وعلى علم اللغة أكثر من غيرها.

- أما المدرسة الكوفية فإن الاهتمام بالأحكام والفقه أكثر فيها أما تفسير القرآن بكلام العرب أو بالرأي دون الأثر فإنه قليل جداً فيها؛ لأنها مدرسة أثرية.

- المدرسة في المدينة مثلاً من المميزات التي فيها أنها اهمت مثلاً بعلم القراءة واهتمت أيضاً بعلم السير فكثيراً من الآيات التي فيها ذكر لمغازي رسول الله وأيابه وحروبه رواها ونقلها لنا تلاميذ هذه المدرسة المدنية.

- مدرسة البصرة مثلاً اهتمت بجانب مهم جداً في علم القرآن وهو جانب المواعظ والتذكير فنجد هذا الجانب بارزاً في هذه المدرسة كما اهتمت أيضاً بقضية الأحكام أحكام الآيات، نجدها أيضاً بارزة وبينة في علوم ومرويات هذه المدرسة.

إذن هذا يبين لنا بعجالة أن هذه المدارس بينها اختلاف بل إن الاختلافات التي حصلت في المذاهب الإسلامية كانت نشأتها في الحقيقة في هذه المدارس لمن تأمل ذلك وتبصره حق التبصر.

هل هناك أسئلة من الحاضرين؟ تفضل.

لماذا عبرنا بالقول: إذا " قام به من يكفي" دون العبارة الشائعة:" إذا قام به البعض " ؟ أحسنتم هذا سؤال مهم جداً ومفيد جداً لطلاب العلم، قلنا في حكم تعلم علوم القرآن: إن حكمه فرض كفاية والسبب في ذلك عندما عبرنا قلنا: إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين لأن عبارة إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين فيها تسامح فالصحيح أن يقال إذ قام به من يكفي لأن كلمة البعض تصدق على واحد والواحد أحياناً لا يفي بالحاجة فمثلا يقول العلماء: تغسيل الميت والصلاة عليه فرض كفاية فهل معنى فرض كفاية أن يقوم به واحد من المسلمين وقد يكون هذا الواحد غير قادر على القيام بهذه المهمة فنقول: لا... إذا قام به من يكفي، من تقوم به الكفاية فإذا كان يكفي بهذا العمل ثلاثة وقام به ثلاثة هنا سقط الإثم عن الباقين، إذا كان يكفي أربعة أو ستة أو عشرة فقام به هذا العدد

سقط الإثم عن الباقين أما كلمة البعض فإن فيها تجوزاً وكلمة إذا قام به من يكفي هي الأفضل من ناحية موافقة اللفظ وأيضاً من ناحية الحقيقة الشرعية فلننتبه لهذا عندما نعبر في قولنا: فرض كفاية ما معنى فرض كفاية.

ذكرتم في الدرس الماضي أن أشهر اسمين للقرآن هو القرآن والكتاب فهل هناك سر لذلك؟.

نعم ذكرنا أن من أشهر أسماء الكتاب خمسة: القرآن والكتاب والذكر والفرقان والنور وأشهر هذه الخمسة- كما ذكرت بارك الله فيك- القرآن والكتاب فأكثر ما يتردد في كتاب الله -سبحانه وتعالى- هو القرآن والكتاب، فأكثر ما يتردد في كتاب الله -سبحانه وتعالى- وصفاً للقرآن وتسمية له هو: القرآن والكتاب فلماذا كان هذان الاسمان هما أشهر أسماء القرآن؟ يذكر بعض الباحثين المعاصرين لذلك حكمة جليلة، قال: لأن القرآن يحتاج في حفظه ونقله إلى أمرين التلاوة أوالقراءة والكتابة فهذا العنصران هما عنصرا حفظ القرآن الكريم لأننا لا نقبل قراءة من دون كتابة ولا نقبل كتابة من دون قراءة، ولذلك لو جاءنا إنسان يريد أن يتعلم القرآن من دون أن يتعلمه على قاريء فإننا نقول له: لابد أنك ستخطيء في قراءته لأن قراءة القرآن تحتاج إلى أن تطلع على من يتعلم عنه القرآن الكريم فهذا هو سر كون هذين الاثنين من أسماء القرآن الكريم هما أشهر أسماء القرآن الكريم، والله أعلم.

نستعرض بعض الأسئلة

يقول: السلام عليكم هل يعتبر تفسير التابعين تفسيراً بالرأي أم تفسيراً بالمأثور؟

تفسير التابعين إن كانوا ينقلونه عمن قبلهم من الصحابة أو عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو تفسير بالمأثور أو ينقلونه من السنة أو تفسير القرآن بالقرآن فهو من التفسير بالمأثور أم إن كانوا يقولونه برأيهم وباجتهادهم حسب الضوابط الشرعية والأصول المرعية عند أهل العلم فهو يعد من هذه الزاوية تفسيراً بالرأي بالنسبة لهم، ومَنْ بعدهم إذا نقلوه عنهم صار تفسيراً بالمأثور لكن تفسيراً نسبياً أما حقيقته فهو تفسير بالرأي. والله أعلم.

ننتقل بعد هذا إلى العهد الأخير الذي استقر عليه الأمر في نشأة علوم القرآن وهو عهد التدوين، تعلمون أنه في نهاية القرن الأول ومطلع القرن الثاني بدأ تدوين العلوم الإسلامية ومن ذلك علوم القرآن بل إن بعض مفردات علوم القرآن بدأت الكتابة فيها مبكرة يعني بعد الستين تقريباً الستين هجرياً يروى أن مجاهد كتب التفسير عن عبد الله ابن عباس -رضي الله عنه- كما ذكر ذلك ابن النديم في الفهرست له، فهذا يدلنا على أن علوم القرآن دونت في عهد مبكر. وعهد التدوين - أيها الأحبة- لما بدأ كانت دونت كثير من علوم الإسلام خصوصاً ما يتصل بالرواية من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو بالرواية عن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم- في تفسير كلام الله -جل وعلا- وكانت البداية في مفردات من علوم القرآن ومباحث معينة يعني هذا يؤلف في الناسخ والمنسوخ وهذا في أسباب النزول وهذا في غريب القرآن وهذا يؤلف في قصص القرآن وهذا يؤلف في نزول القرآن أو جمع القرآن أو نحو ذلك، وقد عد ابن النديم -رحمه الله تعالى- في الفهرست أكثر من مائتين وخمسين مؤلفاً إلى وقت كتابته لتلك المؤلفات عندما حرر كتابه المشهور عام سبعة وسبعين وثلاثمائة من الهجرة النبوية. فتصور أنه في خلال القرون الثلاثة أو في نهاية القرن الأول والقرن الثاني والثالث دوِّن أكثر من مائتين وخمسين كتاباً في علوم القرآن الكريم فتجد قد دون في الناسخ والمنسوخ كذا كتاباً وفي غريب القرآن كذا كتاباً وفي مشكل القرآن كذا كتاباً وهكذا في سائر علوم القرآن؛ وبهذه الطريقة بدا التأليف في علوم القرآن لا على أنه فن مستقل بموضوعات محددة وإنما كل واحد يؤلف في موضوع من موضوعات علوم القرآن وعلى سبيل المثال: الحسن البصري ألف كتاباً في القراءة والحسن كانت وفاته عام عشرة ومائة أيضاً فيمن ألف في ذلك الزمن المبكر عطاء بن أبي رباح وهو من تلاميذ ابن عباس -رضي الله عنه- المتوفى عام أربعة عشرة ومائة. ألف كتاب غريب القرآن مما يدل على أن هذا العلم قد تقدم فيه التأليف في مطلع القرن الثاني، أيضاً قتادة بن دعامة السدوسي وهو من تلاميذ المدرسة البصرية ألف كتاباً في الناسخ والمنسوخ وكتابه هذا موجود وقد طبع، ووفات قتادة -رحمه الله تعالى- كان عام سبعة عشر ومائة من الهجرة النبوية أيضاً من المؤلفات المبكرة في علوم القرآن أبوعبيد القاسم ابن سلام -رحمه الله تعالى- المتوفي عام أربعة وعشرين ومائتين من الهجرة النبوية ألف كتاب الناسخ والمنسوخ وكتابه هذا موجود مطبوع وممن ألف أيضاً وهم كثير جداً- كما أسلفت قبل قليل- ابن قتيبة -رحمه الله تعالى- ألف كتابين مهمين وهما مطبوعان وابن قتيبة توفي عام ستة وسبعين ومائتين من الهجرة النبوية ألف كتاب تأويل مشكل القرآن وهو كتاب مشهور موجود وألف كتاب تفسر غريب القرآن وهو كتاب يعتبر عمدة في بابه.

ومنهم أيضاً ممن ألف الواحدي -رحمه الله تعالى- له كتاب مشهور في أسباب النزول بل هو أشهر الكتب في أسباب نزول القرآن الكريم والواحدي - كما تعلمون- من علماء القرن الخامس الهجري توفي سنة ثمان وستين وأربعمائة من الهجرة النبوية وممن ألفوا أيضاً وشاركوا في ميدان علوم القرآن ابن القيم -رحمه الله تعالى- ابن تيمية شيخ الإسلام فقد ألف كتاباً في موضوع من موضوعات علوم القرآن مهم جداً وهو موضوع: القسم في القرآن واسم كتابه: التبيان في أقسام القرآن وتعلمون أن وفاة ابن القيم -رحمه الله تعالى- كانت سنة إحدى وخمسين وسبعمائة من الهجرة النبوية.

ومنهم أيضاً ممن شاركوا في التأليف في علوم القرآن الإمام الحافظ ابن حجر الذي إذا قيل الحافظ لا ينصرف إلى أحد غيره ابن حجر -رحمه الله تعالى- توفي عام اثنتين وخمسين وثمانمائة من الهجرة النبوية وله كتاب حافل جميل جداً في أسباب نزول القرآن يسمى: العجاب في الأسباب، وهو مطبوع الآن في مجلدين وفيه خروم يسيرة وهذا الكتاب يعتبر من أحسن الكتب في أسباب نزول القرآن هذه - أيها الأحبة - جملة من الكتب المؤلفة في علوم القرآن بصفة مفردة ونضيف إليها كتاب: التيسير في قواعد علم التفسير للإمام الكافيجي المتوفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة من الهجرة النبوية ومنها أيضاً كتاب السيوطي -رحمه الله تعالى- الذي توفي عام إحدى عشرة وتسع مائة له كتاب اسمه مفحمات الأقران في مبهمات علوم القرآن ومنهم أيضا زكريا الأنصاري المتوفى سنة ست وعشرين وتسع مائة من الهجرة النبوية ألف كتاب: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن الكريم وهذا الكتاب أيضاً مطبوع كما أن الكتاب الذي قبله وكتاب الكافيجي أيضاً كلها مطبوعة وموجودة، ومن الكتب المؤلفة وهي من علماء معاصرين كتاب الشيخ عبد الرحمن السعدي أحد علماء نجد المتوفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية له كتاب اسمه: القواعد الحسان في تفسير القرآن وهي قواعد عامة في قواعد تفسير القرآن وذكر بعض القواعد الأصولية وبعض الفوائد القرآنية.

هذه جملة من المؤلفات المفردة في مباحث في علوم القرآن والمؤلفات المفردة في هذا الباب كثيرة جداً تربو على الحصر بل إن بعض المعاصرين جمع ما هو موجود مخطوطاً ومطبوعاً من كتب علوم القرآن في أربع مجلدات كبيرة فذكر من ذلك آلافاً من الكتب مما يدلنا على أن العلماء -رحمهم الله تعالى- قد أَوْلَوا مباحث علوم القرآن عناية كبيرة وهذا من حفظ الله تعالى لكتابه وعناية الأمة بفهم هذا القرآن والعناية به، ثم بعد ذلك ننتقل إلى المؤلفات في علوم القرآن علماً على علم معين نذكرها بعد أن ننظر إذا كان هناك أسئلة أو شيء من هذا القبيل.

هل يقال: ابن القيم أو ابن قيم الجوزية من غير التعريف؟

أحسنت هذا مما يقع فيه خطأ كبير ممن يتحدثون عن ابن قيم الجوزية فنقول في ذكر هذا الإمام: إن قلت ابن القيم فأنت تتوقف بهذه الصورة تقول: ابن القيم وإن أضفت تقول: ابن قيم الجوزية لعلي أضرب لذلك مثالاً يتضح به المقال: هل يصح أن تقول: ابن المدير المدرسة؟ لا يصح، وإنما تقول: ابن المدير أو ابن مدير المدرسة وكذلك هذه الكلمة تماماً وسواءً بسواءٍ لأن ابن قيم الجوزية معناه ابن مدير المدرسة الجوزية فابن القيم ابن لمدير المدرسة الجوزية، فإما أن تقول: ابن القيم يعني ابن المدير أو ابن قيم الجوزية ابن مدير المدرسة، هكذا ينطق اسم هذا الإمام العلم.

إذن فبهذا نعلم أن من يقول: ابن القيم الجوزية يخطئ في طريقة قراءة اسم هذا العلم وهذا يذكرني أيضاً بشيخ الإسلام كثير من الناس يقول: ابن تيمية ولا يشدد الياء وهو منسوب إلى تيماء فيقال: ابن تيمية لأن جدته ولدت هناك في تيماء فنسبت إلى تيماء فقيل في حقها تيمية فابنها أو حفيدها يقال له: ابن تيمية . وهكذا ينبغي لنا أن نتعلم ضبط الأسماء خاصة أسماء الأئمة والعلماء.

هل هناك أسئلة أخرى؟

ذكرتم المدارس المكية والمدنية والبصرية والكوفية هل البلاد الشامية كانت تفتقر لهذه المدارس؟

الشام كانت أرض جهاد وأرض ثغور فكانت بداية المدارس الإسلامية في هذه المواقع فنحن نتحدث الآن عن عهد التابعين وليس العهد الذي جاء بعده مثلاً في عهد الدولة الأموية صارت الشام محلاً للعلم والعلماء ومكاناً للمدارس الإسلامية لكن نحن نتحدث في زمن معين وهو زمن التابعين أو الصحابة الذين انتقلوا إلى الأمصار

وبثوا علومهم هناك، فنفر في الشام أبو الدرداء -رضي الله عنه- لكن أبا الدرداء اشتهر -رضي الله عنه- بالعبادة وأيضاً كثير ممن ذهب إلى الشام كان يقصد الذهاب إلى ثغور المسلمين للقتال فيها ولذلك أحاديث الجهاد تجد أكثرها عند الشاميين لأن الشام كانت محلاً للمجاهدين، وتعرف أن الصراع الذي بقي مع الروم بقي صراعاً طويلاً بخلاف الصراع الذي كان مع الفرس فقد أنهى الله - سبحانه وتعالى- دولتهم في غضون سنوات قليلة.

نستعرض مجموعة من الأسئلة:

من الأردن يقول: السلام عليكم ورحمة الله: ما رأيك في مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام وهل تنصح بحفظها ودراستها لطالب العلم المبتدئ ؟

وآخر: يقول هل اختلفت المدارس في تفسير معاني الآيات؟ فإذا كان ذلك حصل فكيف وقد أخذوا جميعاً عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ؟

وآخر يقول: حينما دعا الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس قال له :كما ذكرت (اللهم علمه التأويل) فما الفرق بين التفسير والتأويل؟

السؤال الأول: سأل عن مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية هذه المقدمة من أحسن ما كتب في أصول التفسير وبيان خلاف المفسرين وكيف يعمل الإنسان عندما يقرأ خلاف المفسرين من السلف وذكر أيضاً طرفاً من مناهج المفسرين فهي مقدمة تعتبر من أفضل ما كتب في هذا الباب، وحري بطالب العلم أن يقرأها ويستشرحها ويستظهر هذه المقدمة لأنها مقدمة كما ذكرت متينة، بل إن تفسير ابن كثير -رحمه الله تعالى- بني على هذه المقدمة والدليل على ذلك أنك تجد ابن كثير -رحمه الله تعالى- قد ضمن مقدمة تفسيره هذه المقدمة دون إشارة واضحة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- ثم بنى التفسير على نفس المنهج الذي ذكره شيخ الإسلام في هذه المقدمة العظيمة، بمعنى أنه كان ابن كثير -رحمه الله تعالى- يفسر القرآن أولاً بالقرآن فإن لم يجد فسر القرآن بالسنة فإن لم يجد فسر القرآن بأقوال الصحابة فإن لم يجد فسر القرآن بأقوال التابعين فإن لم يجد فسر القرآن بمقتصى اللغة على ضوء الضوابط الشرعية والقواعد الأصولية المرعية ولأجل هذا حاز هذ الكتاب الشهرة وتداوله الناس وصار له قبول أكثر من أي تفسير آخر.

السؤال الثاني يقول: هل اختلافت المدارس في تفسير معاني الآيات؟ وإذا كان ذلك حصل فكيف وقد أخذوا جميعاً عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم ؟

المدارس - كما ذكرت قبل قليل وقد يأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى في دروس قادمة -مختلفة أصلاً في مناهجها هناك مدارس مثلاً تتورع أن تقول في القرآن إلا بأثر كالمدرسة المدنية مثلاً وأيضاً يوجد شيء من ذلك في المدرسة الكوفية فكانوا يتورعون عن القول في القرآن إلا بأثر يعني بأن يسمعوا في ذلك أثراً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أو نحو ذلك أما المدرسة المكية فكانت مدرسة قوية في هذا الميدان؛ لأن قائدها وإمامها ابن عباس -رضي الله عنه- حيث كان قوياً في الجانب اللغوي، قوياً أيضاً في طلبه للعلم حيث دار على كثير من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وتلقى عنهم فقد تجد بعض الآيات موجود تفسيرها عند بعض المدارس وليست موجود عند المدرسة الأخرى، لكن نحن لا ننظر لهذه المدارس من هذه الزاوية، بل ننظر إلى أقوال هؤلاء الصحابة وننظر إلى حقيقة هذا القول فإن وافق القول أثراً عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أو آية من كتاب الله كان هو المقدم، وإن لم يوافق ذلك وكان هو التفسير الذي أطبق عليه الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم- وإن لم يكن كذلك وكان تفسيراً بالرأي والاجتهاد نظرنا بين هذه الأقوال وقارنا بينها وقدمنا ما نرى أنه هو الأصوب وما يؤدي إليه الاجتهاد، هذه هي الطريقة في التعامل مع السلف - رضوان الله تعالى عليهم - مع أننا نؤكد أنه يجب علينا الرجوع إلى أقوالهم لأنهم أعلم بالقرآن وأعلم بموارد نزوله وأفهم للغة العرب ممن جاء بعدهم وهذا شيء لا يختلف فيه أحد من أهل العلم.

يسأل ويقول: حينما دعا الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس قال له كما ذكرت (اللهم علمه التأويل) فما الفرق بين التأويل والتفسير؟

التأويل يرد بمعنى التفسير ويرد بمعنى ما يؤول إليه الشيء ولذلك في قول الله تعالى (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) [آل عمران:٧] فانظر إلى كلمة التأويل هنا يمكن أن تحمل على التفسير فيكون معناها وما يعلم تفسيره إلا الله والراسخون في العلم فيكون الراسخون ممن يعلمون تفسيره ويمكن أن تكون معرفة حقيقة الشيء وكنهه، فيكون الوقف في الآية وما (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ) وهذا وقف لازم ثم نبدأ بعدها فنقول: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) ما معنى تأويله؟ يعني ما يؤول إليه الشيء، حقيقة الشيء وكنهه فمثلا صفات الله -جل وعلا- لا يستطيع أحد أن يعلم حقيقتها لأننا لم نعلم ذلك من طريق الصادق المصدوق ولم يأتنا خبر عن الله -سبحانه وتعالى- بحقيقتها لكننا نعلم تفسيرها ونعلم معناها فمعنى التأويل بهذه الصورة ما يؤول إليه الشيء كما قال الله تعالى في سورة النساء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩)) [النساء: ٥٩] فما معنى قوله وأحسن تأويلاً يعني وأحسن عاقبة فكلمة تأويل ترد أحياناً بمعنى التفسير وترد أحياناً بمعنى عاقبة الشيء وما يؤول إليه ومعرفة كنهه وحقيقته هذا بالنسبة لما كان عليه الأمر عند السلف الصالح أما الخلف فإنهم يفسرون التأويل بتفسير آخر لعله أن يأتينا - إن شاء الله تعالى- في دروس قادمة ونفصله ونبين بطلانه.

كنا توقفنا عند التأليف في علوم القرآن علماً على علم معين، بعد أن بيَّنا قبل قليل أن الناس تتابعوا في الكتابة في علوم القرآن على شكل مفردات وبحوث: الناسخ والمنسوخ، قصص القرآن، أقسام القرآن، أمثال القرآن، مشكل القرآن، إعراب القرآن، غريب القرآن.. إلى آخره، في القرن الرابع الهجري بدأ التأليف في علوم القرآن في جميع هذه البحوث يعني أن يكتب الباحث هذه البحوث منسقة تنسيقاً معيناً ويخرجها باسم علوم القرآن وكان أول من عرف عنه أنه كتب كتاباً في هذا الفن بهذه الصورة محمد بن خلف بن المرزبان المتوفى عام تسعة وثلاثمائة فهذا هو أول من كتب كتاباً في علوم القرآن بالصورة التي نعنيها عندما نتحدث عن علوم القرآن مصطلحاًعلى علم معين وسمى كتابه " الحاوي في علوم القرآن" وكلمة الحاوي بالمناسبة اسم مشهور عند أهل العلم فالماوردي له كتاب كبير في الفقه يسمى: الحاوي يبلغ أكثر من عشرين مجلداً والسيوطي -رحمه الله تعالى- له كتاب اسمه: الحاوي في الفتاوي في مجلدين وهو كتاب لطيف. ثم تتابع الناس بعد ذلك في التأليف في علوم القرآن الكريم فممن ألف في علوم القرآن الكريم أبو الحسن الأشعري ألف كتابه المختزل في علوم القرآن وأبو الحسن توفي عام أربعة وعشرين وثلاثمائة من الهجرة النبوية وهذا الكتاب لا أدري هل طبع الآن أو هو موجود أو أنه مذكور في ضمن المخطوطات. من المؤلفات أيضاً في علوم القرآن بمعناه الاصلاحي علماً على الفن المعروف: فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن وقد ذكر أحد الإخوة هذا الكتاب وهو لابن الجوزي -رحمه الله تعالى- المتوفى عام سبعة وتسعين وخمسمائة من الهجرة النبوية وكتابه هذا مطبوع ومتداول. من الكتب أيضاً كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة المقدسي المتوفي عام خمسة وستين وستمائة من الهجرة النبوية، وهذا الكتاب مطبوع وموجود في المكتبات وهو محقق أيضاً حققه وليد الطبطبائي فالكتاب من كتب علوم القرآن لكنه لم يستوعب جميع موضوعات علوم القرآن بل ركز كثيراً على القراءة ونزول القرآن قراءات القرآن ونزوله.

أيضاً من الكتب المشهورة في هذا الباب وهو من الكتب المشهورة في كتب علوم القرآن كتاب البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي المتوفى عام أربعة وتسعين وسبعمائة من الهجرة النبوية وكتابه هذا يعتبر من أحسن الكتب المؤلفة في علوم القرآن بل إن الإمام السيوطي -رحمه الله تعالى- فرح به أشد الفرح ونستطيع أن نقول: إن السيوطي -رحمه الله تعالى- قد انتظم هذا الكتاب بكامله يعني لم يدع منه شيئاً وأضاف عليه ما توفر له من كتب أخرى، والزركشي -رحمه الله تعالى- لما ألف هذا الكتاب ذكر في مقدمته كلاماً يوحي بأنه لم يجد كتاباً في علوم القرآن تقدمه يقول الزركشي -رحمه الله تعالى- «ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر ومعانيه لا تستقصى وجبت العناية بالقدر الممكن ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه » فانظر كأنه يريد -رحمه الله تعالى- أن يضع كتاباً لم يسبق إليه كما وضع الناس ذلك «كما وضع الناس بالنسبة إلى علم الحديث فاستخرت الله تعالى وله الحمد في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه وخاضوا في نكته وعيونه وضمنته من المعاني الأنيقة والحكم الرشيقة ما يهز القلوب طربا ويبهر العقول عجبا ليكون مفتاحاً لأبوابه وعنواناً على كتابه

ومعيناً للمفسر على حقائقه ومطلعاً على بعض أسراره ودقائقه والله المخلص والمعين وعليه أتوكل وبه أستعين وسميته البرهان في علوم القرآن وهذه فهرسة أنواعه» ثم ذكر الأنواع نوعاً نوعاً نوعاً حتى بلغ بها ستة أو سبعة وأربعين نوعاً هذا ما ذكره الزركشي وختم المقدمة بقوله: " واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستثرى عمره ثم لم يحكم أمره ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله والرمز إلى بعض فصوله فإن الصناعة طويلة والعمر قصير وماذا عسى أن يبلغ اللسان تقصير قالوا: خذ العين من كل فقلت لهم في العين فضل ولكن ناظر العين.

هذ الكتاب الثاني من كتب علوم القرآن التي بين أيدينا أيضاً من كتب علوم القرآن كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي وهو الذي قدمنا في بداية هذا الدرس أنه أشهر كتاب في علوم القرآن والسيوطي -رحمه الله تعالى- كتب كتاباً قبل هذا في علوم القرآن سماه التحبير ثم لما أراد أن يؤلف تفسيراً عظيماً أراد أن يجعل ذلك الكتاب مقدمة لتفسيره ذلك وله تفسير مفقود لم يعثر الناس عيه إلى اليوم يقال له مجمع البحرين وملتقى النهرين لم يدع شيئاً من التفسير المأثور إلا ذكره بإسناده، السيوطي -رحمه الله تعالى- جعل هذا الكتاب الذي هو الإتقان مقدمة لتفسيره للقرآن الكريم لكن بقي كتابه الآخر في التفسير الموجود والذي قد طبع عدة طبعات يسمى الدر المنثور في التفسير المأثور وهو يقع في أحد عشر مجلداً بطبعة قديمة ولما طبع حديثاً يقع في قريب من عشرين مجلداً هو مختصر لذلك الكتاب السابق الذي ذكره -رحمه الله تعالى- وأشار إليه ولم نعثر على شيء من خبره هذا الكتاب الإتقان يقول السيوطي -رحمه الله تعالى- في بيان كيف ألف هذا الكتاب، يقول: «ولقد كنت في زمان الطلب أتأجه من المتقدمين إذ لم يدونوا كتاباً في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك في بالنسبة إلى علم الحديث" هذا يدلنا على أن السيوطي لم يكتشف بعد كتاب البرهان ولم يطلع عليه ولم يكن خبره موجوداً عنده، قال فسمعت شيخنا أستاذ الأستاذين وإنسان عين الناظرين أبا عبد الله محيي الدين الكافيجي مد الله في أجله وأسبغ عليه ظله يقول: قد دونت في علم التفسير كتاباً لم يسبق إليه فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جداً يقصد هذا الكتاب وهو التيسير في قواعد علم التفسير هذا للكافيجي ، الكافيجي يرى أو يعتقد أنه هو أول من دون في علوم القرآن الكريم يقول السيوطي -رحمه الله تعالى- فإذا هو صغير الحجم جدا وحاصل ما فيه بابان الأول في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية والثاني: في شروط القول فيه بالرأي وبعدها خاتمة في آداب العالم والمتعلم فلم يشف لي ذلك غليلاً ولم يهدني إلى المقصود سبيلاً، قال ثم أوقفني شيخنا شيخ مشايخ الإسلام قاضي القضاة خلاصة الأنام حامل لواء المذهب المطلبي يعني المذهب الشافعي علم الدين البلقيني -رحمه الله تعالى- على كتاب في ذلك لأخيه جلال الدي البلقيني سماه: مواقع العلوم من مواقع النجوم فرأيته تأليفاً لطيفاً ومجموعا ظريفاً ذا ترتيب تقريب وتنويع وتحبير ثم ذكر خطبته في ذلك والأنواع التي تعرض لها، ثم ذكر بعد ذلك كيف حصل له كتاب البرهان يقول: ثم ذكر -رحمه الله تعالى- السيوطي أنه ألف كتاباً سماه التحبير قال وقد تم هذا الكتاب ولله الحمد من سنة اثنتين وسبعين يعني ثمانمائة من الهجرة النبوية ثم خطر لي بعد ذلك أن أؤلف كتاباً مبسوطاً ومجموعاً مضبوطاً أسلك فيه طريق الإحصاء وأمشى فيه على منهاج الاستقصاء هذا كله وأنا أظن أني متفرد بذلك غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك، فبينا أنا أدير في ذلك فكراً أقدم رجلاً وأؤخر أخرى إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي أحد متأخري أصحابنا الشافعيين ألف كتاباً في ذلك حافلاً يسمى البرهان في علوم القرآن يعني أن كتاب السيوطي الإتقان إنما جاء بعد كتاب البرهان وقد استفاد منه الفائدة العظمى قال: فتطلبته حتى وقفت عليه فوجدته قد قال في خطبته إلى آخر ما ذكره عنه -رحمه الله تعالى- قال: ولما وقفت على هذا الكتاب ازددت به سروراً وحمدت الله- سبحانه وتعالى- كثيراً وقوي العزم على إبراز ما أضمرته وشددت الحزن في إنشاء التصويت الذي قصدته فوضعت هذا الكتاب العلي الشان الجلي البرهان الكثير الفوائد والإتقان ورتبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان وأدمجت بعض الأنواع في بعض، لاحظوا معي أنه في التحبير ذكر مائة نوع لأنواع علوم القرآن لكنه في الإتقان لم يذكر إلا ثمانين نوعاً لأنه أدمج بعضها في بعض من باب حسن الترتيب والتبويب وضم النظير إلى النظير قال : وفصلت ما حقه أن يدار وزدت على ما فيه من الفوائد والفرائض والقواعد والشواهد ما يشنف الآذان وسميته بالإتقان في علوم القرآن، فهذه مقدمة أو شيء من مقدمة كتاب الإتقان.

أيضا من المؤلفات في هذا الباب وهي الكتب المؤلفة في علوم القرآن كتاب الفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله الدهلوي المتوفى عام ستة وسبعين بعد المائة والألف من الهجرة النبوية وهذا الكتاب كتب باللغة الفارسية وترجمه أحد المترجمين المعاصرين وهو كتاب من كتب علوم القرآن وليس من الكتب المتميزة لكنه من الكتب التي ألفت بطريقة علوم القرآن مصطلحاً على علم معين، هذا بالنسبة للكتب القديمة.

يسأل: ما هي الشروط التي ينبغي أن تتوفر في مفسري هذا العصر وإذ اختلف التفسير فأيهما يأخذ ؟

الشروط التي يجب أن تتوفر في مفسر هذا العصر وغيره من العصور واحدة، على كل واحد ممن يريد أن يقوم بهذا الدور يجب عليه أن يعرف هذه الشروط ويتعلمها كيف ذلك؟ إذا وصلنا إلى شروط المفسر فنبين هذه الشروط بالتفصيل، من ذلك العلم باللغة العربية. من ذلك العلم بالسنة النبوية. من ذلك أيضاً معرفة القواعد والأصول الفقهية وأصول الأدلة لئلا يخلط الإنسان في تفسيره . ويعرف القواعد التي تسلك في النظر في نصوص الكتاب الكريم وغير ذلك من الشروط التي ذكرها أهل العلم مفصلة في كتب علوم القرآن وذكروها أيضاً مفصلة في كتب أصول الفقه.

نستعرض بقية الكتب المعاصرة يا شيخ

الآن نصل إلى نهاية المطاف في ذكر الكتب المعاصرة بعد كتاب السيوطي -رحمه الله تعالى- نكاد نقول: إنه ضعف التأليف في علوم القرآن وقلَّ؛ ولعل السر في ذلك- والله أعلم- هو أن السيوطي -رحمه الله تعالى- قد كتب كتاباً جامعاً فكأنه أسس من بعده، لكن المعاصرين- حفظ الله الحي منهم ورحم الله الميت منهم- لما رأوا حاجة الناس إلى كتابة علوم القرآن بلغة عصرية مناسبة للزمان وأيضاً فيها مناقشة لما استجد من القضايا و المسائل التي يحتاج إليها كتبوا في علوم القرآن، فنذكر أهم هذه الكتب منها كتاب: مناهل العرفان وهو من أفضل الكتب في هذا الباب وهو للشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر كتب هذا الكتاب لطلاب كلية أصول الدين ونقحه تنقيحاً جيداًّ وركز فيه -رحمه الله تعالى- على إظهار محاسن الدين ورد شبهات المعتدين، فهو يطيل في هذا الباب إطالة قوية بل لا نعرف أحداً ممن كتبوا في علوم القرآن أطال في ذكر الشبهات مثلما أطال هذا الإمام وذلك لأنه كان في وقت كثرت فيه الشبهات على كتاب الله -سبحانه وتعالى- خاصة من جانب المستشرقين والمعجبين بهم الناقلين عنهم فانتفض -رحمه الله تعالي- للرد عليهم، فأحياناً يذكر في المبحث الواحد من مباحث علوم القرآن عشر شبهات ثم يجهز عليها إجهازاً قوياً ولا يعني هذا أن إجاباته أو أنه كان سليماً في كل ما يقول فإن طبيعة البشر أنهم يخطئون فقد كتب الدكتور خالد بن عثمان السبر كتاباً في بيان بعض الملاحظات على كتاب الزرقاني -رحمه الله تعالى- مناهل القرآن في علوم القرآن، الزرقاني توفي عام ألف وثلاثمائة وسبعة وستين من الهجرة النبوية.

من الكتب أيضاً لمؤلف معاصر متوفى كتاب: المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم وهو للشيخ محمد محمد أبو شهبة والذي نسمع له حلقات في شرح صحيح البخاري في إذاعة القرآن.

من الكتب المشهورة أيضاً وهو من أشهر الكتب المعاصرة كتاب شيخنا العلامة مناع القطان -رحمه الله تعالى- مباحث في علوم القرآن الكريم وهذا الكتاب حقيقة استطاع أن يصوغ علوم القرآن بأسلوب يناسب أهل الزمان وإلا فإن غالب المعلومات التي فيه انتقاها واختارها من كتاب الإتقان، كما أنه عدل بعض القضايا العقدية التي تخالف منهج أهل السنة والجماعة عدلها وصاغها بأسلوب على منهج أهل السنة والجماعة.

أيضاً من كتب علوم القرآن كتاب الدكتور صبحي الصالح واسمه كاسم كتاب الدكتور مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، هذه جملة من الكتب المعاصرة المهمة في هذا المقام.

فضيلة الشيخ من المآخذ التي تكلمتم فيها على بعض كتب علوم القرآن عدم الاستيعاب لموضوعاته هل من الممكن استيعاب موضوعات علوم القرآن؟ ومن الذي قام بذلك؟

السؤال الثاني: هل لعقيدة المؤلف في هذا الفن- علوم القرآن- تأثير فيما يكتب وعلى الطالب في هذا العلم ؟

السؤل الثالث:ما المنهجية المقترحة منكم في طلب هذا العلم؟

السلام عليكم ورحمه الله لو سمحت أود أن أسأل الشيخ: كتاب التحبير في علوم التفسير هل هذا الكتاب في علوم القرآن وما الفرق بينه وبين كتاب علوم القرآن؟

السؤال الأول يقول: هل هناك مانع من استيعاب موضوعات علوم القرآن؟ لا مانع من استيعابها بالصفة التي ذكرها العلماء ذكرنا أن كتاب: الإتقان يكاد يكون قد استوعب أبواب علوم القرآن الكريم وكذلك في كتاب البرهان استوعب كثيراً من هذه المباحث، فهذا قدمناه في كلامنا وقد بيناه - إن شاء الله تعالى- لكن استيعابه على وجه التمام والكمال بحيث يذكر كل فن وتذكر كل متعلقاته هذا لا شك يحتاج إلى عمر طويل ويحتاج إلى بحث شديد ويحتاج إلى استكمال آلات قد لا تتوفر لكثير من الناس.

سؤاله الثاني يقول: هل لعقيدة المؤلف أثر في كتابه نقول: نعم لأن جملة من مباحث علوم القرآن مباحث عقدية في موضوع نزول القرآن، في موضوع الوحي، في موضوع الناسخ والمنسوخ وغيرها من الموضوعات عقيدة المؤلف لها أثر في هذا الميدان فمثلاً موضوع الناسخ والمنسوخ هناك من يخالف أهل السنة في موضوع الناسخ والمنسوخ ويعتقد اعتقاداً باطلاً - سنأتي على ذكره إن شاء الله تعالى- عندما نتحدث عن هذا الباب، في إعجاز القرآن نجد أن المعتزلة وبعض المتكلمين لهم مذهب باطل في هذا الباب يجب الرد عليه وهكذا في جملة علوم القرآن الكريم.

أما سؤاله الثالث وهو يقول: ما هي المنهجية في دراسة علوم القرآن؟

فأقول: المنهجية أن يأخذ الإنسان أحد الكتب المعاصرة المعروفة مثل كتاب مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان مثلاً ويقرؤه وإن تيسر أن يقرأه على إنسان متخصص في هذ الفن فإنه أفضل وإلا فإنه يقرأ بعض الكتب المختصرة مثل كتاب مقدمة في أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- فهو كتاب ميسر في هذا الباب وهناك أيضاً كتب كثيرة في السوق منهجية ألفت لطلاب المدارس ونحوهم ميسرة وسهلة يمكن للإنسان أن يقرأها ثم يترقى بعدها إلى الكتب التي هي أكثر معلومات منها ثم يصل بعد ذلك إلى كتابي الإتقان والبرهان اللذان هما الغاية في كتب علوم القرآن.

أما السؤال الذي يقول: ما الفرق بين كتابي التحبير والإتقان؟

كتاب التحبير ألفه السيوطي -رحمه الله تعالى- ظناً منه أنه لم يألف لم يكن هناك مؤلف جامع في علوم القرآن الكريم، فألف كتابه التحبير وضمنه: ١٠٢نوع مائة نوع من أنواع علوم القرآن ونوعين، ثم إنه لما عزم على تأليف تفسير القرآن الكريم وأن يجعل مقدمته كتاباً جامعاً في علوم القرآن الكريم، مبسوطاً متقناً وعزم على تأليف الإتقان وقع في يده كتاب البرهان فقرأه وضمنه كتابه البرهان فخرج كتاب الإتقان على أحسن ما يكون من الجمع والاستيعاب، فكتاب الإتقان هو الكتاب المتأخر، ولكن مع ذلك كتاب التحبير فيه فوائد جمة لكنه أصبح كتاباً شبه مهمل بعد وجود كتاب الإتقان؛ لأن الإتقان قد جاء بما في التحبير وزاد عليه.

نستعرض بعض الأسئلة التي وردت: هذا سائل يقول: هناك عدة شبهات تثار في هذا المجال منها إبطال مبدأ الناسخ والمنسوخ في كتاب الله -عز وجل- كيف ندفع هذه الشبهة؟

يبدو أنا لدينا فيما سيأتي - إن شاء الله تعالى- من الدروس نتناول هذا الموضوع بكامله - إن شاء الله تعالى .

يقول: هل القراءات تغير التفسير معنى ؟

نعم القراءات من أعظم فوائدها اختلاف المعنى في التفسير لكن لا على وجه التضاد لأن القرآن لا يمكن أن ينقض بعضه بعضاً، فكل القراءات تعتبر قرآناً ومن الأمثلة على ذلك (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)) [التكوير: ٢٤]، تقرأ بالضاء بضنين وتقرأ بالظاء بظنين، ولكل واحدة منهما معنى ومع ذلك هذه معناها يعضد

معنى الأخرى، بضنين بالضاد بمعنى ببخيل ما هو بخيل على الغيب، وبظنين بمعنى متهم أي ليس متهماً على الغيب بأن يزيد فيه أو ينقص منه وليس أيضاً بخيلاً بهذا الغيب الذي أوحاه الله إليه فيكتم شيئاً منه.

إذن لاحظنا أن عندنا قراءتين في هذه الآية وكل واحدة من القراءتين لها معنى لكن كلا المعنيين يعضد أحدهما الآخر ويؤيده ويصب في اتجاهه هذا واحد من الأمثلة وإلا فالأمثلة في هذا الباب كثيرة، ولعلنا نصل إليها عندما نصل إلى موضوع القراءات بمشيئة الله جل وعلا.

السلام عليكم ورحمة الله عندي سؤال: ما علاقة علم أسباب النزول وأصول الفقه و الحديث والمصطلح؟

أسباب النزول علم يبحث في علوم القرآن الكريم وله كتب مألفة معروفة لكن لا يعني ذلك أن علوم القرآن منفصلة عن علوم الشريعة، بل علوم الشريعة كلها يعضد بعضها بعضاً ويكمل بعضه الآخر ومن هذا مثلاً أسباب النزول نجد البحث فيها مثلاً موجوداً في مصطلح الحديث حيث يتكلم العلماء عن قول الصحابي هذه الآية نزلت في كذا هل هذه الآية نزلت في كذا. هل هذا من قبيل المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أو من قبيل الموقوف على الصحابي؟ أما قولهم: نزلت هذه الآية أو سبب نزول هذه الآية كذا فأكثر العلماء على أن هذا له حكم المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأما قول الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا فإن كان مراده بيان شيء من حكمها فإنه من الموقوف على الصحابي وإن كان مراده أن هذا سبب نزول الآية فهو من قبيل الموقوف حكماً وهذا مما يبحث في علم مصطلح الحديث وهذه القضية بالذات تبحث في أصول الفقه.

إذن فعلوم الإسلام يخدم بعضها بعضاً، تجد بعض البحوث في فن هي خاصة به لكن لها أطراف متصلة بالفنون الآخرى.

سؤال: السلام عليكم ورحمة الله : ما اسم كتاب الشيخ محمد أبو شهبة وما اسم كتاب الكافيجي ؟

كتاب الكافيجي اسمه: التيسير في قواعد التفسير هذا كتاب الكافيجي ، وأما كتاب محمد محمد أبو شهبة فاسمه: المدخل إلى دراسة علوم القرآن الكريم.

هل من كتب تفيد في تمييز طبقات المفسرين وبلدانهم؟

نعم هناك كتب خاصة في طبقات المفسرين، فمن ذلك كتاب: طبقات المفسرين للداودي، وكتاب: طبقات المفسرين أيضاً للسيوطي -رحمه الله تعالى- وهما كتابان وهناك كتب خاصة أيضاً في القراء ككتاب: معرفة القراء الكبار للإمام الذهبي وكتاب: غاية النهاية للإمام ابن الجزري -رحمه الله تعالى- فهذان كتابان في طبقات القراء وذكر بلدانهم وأحوالهم وهناك كتب أيضاً معاصرة مثل كتاب: عادل نويهد في معجم القراء والمفسرين إن لم أكن نسيت اسم الكتاب على وجه الدقة.

تقول: هل لابن عباس تفسير مستقل مطبوع أو لتلميذه مجاهد -رحمه الله تعالى- وإذا كان موجوداً فلم لم يكن مشهوراً ؟

كتاب ابن عباس -رحمه الله تعالى- المشهور المطبوع والمتداول تنوير المقداس هذا كتاب لا يعتمد عليه وليس من الكتب الموثوقة عند أهل العلم للشك في روايته أما مجاهد فكتابه مسند وموجود مطبوع محقق تفسير مجاهد من رواية ابن أبي نجيح وهو كتاب موجود في الأسواق وهوكتاب موثوق ويروى عنه ويحال عليه.

يقول: هل نحن مطالبون بعلم المكي والمدني من الآيات ؟

إن كان يقصد في الأكاديمية فنحن - إن شاء الله تعالى- تعالى سنأتي على ذلك وإن كان يقصد كمسلم ليس كل مسلم مطالب بهذا، ولكن طالب العلم ينبغي عليه أن يعرف علم المكي من المدني لأن هذا العلم يميز الناسخ من المنسوخ في القرآن الكريم كما أنه يميز موضوعات القرآن الكريم من حيث الدراسة والفهم؛ لأن القرآن المكي يختلف في موضوعاته وفي أسلوبه عن القرآن المدني وهذا ما سنأتي عليه بالتفصيل - إن شاء الله تعالى- عندما نتحدث عن المكي والمدني في دروس قادمة بإذن الله تعالى.

تقول: ماذا عن كتاب منهاج ابن القيم في الدعوة إلى الله؟ ففي المجلد الأول شرح لمدارس التفسير وبداياتها ما رأيك فيه؟

لا أعرف هذا الكتاب ولا أستطيع أن أحكم عليه.

أيهما أفضل كتاب الإتقان أم كتاب البرهان؟

نقول في الإجابة على هذا: من حيث الجمع والاستيعاب، كتاب الإتقان أفضل؛ لأنه ضم كتاب البرهان وزاد عليه كل ما وقع بيده من كتب علوم القرآن فهو كتاب جامع حافل، أما من حيث الأسلوب وجمال العبارة ودقتها لمن أراد أن يتلذذ بالقراءة في علوم القرآن فكتاب البرهان أفضل من هذه الناحية.

يقول: هل أحكام التجويد تدخل في علوم القرآن؟

هذا السؤال أجبنا عليه بالأمس وقلنا: إن علم التجويد أصبح فيما بعد علماً مستقلاً بذاته منفصلاً عن علوم القرآن الكريم وذلك؛ لأن له أبواباً وفصولاً كثيرة جداً، فميز عن علوم القرآن كما ميز مثلاً علم القراءات عن علوم القرآن وكما ميز علم التفسير عن علوم القرآن لأن هذه العلوم أصبحت طويلة وذات أبواب وفصول وأجزاء كثيرة جداً فاستقلت عن علوم القرآن بعد أن كانت جزءاً من أجزاء علوم القرآن.

نعرض الأسئلة للطلاب

نحن من عادتنا - إن شاء الله تعالى- في هذا الدرس وغيره أيضاً من الدروس التي تقام في هذه الأكاديمية أن نختم الدرس بذكر سؤالين يكون كنشاط يقوم به الطلاب المشتركين في هذه الأكاديمية.

السؤال الأول: ما النوع الأول من أنواع علوم القرآن الذي افتتح به السيوطي كتابه الإتقان في علوم القرآن؟

قلنا: إن السيوطي ذكر ثمانين نوعاً من أنواع علوم القرآن فما هو النوع الأول؟

أما السؤال الثاني: كم نوعاً من أنواع علوم القرآن التي ذكرها الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن؟

هذان السؤالان نريد منكم الإجابة عليهما في بداية الدرس القادم بمشئة الله تعالى.

نختم بأهم عناصر درس اليوم

بقي معي ثلاث كتب يسيرة جداً كتاب: علوم القرآن للدكتور عدنان زرزور وهو أيضاً من كتب علوم القرآن المفيدة في هذا الوقت وأيضاً محاضرات في علوم القرآن للدكتور: غانم الحمد وهو دكتور عراقي ومن كتب علوم القرآن المفيدة أيضاً كتاب: دراسات في علوم القرآن للدكتور فهد الرومي هذا ما تبقى لدي من كتب علوم القرآن.

أما أهم القضايا التي ذكرناها في درسنا اليوم ذكرنا أولاً مدارس التفسير في عهد التابعين، ثم ذكرنا عهد التدوين وبينا كيف أن علوم القرآن دونت مفردة من نهاية القرن الأول وإلى يومنا هذا وذكرنا نماذج لذلك، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى الكتب المؤلفة في علوم القرآن علماً على علم معين، وبينا أن أول كتاب ظهر في ذلك هو كتاب الحاوي في علوم القرآن لمحمد بن خلف بن المرزبان، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى الكتب المعاصرة وختمناها بهذه الكتب الثلاثة التي ذكرناها آنفاً.

أسأل الله تعالى لي ولكم التوفيق.

الدرس الثالث

الإيمان بالوحي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محاور الدرس:

أولاً: الوحي وحاجة البشر إليه.   ثانياً: تعريف الوحي.

ثالثاً: أنواع الوحي بالمعنى اللغوي.   رابعاً: تعريف الوحي شرعاًً.

خامساً: أنواع الوحي بالمعنى الشرعي.   ساساً: كيفية وحي الله للملائكة.

سابعاً: كيفية وحي الله للرسول.   ثامناً: إمكانية وقوع الوحي.

كانت أسئلة الحلقة الماضية:

السؤال الأول: ما النوع الأول من أنواع علوم القرآن الذي افتتح به السيوطي كتابه: الإتقان في علوم القرآن؟

السؤال الثاني: كم أنواع علوم القرآن التي ذكرها الزركشي في كتابه: البرهان في علوم القرآن؟

إجابات السادة المشاهدين أو من خلال الموقع

النوع الأول: الذي ذكره الإمام السيوطي في كتابه: الإتقان هو معرفة المكي والمدني

نعم هذا صحيح، النوع الأول الذي ذكره السيوطي في كتاب الإتقان هو معرفة المكي والمدني.

الإجابة الثانية: ذكر الشيخ الزركشي في كتابه: البرهان سبعة وأربعين نوعاً من علوم القرآن

وهذه -أيضاً- إجابة صحيحة، فعدد الأبواب والأنواع التي ذكرها الزركشي في كتابه: البرهان في علوم القرآن هي سبعة وأربعون نوعاً من أنواع علوم القرآن.

إجابات السادة الحضور

بالنسبة لإجابة السؤال الأول: هو معرفة المكي والمدني.

بالنسبة لإجابة السؤال الثاني: ذكر الزركشي سبعة وأربعين نوعاً من أنواع علوم القرآن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن وآلاه أما بعد:

فقد جرت العادة في كل درس أن نسأل إخواننا الحضور عن مضمون الدرس الماضي فلدينا أربعة أسئلة كما اتفقنا أن نجعلها دائماً أربعة أسئلة.

السؤال الأول يقول : كم هي مدارس التابعين في التفسير؟

المدارس هي أربعة :

المدرسة المكية والمدنية والبصرية والكوفية .

أحسنت. المدارس في التفسير في عهد التابعين أربعة :

مدرسة مكة بقيادة عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه.

مدرسة المدينة بقيادة أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه.

ومدرسة الكوفة بقيادة عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

ومدرسة البصرة بقيادة أنس بن مالك وأبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنهما.

السؤال الثاني: كم كتب علوم القرآن المفردة التي عدها ابن النديم في الفهرس؟

ابن النديم ألف كتابه: الفهرست عام ٣٧٧هـ ، وعد في كتابه: من كتب علوم القرآن عدداً كبيراً فكم هذا العدد؟

الكتب المفردة التي ألفها في ابن النديم هي ٢٥٠ كتاباً

أحسنت . الكتب المفردة التي عدها ابن النديم في كتابه: الفهرست ٢٥٠ كتاباً.

السؤال الثالث: ابن الجوزي - رحمه الله - العالم الحنبلي المعروف، واعظ الإسلام المشهور، له كتب كثيرة في علوم القرآن لكن أشهرها على النحو الذي قررنا أنه اصطلح عليه في علوم القرآن له كتاب مشهور ومطبوع -أيضاً- فمن يعرف اسم كتابه: في علوم القرآن ؟

الإجابة: الكتاب" فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن "

أحسنت. الإجابة: فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ، هذا كتاب ابن الجوزي - رحمه الله - وله كتاب آخر اسمه: المجتبى وله كتاب ثالث اسمه: المجتلى من المجتبى وكلاهما في علوم القرآن.

السؤال الرابع: ألف السيوطي - رحمه الله - كتابين في علوم القرآن فما هما؟ وأيهما الأسبق؟

ألف كتابي: التحبير والإتقان وكتاب التحبير أسبق.

أحسنت: ألف كتاب: التحبير في أصول علوم التفسير والكتاب الثاني: الإتقان في علوم القرآن والتحبير كان متقدماً، وقد ذكر فيه- كما أسلفنا- مائة ونوعين، ثم ألف كتابه: الإتقان بعد أن عزم على تحرير هذا الفن وجمع كل ما وقع بيده فيه، فجمعه في كتابه: الإتقان في ثمانين نوعاً بعد أن ضم بعضها إلى بعض.

هذه مراجعة سريعة لدرسنا السابق وننتقل بعد ذلك إلى درس هذا اليوم.

اليوم معنا درس الوحي. ولماذا بدأنا بالوحي؟

لأن حقيقة علوم القرآن تبدأ من هذه النقطة: الإيمان بالوحي، ومن لم يؤمن بالوحي لم يؤمن بالقرآن ولم يؤمن بالرسول- صلى الله عليه وسلم - ولم يحتج إلى أن يتعلم شيئاً من علوم القرآن الكريم ، فالإيمان بالقرآن فرع عن الإيمان بالوحي ؛ وعليه فإن تقديم هذا الباب تقديم صحيح في علوم القرآن حيث إن الإنسان بحاجة إلى تقرير هذه

المقدمة العظيمة في علوم القرآن وهي الإيمان بالوحي والحاجة إليه وبيان ما يتعلق به من صفات وكيفيات وأنواع وتعريف ونحو ذلك كما أسلفنا في المقدمة التي ذكرها أخي قبل قليل.

ما حاجة الناس إلى الوحي ؟

حاجة الناس إلى الوحي- أيها الإخوة- أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب. كيف ذلك؟

لأن الناس في الطعام والشراب يحيون في الحياة الدنيا ويسلمون من الجوع والأذى والألم الدنيوي لكنهم بالوحي يحيون حياة سعيدة في الدنيا ويحصلون على الأجر الأخروي وجنة عرضها السماوات والأرض ورضوان من الله أكبر في الآخرة ولا يمكن أن تقاس الدنيا بالآخرة. إذن لا يمكن أن تكون للبشرية سعادة ولا رقي ولا حياة طيبة إلا بالوحي ذلكم أن الله - سبحانه وتعالى - خلق الإنسان من عنصرين اثنين: الأول: عنصر الطين والثاني: عنصر الروح وجعل لكل واحد من هذين العنصرين ما يناسبه، تغذية وتأميناً وشفاءً ودواءً وغير ذلك.

فأما عنصر الطين فقد جعل الله - سبحانه وتعالى - في فطرة الإنسان الهداية إلى تأمينه والبحث عنه وجعل الله - سبحانه وتعالى - في نفس الإنسان ما يدعوه إلى تأمين هذا العنصر الطيني، ولذلك لم يأتِ في القرآن ولا في السنة كثير عناية بهذا الباب وإن كانت جاءت جمل وقواعد كلية لبيان الحق في هذا الباب أو لبيان ما ينبغي للناس فعله في هذا الباب ، لكن غالب هذا وكلت معرفته للناس لأن الناس أبصر باحتياجاتهم البدنية واحتياجاتهم الجسدية وما يشتهون وما لا يشتهون فهذا هو عنصر الطين.

أما العنصر الثاني: وهو عنصر الروح الذي نفخ الله - سبحانه وتعالى – آدم فيه من روحه فهذا قد جعل الله غذاءه من عنده، كما أن النفخة كانت منه - أيضاً- الغذاء أنزله من عنده - سبحانه وتعالى - لأن هذه الروح ليس لها إلا غذاء واحد ينزل عليها من السماء وهذا الغذاء لا يمكن أن تتلقاه النفوس إلا عن طريق واحد وهو الوحي. الناس يبحثون عن غذاء لأرواحهم، لكن كثيرين منهم يخطئون هذا الطريق ولا يستطيعون الوصول إلى الطريق وهذا أمر عندما تنظر إلى الواقع تجده بيناً ظاهراً هؤلاء الذين مثلاً يلجؤون إلى المخدرات والمسكرات عندهم جوعة روحية لا يدرون كيف يتعاملون معها ، فيصيبهم الدجر والسآمة والملل والضيق والنكد الدنيوي فيلجؤون إلى تلك المهدئات وتلك الأشياء والأدوات والوسائل التي تغيبهم عن عالم الضيق والاقتراض والنكد لماذا لأن الروح جائعة وجوعها شديد ويحس به كل أحد فيبحث الناس عن حل لهذه الجوعة وكل إنسان يبحث عن حل بطريقته الخاصة ، لكن الله - سبحانه وتعالى - جعل هذه الروح أو خلق هذه الروح بنفخة من عنده وجعل غذاءها -أيضاً- ينزل من السماء، الروح عالم علوي وغذاؤها يأتي من فوق، يأتي من السماء ، وأما البدن فهو طيني عالم سفلي وغذاؤه يأتي من تحت فالإنسان يزرع في الأرض ويشرب من الماء وغير ذلك، فانظروا- أيها الأحبة- قال الله جل وعلا (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)) [طه: ١٢٤- ١٢٧].

انظروا - يا إخواني- ليس لهذه الروح غذاء إلا من الملكوت الأعلى، من أراد أن يبحث لها عن غذاء من غير ذلك، ضل الطريق قطعاً، قال الله -جل وعلا-(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) [الزخرف: ٢٦] وقال جل وعلا: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨]، فهذا القلب لا يمكن أن يطمئن ولا أن يسكن ولا يهدأ ولا يجد الغذاء المناسب إلا بذكر الله واللجوء إليه والاستنارة بنور الوحي ولذلك سمي الوحي في القرآن روحا، لأنه لا تعيش الأرواح إلا بذلك الوحي قال الله جل وعلا (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا) [الشورى: ٥٢]، سمى الله - سبحانه وتعالى - الوحي روحاً لأن حياة الأرواح لا تكون إلا به.

فمن أراد أن يبحث عن سعادة لنفسه وطمأنينة لقلبة وحياة سليمة سعيدة طيبة مباركة في الدنيا وفي الآخرة بغير الوحي فقد ضل سواء السبيل.

وهذه البشرية العابثة اللاهية التي استطاعت أن تصل إلى ما تصل إليه من أنواع الملهيات والمغريات والترف وغيرها لن تستطع أن تصل إلى هذه الراحة والطمأنينة، يدلك على هذ

ما نلمسه ونشاهده ونسمعه من واقع تلك الدول أو شعوب تلك الدول التي تسمى دولاً حضارية كيف توافرت لهم جميع وسائل الحياة المرفهة ومع ذلك لم يصلوا إلى هذه الطمأنينة ولم ينالوا هذه السعادة!!! ولذلك نجد كثرة أو علو نسب الانتحار في تلك البلاد فأعلى نسب الانتحار توجد في هذه الدول التي يسمونها دولا حضارية أو متقدمة أو مدنية أو غير ذلك من التسميات التي يطلقونها عليها. لماذا؟ لأنها لم تصل إلى الغذاء الحقيقي لأرواحها فحصلت هذه الجوعة وحصل ذلك الضيق واشتق بقلوب أولئك القوم وأولئك النفر اشتد بقلوبهم جوعة الأرواح التي ذكرناها وقدمناها في بداية هذا الكلام.

من هنا - أيها الأحبة- نعرف أن حاجة البشر إلى الوحي أشد من حاجتهم إلى الهواء وإلى الطعام وإلى الشراب وإلى كل شيء.

هذه مقدمة مهمة في بداية هذا الموضوع.

ننتقل بعدها إلى التعريف بالوحي- وكما قدمنا- التعريف بالشيء ينبغي أن يكون من جهتين: جهة اللغة، ومن جهة الشرع، إن كان الموضوع أو الاسم شرعياً، نقول: من جهة الشرع ، وإن كان اصطلاحياً نقول: من جهة الاصطلاح، وكلمة الوحي كلمة شرعية لها معنى في الشرع خاص غير المعنى اللغوي.

فما هو تعريف الوحي في اللغة ؟

تعريف الوحي في اللغة: هو الإعلام في خفاء، ذلكم أن الوحي هو الإعلام الخفي السريع، يقول الأزهري: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحياً، فكل إعلام في خفاء يسمى وحياً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله – تعالى في مقدمة أصول التفسير : الوحي الإعلام السريع الخفي إما في اليقظة أو في المنام، فكل إعلام سريع خفي غير ظاهر فإنه يسمى وحياً.

ويقول الراغب الأصفهاني في كلمة جامعة في كتابه العظيم ، المفردات - مفردات غريب القرآن - وهو كتاب من أوسع وأحسن ما كتب في غريب القرآن يقول: وذلك - أي الوحي- يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب ويكون بإشارة ببعض الجوارح ويكون -أيضاً- بالكتابة.

تأمل كلمة الراغب الأصفهاني - رحمه الله - في كتابه: حيث جعل أنواع الوحي أربعة:

النوع الأول: بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، فالذي يتكلم كلاماً مرموزاً أو فيه شيء من التعريض فإنه يوحي بخفاء إلى من يتكلم عليه ومن يهاتفه.

الثاني: قد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، صوت يطلقه يفهم الآخر أن المراد به معنى معين فهذا وحي.

الثالث : أن تكون إشارة ببعض الجوارح ، أحياناً قد يشير رجل إلى آخر إشارة بأصبعه أو بيده فيفهم الآخر المراد مثلاً: إذا قلت لإنسان بعيد هكذا فإنه يفهم أن المراد بها اسكت عن الكلام ، هذا وحي يسمى من حيث اللغة وحياً، قال أوحى فلان إلى صاحبه أو زميله أو أخيه أو غير ذلك،

الرابع: بالكتابة. إذا كتب له كتاب فإنه يسمى - أيضاً- وحياً وقد ورد في القرآن الكريم أنواع من الوحي بالمعنى اللغوي فما هي هذه الأنواع التي وردت في القرآن الكريم وهي محمولة على المعنى اللغوي ؟ إنما نقول هذا - أيها الأحبة- لئلا يلتبس الأمر على قارئ القرآن الكريم عندما يسمع هذه الآيات وفيها كلمة " الوحي" فيحملها على المعنى الشرعي هذا هو المراد بذكر هذا الأمر وذكر هذا المبحث مثل كلمة " الصلاة "، كلمة الصلاة لها معنى لغوي ولها -أيضاً- معنى شرعي، المعنى اللغوي بمعنى الدعاء كما قال الله - سبحانه وتعالى - (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ) [التوبة: ١٠٣]، فذكر " صل عليهم " هل معنى صل عليهم يعني أقم صلاة الجنازة مثلاً عليهم، لا.. هذه محمولة على المعنى اللغوي، وهذه فائدة دراسة، هذه التراكيب والمفردات في القرآن الكريم وفي لغة العرب بحيث يتبين للإنسان معاني النصوص من جميع جهاتها حتى لا يخلط هذه المعاني بعضها ببعض.

من هذا المعاني اللغوية الواردة في القرآن: إلهام الخواطر يعني ما يوقعه الله - سبحانه وتعالى - في خواطر الناس قال الله - جل وعلا- (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ) [القصص: ٧] ما هو الوحي الذي وقع في قلب أم موسى؟ هو بمعنى الإلهام ، الإلهام: ذلك الشيء الذي يقع في قلب الإنسان لا يجد له دفعاً، وهذا الإلهام مصدره من الله - سبحانه وتعالى - يلهم عبده شيئاً معيناً فيقع في روحه ويحصل في نفسه ضرورة لا يستطيع الانفكاك عنها ، وهذا ما حصل لأم موسى - عليه الصلاة والسلام - عندما ألقى الله في قلبها أن ترضع ابنها وتلقيه في اليم وتربطه بحبل فإذا خشيت العدو ألقت في اليم وإذا أمنت جرته إليها ثم أرضعته، حتى أذن الله - سبحانه وتعالى - بأن ينطلق فيأخذه اليم ويذهب به إلى قصر فرعون وكذلك قوله الله جل وعلا - وهو محمول على هذا المعنى - (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي) [المائدة: ١١١]، أوحيت يعني ألهمت هؤلاء الحوارين وألقيت في خواطرهم هذا المعنى الأول من أنواع الوحي بالمعنى اللغوي الوارد في القرآن.

الكتاب الذي أشار إليه السيوطي - رحمه الله - في كتاب الإتقان وهو كتاب مجمع البحرين ومطلع القمرين؟ هل أتم السيوطي هذا الكتاب؟ وهل وصلنا؟ .

إن هذا الكتاب لا نعرف خبره الآن ولا يعلم أن أحداً أخبر بوجوده لا في المكتبات الإسلامية ولا في العربية ولا في مكتبات غير المسلمين في الدول الأوربية فلا يدرى عن هذا الكتاب شيئاً ، لكن يفهم من كتاب السيوطي أنه كتب هذا الكتاب وأتمه والعلم عند الله.

قلت يا شيخنا في تعريف التأويل معرفة الشيء على حقيقته وكنهه فما معنى كنهه ؟

كنه الشيء مرادف لكلمة حقيقته ، حقيقة الشيء وكنهه: يعني ذاته الأساسية وحقيقته المقصودة هذا هو المقصود بالكنه.

مسألة إلهام الخواطر قد يدخل فيها شبهة في هذا الوقت هل كل ما يكون من إخبار النفس يكون من الله أو مما يلهمه الله للعباد أم أنه خاص بطائفة دون طائفة ؟

بالنسبة لإلهام الخواطر نحن نقول: العام أن إلهام الخواطر يسمى وحياً، سواء كان هذا الإلهام من الله - جل وعلا- أو كان من الشياطين كما سنبين بعد قليل كله يسمى وحياً بالمعنى اللغوي ، لكن نحن نبين الآن ما ورد في القرآن بهذا المعنى مما كان من الله - سبحانه وتعالى - وقد يكون من غيره كما سنبين بعد قليل في المعاني اللغوية التي ستأتينا.

النوع الثاني : من أنواع الوحي بالمعنى اللغوي هو الإلهام الغريزي للحيوان فالله - سبحانه وتعالى - قد ألهم الحيوان إلهاماً غريزياً بحيث يهتدي إلى ما يصلحه من قوته ومسكنه وتكاثره وتناسله وغير ذلك، إلهاماً غريزياً هذا يسمى -أيضاً- وحياً، وقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك قال الله - سبحانه وتعالى- (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) [النحل: ٦٨] من الذي هدى هذه الحيوانات لكي تعمل هذه الأعمال المنظمة الدقيقة وتقوم بهذه الإجراءات التي لا يشك أحد وهو يراها تعملها إلا أن ذلك من تدبير الله - سبحانه وتعالى - وإلهامه إياها ؟ وقد سماه الله تعالى هنا وحياً، إذن كلمة الوحي تطلق - أيضاً- على الإلهام الغريزي للحيوان.

النوع الثالث: الأمر الكوني للجمادات ، -أيضاً- الأمر الكوني للجمادات الذي يأمر الله - سبحانه وتعالى - فيه الجماد بأن يكون على هيئة معينة هذا يسمى وحياً، كما قال الله - سبحانه وتعالى - في سورة الزلزلة (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥)) [الزلزلة: ٤، ٥]، فسمى الله - سبحانه وتعالى - ذلك الأمر وحياً للأرض التي هي جماد و-أيضاً- قول الله - سبحانه وتعالى - (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) [فصلت: ١٢].

النوع الرابع: من أنواع الوحي بالمعنى اللغوي: الإشارة السريعة بجارحة من الجوارح، جاء في القرآن تسميتها وحياً كما في قول الله -عز وجل- في سورة آل عمران و- أيضاً- ورد هذا المعنى في سورة مريم قال: (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً) [مريم: ١١]، (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ) أي أشار إليهم ببعض جوارحه (أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً

وَعَشِياً) فسمى الله هذه الإشارة من زكريا – عليه السلام - وحياً بالمعنى الشرعي أو بالمعنى اللغوي؟ هو وحي بالمعنى اللغوي.

الخامس: وسوسة الشيطان فإنها تسمى -أيضاً- وحياً، كما ذكر الله - سبحانه وتعالى - ذلك قال: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ) [الأنعام: ١٢١] فسمى وسوسة الشياطين لأوليائهم سماها وحياً على المعنى اللغوي وهو الإعلام الخفي السريع الذي لا يشاهد ولا يرى.

وكذلك قول الله -عز وجل- (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الإِنس وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً) [الأنعام: ١١٢] فسماه الله - سبحانه وتعالى - وحياً.

هذه جملة الأنواع الواردة في القرآن بالمعنى اللغوي، لو أعدنا بوجه سريع نقول:

الأول: إلهام الخواطر.

الثاني: الإلهام الغريزي للحيوان.

الثالث: الأمر الكوني للجمادات.

الرابع : الإشارة السريعة بجارحة من الجوارح.

الخامس: وسوسة الشيطان تسمى وحياً من حيث اللغة وقد دل على ذلك القرآن الكريم.

هذا بالنسبة للتعريف اللغوي.

ننتقل بعد ذلك إلى ما تعارفنا عليه من التعريف الشرعي تعريف الوحي شرعاً اختلف الناس فيه لاختلافهم في الناحية التي يعرفون منها الوحي ، فمنهم من عرف الوحي باعتبار الموحى به، أي المضمون الذي ينزل به الوحي أو ينزل به جبريل -عليه الصلاة والسلام- ومنهم من عرفه باعتبار الإيحاء والكيفية التي يكون بها الوحي.

فمن النوع الأول: قال بعض أهل العلم: الوحي هو كلام الله المنزل على أحد أنبيائه.

هنا لم يعرف طريقة الإيحاء ولا كيفية الإيحاء وإنما عرف المضمون الذي ينزل به الوحي، وهذا في الحقيقة ليس مقصودنا وإنما المقصود عندما نريد أن نعرف الوحي في هذا الباب بالذات هو أن نعرف الطريقة التي يكون بها إيحاء الله - سبحانه وتعالى- لأحد من أنبيائه، فما هو التعريف المعتبر هنا؟ نقول: < الوحي إعلام الله - سبحانه وتعالى - لأحد من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه > ، فتأملوا هذا التعريف نشرحه شرحاً خفيفاً فنقول:

<إعلام الله> يخرج بذلك ماذا ؟ إعلام غير الله ، من ملك أو إنس أو جن أو شيطان أو غير ذلك، وقد سمى الله في القرآن وسوسة الشياطين وحياً، إذن إعلام الله هذا هو المقصود بالوحي الشرعي.

قال: <لأحد من أنبيائه> خرج بذلك ما كان لغير الأنبياء مثل الذي يكون للملائكة أو يكون لأحد سواهم ، فإن هذا ليس هو المراد بتعريف الوحي شرعاً، عندما نتحدث عن موضوع الوحي ونفرده بالكلام إنما نريد هذا الموضع بالذات ، وهو<إعلام الله لأحد من أنبيائه> أما إعلام الله لغير الأنبياء من الكائنات والجمادات والحيوانات ، إعلام غير الله - سبحانه وتعالى - فليس مقصوداً في بحثنا وليس المراد في كل كلامنا.

قال:< بحكم شرعي> خرج بذلك ، إعلام الله - سبحانه وتعالى - لأحد من أنبيائه بغير الأحكام الشرعية ونحوها، فإن هذا لا يسمى وحياً فهذا هو شرح التعريف وبيان محترزاته.

هنا يأتي سؤال، ما الفرق بين التعريف اللغوي والتعريف الشرعي؟

المعتاد - أيها الأحبة – أن التعريف اللغوي يكون أعم من التعريف الشرعي المعنى اللغوي أو الحقيقة اللغوية تكون أعم، إذ إن اللغة جاءت بالكلمات على عمومها ثم جاء الشرع فأخذ هذه الكلمات وخصصها على معاني معينة، مثلما يقال في الصلاة: تطلق على الدعاء ، سواء الدعاء باللسان أو الدعاء بالفعل أو غير ذلك، ثم جاء الشرع لكي يطلقها على عمل مخصوص معين، الزكاة تأتي بمعنى النماء وتأتي بمعنى الطهارة في اللغة لكن الشارع حملها على معنى مقصود معين، الصوم كذلك، الحج، العمرة، الجهاد ، كل هذه معانٍ لغوية عامة ويأتي الشارع ليحدد لها معنى خاصاً يريدها منه فعلى الإنسان أن يتعرف على المعنى في اللغة والمعنى في الشرع ليتميز له كل واحد من الآخر فالفرق بين التعريف اللغوي والشرعي في الوحي أن الوحي في اللغة أعم من المعنى الوحي في لسان الشارع.

في هذه النقطة بالذات ينبغي أن نعرج على قضية مهمة جداً ، وهي في الحقيقة أحد أهم الأسباب التي تدعونا إلى البدء بهذا الموضوع وإلى إفراده بالبحث والتحقيق في الحديث فيه ذلكم - أيها الأحبة- أنه نشأ في المسلمين فرق انبهرت بما عليه العالم الغربي وانبهرت بالمادية الغربية فأرادت أن تقدم لهذه الحضارة المادية الإسلامَ بصورة يقبلها أولئك الماديون يعني بصورة مشاهدة، محسوسة ملموسة ترى بالعين، تحس باللمس، تشم، ينظر إلى آثارها، فهؤلاء القوم جاءوا إلى كل المغيبات في الشرعية فأخذوا يؤولونها تأويلاً غير سائغ ، من أجل أن تنسجم مع أفكار وأذهان وعقول أولئك الغربيين الذين لا يؤمنون إلا بما يشاهدونه ويحسونه.

نشأت هذه الفرقة في المسلمين منذ قرن من الزمان وبدأت تكتب وتنشر المقالات وتؤول كلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - تأويلاً بعيداً كل البعد عن روح الشريعة وروح اللغة، ضاربةً بإجماع المسلمين على تحقيق هذه المعاني عرض الحائط، والعجيب أن هذا النوع من الناس صار له من القوة الإعلامية ما جعله ينشر هذه الثقافة بقوة ويروج لها، فالملائكة عالم غيبي لا يشاهد كيف نقدم هذا العالم الغيبي للغرب؟ إنهم يقولون: نحن لا نؤمن إلا بشيء نلمسه، بشيء نشاهده، بشيء نراه وننظر إليه، إذن ما هو عالم الملائكة الذي يتحدث عنه القرآن أو تتحدث عنه أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - لا بد أن نؤول هذا المعنى فقالوا مثلا: الملائكة هي دوافع الخير في نفس الإنسان، المراد بالملائكة الدافع الذي يدفع الإنسان ويسوقه إلى الخير، الشياطين ليست عالماً مستقلاً له أوصاف مخلوقٍ غريبٍ عن الإنسان مضاد له أو عدو له. لا .. الشياطين هي دافعية الشر المولودة في نفس الإنسان وهلم جراً.. في سائر المغيبات طير الأبابيل ما هي؟ الطير الأبابيل ليست طيراً جاءت بحجارة فألقتها على أبرهة وأصحابه ممن أرادوا أن يعتدوا على بيت الله الحرام إنما هي جراثيم الجدري اعتدت عليهم فقتلتهم جميعاً، لأنك إذا قلت طير يحمل حجارة ويضرب بها الناس ويقاتل، هذا شيء لا يتصوره هؤلاء ولا يمكن أن يفهمه الغربيون، إذن لا بد أن نصوغه، وأن نقدمه لهم بهذه الصورة. فتصور كيف ضل هؤلاء ضلالاً بعيداً، فأقول لأجل هذا: نحن أطلنا في موضوع تعريف الوحي وبيان هذا المبحث بخصوصه. من الذين ضلوا في باب الوحي؟ الشيخ محمد عبده عرف الوحي تعريفاً غريباً ، ورد عليه علماء المسلمين انسجاماً مع هذه القضية التي ذكرنا لكم قبل قليل ماذا يقول الشيخ محمد عبده؟ يقول: وقد عرفوه شرعاً أنه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه. أما نحن فنعرفه على شرطنا، بأنه: <عرفان يجده الشخص من نفسه، مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة>. <عرفان يجده الشخص من نفسه> انظر أراد أن ينكر ماذا ؟ أن يكون هناك ملك يأتي بوحي ويكون له صفة معينة، ويوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو يلقي إليه كلاماً معيناً هذا كله قد ألغي بمثل هذا التعريف ، ومع الأسف أننا نجد بعض الكاتبين في علوم القرآن ينقلون مثل هذه التعاريف ولا يدرون الخلفية السابقة التي دعت إلى ذكر مثل هذا وهذا من الضلال البين وهذا يدعونا - أيها الأحبة- إلى أن نتأكد من الكتب التي نقرؤها ولا نقرأ إلا كتاباً وثقنا أنه قد ألف على يد عالم متخصص في ذلك الفن مزكىً من قبل علماء المسلمين.

اسمع ماذا يقول، يقول: ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستتكره النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى.

أما الأول فعندها شعور بأنه قد أتى من أين ؟ من الله - سبحانه وتعالى - أو عندها يقين بأنه قد أتى من الله - سبحانه وتعالى – قال: وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور. هذا لا شك أنه ضلال ويعرف كل من سمع هذا التعريف أنه تعريف ضال يراد به إنكار ما ثبت في النصوص الشرعية من كتاب وسنة من نزول جبريل -عليه الصلاة والسلام- على كيفيات معينة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإلا يا إخواني لما يقول: عرفان يجده الشخص من نفسه، إذن كل واحد يقول: أنا وجدت هذا وموقن أنه من عند الله فيدعي بذلك أنه

قد أوحي إليه - سبحان الله- أبهذا يكون الوحي؟! هذا ضلال وهذا لا شك أنه انحراف كامل عن النصوص وعن الطريقة الشرعية، وطرح لإجماع المسلمين وللطريقة التي كان عليها سلف هذه الأمة.

وقد ذكر هذا - أيها الأحبة- وحققه تحقيقاً جيداً الدكتور/ فهد الرومي في رسالته للماجستير: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير وذكر كل منهج هذه المدرسة ورد عليه رداً جيداً يحسن بطالب العلم الذي يريد أن يتعرف على هذه المدرسة أن يقتني هذا الكتاب ويقرأ حال هذه المدرسة وطريقتها في التعامل مع نصوص الوحي ومع المغيبات بشكل خاص.

هل يحصل لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - إلهام بالمعنى العام؟

يحصل لكل الناس الإلهام وليس يحصل لأمة محمد، بل لكل الناس قال الله -عز وجل- (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي) [المائدة: ١١١] وكذلك في أم موسى- عليه السلام- (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) [القصص: ٧] وغيره من الناس يحصل هذا الإلهام الذي لا يندفع. بل يحصل فيه شيء من اليقين أحياناً بأنه إلهام من الله -جل وعلا- والذي حصل لعمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- أنه كان يخطب وهو على المنبر واقفاً أمام الناس، كأنه أُرِيَ حال المسلمين وهم يقاتلون عدوهم من الفرس فقال كلمة في عرض كلامه استغربها الناس، قال : " يا سارية الجبلَ ، يا سارية الجبلَ " وأتم خطبته ، فلما فرغ قال له الناس: سمعناك يا أمير المؤمنين تقول كلمة لا ندري ما هي قال: ماذا قلت؟ قالوا سمعناك تقول: يا سارية الجبل يا سارية الجبل، قال: كأنه لاح لي أن المسلمين كانوا أمام عدوهم فأمرتهم أن ينحازوا إلى الجبل لئلا يلتف عليهم العدو من الخلف أو كما قال -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- لما سئل المسلمون هناك ماذا حصل؟ لهم قالوا: سمعنا صوتاً كأنه صوت أمير المؤمنين يقول: يا سارية الجبل يا سارية الجبل، فرجعنا إلى الجبل وتحصنا به فوقانا الله شر عدونا ، هذا من الإلهام وهو يعتبر وحياً لكنه وحي بالمعنى اللغوي وليس وحياً بالمعنى الشرعي.

الأفكار التي تطرأ على الشخص عندما يصلي صلاة الاستخارة هل تعد من إلهامات الخواطر ؟

نعم. هذا الذي يقع في قلب الإنسان من الرضا والطمأنينية بأمر بعدما يستخير الله - سبحانه وتعالى - في اللغة يسمى وحياً وهو إلهام يلهمه الله - سبحانه وتعالى - العبد ليتجه اتجاهاً معيناً في أمر يستخير الله - سبحانه وتعالى - فيه .

نجد بعض الجمادات والصخور وبعض الأشجار تكون على هيئة ركوع أو سجود ما هي أنواع الوحي هذه ؟

هذا ليس وحياً إنما هذه طريقة خلق الله - سبحانه وتعالى - عليها مثل هذا الحيوانات فلا يسمى هذا وحياً إلا إذا كانت هذه الأشياء مثلاً تركع وتسجد في أحوال معينة فهذا قد يكون من إلهام الله لها الإلهام الغريزي الفطري الذي جعله الله - سبحانه وتعالى - في كل المخلوقات- الحيوانات والجمادات وغيرها- قال الله - عز وجل- (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ) [الحشر: ٢١].

هل يكون الإلهام للشخص المسلم أو يمكن أن يكون للكافر ؟

يكون الإلهام للمسلم ولغير المسلم، والإلهام ليس خاصاً بأحد بعينه . الإلهام منه الرؤيا، يلهم الإنسان في الرؤيا شيئاً معيناً، ولذلك نجد بعض الناس تقول: ما الذي ساقك إلى الإسلام ؟ يقول: وقع في نفسي أن الإسلام هو الحق فذهبت أبحث عنه فوجدته حقاً، أو أني بدأت أفكر في هذا الدين وهذا إلهام من الله - سبحانه وتعالى - يوقعه رحمة من الله بعبده فيلهم أن يذهب إلى أحد معين ليسأله عن الإسلام أو يستفسر عن القرآن الكريم فيكون ذلك سبباً في دخوله لدين الله - سبحانه وتعالى - فليس خاصاً بأحد بعينه.

أنواع الوحي بالمعنى الشرعي:

قد ذكرها الله - سبحانه وتعالى - في كتابه: الكريم فقال الله تعالى في آخر سورة الشورى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) [الشورى: ٥١] هذه الآية- أيها

الأحبة- تجمع أنواع الوحي الشرعي، وأنواع الوحي الشرعي لو تأملناها من هذه الآية وجدناها أربعة، فتأملوا معي الآية أولاً ثم نذكرها واحداً تلو الآخر قال: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً) وحياً: هذا فيه نوعان، النوع الأول: ما يكون مناماً والنوع الثاني: ما يكون إلهاماً، يعني شيء يلقيه الله إلى عبده أو نبيه إما بالإلهام أو بالمنام، فهذه الكلمة أشارت إلى نوعين من أنواع الوحي الشرعي الذي يكون من الله إلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم.

قال: (أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ) يعني: أن يكلمه الله - سبحانه وتعالى - مباشرة من دون واسطة لكن من وراء حجاب فقد حصل هذا لنبيين من أنبياء الله كما سنبين بعد قليل.

الثالث: (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) وهذا هو النوع الأشهر من أنواع الوحي وهو الذي يسمى الوحي الجلي، وهو أن يرسل الله - سبحانه وتعالى - إلى عبده ورسوله رسولاً من عنده والغالب أن يكون الرسول المكلف بتبليغ الوحي هو جبريل -عليه الصلاة والسلام- أما القرآن فإنه لم يبلغه أحد ولم يقم به أحد سوى جبريل وأما غير القرآن فإن بعض ما أوحي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قد يكون عن طريق بعض الملائكة الذين يشرفهم الله - سبحانه وتعالى - بنقل شيء من وحيه إلى رسله- صلوات الله وسلامه عليهم.

إذن: نأتي إلى تفصيل هذه الأنواع نوعاً نوعاً بعد أن قرأنا الآية الجامعة لها.

فالنوع الأول: ما يكون مناماً تقول أم المؤمنين عائشة -رضي الله تعالى عنها- (أول ما بدئ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا وقعت مثل فلق الصبح) وقد استمرت هذه الفترة ستة أشهر من أول بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يرى الرؤيا فيرى تأويلها في النهار أو في اليقظة مثل فلق الصبح، يعني لا تحتاج إلى كبير عناء في بيان أن هذه هي التي رآها في المنام وهذا- أيها الأحبة- تمهيد وتوطئة لما سيتلقاه النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك من الوحي الذي سينزل به جبريل لأن الوحي الصريح الجلي أشد من هذا وأقوى، فهذا بقي ستة أشهر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

ومما ورد في القرآن من هذا النوع قوله - جل وعلا- (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ) [الفتح: ٢٧] فقد أوحى الله إلى نبيه: أنهم سيدخلون المسجد الحرام ويعتمرون فذهبوا في السنة السادسة لأداء العمرة ومنعهم المشركون وحصل صلح الحديبية فقال عمر يا رسول الله: ألم تخبرنا أنا سنعتمر؟ قال : أخبرتك أنا سنعتمر هذا العام؟!. فاعتمروا من العام القابل وسميت تلك العمرة عمرة القضية، أو عمرة القضاء لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قاضى عليها المشركين. وليست قضاء لعمرته الأولى.

وكذلك في قول الله - سبحانه وتعالى - في قصة إبراهيم (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) [الصافات: ١٠٢] وجاء إبراهيم لينفذ مقتضى هذه الرؤيا، مما يدل على أن رؤى الأنبياء حق وأن الشيطان لا يمكن أن يُرِيَّهم في المنام شيئاً لأن الله - سبحانه وتعالى - قد وقى خواطرهم وأفهامهم من إلقاء الشيطان فيها شيئاً، فهم لا يرون في المنام إلا حقاً، أما ألاعيب إبليس وتخليطاته - التي تقع لسائر الناس- فإنها لا تقع للأنبياء ولذلك إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- رأى هذه الرؤيا وجاء لينفذها ، ولم يقل له ابنه: يا أبت إن هذه رؤيا فلا تعمل بها، أو إن هذه الرؤيا مخالفة للشرع فلا تعمل بها، لا .. لأن رؤيا الأنبياء حق، ولم يقع من القرآن العظيم شيء بطريق الرؤيا بل لم يقع من القرآن شيء بأي طريق من طرق الوحي المذكورة الأربعة إلا بالطريقة الأخيرة وهو قوله: (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) [الشورى: ٥١]، وأما حديث أنس في صحيح مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان بين ظهرانيهم ذات يوم فأغفى إغفاءة ثم استيقظ فقال وهو يتبسم : إنه قد أوحي إلي آنفاً سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها أو كما قال: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (٣)) [الكوثر: ١ - ٣]، فإن قوله: أغفى إغفاءة على الصحيح من أقوال أهل العلم ليس المقصود بها أنه نام، ولكن أغفى الإغفاءة التي تصيبه عندما يصيبه الوحي كما سنبين بعد قليل.

النوع الثاني : من أنواع الوحي الشرعي ما يكون مكالمة بين العبد وبين ربه - سبحانه وتعالى - وهذه وقعت لنبيين من أنبياء الله -جل وعلا- قال الله -جل وعلا- (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً) [النساء: ١٦٤]، فقد كلم موسى وهو في الأرض كلمه ربه - سبحانه وتعالى - وهو في السماء ، وقال له موسى (أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ

انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً) [الأعراف: ١٤٣]، والثاني من كلمة ربه - سبحانه وتعالى - نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في حادثة المعراج عندما أمره الله - سبحانه وتعالى - بالصلوات الخمس.

الثالث: من أنواع الوحي ما يكون إلهاماً، وهذا لم يرد -أيضاً- أو لم ينزل من القرآن شيء بطريقه، لكن نحن أثبتناه لأنه ورد حديث حسنه أو صححه الشيخ الألباني - رحمه الله - تعالى و-أيضاً- صححه الحاكم وبعض أهل العلم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (إن روح القدس نفث في روعي) لاحظ معي هذه العبارة(نفث في روعي) أي: في قلبي وخاطري (أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب) فانظروا إلى الطريقة التي عبر بها النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الوحي الذي أنزل إليه فقال: (إن روح القدس نفث في روعي) ما قال: كلمني أو أوحى إلي أو جاء إلي أو قال لي ، قال: نفث في روعي، مما يدل على أن من طرق الوحي الشرعية: النفث في الروع والإلهام الذي يقع في قلوب الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام.

النوع الرابع: وهو أشهر الأنواع وبه نزل القرآن ما يكون بواسطة جبريل- عليه الصلاة والسلام- ويسميه العلماء الوحي الصريح، أو الوحي الجلي.

قال الله -جل وعلا- مبيناً أن القرآن نزل بهذا الطريق: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)) [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥] فانظر نزل به الروح الأمين، والروح الأمين هنا بإجماع المفسرين هو جبريل -عليه الصلاة والسلام- وكذلك قول الله - سبحانه وتعالى - (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا) [النحل: ١٠٢]

فهذا هو النوع الأخير من أنواع وحي الله - سبحانه وتعالى - لأنبيائه كما وردت في الآية التي ذكرناها في آخر سورة الشورى.

كيفية وحي الله للملائكة؟

هذا الكلام- الذي أسلفناه قبل قليل في أنواع الوحي الشرعي- يدعونا ضرورةً - بعد أن بينا أن القرآن نزل بطريقة وحي الله إلى جبريل وجبريل نزل بهذا الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نعلم ما هي الطريقة التي يوحي الله - سبحانه وتعالى - بها للملائكة، حتى نعرف التسلسل الذي يحدث عندما يكون وحي الله - سبحانه وتعالى - نازلاً من الله إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - فقد ورد في السنة النبوية ما يدل على هذه الكيفية ولم ينزل في القرآن ذلك إلا إشارة سنعرفها من خلال هذا الحديث في سورة سبأ.

يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه أبو هريرة مرفوعاً: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها - خضعاناً لقوله) إذا قضى الله الأمر في السماء -هذه رواية البخاري- (ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان) يعني هذا الصوت الذي يسمع كأنه سلسلة على صفوان ، (فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) إشارة إلى الآية الواردة في سورة سبأ فتفسيرها ورد في هذا الحديث الذي رواه أبو هريرة وأخرجه البخاري في صحيحه، وجاءت هذه الصيغة في حديث آخر أكثر أيضاحاً للطريقة وهو حديث النواس بن سمعان -رضي الله تعالى عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي) انظر هذه الرواية أصرح من تلك الرواية، قال تكلم بالوحي (فإذا تكلم أخذت السماوات منه ردعة أو قال: رجفة شديدة، خوفاً من الله -عز وجل- فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجداً) يعني أن الله - سبحانه وتعالى - إذا تكلم بالوحي خضع أهل السماء فصعقوا وخروا ساجدين لله- جل وعلا- إذعاناً له وهيبةً لقوله ووحيه - سبحانه وتعالى - فيكون أول من يرفع رأسه جبريل -عليه الصلاة والسلام- فيكلمه الله من وحيه ما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير) فهذا يبين لنا الكيفية التي يكون عليها الوحي، كيف يوحي الله - سبحانه وتعالى - لجبريل - عليه الصلاة والسلام - إذا أراد أن يتكلم بالوحي خضع أهل السماء كلهم، فصعقوا وخروا ساجدين لله فيكون أول من يفيق منهم سيدهم وهو جبريل- عليه الصلاة والسلام- فيتلقى ذلك الوحي فما يمر بأهل سماء إلا يقولون ماذا قال ربنا: طلباً للاستجابة وإذعاناً للقول فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير، ثم ينزل به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا يزيل- يا إخواني- إشكالاً سنؤكده

فيما بعد- إن شاء الله تعالى- كثير من الناس يظن أن جبريل ينزل بالوحي من السماء الدنيا، من القرآن الذي أنزله الله - سبحانه وتعالى - إلى السماء الدنيا في بيت العزة وهذا غير صحيح بل إن جبريل ينزل به من الله - سبحانه وتعالى - ويتلقاه منه وإنما كان ذلك النزول الذي كان ليلة القدر- كما سنفصله- كان نزولاً مراداً به التشريف وإعلاء قدر القرآن وقدر النبي وقدر هذه الأمة، أنزل من اللوح المحفوظ ووضع في بيت العزة من السماء الدنيا هذا للتشريف، وأما الوحي والقرآن بآياته وجميع سوره وحروفه وكلماته فقد أوحى به الله - سبحانه وتعالى - إلى جبريل لفظة لفظة وعبارة عبارة وآية آية، وجبريل نقله بكل أمانة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما قال الله -جل وعلا- (فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)) [التكوير: ١٥- ١٩] من هو الرسول هنا؟ هو جبريل -عليه الصلاة والسلام - لأنه وصفه بعد ذلك بقوله: (ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١)) [التكوير: ٢٠، ٢١] ثم انتقل بعد ذلك إلى الناقل الثاني للوحي وهو الرسول - صلى الله عليه وسلم - المبلغ له قال: (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢)) [التكوير: ٢٢]، (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)) [التكوير: ٢٤]، (ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢)) [التكوير: ٢٠- ٢٢]، ليبين لنا أن هذا الوحي قد أوصل إلينا في غاية ما يكون من الدقة والاتقان والحفظ والأمانة.

ما الفرق بين الوحي الشرعي والكشف الذي يدعونه الصوفية ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله هذا السؤال مهم يحتاجه كثير من الناس الوحي الشرعي هو وحي من الله - سبحانه وتعالى - مقطوع به إلى أحد أنبيائه - عليهم الصلاة والسلام- وهذا هو مصدر الشرائع فلا يجوز أن يتلقى شرع من غير طريق الوحي أما الكشف الذي يوجد عند الصوفية أو يدعيه الصوفية فهو نوع من أنواع الإلهام يحصل للإنسان قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً بحسب ما يعتري الإنسان ويحصل له لكن هذا الكشف جعله الصوفية مصدراً من مصادر التشريع وهذا لا شك أنه من أعظم أنواع الضلال؛ لأن الوحي قد انقطع بموت النبي - صلى الله عليه وسلم - فلا يجوز لأحد أن يزيد في الشريعة أو ينقص منها أو يسقط شيئاً بحجة أنه كشف له فيها شيئاً، بل نقتصر في ذلك على الوحي ولذلك المسلمون مجمعون على أن الوحي قد انقطع بموت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنه لا يجوز لأحد أن يزيد في دين الله أو يشرع شيئاً لم يشرعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحجة أنه كشف له ذلك الشيء أنه من دين الله أو أن الله أمر به أو أنه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمره به أو غير ذلك.

لأننا لو فتحنا هذا الباب ما بقي للدين نهاية ولا بقيت له غاية ولأصبحت دعوى النبوة في أتباع النبي- صلى الله عليه وسلم - لكن بطريقة ملفقة مغلفة، بمعنى أن يقول الإنسان: أنا لست نبياً لكن عندي خصائص النبي. وما الفائدة من هذا الأمر، هذا - والله يا إخواني- أعظم ضلالاً يقع فيه الإنسان - نسأل الله السلامة- أن يُجعل من الكشف مصدراً من مصادر التشريع وسبيلا من سبل معرفة ما يريده الله - سبحانه وتعالى- من عباده.

أما أن يقع للإنسان إلهام في اختيار أمر من الأمور أو الحصول على شيء من الأشياء في الحياة الدنيا ينكشف له أمر بأن هذا هو الأحسن أو الأفضل أو يقع في قلبه أن هذا الرجل كاذب أو أن ذاك صادق ، فهذا الأمر واسع ومنه ما يكون حقاً ومنه ما يكون باطلاً، لكن لا ينبغي أن يعرف بهذا أن الإنسان يكون ولياً أو أن الإنسان يتطلع إلى مقام الأنبياء وخصائصهم ، هذه عبارة مختصرة في هذا المقام.

إن بعض من يدعي الكشف يستشهد بحديث عمر بن الخطاب أو بالواقعة "يا سارية الجبل" فهو بشر وليس بنبي ووقع منه ذلك فهل هناك ضوابط شرعية أو نقاط معينة يجب الوقوف عندها؟ وكيف نرد على من يستشهد وهم من عامة الناس وليسوا من طلبة العلم ؟

في سؤال الأخ سؤال مهم جداً وهو كيف نفرق بين الصادق والكاذب في موضوع الكشف؟ هذا يا إخواني أولاً: ليس له صلة بالشرع- كما بينا قبل قليل- يعني عمر بن الخطاب عندما انكشف له ما حصل للمسلمين في بلاد فارس هذا أمر ليس من الشرع في شيء بمعنى أنه لا يترتب عليه زيادة في شرع الله وإنما هو أمر انقدح في قلبه وألقاه الله - سبحانه وتعالى - في روعه فحصل له هذا الأمر، فنحن نقول: هذا يحصل لعمر ولمن بعد عمر - رضي الله تعالى عنهم- ولكن لا يجوز أن يتخذ هذا وسيلة للزيادة في الشرع أو للزيادة في دين الله تعالى أو النقص منه أو إحداث شيء في دين الله أو ابتداء شيء في دين الله - سبحانه وتعالى - هذا هو المهم في هذه القضية أما أن

يعرف الإنسان أحسن الطرق المناسبة له أو الخيارات المطروحة بين يديه بإلهام يلقيه الله - سبحانه وتعالى - في قلبه فهذا قد يقع لكل أحد وقد يقع للصالح وغير الصالح من الناس - كما أسلفنا في حديثنا أثناء الدرس- فأرجو أن يتبين الإخوة هذا الأمر ونحن ننكر على الصوفية وعلى غيرهم أن يتخذوا من الكشف وسيلة للزيادة في دين الله - سبحانه وتعالى - والابتداع فيه والاستدراك على الشرع ما لم يأذن به الله - جل وعلا- ولعلنا - إن شاء الله تعالى- إذا تحدثنا عن كيفية وحي الله للرسول وإمكانية وقوع الوحي نزيد حديثا وكلامنا بما يناسب بإذن الله جل وعلا.

في أي كتاب ذكر فيه محمد عبده تعريف الوحي؟

الكتاب الذي ذكر فيه محمد عبده تعريف الوحي هو رسالة له باسم رسالة التوحيد وهي رسالة على المنهج العقلاني والحقيقة أن الدكتور فهد الرومي- حفظه الله- قد نقل هذه الرسالة في كتابه: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فأنا أحيل الأخت إلى كتاب الدكتور لكي تطلع على هذه المقالة فيه وسائر مقالات هذه المدرسة ومنها مقالات الشيخ محمد عبده و-أيضاً- ردوده على مقالات هذه المدرسة ومناقشته لها مناقشة علمية منهجية مستقيمة أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن .

كتاب مناع القطان الذي ذكرت أنه للمبتدئين هل الاكتفاء به للدراسة؟ أم الرجوع إلى شرح الشيخ أو كلاهما يكمل الآخر ؟

كتاب الشيخ مناع القطان حقيقةً وضع هو أصلاً كمنهج دراسي لأن الشيخ وضعه أصلاً لطلاب الكلية، فالكتاب قد وضع بأسلوب منهجي مناسب لأهل العصر ومن خلال اطلاعي على الكتاب وقراءتي عليه بل وقراءتنا على الشيخ نفسه - عليه رحمة الله- لأنه درسنا في الدراسات العليا عام ١٤٠٩ من الهجرة النبوية - رحمة الله عليه رحمة واسعة- فإن هذا الكتاب قد صيغ صياغة مناسبة تصلح لكل من عنده إلمامة جيدة بالثقافة الإسلامية وعنده مقدمات لا بأس بها في علوم الشريعة فهو لا يحتاج إلى أن يقرأ كتباً أخرى لكن قد تمر بعض المشكلات أو بعض المسائل المعضلة فيسأل الإنسان عنها من يبين له معناها، لكن الكتاب في الجملة من أحسن ما كتب في علوم القرآن في هذا العصر.

هل الفراسة وحي ؟

الفراسة نوع من أنواع الإلهام لكن لها قواعد معروفة عند أهل العلم وتحصل لبعض الناس وليس لكل الناس لكنها لا تعني أنها خاصة بأحد يعني لا يستدل بها على ولاية ولا يعرف بها شرع ، لكن الإنسان قد يميز بها بعض الخيارات أو يعرف الناس ويميز الصادق منهم من الكاذب، المحق من المبطل، وغير ذلك، مثلما حصل لعبد الله بن سلام - رضي الله تعالى وأرضاه عنه- عندما جاء ينظر إلى النبي- صلى الله عليه وسلم - قال: فعرفت أن وجهه ليس بوجه كاذب . هذه فراسة منه، هذه فراسة من عبد الله بن سلام - رضي الله تعالى عنه- تفرسها في وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنت تعرف ذلك، يقول:

والنفس تعرف من عيني محدثها **** إن كان من حزبها أو من أعاديه

هذا نوع من أنواع الفراسة لكن الناس الذين عندهم خبرة ودراية بالفراسة ولهم باع فيها كما حدثنا عن الإمام الشافعي- رحمه الله - ومن كان ممن يتفرسون فأولئك عندهم زيادة على ما عند كثير من الناس فهي نوع من أنواع الإلهام لا شك في ذلك، لكن ذلك الإلهام لا يستدل به على ولاية هذا أولاً، وثانياً: لا يستفاد منه وحي أو شرع لم ينزل على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم.

ما الفرق بين تكليم الله لموسى - عليه السلام- وتكليمه محمداً - صلى الله عليه وسلم - كإحدى طرق الوحي؟

التكليمان كلاهما من نوع واحد يعني أن الله كلم موسى وكلم محمداً - صلى الله عليه وسلم - مباشرة من وراء حجاب، يعني سمعا كلام الله - جل وعلا- بأنفسهما كما ورد في القرآن وكما ثبت -أيضاً- في السنة في حق نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لكن هناك فرق وهو أن موسى كلمه الله وهو في الأرض ونبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - كلمه الله وهو في السماء فهذا علو لشأن محمد - صلى الله عليه وسلم - فمحمد كُلم وهو في السماء

وموسى -عليه الصلاة والسلام- كُلم وهو في الأرض (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً) [الأعراف: ١٤٣] أي كأنه يقول: يا موسى أنت بخلقتك هذه لست مؤهلاً لأن ترى ربك لأننا لم نخلق على كيفية نستطيع بها تحمل هذا النور العظيم من الرب الكريم - سبحانه وتعالى - وجعل الله له آية وهو أن يتجلى الرب - سبحانه وتعالى - للجبل (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً) [الأعراف: ١٤٣].

ماذا يسمى ما يدعيه السحرة وأهل الشعوذة من معرفتهم لبعض الأمور ؟

ما يدعيه السحرة وبعض المشعوذة ببعض الأمور يسمى إما كهانة وعرافة وهذه يتلقونها من الشياطين الذين يسترقون السمع يكذب الواحد منهم مائة كذبة مع الخبر الذي يتلقاه ثم يلقيه لهذا الساحر فيظن الناس أنه صادق بذلك الخبر من مائة كذبة هذا واحد فهم يستعينون بالجن والشياطين في معرفة بعض ما يخفى على الناس. الثاني: وهو أمر ينبغي ألا ينطوي على الإنسان أنهم يعرفون شيئاً مشاهداً ليس من الغيب تخبرهم به الشياطين يظنه الناس من الغيب وهذا أمر غريب جداً أن ينطوي على الناس العقلاء كيف ذلك؟ يأتي هذا الساحر أو ذلك الكاهن والمشعوذ ويقول: أنت اسم أمك كذا. يقول: نعم ، يقول: أولادك عددهم كذا، يقول: نعم، يقول: ابنك اليوم الصباح أكل كذا وكذا يقول: نعم، ما أدراك؟ فيظن أن هذا من علم الغيب وهو ليس من علم الغيب؛ لأنه قد وقع وقد رؤي وشوهد فيقول الناس: إذن هذا يعلم الغيب إذن أخبرنا عما سيقع لنا من سأتزوج؟ وماذا سيكون لي من الحظوظ السعيدة والحظوظ التعيسة؟ وغير ذلك، فيأتي دورالساحر هنا في العبث بعقول الناس- نسأل الله العافية والسلامة- وهذه قضية- أيها الأحبة- مهمٌ جداً أن تفهموها: هم لا يعلمون الغيب (قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ) [النمل: ٦٥] هذا نص القرآن. من ادعى أن أحداً يعلم شيئاً من الغيب لم يعلمه الله إياه فقد كفر بما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - ولذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم) لماذا ؟ لأنه كذب القرآن والقرآن فيه هذا النص الصريح (قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ) [النمل: ٦٥] أحد الخلفاء جاء عنده أحد هؤلاء المشعوذين فقال: أيها الخليفة ليأخذ كل واحد منكم في يده ما شاء من النقود يعدها ويضعها في جيبه وأنا أدخل عليكم فأخبر كل واحد منكم بما معه من النقود ، فقال الخليفة حسناً، فخرج هذا المشعوذ فكل واحد أخرج ما في جيبه من النقود وعده ثم أعاده مرة أخرى فدخل هذا المشعوذ فقال : أنت معك كذا وأنت معك وأنت معك كذا، فأصاب القول، فاندهش الناس من علمه بما معهم وظنوا أن هذا من علمه بالغيب فجاء أحد العلماء- وهنا تظهر يا إخواني عظمة العلم وفائدة التعلم؛ لأن العلم هو الذي يزيل الشبهات ويذهب هذه الشعبذات والشعوذات- فقال له الخليفة: ألا تعجب من حال هذا الرجل؟ يخرج ثم يخبرنا بما معنا فلا يخطئ قال يا أمير المؤمنين إنه لا يستطيع أن يخبركم بما معي ولا يحتاج إلى أن يخرج قال الخليفة: وكيف ذلك؟ فأخذ العالم غمرة من النقود بيده وقال لهذا المشعوذ كم معي الآن؟ فسكت المشعوذ وقال: ها ها، ولم يحل جواباً فانبهر الخليفة أشد من انبهاره الأول، فقال: كيف هذا ؟ قال: يا أمير المؤمنين، كنتم تحسبون فيحسب الجني معكم فيخبره ، الجني الذي معه، يُعينه على ظلمه وإثمه وبغيه وعدوانه، يخبره فلان معه كذا وفلان معه كذا وفلان معه كذا أما أنا فأخذت النقود جملة فلم يستطع الجني أن يحسبها فتحير ولم يعرف ما معي فهؤلاء إنما يستيعنون بالجن والشياطين فأدبه الخليفة. فانظروا يا إخواني قد تمرون في بعض البلاد الإسلامية بأحد هؤلاء المشعوذين يقول: أنت اسمك فلان، أنت أمك فلانة، أنت أخوك فلان، أنت أهلك كذا، بيتك كذا، تسكن في المدينة الفلانية؛ فتنبهر وتظن أن عنده شيئاً من علم الغيب بعدما يقدم بهذه المقدمة يقول: أتريد أن أخبرك بحظك القادم؟ أيامك المستقبلة؟ سعادتك؟ شقاوتك؟ أمورك القادمة؟ حال أبيك وأمك في قبورهما؟ إلى آخره مما يقوله، فالرجل الذي ليس عنده شيء من العلم وليس عنده نصيب وافر منه تنطلي عليه مثل هذه الحيلة، هو أخذ عالم الشهادة واستدل به على علم الغيب وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى - (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) [الأنعام: ٥٩]، وهنا أحذر إخواني المشاهدين من الذهاب إلى هؤلاء المشعوذين من السحرة والكهان ومن يدعون علم الغيب ومن يقرؤون الفنجان ومن يخطون على الرمل وغيرهم من الناس، هؤلاء كلهم دجالون يأكلون أموال الناس بالباطل، وأشد من ذلك أنهم يعبثون بأديانهم وعقائدهم فمن ذهب إلى واحد منهم يسأله وهو مصدق لأنه يعلم الغيب فقد كفر بما أنزل على محمد فيجب عليه أن يتوب ويعود إلى الإسلام، ومن ذهب إلى واحد منهم لينظر ولا ليسأله أو ليس عنده... فإنه لن تقبل له صلاة أربعين يوماً كما أخبر بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فلا يجوز لنا أن نذهب إليهم لنسألهم ولا لنصدقهم

ولا يقع في قلوبنا أبداً تصديق أحد من هؤلاء وعلى كل مسلم أن يبلغ مثل هذا حفظاً لأديان الناس وعقائدهم من الزيغ والضلال - نسأل الله العافية والسلامة-

سؤال الحلقة:

السؤال الأول:

ما الآية التي جمعت أنواع الوحي الأربعة مع بيان ذلك؟

السؤال الثاني :

ما هي الفرقة المعاصرة التي ضلت في باب الوحي

الدرس الرابع

كيفية وحي الله لرسوله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فهذه هي المحاضرة الرابعة من دروس علوم القرآن في هذا الفصل الدراسي الذي نسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يجعله مباركاً علينا جميعاً، وجرت عادتنا - أيها الأحبة- أن نختم المحاضرة بسؤالين، وقد ختمنا المحاضرة السابقة بسؤالين ننتظر إجابتهما من إخواننا المشاهدين وأخواتنا المشاهدات عبر الموقع الإلكتروني ومنكم أنتم أيها الحضور.

إجابة السؤال الماضي:

ما الآية التي جمعت أنواع الوحي الأربعة مع بيان ذلك ؟

(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) [الشورى: ٥١] .

أحسنت. هذه الآية كيف تضمنت أنواع الوحي الأربعة؟ من يجيب على هذا السؤال تتمتة لهذا السؤال؟

كيف تتضمنت (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ) هذا ماذا يشمل؟

الإلهام والمنام

هذان نوعان قال: (أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ) المقصود به تكليم الله - سبحانه وتعالى- لأحد من أنبيائه ورسله مكالمة من وراء حجاب.

أن يكلمة بغير واسطة ، كما حصل ذلك لموسى- عليه الصلاة والسلام- وقد نص عليه القرآن وكما حصل ذلك لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم- في حادثة المعراج.

السؤال الثاني: ما الطائفة المعاصرة التي ضلت في باب الوحي؟

المدرسة العقلية

نعم ما يسمى حديثاً بالمدرسة العقلانية وهي المدرسة التي تقدس العقل وتقدمه على النقل أو تحاول أن تطوع النقل لفهم العقل ولو كان هذا العقل عقلاً قاصراً.

ننتقل بعد ذلك إلى أسئلة الدرس الماضي.

أولاً: السؤال الأول: بين ما معنى الوحي في اللغة؟

الوحي في اللغة هو الإعلام في خفاء

أحسنت. الإعلام في خفاء ، فكل إعلان لآخر يكون في خفاء يكون وحياً.

السؤال الثاني : ورد الوحي في معناه اللغوي على خمسة وجوه اذكرها؟

النوع الأول: إلهام الخواطر.

النوع الثاني: الإلهام الغريزي للحيوانات

النوع الثالث: الأمر الكوني للجمادات .

النوع الرابع: الإشارة السريعة بجارحة من الجوارح.

النوع الخامس: وسوسة الشيطان

السؤال الثالث : هل رؤيا الأنبياء حق ووحي؟ وما الدليل على ذلك؟

رؤيا الأنبياء حق ووحي قال الله تعالى (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) [الفتح: ٢٧]، وقال تعالى: (يُبَنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) [الصافات: ١٠٢].

أحسنت. عن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام- ومع ذلك قام إبراهيم بتطبيق مضمون هذه الرؤيا مما يدل على أنها وحي يجب تصديقه والعمل به ولو كان غير إبراهيم - عليه الصلاة والسلام- لما جاز له أن يعمل بمضمون تلك الرؤيا؛ لأن العمل بضمونها يخالف ظاهر الشرع لما كانت رؤيا نبي دل ذلك على أنها وحي من الله يجب اتباعه .

السؤال الرابع: وبه نختم هذه الأسئلة لمراجعة الدرس الماضي: من أنواع الوحي الإلهام، اذكر دليلاً له؟

الدليل قوله - صلى الله عليه وسلم- (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)

فقوله: نفث في روعي دليل على هذه المرتبة من مراتب الوحي أو النوع من أنواع الوحي وهو الإلهام فلم ينزل عليه جبريل ويكلمه مباشرة ولم يكلمه الله - سبحانه وتعالى- ولم ير ذلك في المنام وإنما قال: (نفث في رعني) يعني ألهمت هذا إلهاماً من عند الله - سبحانه وتعالى- يستيقنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بأنه من عند الله - جل وعلا- فهذه مرتبة من مراتب الوحي وسيأتي - إن شاء الله - تفصيلها.

أبرز ما ورد في الدرس الماضي:

في الدرس الماضي أخذنا جملة من الأبواب أو المباحث في موضوع الوحي الذي بينا أنه من أهم الأبواب؛ لأن جميع الأبواب القادمة ترتكز عليه فمن لم يؤمن بالوحي لم يحتج إلى أن يتعلم لا القرآن ولا علوم القرآن وبينا أن حاجة الناس إلى الوحي أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وذلك لأن الطعام والشراب يبقي على الجسد ويبقي على هذه الحياة الدنيا أما حاجتهم إلى الوحي فإنها تبقيهم سعداء في الدنيا وترقيهم إلى الجنة في الآخرة ولن يفوز إنسان ويكون عند الله - سبحانه وتعالى- من الناجين المحصلين لجنات رب العالمين إلا بأن يكون ممن استنار بنور الوحي واهتدى بهذا النور الذي نزل من عند الله - سبحانه وتعالى-

ثم بينا بعد ذلك معنى الوحي في اللغة وبينا كيف أنه ورد - أيضاً - في القرآن الكريم على عدد من المعاني ورد ذكرها في الأسئلة التي بيناها للإخوة، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى معنى الوحي في الشرع، وبينا أن بعض العلماء - رحمهم الله- ذكروا معنى الوحي باعتبار الموحى به ، يعني باعتبار القرآن ، ومنهم من عرفه باعتبار الإيحاء وهذا الاعتبار أفضل أو أحسن من الاعتبار الأول.

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى أنواع الوحي الشرعي وفصلنا في ذلك تفصيلاً بذكر الأدلة ومعانيها.

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى كيفية وحي الله للملائكة. كيف يوحي الله - سبحانه وتعالى- للملائكة عندما يتكلم - سبحانه وتعالى- بالوحي، ثم توقفنا عند وحي الله - سبحانه وتعالى- للرسول - صلى الله عليه وسلم- كيف يكون ، وهذا ما سنتمه - إن شاء الله - في هذا الدرس الذي نسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يوفقنا فيه للسداد ويلهمنا فيه الصواب.

درسنا في هذا اليوم - أيها الأحبة- كيفية وحي الله للرسول - صلى الله عليه وسلم- ؟

بينا - أيها الأحبة- أن وحي الله - سبحانه وتعالى- أو الوحي الشرعي يأتي على جهتين شيء منه بواسطة وشيء منه بدون واسطة أما الذين بدون واسطة فهو ثلاثة أنواع: ما يكون إلهاماً من الله - سبحانه وتعالى- وما يكون مناماً وما يكون كلاماً مباشراً من الرب - سبحانه وتعالى- من وراء حجاب كما ورد في الآية التي تلوناها في أول الدرس.

إذن هي ثلاثة أنواع تكون بغير واسطة، يعني بغير واسطة جبريل - عليه الصلاة والسلام- فما يكون مناماً بيناه في الدرس الماضي وقلنا: إن وحي الله لرسله قد يكون رؤيا منامية وهذه الرؤيا قد قلنا: إنها حق وإن الأنبياء يجب عليهم اتباعها؛ لأنها من وحي الله - سبحانه وتعالى- وبينا - أيضاً- أنها هي المرحلة الأولى التي أوحي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- فيها وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم- بقي ستة أشهر يوحى إليه في المنام، ستة أشهر يوحى إليه في المنام فيأتي هذه الرؤيا المنامية يراها النبي - صلى الله عليه وسلم- مثل فلق الصبح ، يعني جلية ظاهرة لا تحتاج إلى تأويل أو عناء.

وهي مقدمة لنزول الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بواسطة جبريل ، وقد بقيت هذه الفترة ستة أشهر والحكمة من الستة أشهر - أيها الأحبة- كما قلنا: أنها تكون مقدمة لنزول الوحي الذي سينزل بالقرآن أو لنزول جبريل الذي سينزل بالقرآن كله على قلب محمد - صلى الله عليه وسلم-

وقد ورد في الحديث أن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وتفسير هذه الأجزاء إنما يتم عندما نعرف هذه المدة التي عاشها النبي - صلى الله عليه وسلم- وهو يوحى إليه عبر الرؤيا المنامية كيف ذلك؟ إذا نظرنا إلى الستة أشهر إلى نسبة ثلاث وعشرين سنة ، كم تساوي هذه الستة أشهر بالنسبة إلى ثلاث وعشرين سنة ، تساوي جزءاً من ستة وأربعين جزءاً، لأن كل سنة لو قسمناها إلى جزئين ستة أشهر وستة أشهر أصبح عندنا ستة وأربعون جزءاً فصارت الرؤيا جزءاً من ستة وأربعين جزءاً فهذا تفسير قول النبي - صلى الله عليه وسلم- : (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) كما يرى ذلك بعض أهل العلم وهو رأي جيد له حظ من النظر.

إذن هذا النوع الأول، مما يكون بغير واسطة.

النوع الثاني: ما يكون كلاماً وقد بينا في الدرس الماضي أن هذا كان لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم- في المعراج وكان قبله لموسى - عليه الصلاة والسلام- عندما كلمه ربه وقال لربه: (أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكاً) [الأعراف: ١٤٣]، إلى آخر ما ورد من مكالمة الله إياه فقد كلمه مباشرة بغير واسطة جبريل - عليه الصلاة والسلام- وكان موسى - عليه الصلاة والسلام- يتلقى وحي الله مباشرة.

النوع الثالث: ما يكون إلهاماً وقد تقدم الحديث فيه.

ننتقل بعد هذا إلى لب الحديث في هذا اليوم وهو كيفية وحي الله - سبحانه وتعالى- للرسول - صلى الله عليه وسلم- بواسطة الملك جبريل فهذا هو النوع الرابع وهو النوع الذي يكون بالواسطة، هذا ما يسميه العلماء: الوحي الجلي أو الوحي الصريح، وهو الذي نزل عليه القرآن كاملاً فكل القرآن نزل بطريقة الوحي الصريح ليتم بهذه الطريقة الإسناد في كتاب الله - سبحانه وتعالى- جلياً واضحاً من غير لبس ولا غموض، فهذا القرآن يرويه محمد - صلى الله عليه وسلم- بلفظه ومعناه عن جبريل وجبريل تلقاه عن رب العالمين - سبحانه وتعالى-

وهذا النوع من أنواع الوحي له حالتان ذكرتهما عائشة - رضي الله تعالى عنها- في حديثها الذي سأل فيه الحارث بن هشام رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن كيفية وحي الله إليه فقال النبي - صلى الله عليه وسلم- مبيناً الطريقة التي يوحى بها إليه قال:(أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، يأتيني يعني جبريل، مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول).

إذن ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم- في نزول جبريل - عليه الصلاة والسلام- طريقتين: الطريقة الأولى: أن ينزل جبريل عليه قال: (يأتيني مثل صلصلة الجرس) يعني له صوت ودوي مثل صلصلة الجرس والصلصلة - أيها الأحبة- المقصود بها صوت احتكاك الحديد بعضه على بعض وقد يطلق على كل شيء له طنين وبذلك النبي - صلى الله عليه وسلم- يسمعه بهذه الصورة والصحابة يسمعونه دوياً كدوي النحل، قال:(أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي) يعني هذه الحالة أشد الحالتين عليه (فيفصم عني) أي: فينفصل وينقطع عني (وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول).

دعونا نأخذ هذين الحالتين حالة حالة ، قبل ذلك نذكر، تفسير هذا الأمر لماذا اختلفت هذه الأحوال؟ وكانت تلك الحالة أشد على النبي - صلى الله عليه وسلم- من الحالة الثانية؟ الآن عندنا جنسان متباينان سيكون بينهما شيء من الامتزاج: الجنس الملكي والجنس البشري، فالنبي - صلى الله عليه وسلم- يمثل البشرية وجبريل يمثل الصورة الملكية، فإذا أراد جبريل - عليه الصلاة والسلام- أن ينزل على محمد - صلى الله عليه وسلم- وأن يوحي إليه إما أن ينسلخ النبي - صلى الله عليه وسلم- من الحالة البشرية فيأتي جبريل ويلقي عليه الوحي وهذه أشد الحالتين على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لأن النبي - صلى الله عليه وسلم- خرج عن الطبيعة البشرية ليس المقصود خرج عن الطبيعة البشرية أنه أصبح ملكاً ولكن كأنه ترك الحالة التي هو عليها وترقى إلى الحالة التي ينبغي أن يكون عليها عندما يختلط بملك أو يسمع منه وهذه أشد الحالتين على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لأن فيها تغييراً للحالة التي خلق عليها محمد - صلى الله عليه وسلم- واختلافاً عن التكوين البشري الذي عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فلأجل ذلك كانت أشد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم... هذه هي الحالة الأولى.

الثانية: أن يتحول جبريل من الحالة الملكية إلى الحالة البشرية، وهذه أخف الحالتين على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لأن النبي - صلى الله عليه وسلم- لم يحدث عنده أي تغيير لأن جبريل قد غير حالته من ملك إلى بشر وتعلمون أن الملائكة لهم قدرة على التكيف والتمثل بصور أخرى فجبريل ينزل أحياناً ويكون بصورة أعرابي أو بصورة دحية الكلبي والملك من ملائكة الله - سبحانه وتعالى- يكون بصور متعددة كما ورد ذلك في السنة النبوية لأن الملائكة عندهم القدرة على التمثل بصور البشر بإذن الله - سبحانه وتعالى-

هل هناك أسئلة في هذا الموضوع؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إجابة السؤال الأول: الآية التي جمعت أنواع الوحي الأربعة هي قول الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) [الشورى: ٥١] .

أحسنت. هذه إجابة صحيحة.

إجابة السؤال الأول.الآية التي جمعت أنواع الوحي الأربعة هي الآية السابعة من سورة القصص: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [القصص: ٧].

هذه الآية أيها الأخت الكريمة ليست في أنواع الوحي الشرعي وإنما هي في نوع من أنواع الوحي بالمعنى اللغوي وهو الإلهام الغريزي للإنسان.

إذن قلنا يا إخواني: النوع الأول: من أنواع وحي جبريل أو مكالمة جبريل للنبي - صلى الله عليه وسلم- هو أن يأتيه مثل صلصلة الجرس يعني أن له صوتاً ودوياً يحس به النبي - صلى الله عليه وسلم- وهو شيء يشبه الطنين

يسمعه الصحابة - رضوان الله عليهم- مثل دوي النحل هذه الحالة ما حكمتها ، قال العلماء- رحمهم الله تعالى- لعل الحكمة منها هو ألا يبقى في قلب النبي - صلى الله عليه وسلم- ولا في فكره وعقله شيء غير تلقي الوحي فكأنها نوع من التجريد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- في أن يتلقى الوحي ويعيه بكامل قواه وكامل حواسه - عليه الصلاة والسلام- وهي أشد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لماذا؟ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم- ينتقل بحالته البشرية إلى شيء من الحالة الملكية حتى يتلقى ويتهيأ لتلقي الوحي عن جبريل - عليه الصلاة والسلام- فتكون شديدة عليه - عليه الصلاة والسلام- قال بعض العلماء: إنما تشتد عليه - عليه الصلاة والسلام- ليعظم الله أجره ويرفع درجاته ونقول: لا مانع من هذا، لكن السبب في شدة هذه الحالة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- هو التغير الذي يحدث في تكوين رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ليتلقى الوحي عن الملك جبريل - عليه الصلاة والسلام- عندما يحصل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- هذه الحالة تحدث له عدد من الهيئات يعلم بها أنه - عليه الصلاة والسلام- في حالة وحي ويعلم بها أنه في شدة وكرب فمنها وهي مما ورد في الأحاديث التي سنستعرضها بعد قليل أن النبي - صلى الله عليه وسلم- يعرق حتى في اليوم الشاتي الشديد البرودة، يتحدر منه مثل الجمام أي مثل حبات اللؤلؤ من شدة وثقل الوحي عليه - عليه الصلاة والسلام- ومن ذلك - أيضاً - أن جسمه يثقل حتى إن الراحلة لتبرك على الأرض من ثقل الوحي الذي ينزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- تصوروا الراحلة التي تحمل الرجال والأثقال إذا نزل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بركت من شدة هذا الأمر عليها وثقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فيا ترى كم يتحمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من العناء لأجل تلقي هذا الوحي حتى يعلم الناس أن هذا الوحي شيء عظيم من عند الله - جل وعلا-؟!!! قال الله - جل وعلا- (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥)) [المزمل: ١ - ٥] وهذه الآية - أيها الأحبة- فيها الرد على من يحاول أن يتخفف من الشرائع بحجة أن الدين فيه لب وفيه قشور، فيه أمور أساسية وفيه أمور هامشية. ليس في الدين شيء من ذلك دين الله يجب أن يؤخذ كله وأن يتلقى بالقبول والتسليم وأن يؤمن به الإنسان ويستسلم له، صحيح أن الإنسان قد يقصر في بعض الأمور، لكن لا يجوز له أبداً أن يهمش شيئاً من دين الله - سبحانه وتعالى- أو يدعه بحجة أن هذا من قشور الدين أو من توافهه أو من الأمور التي لا يأبه بها الدين أو ليست عند الله - سبحانه وتعالى- بمنزلة ولا مقام . بعض الناس يقول: دعونا من الحديث في كذا فهذا أمر تافه، تقول: كيف يكون تافهاً وقد نزل في القرآن والله عز وجل يقول: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥)) [المزمل: ١ - ٥]؟!!! يا ترى هل ترى أن الرب - سبحانه وتعالى- يهتم ويوحي بشيء يتصل بهذا الأمر وأنت تقول: هذا شيء تافه؟!! هل ربنا - سبحانه وتعالى- يتحدث بأمر ويكون تافهاً؟!!! تعالى الله وجل عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، فيا أخي إذا ثقلت عليك شيء من الشرائع فإياك أن تبرر لنفسك هذا الثقل فتقول: هذا شيء تافه وهذا شيء لا يأبه به الدين وهذا من القشور وهذا من اللب وتجزئ دين الله - سبحانه وتعالى- قال - جل وعلا- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) [البقرة: ٢٠٨]، وقال الله - جل وعلا- (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) [مريم: ١٢]، الكتاب كله خذه بقوة ولا تفرق بين شيء منه وشيء آخر وهكذا يجب على المسلم - أيها الأحبة- أن يستسلم لأمر الله كله وألا يتوانى أو يتباطأ في أمر الله - جل وعلا- أو يسلك مسلك المتهاونين المستخفين بأمر الله - سبحانه وتعالى- فتجده يفرق بين دين الله - جل وعلا- بهذه التفريقات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

الرابعة: أن النبي - صلى الله عليه وسلم- يحدث له حالة غريبة وهي أنه يغط غطيط النائم يحصل له غطيط كغطيط النائم ، فالذي يراه يسمع وهو يوحى إليه يسمع منه - عليه الصلاة والسلام- غطيطاً مثل غطيط النائم ما نسميه نحن بالشخير، الأمر الأخير أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- يسمع للوحي صلصلة مثل الجرس والصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - يسمعون دوياً كدوي النحل.

ما الفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبوي في طريقة الوحي؟

نقول: إن القرآن لم يوحَ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- إلاعن طريق جبريل، واسطة جبريل - عليه الصلاة والسلام- لأن الله قال في القرآن: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)) [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥] وأما الحديث النبوي والحديث القدسي فقد يكون بواسطة جبريل وقد يكون إلهاماً وقد يكون مناماً وقد يكون كلاماً من الله - سبحانه وتعالى- بغير واسطة كما فرضت على النبي - صلى الله عليه وسلم- الصلوات الخمس. كيف فرضت على نبي الله - صلى الله

عليه وسلم- ؟ فرضت في المعراج وهو في السماء السابعة كلمه ربه وافترض عليه الصلوات الخمس وهذا كله لم يرد في القرآن وإنما وردت في السنة النبوية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هل هذه الحالات التي يتلقى بها الوحي نبينا - صلى الله عليه وسلم- خاصة به أم لجميع الأنبياء والمرسلين ؟

الحالات التي ذكرناها وردت في القرآن الكريم ولفظ الآية يدل على أنها ليست خاصة برسول الله - صلى الله عليه وسلم- (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) [الشورى: ٥١] فقد ذكر هذه عامة لكن المكالمة المباشرة من وراء حجاب ما حصلت إلا لموسى بن عمران ولذلك يوصف بأنه كليم الرحمن ولمحمد - صلى الله عليه وسلم- في قصة المعراج وأما سائر الأنبياء فلا نعرف ذلك في حقهم، والله أعلم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هل هناك فرق بين تحول الملائكة وتحول الجن إلى الحالة البشرية ؟ .

هذا علم لا نعرف فيه شيئاً لأن الجن عندهم القدرة على التحول والتكيف والتمثل بصورة أخرى وكذلك الملائكة عندهم هذه القدرة بإذن الله - سبحانه وتعالى- لكن هل هناك فرق بين التحولين؟ لا أعلم عن ذلك شيئاً.

بعضهم يدعي أن النبي - صلى الله عليه وسلم- حين يتلقى الوحي لا بد أن يعود إلى طبيعة أخرى غير الطبيعة البشرية حتى يستطيع تلقي الوحي لذلك يتعب النبي - صلى الله عليه وسلم- عند تلقي الوحي ؟ ما مدى صحة ذلك ؟

هذا فصلناه قبل قليل وهو سر ثقل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عندما ينزل عليه جبريل وهذا في الحالة الأولى من حالتي نزول جبريل على النبي - صلى الله عليه وسلم- فهذا الكلام صحيح.

كيف نوفق بين قوله تعالى (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥)) [المزمل: ١ - ٥]، وبين قوله (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧))[القمر: ١٥]؟ .

نعم هناك فرق بين الآيتين (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) هذه الآية في مضمون القرآن فهو ميسر للذكر من أراد أن يتذكر بالقرآن ويتعظ به ويستنير بهداه فهذا ميسر لكل أحد. القرآن لم ينزل بالطلاسم ولا بالأرقام غير المفهومة ولا بالعبارات المنطقية التي لا يفهمها إلا قلائل من البشر إنما نزل ليفهمه المتعلم والعالم، العامي والكبير والصغير والذكر والأنثى كلهم يفهمون القرآن ويتلقون عنه مصداقاً لقوه تعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) لكن من حيث حقيقة القرآن، القرآن شيء عظيم أنزله الله - سبحانه وتعالى- وخص به هذه الأمة فينبغي على الأمة أن تتلقاه بكل اعتبار وتسليم وأخذ له بحزم وقوة هذا هو المقصود - أيها الأحبة- بقوله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) لأنها أمانة عظيمة يجب القيام بها والعمل بمضامينها قال الله - سبحانه وتعالى- (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢)) [الأحزاب: ٧٢]، فالقرآن هو أمانة الله - سبحانه وتعالى- التي أنزلها على البشرية وهذه الأمانة ثقيلة لأنها أمانة تكليف وقيام بالواجب.

ولذلك الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم- لعلمهم بثقل هذه الأمانة كان الواحد منهم يتمنى أن لو كان شجرة تعذر أو شاة تيعر أو خروف يذبح أو غير ذلك مما كانوا يتمنونه لأنهم يعلمون ثقل التكليف عليهم وأنهم لم يقوموا بما أوجب الله عليهم حق القيام ولم يتقوا الله حق التقوى من إزرائهم على أنفسهم وتواضعهم لربهم - جل وعلا- وإلا فهم خير القرون وأفضل البشرية بعد الأنبياء - عليهم رضوان الله تعالى-

نأتي بعد ذلك إلى ذكر الروايات التي فصلت هذه الحالة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- نستمع أولاً إلى الرواية التي ذكرها عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم- هل تحس بالوحي؟ فقال - عليه الصلاة والسلام- (أسمع صلاصل) جمع صلصلة (ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تفيض) رواه الإمام أحمد، وفي رواية أخرى (إلا ظننت أن نفسي تقبض) مما يدل على ثقل الأمر

وشدته على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- تصوروا يا إخواني كم آيات هذا القرآن الكريم. وكم مرة تعرض فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لمثل هذه الحالة الشديدةز إنه شيء عظيم في حق رسول الله ألا يستحق منا هذا النبي بأن نحبه ونعظمه ونجعله قرة أعيننا ونقدم محبته حتى على محبة أنفسها التي بين جنبينا ؟ بلى والله.

اسمعوا إلى الرواية الثانية: وهي من حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها- تقول: (ولقد رأيته - صلى الله عليه وسلم- ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنه ليتفصد عرقاً) انظر وإنه (ليتفصد عرق) في اليوم الشديد البرد يفصم عنه الوحي ورسول الله - صلى الله عليه وسلم- يتفصد من العرق انظر إلى التعبير بقوله يتفصد ، الفصد: يا إخواني هو قطع العِرقِ ليخرج منه الدم الفاسد، يعني قطع يخرج دماً بكثرة، فكأنها تقول: العرق يخرج من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عندما ينزل عليه الوحي بكثرة مع أن اليوم يوم شاتٍ شديد البرد، فكيف يكون هذا إلا وأن الحالة شديدة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- شدة بالغة . رواه البخاري .

وفي حديث زيد بن ثابت يقول: (كنت أكتب الوحي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء) " والمقصود بالبرحاء شدة الكرب "، (أخذته برحاء شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجماد) ، يعني: يتحدر منه مثل حبات اللؤلؤ الصغيرة(ثم سري عنه) " هذا حديث من كلام زيد بن ثابت، أشهر كتاب الوحي الذين كانوا يكتبون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-

استمع إلى الرواية الرابعة في هذا المقام: عائشة - رضي الله تعالى عنها - تحدث فتقول: (إن كان ليوحى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهو على راحلته فتضرب بجرانها) الجران هو: طول العنق الممتد عند الناقة ، أما أن يكون معنى تضرب بجرانها أنها تبرك على الأرض بروكاً أو أنها تمد عنقها من شدة الإعياء والتعب الذي يصيبها من ثقل الوحي النازل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أو من ثقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عندما ينزل عليه الوحي.

انظروا يا إخواني ناقة تحمل الرجال والأثقال ومع ذلك تنوء بحمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عندما ينزل عليه الوحي إنها حالة شديدة وموقف صعب رهيب يحدث لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- عند نزول الوحي عليه انظر - أيضاً - إلى كلمة زيد، وهو يبين لنا كيفية ثقل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال زيد: (حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول: لا أمشي على رجلي أبد) الله أكبر، زيد: أحياناً يوحى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ورسول الله قد وضع فخذه أو رجله على فخذ زيد فينزل الوحي، فيشتد الأمر على زيد لأن زيد من هيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لا يسحب رجله، فيثقل عليه الأمر ويشتد (حتى إني لأقول: لا أمشي على رجلي أبد) من شدة ما أصابها من ثقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عندما ينزل عليه الوحي. وانظر لحديث يعلى بن أمية الذي رواه البخاري عندما قال لعمر:(يا عمر إذا أوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فأخبرني فلما جاء رجل قد تضمخ بالخلوق وهو محرم فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم- عن أمره فنزل عليه الوحي فنادى عمر يعلى بن أمية فجاء يعلى ورسول الله - صلى الله عليه وسلم- قد غطي وكان من عادتهم إذا نزل عليه الوحي أن يغطى - عليه الصلاة والسلام- قال فكشفت الغطاء وعلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ثوب قد أظل به أو ظلل به فأدخل يعلى رأسه من تحت الثوب ينظر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- محمر الوجه - أيها الأحبة- إذا ذكرنا رسول الله ينغي لنا أن نرد الصلاة عليه قد يكون هذا خير شيء نذكره في مجلسنا فلا نستقل ولا نبخل على أنفسها فإن خير شيء يذكر بعد ذكر الله - جل وعلا- هو الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- محمر الوجه وهو يغط ثم سري عنه محمر الوجه وهو يغط غطيطاً كغطيط النائم) رواه البخاري .

ثم نختم بهذه الرواية عن عمر وهو يحدث عن الحالة التي تصيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عندما ينزل عليه الوحي قال: قال عمر: (كان إذا نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الوحي يُسمع عند وجهه دوي كدوي النحل هذا هو الصوت الذي يسمع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أما الصوت الذي يسمعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فهو صلصلة كصلصلة الجرس)

هذه جملة الروايات الوارة في الكيفية التي يكون عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عندما يوحى إليه.

ما هي الأسباب التي تجعل المسلم يستشعر ثقل القرآن عند تلاوته ؟

الأسباب كثيرة لا شك ولكن منها أولاً أن يعلم الإنسان أن هذا الدين اختص الله - سبحانه وتعالى- به هذه الأمة وأنزل عليها أفضل كتبه فهذه تجعل الإنسان يستشعر عظمة القرآن وأهمية هذا الكلام الذي ينزل عليه مما يجعل الإنسان يستشعر أهمية القرآن الكريم وعظمته أن يستشعر أن الله - سبحانه وتعالى- يخاطبه به ويتكلم به عليه وهذا المقام من مقامات الإحسان لأن النبي - صلى الله عليه وسلم- لما ذكر تعريف الإحسان قال: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فأنت إذن استحضرت وأنت تقرأ القرآن أن الله - سبحانه وتعالى- يكلمك ويخاطبك بهذا القرآن ويقول لك يا أيها الذين آمنوا وغيرها من الآيات التي فيها الأمر والنهي والوعد والوعيد أستثمر ذلك في قلبك تعظيماً لكتاب الله - سبحانه وتعالى- واهتماماً بأمر الله ووعده ووعيده وجزائه وتذكيره وتخويفه في كلامه - سبحانه وتعالى - أيضاً - معرفة الحالة التي يكون عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الرسول - صلى الله عليه وسلم- يرفع القرآن ويبكي - عليه الصلاة والسلام- بل يقوم الليل حتى تنتفخ قدماه الشريفتان - عليه الصلاة والسلام- ويردد الآية ليلة كاملة قرأ مرة في ليلة (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (١١٨)) [المائدة: ١١٨]، يرددها ليلة كاملة - عليه الصلاة والسلام- فانظروا يا إخواني كيف كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يتلقى هذا الوحي ويستقبله!!! مرة قال لابن مسعود: (اقرأ علي) قال اقرأ عليك وعليك أنزل قال: (إني أحب أن أسمعه من غيري) فقرأ عليه ابن مسعود من بداية سورة النساء حتى إذا وصل إلى قول الله - سبحانه وتعالى- (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً (٤١)) [النساء: ٤١]، قال له النبي - صلى الله عليه وسلم-: حسبك، قال: فالتفت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فإذا عيناه تذرفان بالدموع قد بلل لحيته - عليه الصلاة والسلام- من شدة استحضار النبي - صلى الله عليه وسلم- لعظمة القرآن واندماجه مع معانيه وشدة تدبره له والله - سبحانه وتعالى- قد أمره بذلك فقال: (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) [النساء: ٨٢]، (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)) [محمد: ٢٤]، (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا) [ص: ٢٩]

أحوال الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم- مع كتاب الله - أيضاً - هذه قراءتها والتأمل فيها تسفر عند الإنسان عناية ورعاية لكتاب الله - جل وعلا- الصحابي الواحد يقرأ الآية فيبقى أحياناً يوماً كاملاً لا يذوق ذواقاً ولا يشرب شراباً ولا يهنأ بنوم من شدة وقع القرآن على قلوبهم تأمل قول الله - جل وعلا- (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً) [الحشر: ٢١] الجبل يخشع (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) [الرعد: ٣١] الجواب: لكان هذا القرآن من عظمته وشدة عناية الرب - سبحانه وتعالى- وتذكيره العباد بعظمته فينبغي علينا أن نعنى بالقرآن وأن نهتم به نسأل الله أن يجعلنا من أهله الذين يعنون به أشد العناية.

هل نفهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم- كان يتأذى من ثقل الوحي عليه ؟

كان يشتد من ثقل الوحي عليه كان يشتد عليه هذا الأمر، لكن هذا الأمر - أيها الأحبة- ليس أمراً مكروها لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- بمعنى أن النبي - صلى الله عليه وسلم- لا يحب لقاء جبريل - عليه الصلاة والسلام- بل كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يفرح بلقاء جبريل ولذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم- ينزل عليه جبريل في رمضان فيدارسه القرآن فما يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في حالة أشد انشراحاً ولا أكثر فرحاً ولا أعظم سروراً منه في تلك الحالة، بل إنه - عليه الصلاة والسلام- تكثر منه النفقات والصدقات من شدة فرحه بلقاء جبريل - عليه الصلاة والسلام- وكان يصيبه الحزن الشديد على إبطاء الوحي عنه حتى إنه ليتألم بذلك ويعاد - عليه الصلاة والسلام- من شدة الأمر عليه ولما أشاع المشركون أن الرب - سبحانه وتعالى- قد قلى نبيه وأبغضه وهجره وتركه فشاعته أم جميل زوج أبي لهب، أنزل الله - سبحانه وتعالى- في ذلك سورة تطميناً لقلب محمد - صلى الله عليه وسلم- (وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)) [الضحى: ١ - ٣] أي: ما تركك ربك يا محمد وما قلى أي: وما أبغضك فإنك لست بهذا المقام بل أنت خير عباد الله وأحبهم إلى الله - سبحانه وتعالى- فكان النبي - صلى الله عليه وسلم- يتشوف ويتشوق لنزول الوحي عليه مع وجود هذه الشدة التي تحصل له - صلى الله عليه وسلم-

كيف نجمع بين قضية اشتياق النبي - صلى الله عليه وسلم- للوحي وما يعانيه -صلوات الله وسلامه عليه- من تعب في ذلك؟

المحب - كما يعلم يا إخواني- لا يتأثر بما يحصل له من ألم بسبب حبيبه، بل يرى أن هذه الآلام التي تحدث والمحبة هي المزاج الذي يكون بين الاثنين المتحابين، أن هذا الألم شيء يستطعم به ويستلذ به ولا شك في ذلك هذا يحس به كل أحد. انظر إلى الإنسان الذي يحب أخاً له وهو بعيد عنه فيسافر ويجد من عناء السفر شيئاً عظيماً من الشُّقة والتعب والألم وفراق الأهل والأحبة من أجل حبيبه الذي يجده هناك، فتصور هذا الأمر كلما تذكر ذلك الحبيب خفت عليه الآلام وهانت عليه الشُّقة، كذلك هنا وهذا هو أشد من ذاك من هذا المثال.

نواصل بقية عناصر الدرس

الحالة الثانية :

أن يأتي الملك في صورة رجل وهي الحالة التي- كما ذكرنا وقدمنا- هي أخف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بل ليس فيها أي نوع من أنواع الألم على رسول الله؛ لأن جبريل يتمثل في الصورة البشرية وقد كان جبريل - عليه الصلاة والسلام- غالباً ما يتمثل بصورة صحابي جليل وهو دحية بن خليفة الكلبي وهذا الصحابي الجليل كان جميل الصورة فكان جبريل ينزل عليه بهذه الصورة أو بصورة هذا الصحابي لما كان عليه من جمال الصورة وحسنها لأن الملائكة صورهم حسنة مثلما ذكر الله - سبحانه وتعالى- في النساء اللاتي دعتهن امرأة العزيز قلن في حق يوسف (مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) [يوسف: ٣١]، فالملائكة معروف عنهم حسن الصورة وجمالها إذن فكان جبريل ينزل أحياناً بصورة بشر وكان ممن يتمثل بصورتهم دحية بن خليفة الكلبي- رضي الله تعالى عنه وأرضاه- وتعرفون قصة النبي - صلى الله عليه وسلم- لما انتهت غزوة الأحزاب وتفرق الأحزاب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ورجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلى بيته ليغتسل ويفك عنه لباس الحرب مر به جبريل راكباً فرساً فكلمه قال: ماذا صنعت؟ قال: أنزع لباس الحرب ، فقال: إني ومعي الملائكة قد أمرنا بأن نذهب إلى بني قريظة. ثم أمر النبي - صلى الله عليه وسلم- أن يذهب إلى بني قريظة فعائشة كانت تنظر إلى هذا الرجل فتقول: من هذا يا رسول الله؟ أهذا دحية بن خليفة الكلبي؟ قال: لا.. إنما هذا هو جبريل - عليه الصلاة والسلام- يتمثل بصورة دحية بن خليفة الكلبي- رضي الله تعالى عنه- وأحياناً يأتي بصورة أعرابي ورجل لا يعرفه الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- كما في حديث عمر المشهور الذي رواه الإمام مسلم قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فجلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد: أخبرني على الإسلام فلما سأل النبي - صلى الله عليه وسلم-عدة مسائل، ثم خرج قال النبي - صلى الله عليه وسلم-: أتدرون من السائل؟ قلنا: الله ورسوله أعلم ، قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم).

فجاء جبريل - عليه الصلاة والسلام- بصورة رجل لا يعرفه أحد من الصحابة ليعلم الناس دينهم، فهاتان هما الحالتان اللتان يتمثل بهما جبريل أو يكون عليهما نزول الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بواسطة الملك إما أن ينزل فيكون على رسول الله كصلصلة الجرس أو أنه يأتي بصورة بشر كما بينا.

ما الحكمة في مجيء جبريل -عليه السلام- في هذه الصور المختلفة؟

الحقيقة لم أطلع على شيء في ذلك ، لكن لعل الحكمة ذلك -والله أعلم- أن ورود الوحي على رسول الله بصور متنوعة يكون أدعى للفهم والاستيقاف ولذلك انظر مثلاً عندما نزل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أول مرة كيف جاءه؟ جاءه بصورة تدل على أنه كان يراد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- أن يستجمع سائر قواه العقلية والذهنية والقلبية ليتلقى عن جبريل، أخذه جبريل فضمه إلى صدره فقال: (اقْرأْ) [العلق: ١] قال: ما أنا بقارئ يعني أنا الأمي لست أقرأ. فضمه الثانية حتى كاد نفس رسول الله - صلى الله عليه وسلم- تفيض قال: (اقْرأْ) قال: ما أنا بقارئ ثم الثالثة قال: (اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)) [العلق: ١- ٥].

فانظر إلى الكيفية التي نزل بها الوحي كيفية عجيبة وطريقة غريبة لماذا؟ ليعي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- جميع ما يقال له، وليكون حاضراً بكامل قواه انظر إليه في الحال الذي ذكرها عمر -رضي الله تعالى عنه-

(إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر) طرائق متعددة لتبليغ هذا الدين لكي يعيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ويفهمه حق فهمه ويعيه الناس أيضاً.

فمرة يأتي بالإلهام ومرة يأتي بالمنام ومرة يأتي كلاماً مباشراً ومرة - أيضاً - يأتي عن طريق الملك جبريل - عليه الصلاة والسلام- إما بالصورة البشرية أو بالصورة الملكية، انظر مثلاً في موضوع الصلاة ، وهذا أمر يعني يحتاج منا إلى استيقاف في موضوع الصلاة لأهميتها وعظم منزلتها ورفعة قدرها من بين شرائع الإسلام لم تفرض على رسول الله وهو في الأرض فرضت على رسول الله وهو في السماء وكانت مباشرة من الله إلى رسوله بدون واسطة ، للدلالة على أهميتها ولذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم- (الصلاة خير موضوع فمستقل ومستكثر) يعني خير شيء وضعه الله الصلاة، فالناس منه من يستقل منها ومنها من يستكثر.

وهذا ينبهنا - أيها الأحبة- إلى أننا عندما نريد أن نعلم ينبغي لنا أن نستعمل كل ما في وسعنا من أساليب لإيصال هذا العلم إلى الناس حتى يفهموه ولذلك النبي - صلى الله عليه وسلم- كان يستعمل طرائق كثيرة في تعليم أصحابه دين الله - جل وعلا- وهذا له مقام آخر غير هذا المقام.

السلام عليكم ، شخص أراد أن يفعل منكراً وأتت آية تذكره أثناء قيادة السيارة عن طريق التسجيل وكذلك أحياناً يرى منكراً عن طريق القنوات الفضائية ويتردد في صدره (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) [العلق: ١٤]، تتكرر كثيراً هذه فماذا يسمى هذا؟

هذه - أيها الأخ جزاك الله خيراً- رحمة من الله - سبحانه وتعالى- يلقيها على قلب عبده وهو يعني: النزاع الذي يحصل بين الملك الذي يذكر الإنسان بالخير والشيطان الذي يجره إلى الشر فالإنسان إذا كان عنده شيء من الإيمان والتقوى وأراد الله - سبحانه وتعالى- به خيراً عندما يريد أن يهم بمعصية يبعث الله - سبحانه وتعالى- له ما يردعه ويكفه عن تلك المعصية فالملك يذكره باللمة المعروفة الواردة في الحديث (إن للملك لمة بابن آدم وللشيطان لمة بابن آدم) فهذه من لمة الملك ولمة الملك إيعاذ بالخير وتحذير من الشر ، ولمة الشيطان إيعاذ بالشر وحث على المنكر وتخويف من الخير فهذا من رحمة الله - سبحانه وتعالى- بعبده انظر إلى حديث الثلاثة الذين آووا إلى غار فانطبق عليهم الغار ماذا قال الرجل الذي راود ابنة عمه عن نفسها؟ (لما ألمت بها سنة من السنين جاءت إليه فطلبت منه مالاً فطلب منها أن تمكنه من نفسها، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته قالت له- وهذه كلمة أراد الله له بها خيراً- قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه).

فهذه رحمة من الله - سبحانه وتعالى- تدرك العبد في بعض الأحوال ليجعل الله - سبحانه وتعالى- العبد في منأى عن المعاصي.

فالآية التي ذكرت وغيرها من الآيات هي لا شك من لطف الله - سبحانه وتعالى- بعبده وهذه - أيها الأحبة- ثمرة عظيمة من ثمرات التعلق بالقرآن والعناية به وكثرة تلاوته فإن هذه الآيات تحضر للإنسان في مثل هذه المواقف والمواطن فتصده- بإذن الله - عن الشر أو تحضر له في مواطن الخير فتجعله يقبل ويقدم - بإذن الله جل وعلا- على ما عرض له من الخير.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ألا ترون أن تعريفنا للوحي بقولنا: هو إعلام الله لأحد من أنبيائه بخبر أو بحكم شرعي بواسطة أو بغير واسطة هو أشمل من قصره على الحكم الشرعي فقط؟

نحن لما قلنا: بحكم شرعي قلنا بعدها: كلمة [أو نحو ذلك] فكلمة [أو نحو ذلك] يدخل فيها الأخبار والقصص وغير ذلك مما ذكرته أنت أيها الأخ الكريم والتعريفات - أيها الأحبة- إنما يراد بها تقريب المعرَّف وأما أن يقصد الإنسان إلى أن يتضمن جميع مفردات المعرف ويخرج كل شيء سواه فهذا في الغالب صعب وشاق؛ لأنه لا يكاد يوجد تعريف جامع مانع إلا بمشقة شديدة وإنما المقصود هو تقريب ذلك المعرف وتبيينه وتوضيحه وتمييزه عما سواه والكلام الذي ذكرته والتعريف الذي بينته أيها الأخ الكريم هو تعريف صحيح لا إشكال فيه ولا مشاحة في الاصطلاح .

هل نزل بالوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم- من الملائكة غير جبريل ؟

الوحي الذي هو القرآن لم ينزل به غير جبريل لأن الله قال: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣]، والروح الأمين بإجماع المفسرين هو جبريل - عليه الصلاة والسلام- أما غير القرآن فنعم تذكرون قصة النبي - صلى الله عليه وسلم- لما خرج من الطائف وقد رماه أهلها بالحجارة فأدموا عقبيه الشريفين نزل عليه جبريل ومعه ملك الجبال فقال للنبي - صلى الله عليه وسلم-(إن شئت لأطبقن عليهم الأخشبين فقال النبي - صلى الله عليه وسلم- بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله) و- أيضاً - الحديث الآخر في فضل الآيتين الآخيرتين من سورة البقرة، وإن كان لا يحضرني الآن لفظ الحديث ولا صحته وهو أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: (نزل علي آنفاً أو الليلة، ملك لم ينزل قبل فأخبرني أن الله قد أنزل علي آيتين من كتاب الله من قرأهما في ليلة كفتاه) أو كما قال - عليه الصلاة والسلام-، فهذا يدل على أنه قد ينزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- شيء من الخبر عن الرب - سبحانه وتعالى- بغير جبريل أما الوحي الذي هو القرآن فلم ينزل إلى بواسطة جبريل - عليه الصلاة والسلام-

السلام عليكم، تكلمت البارحة عن قيد في تعريف الوحي، وهو أن يكون بحكم شرعي ، فمعلوم أن القرآن كله لم يأت بحكم شرعي منه ما أتى بإخبار أمور سابقة وعن أمور غيبية؟ فكيف التوفيق عن القيد هذا ؟

السؤال الثاني: القرآن نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا مرة واحدة، ومعلوم بعقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن هو كلام الله تكلم به بعد أن لم يكن موجوداً؟ فهذا الأمر أشكل عليّ فهل ممكن أن توضحه مرة أخرى؟

وهل القرآن كان موجوداً في اللوح المحفوظ فنزل به جبريل أم أنه تلقاه من الله سماعاً ثم نزل به؟

هل الحديث الذي ذكرته: جاء سيدنا جبريل يعلم لما قال النبي - عليه الصلاة والسلام- لما قال: (هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم) قال أحد الدعاة: إن هذه أول تمثيلية في الإسلام

إجابة السؤال الأول:

الأخ الكريم ذكر في التعريف الشرعي في تعريفنا الشرعي للوحي أننا ذكرنا قال: بحكم شرعي قالوا والقرآن ليس كله أحكاماً شرعية بل فيه أحكام وأخبار، فأنا قلت في الإجابة على سؤال أحد الإخوة الذين سألوا عبر الموقع قلت: إننا قلنا بعد قولنا بحكم شرعي [أو نحو ذلك] لأن التعريفات يراد منها - أيها الأحبة- الاختصار، يعني ممكن يقول الإنسان بحكم شرعي وخبر عن الأمم السابقة وخبر عما يستقبل وعقيدة صادقة وغير ذلك ، ويفصل في مضامين القرآن الكريم فيقال فيها بحكم شرعي أو معنى ذلك، فما فصل فله أن يفصل فله ذلك ومن اقتصر على شيء وأشار على الباقي فله ذلك، أرجو أن يكون بهذا قد اتضح لك أخي سبب الاقتصار على قولنا: بحكم شرعي، نحن قلنا: بحكم شرعي وأتبعناها بقوله: أو نحو ذلك، فانتبه لهذه العبارة فإنها تشمل كل ما تريده وما لا تريده - أيضاً - مما لم يقع في قلبك.

الأمر الثاني: في قضية نزول القرآن إلى السماء الدنيا، نقول: القرآن كان موجوداً قبل أن يوحي الله - سبحانه وتعالى- به إلى جبريل وينزل به جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- لأن الله قال في القرآن: (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨)) [الواقعة: ٧٥- ٧٨]، يعني أن القرآن مكتوب كله في اللوح المحفوظ كاملاً ثم إن الله - سبحانه وتعالى- لما أراد أن يوحي به وينزله على هذه البشرية رحمة بها ويوحي به إلى محمد - صلى الله عليه وسلم- كان في ليلة القدر أنزل القرآن كاملاً واقتطع من اللوح المحفوظ وأنزل إلى السماء الدنيا ووضع في بيت العزة وهذا لون من ألوان التشريف قلنا لهذا الكتاب ولهذا النبي ولهذه الأمة وإعلام لأهل السماء جميعاً بأن شيئاً عظيماً سيحدث وسيكون وهو نزول القرآن الكريم أو بدء نزوله فأنزل الله القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا لكن كيف أوحى الله - سبحانه وتعالى- بهذا القرآن بالطريقة التي ذكرناها في الدرس الماضي وهو أن الله - سبحانه وتعالى- يتكلم بالوحي متى شاء، كيف شاء على ما يشاء - سبحانه وتعالى- ويلقيه إلى جبريل - عليه الصلاة والسلام- وجبريل يلقيه إلى محمد - صلى الله عليه وسلم- والدليل على ذلك هو حديث عائشة- رضي الله تعالى عنها- في قصة المجادلة عندما جاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- تشتكي زوجها عندما ظاهر منها تقول عائشة:(إنها لفي طرف الحجرة

وإنه ليخفى علي شيء من كلامها، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول لها: قد طلقت منه، وتقول: كيف يا رسول الله وقد نظرت له ما في بطني أو كان يعني، كانت بطني وعاءً لأولاده وثدي ثقاءً لهم؟ وتشتكلي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- حالها عندما ظاهر منها زوجها فماذا قال الله - سبحانه وتعالى- عندما أنزل الله هذه الآية قال: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ) [المجادلة: ١] يعني أن هذا الوحي حصل بعد حصول تلك الحادثة؟ (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)) [المجادلة: ١]، والأخ قال كلمة "نسبت" الحقيقة مضمونها يقول: إن أهل السنة يعتقدون أن القرآن نزل من اللوح المحفوظ، أن القرآن لم يكن موجوداً في اللوح المحفوظ، أقول: لا ، بل أهل السنة لا يعتقدون هذه العقيدة؛ لأن القرآن قد أثبت أن القرآن موجود في اللوح المحفوظ ومكتوب كله، وليس شيء منه خارج اللوح المحفوظ وإنما كيفية إيحاء الله به إلى عبده سيأتينا تفصيلها أكثر وأزيد - إن شاء الله - فتابعنا أيها الأخ في قضية نزول القرآن الكريم بإذن الله عز وجل.

أن مجيئ جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- في صورة دحية الكلبي، هو أول تمثيلة في الإسلام؟

فعلاً بعض الناس يستدلون على جواز التمثيل بأن الملائكة تتمثل بصور البشر ويستدلون على هذا بقصة الرجل الملك الذي جاء إلى ثلاثة أو قصة الثلاثة الذين كان منهم أقرع وأعمى وأبرص ، هؤلاء الثلاثة برأهم الله - سبحانه وتعالى- مما كان فيهم، جاءهم ملك، فقال: ماذا تريد أن يفعل الله بك؟ فقال: يذهب الله عني هذا البلاء ويعطيني كذا وكذا من المال فأعطاهم الله ذلك كله ثم جاءه الملك مرة أخرى بصورة رجل فقير فسألهم شيئاً من أموالهم فبخل اثنان وأما الثالث وهو الأعمى فأعطاه ما شاء الله أن يعطي. فيستدل بها بعضهم على أن هذا يدل على جواز التمثيل والله أعلم بصحة هذا الاستدلال لكن يعني القضية ليست من علوم القرآن بالمناسبة حتى نفصل فيها ونتحدث عنها.

هناك حديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال:) قال الله تعالى كلمة بغير واسطة ووضع يده تعالى حتى وجد برودتها النبي - صلى الله عليه وسلم- وأخبره عن أهل السماء أنهم يتحاورون) فما معنى هذا؟ وما صحة هذا ؟ .

نعم هذا حديث اسمه حديث اختصام الملأ الأعلى وهذه رؤيا منامية رآها النبي - صلى الله عليه وسلم- وهي حق، رأى النبي - صلى الله عليه وسلم- ربه - سبحانه وتعالى- والرؤيا المنامية حصلت للنبي - صلى الله عليه وسلم- يعني أن النبي - صلى الله عليه وسلم- رأى ربه في المنام لكنه لم يره في الحقيقة يعني هكذا كفاحاً من غير حجاب لم يره على الصحيح كما أثبتت ذلك أم المؤمنين عائشة وعليه إجماع الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- وقد حكاه الدارمي - رحمه الله تعالى- فالحاصل أن هذه الرؤيا المنامية يصح فيها أن يرى النبي - صلى الله عليه وسلم- أو غيره من الأنبياء الرب - سبحانه وتعالى- وحديث اختصام الملأ الأعلى حديث مشهور معروف عند أهل العلم فيعني لا شيء في ذلك، وهو أمر غير مستنكر.

عندنا ــ الحقيقة الآن- كلام لابن القيم في استكمال النبي - صلى الله عليه وسلم- بأنواع الوحي فلعلنا نعطي الفرصة للأخ عبد المحسن ليقرأ علينا كلام ابن القيم في كتابه زاد المعاد تفضل.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى- وكمل الله من مراتب الوحي مراتب عديدة إحداها الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه - صلى الله عليه وسلم- وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم- (إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته).

الثالثة: أنه - صلى الله عليه وسلم- كان يتمثل لـه الملك رجلاً فيخاطبـه حتى يعي عنه ما يقول لـه ، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً.

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه فيتلبث به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكباً ولقد جاءه الوحي مرة كذلك، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت تردها.

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في سورة النجم.

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن وثبوتها لنبينا - صلى الله عليه وسلم- هو في حديث الإسراء وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله لـه كفاحاً من غير حجاب وهذا على مذهب من يقول إنـه - صلى الله عليه وسلم- رأى ربه - تبارك وتعالى- وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف، وإن كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمي إجماعاً للصحابة .

هذه يعني لفتة جميلة من ابن القيم - رحمه الله- في كتابه: زاد المعاد في بيان تكميل النبي - صلى الله عليه وسلم- لمراتب الوحي التي نزل بها الوحي على الأنبياء فقد استكملها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- جميعاً، فذكر سبعاً وذكر الخلاف في الثامنة.

السلام عليكم: طريقة الحفظ والخشوع عند تلاوة القرآن الكريم ؟

الخشوع عند تلاوة القرآن الكريم هذه تكون باستحضار الإنسان لمعاني الآيات وفهمه لما يقرأ من كلام الله - جل وعلا- هذا أولاً ، ثانياً كثرة الذكر: فإذا أكثر الإنسان من الذكر تعلق قلبه بربه - سبحانه وتعالى-

ثالثاً: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم تعوذاً صادقاً من قلبه فإن هذا يفيد الإنسان بعد الشيطان عنه ولا يستطيع الإنسان التخلص من الشيطان إلا بأن يتعوذ بالله - سبحانه وتعالى- منه ومن وسوسته ونفخه ونفثه.

رابعاً: الدعاء بأن يجعل الله للإنسان قلباً خاشعاً وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يقول: (اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع ومن دعوة لا يستجاب له) فكان النبي - صلى الله عليه وسلم- يتعوذ بالله من قلب لا يخشع فادعُ الله - سبحانه وتعالى- أن يجعل لك قلباً يخشع عند تلاوة كلامه - جل وعلا-.

خامسا: كثرة الاستغفار فإن الإنسان لا يُحرم شيئاً من الخير إلا بسبب ذنوبه فعلى الإنسان أن يحرص على التخلص من هذه الذنوب بكثرة الاستغفار والتوبة الصادقة لله - سبحانه وتعالى- ليحصل لـه بذلك رقة القلب ويحصل له الخشوع ، والانتفاع بالذكر.

هذه بعض الأسباب التي تعين الإنسان على الخشوع.

أما الأسباب التي تعين الإنسان على الحفظ، حفظ القرآن الكريم، فمنها أن يتلقى الإنسان حفظ القرآن أو يكون حفظه على شيخ ، ويلتحق مثلاً بحلقة أو مدرسة يحفظ فيها القرآن ليستعين بها على الحفظ فإن الإنسان إذا كان وحده مل وكل وأصابه شيء من الفتور والخمول فلا يستطيع أن يواصل في هذا الميدان ، إلا قليل من الناس.

الثاني من الأسباب في حفظ القرآن الكريم، استحضار فضل هذا الحفظ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم- (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعت فيه وهو عليه شاق له أجران) وقال - عليه

الصلاة والسلام- (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) بل إن الله –سبحانه وتعالى- قد حكم في القرآن على حفظة القرآن بأنهم هم أهل العلم قال الله - جل وعلا- (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ) [العنكبوت: ٤٩]، فجعل الذين حفظوا القرآن من أهل العلم وهذا يكفي في شرفهم وعظم منزلتهم.

بقي معنا إمكانية وقوع الوحي والحقيقة أن هذه القضية لن يكن الحديث وارداً عنها في أول الأمر وفي صدر الإسلام لكن لما كثر الملاحدة والزنادقة وفي هذا العصر المتأثرون بالمادية الغربية بدأ الناس يتشككون في هذا الأمر أو بدأ بعض ضعاف الإيمان يتشككون في هذا الأمر كيف يوحى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- وكيف يحدث هذا الوحي.

فنقول أولاً: ينبغي أن يعلم كل مسلم أن الإيمان بالغيب هو أصل الإيمان قال الله - سبحانه وتعالى- في القرآن في سورة البقرة (الم ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) [البقرة: ١، ٢]، من هم المتقون(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) [البقرة: ٣]، ولو تأملت أركان الإيمان الستة لوجدت أنها تدور على الإيمان بالغيب الإيمان بالغيب وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره كلها مرتكزة على أمر واحد، وهو الإيمان بالغيب فمن لم يؤمن بالغيب لم يؤمن بالله ولم يؤمن بالملائكة ولم يؤمن بالرسل ولم يؤمن بالكتب ولم يؤمن باليوم الآخر ولم يؤمن بالقدر خيره وشره، وكذلك الوحي عندنا قضية غيبية يجب الإيمان بها، ثم إننا نقول إن الوحي قد ثبت في القرآن وثبت في السنة وأجمع عليه المسلمون فكيف يتشكك الإنسان في شيء قد ثبت في القرآن الذي هو أصح كلام وأفضل وأعظم كلام نزل على هذه الأرض؟ وكيف يشكك مسلم في الوحي وقد ثبت في السنة؟ وكيف يشكك مسلم في الوحي وقد أجمع المسلمون عليه؟ وهذه قضية ينبغي أن تكون مسلمة لدى المسلم وهو ألا يشك في شيء ورد سواء كان في كتاب الله أو في سنة رسول الله ولا مما أجمع عليه المسلمون.

الأمر الثالث: العقل يدل على مثل هذا الأمر لو أن الإنسان لم يسعفه إيمانه لكي يصدق بالنص مجرداً ما الذي تستبعده في أمر الوحي؟ ما الذي تستبعده أيها الأخ في أمر الوحي؟ إن الوحي له نظائر في واقعنا ما نقول نظائر تماثله ولكنها تقرب هذه الحقيقة لدى الإنسان انظر مثلاً: الروح، لا نراها نحن ولا نلمسها ولا نعرف كيف هي (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥)) [الإسراء: ٨٥]، والفرق بين الحي والميت هي الروح، ومع ذلك لا نراها ولا نلمسها ولا نشم لها رائحة ولا نعرف شيئاً من مواصفاتها التي نميز بها الإنسان الحي من الإنسان الميت ومع ذلك يؤمن بها كل الأحياء المؤمن منهم والكافر، فأين هي الروح؟ كذلك الوحي، وكذلك العقل، أين هو العقل، الذي يحدث منه ومن جرائه هذا التفكير والنظر والتدبير لأمور الإنسان - أيضاً - هذا ، لا يحس ولا يلمس وانظر - أيضاً - إلى هذا التدبير الإلهي في أمور الحيوان ، من الذي أوحى لهذه الحيوانات أن تنظم حياتها بهذه الطريقة ، قال الله - سبحانه وتعالى- (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨)) [النحل: ٦٨]، فالنحلة تنظم نفسها بطريقة معينة وتدافع عن بيتها وتسعى بطريقة معينة لجني رحيق الأزهار وتأتي إلى ذلك المكان الذي أعد لها خصيصاً لكي تضع فيه رحيقها وشهدها- سبحان الله- من الذي دلها على ذلك، بل إنها تأتي إلى مكانها من أميال بعيدة، تصور هذا الأمر. أضف إلى ذلك المخترعات والمكتشفات الحديثة تدلنا على إمكانية هذا الوحي انظر مثلاً إلى الهاتف الجوال الإنسان بالهاتف يكلم إنساناً في أقصى الدنيا ولا يسمع أحد من الجالسين أو الحاضرين شيئاً مما يتكلم به ذلك الإنسان إليك وأنت في ذلك المجلس فكذلك النبي - صلى الله عليه وسلم- يأتيه ملك من السماء ينزل عليه ويكلمه بأمر لا يسمعه أحد من الجالسين ألا يقرب لنا هذا حقيقة الوحي الذي جعلها الله - سبحانه وتعالى- لرسله ؟ بلى، والأدلة على ذلك كثيرة لو أردنا أن نفيض فيها.

ونحن جرت العادة في نهاية هذه الحلقة نوجه سؤالين إلى الإخوة الدارسين والمتابعين .

السؤال الأول يقول: ما معنى الصلصلة؟

السؤال الثاني: اذكر ما يدل على أهمية الإيمان بالغيب؟

الدرس الخامس

نزول القرآن الكريم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد .

أيها الأحبة! هذا هو الدرس الخامس من دروس علوم القرآن في هذه الأكاديمية المباركة ، أسأل الله --سبحانه وتعالى-- أن يجعل ما نتعلمه فيها حجة لنا لا حجة علينا ! اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ! وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا! اللهم علمنا ما ينفعنا !وانفعنا بما علمتنا! وارزقنا علما ينفعنا!

أيها الأحبة! جرت عادتنا في كل محاضرة أن نقدم بالإجابة على سؤالين ذكرناهما في المحاضرة الماضية ، والسؤالان هما - وقد كلفنا الإخوة المتابعين جميعا بالإجابة عليها ، ونحن نتلقى هذه الإجابة خلال إلقاء هذين السؤالين-

السؤال الأول: ما معنى الصلصلة؟

السؤال الثاني: اذكر ما يدل على أهمية الإيمان بالغيب؟

فنأخذ السؤال الأول: ما معنى الصلصلة؟ من يجيب؟

أجاب أحد الطلبة

الصلصلة : هي مرور الحديد على الحديد ثم أطلقت على كل شيءٍ له طنين .

علَّق الشيخ

أحسنت ، هي مرور الحديد على الحديد، أو جريان الحديد على الحديد، ثم أطلقت على كل صوت له طنين، هذه إجابة صحيحة .

ثم قلنا في سؤال آخر اذكر ما يدل على أهمية الإيمان بالغيب ؟ فمن يجيب على ذلك؟

أجاب أحد الطلبة

ما يدل على أهمية الإيمان بالغيب قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥))[البقرة:٣: ٥] .

علق الشيخ

أحسنتم بارك الله فيكم .

لما ذكر الله -سبحانه وتعالى- صفات المتقين في أول سورة البقرة بدأها وافتتحها بذكر الإيمان بالغيب ؛ وذلك لأن جميع أركان الإيمان أساسها إيمان بالغيب ، فمن لم يؤمن بالغيب لم يؤمن بالله ، ولم يؤمن بملائكته ، ولا كتبه ولارسله ، ولم يؤمن أيضاً باليوم الآخر ، ولا بالقدر خيره وشره .

فحقيقة الإيمان : هي إيمان بالغيب ولذلك إيمان المؤمن أن يؤمن بالغيب ، فمن لم يؤمن بالغيب لم يؤمن بسائر أركان الإيمان المذكورة.

أسئلة لمراجعة الدرس الماضي :

أيضا ننتقل أيها الأحبة بعد هذا إلى أسئلة نراجع بها الدرس الماضي.

هناك إجابات للمتابعين عبر الموقع: تقول: الصلصلة هي صوت قوي جدا كان يسمعه النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما كان ينزل عليه الوحي جبريل -عليه السلام- وهو كصوت الجرس ، قال ابن العاص : سألت النبي -صلى الله عليه وسلم- هل تحس بالوحي؟ فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- : أسمع صلاصل ....إلى آخر ما قالت.إجابة جيدة صحيحة.

قالت : أهمية الإيمان بالغيب أن الإيمان بالغيب هو الأصل في الإيمان وكذلك الإيمان بالغيب أمر غيبي . لم تذكر الدليل على ذلك ، وهذا أيضا جيد.

الصلصلة هي في اللغة : هي صوت احتكاك الحديد بعضه ببعض . وشرعا: هي إحدى الطرق التي كان يبلغ بها جبريل رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- عليه وسلم القرآن .

أهمية الإيمان بالغيب : أنها أول صفات عباد الله المتقين كما قال الله تعالى في أول سورة البقرة واصفاً المتقين (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) هذه إجابة جيدة.

تقول: الصلصلة : صوت احتكاك الحديد بعضه ببعض ، وأجابت على السؤال الثاني : مما يدل على أهمية الغيب : أنه ركن من أركان الإيمان ، والركن من الشيء : الجزء منه الذي لا يتم إلا به.

تقول إجابة السؤال الأول: الصلصلة : مثل صلصلة الجرس ، وهي صوت احتكاك الحديد بعضه ببعض هذه نفس الإجابة الدليل على أهمية الإيمان بالغيب قول الله عز وجل (الـم (١) ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ....الآيات) نكتفي بهذا إجابات الإخوة كلها متوافقة على هذه الإجابة.

تعليق الشيخ على إجابات المشاهدين

لا شك أن مثل هذا الحقيقة يثلج الصدر ، ويريح النفس ، حقيقة عندما يسمع الإنسان تفاعل هؤلاء الإخوة من أقطار الأرض ، مع هذه الأسئلة وتفاعلهم معها ، فإنَّ الإنسان يفرح وتقر عينه ، ويعلم أن المسلمين بخير ولله الحمد وأمة النبي -صلى الله عليه وسلم- كالمطر لا يدرى خير أوله أمر آخره .

فنحن نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرينا هذه الخيرية من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم ! ويجزي هؤلاء الإخوة والأخوات المشاركين معنا الذين آثروا أن يطلبو العلم على كثير من الانشغال بملزات الدنيا وملهياتها، فجزاهم الله عنا وعن المسلمين كل خير، وندعو الله -سبحانه وتعالى- أن يزيدهم علماً وهدى !وأن يوفقهم في الدار الدنيا وفي الدار الآخرة والسامعين والمشاهدين والحاضرين وكل مسلم في الأرض يا رب العالمين.

بارك الله فيك نحن في العادة نقدم بأسئلة عن الدرس الماضي

أسئلة عن الدرس الماضي :

السؤال الأول يقول يكون الوحي بغير واسطة فما أنواعه؟

أجاب أحد الطلبة

للوحي ثلاثة أنواع بغير واسطة النوع الأول : وهو الرؤيا في المنام. والنوع الثاني: الإلهام . والنوع الثالث : وهو ما يكون من الله عز وجل ، كلام من وراء حجاب.

علق الشيخ

أحسنت !

النوع الأول : ما كان رؤيا منامية .

والثاني : ما كان إلهاماً من الله سبحانه لنبيه -صلى الله عليه وسلم .

والثالث : ما كان كلاماً من الله مباشرة ، لكن من وراء حجاب.

السؤال الثاني يقول: اذكر الحالتين اللتين ينزل فيهما الملك على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟

أجاب أحد الطلبة

بسم الله الرحمن الرحيم أولا أن يكون على سورة ملك وهي مثل صلصلة جرس والثاني أن يتحول الملك رجلا.

علق الشيخ

أحسنت ! هاتان هما الصورتان اللتان ذكرناهما في الدرس الماضي.

السؤال الثالث: متى يشتد الوحي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولماذا؟

أجاب أحدا الطلبة

في الحالة التي تكون مثل صلصلة الجرس لماذا لأن الأمر يتطلب من الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن ينتقل من الحالة البشرية إلى الحالة الملكية

علق الشيخ

ولذلك يشتد هذا الأمر على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويثقل عليه، ولذلك نجد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا جاءه جبريل وكان على الصورة البشرية كان ذلك عادياً بالنسبة لمحمد -صلى الله عليه وسلم- .

السؤال الرابع : اذكر في الواقع ما يقرب حقيقة الوحي ؛ لأن بعض الناس أنكروا هذا الوحي ؛ أو لم ينسجم ذلك مع عقولهم الضعيفة .

فنقول لهم في الواقع ما يدل على هذا الأمر ويقرب هذه الحقيقة . فمن يذكر لنا شيئاً من الواقع يدل على هذا الأمر ، ويقرب هذه الحقيقة؟

الجواب هما الهاتف والإذاعة.

أحسنت الهاتف يقرب هذه الحقيقة ؛ إنسان يكلم آخر وهو في أقصى الدنيا ، وجميع الناس الذين حوله لا يسمعون شيئاً من كلامه ، وإنما يسمعه هو وحده ، هذا يقرب لنا حقيقة الوحي ، لا نقول هذا من الوحي الشرعي ، أو مثل الوحي الشرعي ، ولكن يقرب لنا هذه الحقيقة أن إنساناً يُكَلِّم إنساناً آخر ولا أحد من الجالسين يعرف من هو ذلك الإنسان المتكلم ، ولا ما يدور بينهم من الكلام ، فهذا يدلنا على أن الوحي ممكن ، وأنه وقع لرسول الله -صلى الله عليه وسلم ، وقد وضع الله لنا في الشاهد ما يقرب لنا هذه الحقيقة ، وهذا من رحمة الله -سبحانه وتعالى- بعباده عندما تقرب لهم حقائق الغيب بصورة واقعية.

لدي تعليق على هذا: هل نقول تحول الملك أو تمثل الملك؟

نقول : تمثل . تكون عبارة أدق في هذا المعنى ، والتمثل هنا هو : التحول . لكن ليس تحول بكل معنى الكلمة ، وإنما هو يتمثل بصورة بشر ، فكلمة تمثل أفضل من كلمة تحول.

نبدأ درسنا اليوم الذي موضوعه نزول القرآن الكريم

مناسبة هذاالدرس للذي قبله

موضوع نزول القرآن الكريم بالنسبة لترتيبنا في الدروس جاء في مكانه اللائق ؛ وذلك : لأننا تحدثنا في الدرس الماضي عن الوحي ، واليوم نتحدث عن كيفية نزول القرآن الكريم ، فالموضوعان بينهما تناسب ظاهر .

فنقول : أيها الأحبة ، القرآن الكريم وردت في نزوله آيات متعددة ، مما يدل على أنه نزل جملة ، ومنها ما يدل على أنه نزل مفرقاً، وهذه الآيات سنقرأها الآن ونجمعها ، ثم ننظر إلى مذاهب أهل العلم في الجمع بينهما ، وكيف ؟ وما هو الصحيح الراجح من أقوالهم في الجمع بين هذه الآيات ؟

فدعونا نأخذ الآيات الواردة في نزول القرآن جملة :

الآية الأولى : هي قول الله سبحانه وتعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣))[الدخان: ٣] .

الشاهد من الآية:

فبين الله في هذه الآية أن القرآن أنزل في ليلة مباركة ، ومفهوم هذه الآيـة أو منطوقها أن القرآن أنزل كله في ليلة واحدة ، وهي ليلة مباركة .

الآية الثانية : مما يدلُّ على هذا المعنى قول الله -سبحانه وتعالى- (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)) [القدر: ١] .

الشاهد من الآية :

فدلَّت هذه الآية على أن القرآن الكريم أنزل في ليلة اسمها ليلة القدر ، وهي الليلة المعروفة التي تكون من شهر رمضان ، وهي الليلة التي يقدر الله -سبحانه وتعالى- كل ما يكون في ذلك العام .

ولذلك سُمِيت ليلة القدر أخذاً من التقدير ، وقيل : أخذاً من العظمة والشرف والمنزلة ؛ لأنها ليلة ذات قدرٍ ومنزلة وشرف عظيم . هذه آية ثانية في إنزال القرآن كله.

الآية الثالثة : قول الله -سبحانه وتعالى-: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) .

الشاهد من الآية:

فتأملوا أيها الأحبة هذه الآية ، نجد أن الآية قد أثبتت أن القرآن الكريم أنزل في شهر رمضان ، وهذا الإنزال الذي نفهمه من هذه الآية هو إنزاله جملة .

إذاً هذه ثلاث آيات تدل على أن القرآن نزل جملة، فهل نزل القرآن جملة؟

الآيات التي جاء فيها أن القرآن نزل مفرق

نقول : هناك آيات أخرى تدل على أن القرآن نزل مفرقاً، بل إن الواقع الذي أجمع عليه المسلمون يدل على أن القرآن نزل منجماً على حسب الوقائع والأحداث والحكمة الإلهية، فيا ترى ما هي الآيات التي تدل على هذا المعنى؟

الآية الأولى: وهي قول الله -سبحانه وتعالى-: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦)) [الإسراء: ١٠٦] .

الشاهد من الآية: فقوله : (وقرآنا فرقناه) أي : لم ننزله جملةً واحدة ، بل فرقناه على حسب الحوادث والوقائع والحكم الربانية . (لتقرأه على الناس على مكث) أي : شيئاً فشيئاً من أجل أن يفهمون ، ومن أجل أن يعقلوا عن الله -سبحانه وتعالى- أمره ونهيه وخبره -سبحانه وتعالى- قال: (وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) تأملوا معي هذه اللطيفة القرآنية أيها الأحبة ، وهي قوله (وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) كيف ذلك ؟

يقول العلماء : إن نزَّل فيها معنى التقطيع والتفريق والتنجيم بخلاف أنزل، ولذلك نجد أنها ترد في وصف القرآن كثيراً ، يصف الله القرآن بنزَّل وبتنزيل (حم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [الجاثية : ١]، (حم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢)) [غافر: ١، ٢]، فتنزيل ونزَّل كلها تدل على هذا المعنى مما يدل على أنَّ القرآن نزل مفرقاً .

الآية الثانية في هذا الموضوع : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢)) [الفرقان: ٣٢]

الشاهد من الآية : أي: إن الكفار يستغربون أن القرآن لم ينزل على النبي-صلى الله عليه وسلم- جملةً واحدةً كما نزلت الكتب السابقة على الأنبياء المتقدمين، فإنَّ التوراةً نزلت على موسى -عليه الصلاة والسلام- جملةً واحدةً ، وكذلك الإنجيلُ ، وكذلك سائر الأنبياء .

والقرآن من بينها، نزَل على محمد -صلى الله عليه وسلم- مُنَجَماً مفرقاً على حسب الوقائع والأحداث والحكم الربانية (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) قال الله عز وجل (كذلك) أي : أنزلناه كذلك (لنثبت به فؤادك) وأشار إلى الحكمة ، والتي سنتحدث عنها في آخر هذا الدرس بإذن الله جل وعلا. قال (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) والترتيل : هو الأداء المتمهل، الترتيل : هو الشيء المتمهل فيه. إذاً هذه آيات تدل على التفريق .

فكيف نجمع بين الآيات الأولى التي تدل على أن القرآن أنزل جملة واحدة والآيات التي تدل على أن القرآن أنزل مفرقاً؟

هناك مذاهب لأهل العلم في الجمع بين هذه الآيات فدعونا نمر على هذه المذاهب ونذكر ما استدل به أهل كل مذهب.

المذهب الأول :

وهو مذهب ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما ، وأخذ به جمهور العلماء ، بل إن القرطبي -رحمه الله تعالى- حكاه إجماعاً ، وحُكي هذا الإجماع عن مقاتل ابن حيان .

ما هو هذا المذهب ؟

يقول ابن عباس:«إن للقرآن نزولين :

النزول الأول نزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، وكان ذلك في ليلة القدر ، في الليلة المباركة ، ليلة القدر من شهر رمضان ، فهذا إنزالٌ جُملي ، أنزل القرآن كله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملةً واحدةً ، وقد ثبتت الآسانيدُ الصحيحة ، ثبتت هذه الروايات عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- بأسانيدَ صحيحة ، تدل أو كلها مصرحة بأنَّ القرآن قد صار له إنزالٌ جُملي من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا .

أما النزول الثاني : وهو الذي دلَّت عليه الآيات الأخرى ، نزوله مفرقاً على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غضون ثلاث وعشرين عاماً، ثلاثة عشرة عاماً في مكة ، وعشرةَ أعوامٍ في المدينةِ ، هذا النزول الثاني ، هذا نزل به جبريل -عليه الصلاة والسلام- بعد أن تلقاه من الله -سبحانه وتعالى- مباشرة ، كما بينا في الدرس الماضي - كيف أن الملك يتلقى الوحي من الله جل وعلا ؟ - في حديث أبي هريرة ، وحديث النواس ابن سمعان ، عندما قال : (إذا أراد الله أن يوحي بالأمر ، تكلم بالوحي ، أخذت السماوات منه رعِدة ، أو قال رجفة شديدة ، ثم يخر أهل السماء ، فيكون أول من يفيق جبريل ، فيلقي الله عليه بالوحي ، فيمر بأهل كل سماء ، فما يمر بأهل سماء حتى يقولوا: ماذا قال ربنا . فيقول: قال : الحق وهو العلي الكبير. ثم ينزل بالوحي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم) مما يدل دلالة صريحة على أن جبريل كان يتلقى الوحي من الله مباشرة يوحي به إليه ، ثم ينزل به جبريل على النبي -صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا واسطة بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين ربه إلا جبريل ، ولا واسطة بين جبريل وبين ربه البتة ، خلافاً لمن قال بغير ذلك.

هذه خلاصة القول الذي ذكره ابن عباس ، وتابعه عليه جماهير العلماء، - رحمة الله تعالى عليهم - بل حُكي إجماعاً ، كما ذكر ذلك القرطبي في تفسيره ، وحكاه أيضاً عن مقاتل.

إذاً نقول : إن القرآن نزل من الله -سبحانه وتعالى- إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن طريق جبريل -عليه السلام ، ليس من بيت العزة من السماء الدنيا ، وهذا ما سنؤكد عليه بعد قليل ، لأن كثيرين من الناس -حتى بعض الكاتبين في علوم القرآن – يقولون: إن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم إن جبريل أخذه من بيت العزة مفرقاً على حسب الحكم الربانية ، والوقائع والأحداث ، وأنزله على محمدٍ-صلى الله عليه وسلم- وهذا قول باطل سنذكر ما يدل على بطلانه بعد قليل.

القول الثاني : في هذه المسألة

قال به الشعبي ، ومحمد ابن إسحاق .

والشعبي : كما تعلمون من علماء التابعين ، وقد روى عن أكثر من أربعمائة من الصحابة ، وحدث عنهم، الشعبي ماذا يرى ؟

يقول : إن للقرآن نزولاً واحداً وليس له نزولان، إن للقرآن نزولاً واحداً ، نزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- أو نزلت أول قطعة منه وهي قوله (اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)) [العلق: ١: ٤] كان نزول هذه القطعة في ليلة القدر ، وهي اللَّيلة المباركة من شهر رمضان ، ثم نزل بعد ذلك مفرقاًعلى حسب الحوادث والوقائع والحكم الربانية.

فالشعبي لا يرى النزول الجملي ، ويقول : إن الآيات التي فيها (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ (١))(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣)) (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ) ليس المقصود إنزاله جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة للسماء الدنيا ، وإنما المقصود : نزول أول قطعة من القرآن في ليلة القدر ، هذا مذهب الشعبي -رحمه الله تعالى.

وهذا المذهب لا شك أنه متسق مع ظاهر الآيات ، لكن الروايات الصحيحة الثابتة عن ابن عباس تعكر على هذا المذهب ، لأن مثل هذا القول من ابن عباس لا يمكن أن يصدر عن رأيه ، بل مثله لا بد أن يكون مرفوعاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم . هذا القول الثاني .

القول الثالث وكذلك القول الرابع ليسا في منزلة القولين الأولين ، بل هما قولان ضعيفان ، نقولهما من أجل أن نذكر جميع ما قيل في هذا الباب.

القول الثالث :

يقول أصحابه : إن للقرآن نزولين منجمين :

الأول من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ثلاثٍ وعشرين سنة ، يعني: نزل مفرقاً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ثلاث وعشرين سنة ، في كل سنةٍ ، أو في كل ليلة قَدْرٍ ينزل إلى بيت العزة جميع ما سينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- في تلك السنة ثم ينزل بعد ذلك إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ما سينزل عليه في ذلك العام مفرقاً، فيرون أن للقرآن نزولين ، وأن نزوله الأول كان مفرقاً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة ، للسماء الدنيا.

وهذا القول لا دليل عليه في الحقيقة ، يعني لا يوجد دليلُ صحيح ثابت يعضده ولذلك فهو من الأقوال المردودة.

القول الرابع:

أيضاً وهو أضعف من القول الذي قبله ، يقول أصحابه وقد حكاه الماوردي عن بعض المفسرين قال: نزل القرآنُ في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملةً واحدة من عند الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمته السفرة على جبريل في عشرين سنة ، ونجمه جبريل على محمد -صلى الله عليه وسلم- في عشرين سنة .

وهذا القول أيضا لا دليل عليه ، وإنما ذكرناه من باب تتمة -أو ذكر- جميع الأقوال الواردة لننظر بعد ذلك إلى القول الراجح.

القول الراجح في هذ المسألة :

هو قول ابن عباس بلا شك ، لماذا؟ لأنه قد ثبت القول به عن ابن عباس ، ومثل هذا لـه حكم الرفـع ؛ لأن مثل هذا لا يقال بالرأي .

فعليه نحن نقول : إن القرآن نزل مرتين ، مرة جملة واحدة من اللوح المحفوظ ؛ لأن القرآن مكتوب فـي اللـوح المحفوظ ، كما أخبر الله -سبحانه وتعالى- في آخر سورة الواقعة فقال: (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّـهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)) [الواقعة: ٧٥: ٧٩] .

فهذا ذكرُ خبر القرآن المكتوب في اللـوح المحفوظ ، فهذا نـزول أول ، والنـزول الثـاني نـزول جبريـل بـه علـى النبـي -صـلى الله عليـه وسلم- بعد أن أوحـاه الله إليـه، وقد ذكرنـا أيهـا الأحبـة أن هذا القـول هـو الـذي حُكِـيَ عليـه الإجماع ، والله أعلم بصحة هذا الإجماع، لكن حكاية الإجماع عليه تقوى القول به .

وصحة الأسانيد به عن ابن عباس ، وهو حبر الأمة ، الذي دعى لـه النبـي -صـلى الله عليـه وسلم- بقولـه (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل) يجعلنا لا نرغب عن ذلك القول ، ولا نختار به بديلا .

وقد قال السيوطي -رحمه الله تعالى- في هذ القول «إنه الأصح الأشهر» وقال فيه ابن حجر -رحمه الله تعـالى- «وهو الصحيح المعتمد» .

وهنا ننبه أيها الأحبة إلى الملاحظة التي ذكرها أخونا أحمد -جزاه الله خيراً- قبل قليل : فـي أن القرآن لـم ينـزل من بيت العزة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم، أخذه جبريل من بيت العزة ، إنما كان نزوله حقيقة بواسطة جبريل ، تلقاه عن الله جل وعلا ، ونزل به على محمد -صلى الله عليه وسلم، ولعلنا نقرأ كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيميـة -رحمه الله تعالى، ذكره في الفتاوى ، يبين فيه هذا الأمر ، ويرد على من قالوا بخلافه من الأقوال الأخرى ، ويبين ما في بعض تلك الأقوال من لوازم باطلة ، حيث يقال فيها : إن جبريل قد أخذه من اللوح المحفوظ ، أو من بيت العزة في السماء الدنيا.

شبهة والرد عليها

بعض المتأخرين والكاتبين في علوم القرآن يقولون : إنَّ القولَ هذا بأن نزل إلى بيت العزة ولم ينزل على النبـي -صلى الله عليه وسلم- من بيت العزة نقول إن النزول لا جدوى منه يعني نريد التعليق حول هذا الموضوع.

جزاك الله خيرا هذه قضية سنذكرها بعد أن نحقق القول في أن كلام ابن عباس ومذهب جمهور العلماء في هذه المسألة هو الصحيح ، ونرد على الأقول الأخرى ، ونبين بعد ذلك حكمـة النـزول الأول وهـو نـزول القرآن إلـى السماء الدنيا، فلعنا ننتظر قليلا حتى لا أطيل عليكم.

< قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- وقال تعالى هنا (قُلْ نَزَّلَـهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ)فبين أن جبريل نزلـه من الله لا من هـواه ، ولا من لـوح ، ولا غيـر ذلـك ، وكـذلك سـائر آيـات القرآن ، كقولـه (تَنزِيـلُ الكِتَـابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ) وقوله (حم (١) تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ (٢))وقوله (حم (١)

تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢))[فصلت: ١، ٢]، وقوله: (الـم (١)تَنزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيـهِ مِن رَّبِّ العَالَمِينَ (٢))[السجدة: ١، ٢] وقوله: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)،[المائدة: ٦٧] .

فقد بين في غير موضع أنه منزل من الله ، فمن قال أنه منزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفتر على الله ، مكذب لكتاب الله ، متبع لغير سبيل المؤمنين ؛ ألا ترى أن الله فرق بين ما نزَل منه وما نزَّله من بعض المخلوقات ؟! كالمطر : بأن قال: (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)[الأنعام: ٩٩] فذكر المطر في غير موضع ، وذكر أنه نزله من السماء، والقرآن أخبر أنه مُنْزَّلٌ منه ، وأخبر بتنزيل مطلق في مثل قوله (وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ)[الحديد: ٢٥]، ؛ لأنَّ الحديد ينزل من رؤوس الجبال ، لا ينزل من السماء ، وكذلك الحيوان : فإن الذَكَرَ يُنْزِلُ الماء في الإناث ، فلم يقل فيه : من السماء .

ولو كان جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ لكان اليهود أكرمَ على الله أمة محمد لأنه قد ثبت بالنقل الصحيح : أن الله كتب لموسى التوراة بيده وأنزلها مكتوبةً . فيكون بني إسرائيل قد قرأوا الألواح التي كتبها الله ، وأما المسلمون فقد أخذوه عن محمد -صلى الله عليه وسلم- ومحمد أخذه عن جبريل ، وجبريل عن اللوح ، فيكون بنوا إسرائيل بمنزلة جبريل ، وتكون منزلة بني إسرائيل أرفعَ من منزلة محمد -صلى الله عليه وسلم- على قول هؤلاء الجهمية ، والله سبحانه جعلَ من فضائلِ أمةِ محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- أنه أنزل عليهم كتاباً لا يغسله الماء ، وأنه أنزله عليهم تلاوة لا كتابة ، وفرقه عليهم لأجل ذلك فقال (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦)) وقال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢))>.

أحسنت بارك الله فيك .

إذاً شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- ينكر على هؤلاء الذين يقولون : إن جبريل قد أخذه من اللوح المحفوظ ، والحقيقة أن جبريل تلقاه من الله -سبحانه وتعالى ، هكذا ثبت في أحاديث رسول -صلى الله عليه وسلم ، وهكذا تدل عليه الآيات القرآنية (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)) [الشعراء: ١٩٢: ١٩٥] ، فعلى المسلم أن يعتقد ذلك .

والواقع هو ما ذكرناه أيضا في قصة المجادِلة ، قالت عائشة -رضي الله عنها: إنها كانت في جانب الحجرة تحدث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإني لأسمع بعض كلامها ، ويغيب عني بعضه ، قالت : فأنزل الله على رسوله (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا)[المجادلة: ١]، فقوله : (قد سمع) لم يكن ذلك إلا بعد أن تحقق، يعني بعد أن قالت المرأة ما قالت سمع الله سبحانه تعالى قولها فأجابها فتقول عائشة : (سبحان من وسع سمعه الأصوات) يعني أن الله -سبحانه وتعالى- سمع شكايتها ومحاورتها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعائشة في جانب الحجرة التي كانت صغيرة لم تكن تسمع بعض كلامها .

هذا كله يؤكد ويدل دلالة واضحة على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تلقاه من جبريل ، وجبريل تلقاه من الله -سبحانه وتعالى- مباشرة ، وأن الله تكلم به على كيفيةٍ تليق بجلاله وعظمته، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات صفة الكلام للرب --سبحانه وتعالى-- تلك الصفة التي دلت عليها آيات القرآن ، وأحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم ، وإجماع سلف الأمة على إثباتها.

سؤال

سؤال

يقول: ما اسم الفئة التي تؤول الغيبيات الرجاء إخبارنا وبيان هذه الفرقة والفئة؟

اجاب فضيلة الشيخ :

الفرقة التي تؤول الغيبيات -طبعاً- هي فرق قديمة ، منها المعتزلة في أول القرون الأولى ، ثم أخذ منهجهم المدرسة العقلانية في الأزمنة الأخيرة ، فهم يؤولون هذه الغيبيات ، وهناك فِرَق غالية جداً ، وهي الفرق الباطنية الغالية أيضاً ، هذه تؤول الغيبيات ، وتقول فيها بالتأويل المردود ، الذي لا يقبل لا عقلاً ولا نقلاً.

سؤال :

يقول: هل نستطيع أن نزيد على تعريف الوحي الشرعي : هو كلام الله ينزله لرسوله برسول هو جبريل -عليه السلام-؟

أجاب فضيلة الشيخ :

لا يختلف عن التعريف الذي ذكرناه سابقاً ، لكن العلماء دائماً يراعون في التعريف أن يكون جامعة ، وأن تكون مانعة ، وأن تكون منضبطة ، بحيث لا يدخل غير المعرف فيه ، ولا يخرج شيء من أجزاء المعرف عنه قدر المستطاع، وعلى كل –يعني- هذه المسائل هي من المسائل الاصطلاحية التي يتسع القول فيها لكل أحد إن شاء الله تعالى.

سؤال :

يقول: ما الدليل الوحي لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- من ملك غير جبريل وكذلك أخت أخرى تسأل هذا السؤال؟

أجبنا على هذا السؤال في الدرس الماضي

وموجودة في موقع الإنترنت ، بإمكانه أن يستمع إليها من خلال الصوت في موقع الأكاديمية إن شاء الله تعالى.

خلاصة ما مضى في هذه المحاضرة

بعد أن قررنا أيها الأحبة هذا القول ، وأكدنا عليه أيضاً .

ممن أكد عليه : سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم مفتي عام المملكة الذي توفي قبل أربعة عقود تقريباً ، أكد على هذه القضية ، وأبطل قول القائلين بأنَّ جبريل أخذ القرآن من بيت العزة في السماء الدنيا ، ورد حتى على الإمام السيوطي -رحمه الله تعالى- في هذه القضية ، وبين تهافت الأقوال التي تنكر ، وهي لا تقصد ، قد يكون بعض القائلين لم ينتبه أحياناً للمغزى ، أو ما يلزم من ذلك القول الذي قال به .

فالحاصل : أن القول الصحيح أن القرآن نزل من عند الله تعالى ، أوحاه إلى جبريل ، وأن جبريل تلقاه من الله ، ثم ألقاه إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- بهذا الإسناد المتصل ، محمد عن جبريل عن ربهما -سبحانه وتعالى.

النزول الأول

نتحدث بعد هذا أيها الأحبة عن النزول الأول .

بعض ما ينبغي علمه في موضوع النزول الأول ، وهو نزول القرآن جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا .

كيفية النزول الأول :

فأول قضية كيفية هذا النزول :

لم يرد لدينا أيُّ دليل يبين الكيفية التي نزل بها القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، فنحن في مثل هذا وفي مثل هذه الأمور عامة وفي كل المغيبات نتوقف فيها ، ولا نجتهد ؛ لأن الاجتهاد فيها قول على الله بغير علم، قد قال الله جل وعلا:(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦)) [الإسراء: ٣٦]

فالمسلم ينبغي له ألا يقول شيئاً ليس عنده فيه علم، وقد بيَّن الله -سبحانه وتعالى- عظمَ إثم القائلين على الله بغير علم (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٣٣)) [الأعراف: ٣٣].

فلا يجوز للإنسان أن يتكلم في شيءٍ أو يتخوض في أمر ليس عنده به علم.

المسألة الثانية: ما دليله؟

قد بينا دليله في الآيات السابقة (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)) (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣)) (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) وبينا كلام ابن عباس في هذ القضية.

الثالثة: من هو الواسطة الذي قام بإنزاله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة؟

أيضا ليس عندنا ما يدل على هذه القضية.

الرابعة: مدة هذا الإنزال:

الذي يظهر من الآيات أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر ، وأن ليلة القدر هذه كانت في شهر رمضان ، كما قال الله -سبحانه وتعالى- (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) والعلماء بعد ذلك اختلفوا هل شهر رمضان هذا : كان قبل البعثة ، أو بعد البعثة . والخلاف في مثل هذا ليس ورائه كبير فائدة ، فنحن نضرب عنه صفحاً.

الخامسة : ما هي حكمة نزول القرآن إلى السماء الدنيا علماً بأن جبريل لم يأخذه من بيت العزة في السماء الدنيا ؟

فنقول : إن الحكمة في ذلك هي:

١- أن يعلم الله -سبحانه وتعالى- وتعالى أهل السماء وهم أهل الطاعة والسمع والركوع والسجود والقنوت لله -سبحانه وتعالى- والإسلام التام له ، يعلمهم بشرف هذا الكتاب العظيم الذي سينزل على البشرية نوراً وهدى ورحمة، وأيضا بشرف هذا النبي الكريم، الذي ميَّزَه الله -سبحانه وتعالى- بهذا الكتاب العظيم .

٢- وأيضاً بشرف هذه الأمة التي هي خاتم الأمم ، وهي أشرف الأمم وأحبها إلى الله -سبحانه وتعالى- .

٣- وأيضاً ليكون لهذا الكتاب مزية على سائر الكتب ؛ لأن الكتب السابقة أنزلت جميعاً جملة واحدة ، إلا القرآن الكريم ، فإنه نزل جملة واحدة ، ونزل أيضا مفرقًا، فجمع اللهُ -سبحانه وتعالى- له بين الخصيصتين ، أو الميزتين : النزول الجملي ، والنزول المفرق .

٤- ثم أيضا أيها الأحبة ليكون هناك علم عند الملائكة والله -سبحانه وتعالى- يرى ملائكته وجميع عباده سعة علمه ، وأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، كيف أن هذا القرآن قد كتب في اللوح المحفوظ ثم أنزل كله إلى بيت العزة في السماء الدنيا وقد علم الله جميع ما سيكون من الحوادث والوقائع التي ستحدث لرسول الله - صلى الله عليه وسلم – ولمن معه وأعدائه وغيرهم ، يكون الخبر فيها موجوداً في هذا الكتاب ، الذي في بيت العزة في السماء الدنيا ، ومع ذلك ينزله الله -سبحانه وتعالى- على الوقائع والأحداث ، فيكون ذلك فيه مزيد إيمان من ملائكة الرحمن بربهم ، ومن المؤمنين أيضاً عامة بربهم -سبحانه وتعالى ، وأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. فهذه هي حكمة نزول القرآن إلى السماء الدنيا النزول الأول.

٥- ذكر العلماء -رحمه الله تعالى- أن القرآن اختص بهذا النزول ، فلم ينزل كتاب قبل القرآن العظيم إلى السماء الدنيا كما حَصَل للقرآن العظيم ، فهذه تعتبر من خصائص القرآن ، وسيأتينا إن شاء الله في آخر المباحث في هذه الدورة الطيبة ذكر بعض الخصائص القرآن للكريم، يعني : الأشياء التي اختص بها القرآن عن سائر الكتب.

ننتقل بعد ذلك أيها الأحبة إلى النزول الثاني، وهو نزول القرآن مفرقا على النبي - صلى الله عليه وسلم – في ثلاث وعشرين عاماً :

فنقول أولا كيفية هذا النزول؟

تقدم لنا في باب الوحي الكيفية التي كان ينزل بها هذا القرآن منجماً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، كيف يوحي الله إلى جبريل ؟ وكيف ينزل جبريل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم ؟ بما لا يحسُن إعادته في هذا الدرس.

الثاني من هو واسطته؟

الواسطة في النزول المفرق هو جبريل -عليه الصلاة والسلام- ولم يكن أحد على الصحيح غير جبريل ، بل لم يثبت دليل في أنه نزل شيء من القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم – بغير واسطة جبريل عليه الصلاة والسلام ، وقد نص القرآن على هذا (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ (١٩٤)) [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] .

نعم هناك بعض الوحي أنزل عن طريق بعض الملائكة ، لكن بالنسبة للقرآن لم ينزل إلا عن طريق جبريل -عليه الصلاة والسلام- قد بينا هذا في الدرس الماضي.

ما دليل هذا النزول؟

ما ذكرناه من الآيات في أول هذا الدرس قول الله -سبحانه وتعالى- (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦)) .

والآية الثانية أيضا:

وهي صريحة في هذا الموضوع (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢)) .

الدليل الثالث:

استعمال لفظة (نزَّل ، وتنزيل) الدالة على التفريق والتنجيم ، واستمع إلى قول الله -سبحانه وتعالى- في أول سورة آل عمران(الم (١) اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ (٢)نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٣)) [آل عمران: ١: ٣] .

فلما جاء إلى القرآن عبر بقوله (نزَّل) ، ولما جاء إلى الكتب السابقة قال :(أنزل) مما يدل على الفرق بين الأسلوبين، وهذا استدل به جماعة من أهل العلم ، على أنه يدل على تنزيل القرآن منجماً.

الدليل الرابع :

وهو من أصرح الأدلة في هذا الباب ، في الواقع الذي نزل عليه القرآن ، أو الواقع الذي كان عليه القرآن وإجماع المسلمين على ذلك ، وهو أن القرآن نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم – مفرقاً ، والأحاديث في ذلك كثيرةٌ جداً تربوا على الحصر.

كم كان ينزل من القرآن في كل مرة؟

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى مقادير النازل منه، كم كان ينزل من القرآن في كل مرة من هذه النجوم والتفريقات؟

فنقول يختلف ذلك :

فأحياناً ينزل بعض آية ، وأحياناً تنزل آيةٌ واحدة ، وأحياناً تنزل الخمس والعشر آيات ، وأحياناً تنزل السورة بكاملها ، كذلك يختلف باختلاف حكمة الله -سبحانه وتعالى- في إنزال الكتاب، بعض آية مثل قول الله -سبحانه وتعالى- (غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ)[النساء: ٩٥]، هذه الكلمة أو هذه الجملة بعض آية نزلت وحدها مستقلة ، أنزلها جبريل على محمد - صلى الله عليه وسلم – وحدها ، كيف ذلك ؟

لأن الله -سبحانه وتعالى- قال: (لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) قبل أن تنزل (غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ) (لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فجاء عبد الله ابن أم مكتوم ، وقال : يا رسول الله! إني معذور ، لا أستطيع الجهاد ، وإني أعمى. فأنزل الله تعالى قوله : (غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ) فنزلت بعض آية .

وكذلك قول الله -سبحانه وتعالى- (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ)[البقرة: ١٨٧]، فقوله (من الفجر) أيضاً نزلت وحدها مستقلةً ، فهذا نزول بعض آية .

وأما نزول خمس آيات وعشر آيات ، فهذا غالب ما كان ينزل عليه القرآن الكريم ، كما روى ذلك أبو سعيد الخدري ، وحدَّثَ به عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وذكر ذلك أبو العالية -رحمه الله - من كبار التابعين ومفسريهم .

يقول أبو نَضْرَة : كان أبو سعيد يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة ، وخمس آيات بالعشي ، ويخبر : أن جبريل كان ينزل بالقرآن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم – خمساً خمساً .

وهذه هي الطريقة التي كان السلف يتعلمون بها .

يقول عمر -رضي الله تعالى عنه- : «تعلموا القرآن خمساً خمساً ، فإن جبريل نزل بالقرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم – خمساً خمساً» [رواه البيهقي في الشعب] .

ولذلك كان أبو عبد الرحمن السلمي - وهو من كبار التابعين - يقول : حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن : أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا العلم والعمل والقرآن جميعاً.

وهذه هي الطريقة الصحيحة أيها الأحبة في تعلم القرآن ، أن يعلم الناس القرآن آيات قليلة ؛ ليفهموها ، ويعقلوها، ويعلموا مراد الله تعالى منها ، ويجمعوا بين التدبر والقراءة والحفظ وأخذ القرآن ، أما أن تؤخذ الآيات الكثيرة في المجلس الواحد ، فإنَّ الإنسان لا يستفيد إلا بمجرد التلاوة .

ما مدة هذا النزول؟

مدة هذا النزول أيها الأحبة ، قال ابن عباس ، فيما رواه البخاري عنه : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين.

هذا كلام ابن عباس ، وعلى هذا سار الناس، أن القرآن نزل بمكة ثلاثة عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين ، ومات النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن ثلاث وستين.

لكن رُوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما ، وعن عائشة ، رواية أخرى تُشْكِل على هذا ، وهي في البخاري أيضاً ، قال: لبث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشرا .

فكيف نوفق بين هذه الرواية وهذه الرواية؟

نقول -والله أعلم- : لعلهم جروا على ما كان العرب يتعارفون عليه ، وهو المعمول به حتى عند عامة الناس :

أن الناس يُلْغُونَ الكسر عندما يكون الكثر يسيراً ، كسنة ، وسنتين ، وثلاث ، يلغون الكسر ، يقولوا : فلان عمره عشر سنين. وهو عمره اثنى عشر سنة، عمره ثنتي عشر سنة ، فيقول : عشر سنين . إلغاء للكسر ، وكذلك يقول : فلان من أبناء الستين . وهو ابن خمس وستين مثلاً ، يلغون الكسر في ذلك .

أما القول الثاني أو الجمع الثاني في هذا الأمر، وهو :

أن القرآن نزل على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ستة أشهر، كان رؤيا منامية ، يرى الشيء فيكون مثل فلق الصبح، ثم فتر الوحي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك ، قَرَابةَ سنتين ونصف ، فتكون -يعني -

المدة التي لم يكن فيها وحي صريح ، ثلاث سنوات ، والمدة التي كان فيها وحي صريح في مكة عشر سنين ، وهذا جمع ارتضاه السهيلي ، وارتضاه أيضاً بعض أهل العلم في هذه القضية.

ولكن الجمع الأول، قد يكون مقبولاً أكثر من جهة والجمع الثاني أيضاً له حظ من النظر ، إلا أنَّ بعض الباحثين يقول : إن مدة الوحي -فترة الوحي- لم تكن ثلاث سنين ؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يشتد حزنه عندما ينقطع عنه الوحي أياماً ، فكيف لو انقطع عنه الوحي سنتين ونصف ؟! أو ثلاث سنوات ؟! لا شك أن هذا سيكون شديداً جداً على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وليس في الروايات الصحيحة ما يدل عليه . والله أعلم.

سؤال :

السلام عليكم، أحيانا يستيقظ الإنسان ويسير في ذهنه يعني آية يرددها سبحان الله فهل هذا من الإلهام؟

هذه رحمة من الله -سبحانه وتعالى- بعبده، بحيث أنه يتذكر آية في موطن يحتاج فيه إلى تذكر تلك الآية ، وهذه دلالة على تعلق الإنسان بكتاب الله -سبحانه وتعالى- وهذه أيضاً إحدى ثمرات تلاوة القرآن وترداده في الليل والنهار ، فإن ذلك يثمر أن ترد آيات القرآن على قلب الإنسان في مواطن مختلفة فيتعظ بها ويستلذ بتلاوتها ، وتكون له منجاة وشاطئ سلامة عندما تدلهم الخطوب وتشتد الفتن على الإنسان أو المصائب يعني عندما يكون عند الإنسان مصيبة تمر آية (اصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ) [النحل: ١٢٧]، (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) [الأحقاف: ٣٥]، يستعين الإنسان بهذه الآيات على هموم هذه الحياة (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) [البقرة: ١٥٥].

وأذكر في هذا المقام قصة أتمنى من الإخوة أن يستمعوا إليها جيداً ؛ لأنها مفيدة في هذا الباب ، فالقرآن عظة وذكرى:

يقال أنَّ امرأة اختلفت مع زوجها ، فاشتدت الخصومة والنزاع ، حتى إنها خرجت من البيت من دون إذن الزوج، وكان ذلك ليلاً ، فخرجت إلى بيت أبيها ، وفي الطريق مرت بالمسجد وإذا الإمام يقرأ قول الله -سبحانه وتعالى-: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ) [البلد: ٤]، أي في مشقة ونصب وعناء، فوقعت هذه الآية من قلبها موقعاً عظيماً وحصل لها بسبب ذلك أنها بدأت تردد الآية وتقول (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ) يعني أنا سألاقي الكبد في بيتي ، أو في بيت والدي ، أو في أي مكان، لكبد مع أولادي ومع أب أولادي خير لي من كبد مع امرأة أبي ، فرجعت ، فما شعر الزوج إلا وقد دخلت عليه، فقال: ما الذي جاء بك؟ فقالت: والله ما جاء بي لا أبي ولا أحد إنما جاء بي القرآن . سمعت القارئ يقرأ: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ) فقلت كبد معك ومع أولادي ولا أفارقهم خير من كبد مع غيرهم.

فانظر إلى أن القرآن يكون رحمة للإنسان في هذه الميادين أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعلنا ممن يرحمون بهذا القرآن.

سؤال

هل لنا أن نقول أن هذا من الإلهام يا شيخ ؟

لا. يعني إلهام لغوي ، ما هو بالإلهام الذي تحدثنا عنه ، بأنه شيء من الله -سبحانه وتعالى- ، لا شك أن الإنسان يا إخواني يلهم من لمة الملك ، الملك إيعاد بالخير وتذكير به ، وتحذير من الشر ، فهذه لمة طيبة تكون للإنسان يريدها الله -سبحانه وتعالى- بعبده.

سؤال :

السلام عليكم، أسأل عن قوله تعالى: (يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١)) [النمل: ١٠، ١١]، هل الاستثناء هذا هل هو للمرسلين أو لمن؟ فما موقع هذا الاستثناء؟

تكلمتم عن أنواع الوحي لكن سؤالي عن الإيحاء الذي هو بعض الشيوخ يعالجون به المريض، هل هو جائز شرعا؟

والسؤال الثاني، هل يستطيع فعلا هذا المعالج أن يعالج مريض من سحر أو عين من بلد إلى بلد ثاني ؟

أما السؤال الأول، فأنا أولاً أشكره على تدبره كتاب الله -سبحانه وتعالى- وأن مثل هذه الآيات لم تمر عليه مروراً عابراً ، وحقيقة : الإنسان الذي يتأمل القرآن تستوقفه مثل هذه الآية ، كيف يقول الله -سبحانه وتعالى- (إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلاَّ مَن ظَلَمَ) ؟ يعني : هل من المرسلين من ظلم ؟ نقول : لا (إل) هنا استثناء منقطع، بمعنى لكن، يعني لكن من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم ، وليست (إل) هنا بمعنى إلا الاستثنائية بمعنى الاستثناء المتصل يعني أن يكون المستثنى جزءاً من المستثنى منه أو بعضا من المستثنى منه لا (إل) هنا أيها الأخو الكريم بمعنى لكن فهو استثناء منقطع فتأمل هذا في هذا الموطن وفي مواطن كثيرة من كتاب الله -سبحانه وتعالى-.

بالنسبة للسؤال الآخر: حول الإيحاء أنا أتمنى أنها توجه هذا السؤال للمشايخ في الجواب الكافي لأنه لا صلة له بعلوم القرآن حقيقتة. ونحن هنا نتلقى الأسئلة في علوم القرآن فلعل الأخت تتوجه بسؤالها للإخوة أو المشايخ والعلماء الأفاضل في الجواب الكافي وفي غيره من المبرامج التي تختص بمثل هذه الأسئلة.

سؤال :

الفرق بين الوحي والإيحاء ، وهل هو جائز شرعاً؟

أجاب فضيلة الشيخ:

الوحي هذا شيء من الله -سبحانه وتعالى- يكون لأنبيائه ورسله وهذا بالمعنى الشرعي طبعا، وأما الإيحاء فأنا لا أدري ما الذي تقصده الأخت، من الإيحاء الذي تتحدث عنه عند هؤلاء القراء، لأن الناس يسمون أشياء كثيرة إيحاء فهناك إيحاء وتنويم مغناطيسي وهناك تأثير وهناك شيء عند بعض القراء المشعوذين وغيرهم ممن لا يتبعون المنهج النبوي في القراءة ، وآخرون أيضاً عندهم شيء من هذا يكونوا بالدربة يسمونه إيحاءاً وهو أن تلقي بكلام على إنسان وتردده مرارا فيكون نوعا من أنواع الإيحاء الخفي له ليقتنع بما تقول له، أنا لا أدري ما هو هذا الذي يحصل ولذلك لا أستطيع الحقيقة الإجابة عليه فأعتذر للأخت.

سؤال

ما الفرق بين الوحي القرآني والوحي السني؟ .

يقصد الأخ بالوحي السني فيما أرى يعني وحي الله -سبحانه وتعالى- لنبيه صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي وفي الحديث النبوي، وأنا أشكر الأخ جزاه الله خيرا طبعا أولا على متابعة وهو في تلك البلاد البعيدة ، وثانيا على تسميته لكلام النبي صلى الله عليه وسلم وحيا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا وإني قد أوتيت القرآن ومثله معه) يعني أنه وحي من الله -سبحانه وتعالى- وقد صرحت آيات القرآن بهذا في قوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤)) [النجم: ١-٤]، فكلام النبي صلى الله عليه وسلم وحي، فنقول الفرق بين وحي الله بالقرآن ووحي الله للنبي صلى الله عليه

وسلم بما يخبر به من السنة، أن القرآن كله نزل لفظا ومعنى من عند الله جل وعلا وأن السنة فلفظها من عند النبي صلى الله عليه وسلم ومعناها من عند الله جل وعلا، وقد تكون السنة لفظها ومعناها من عند النبي صلى الله عليه وسلم لكن الله -سبحانه وتعالى- قد أقره على ما قال، ويكون هذا من اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقره ربه عليه لكن كله في العمل سواء يعني يجب علينا العمل بهذا والعمل بهذا.

سؤال

بالنسبة للقراءات والأحرف السبعة هل قرأ الله القرآن على جبريل بالأحرف السبعة؟ أم على حرف واحد؟

بالنسبة لقوله هل قرأ الله القرآن ، نقول : هل أوحى الله القرآن على جبريل بالأحرف السبعة نقول: نعم، وهو رحمة الله -سبحانه وتعالى- بهذه الأمة وسيأتينا إن شاء الله في الدروس القادمة بيان معنى الأحرف السبعة والفرق بين الأحرف والقراءات.

سؤال

في بداية المحاضرة ذكرتم أن القول الأول هو الراجح هو قول ابن عباس وذكرت أن السيوطي قال عنه، أنه أصح الأقوال، ثم في النهاية ذكرت أن الشيخ محمد إبراهيم رحمه الله رجح القول الأول وأبطل قول من قال أن النبي لم يأخذ القرآن من بيت العزة رد في ذلك على السيوطي، يعني كيف هو رد على السيوطي وكيف أن السيوطي يرجح القول الأول وقال عنه أنه أصح الأقوال؟

هل هناك حكمة في تأخير نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة متقاطعة ؟

السؤال الثاني: ما هي الكتب التي تتكلم في إعراب القرآن الكريم ومتى بدأ إعراب القرآن ؟

تقول أن السيوطي رحمه الله تعالى -أنا أشكر الأخت على دقتها في المتابعة وأقول جزاها الله خيرا على هذا التنبيه حتى يتبين لبعض الإخوة الذين قد لا يستوعبون بعض الكلام أحيانا فأقول: إن السيوطي رحمه الله قد رجح القول الأول وهو قول ابن عباس وقلت إن الشيخ محمد إبراهيم رد على السيوطي ما قاله في مسألة أخرى وليست هذه المسألة، وهي مسألة أن القرآن أنزل من بيت العزة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعني أن بعض العلماء ذكروا هذا القول وذكروا أن جبريل أخذ القرآن من بيت العزة فالشيخ محمد إبراهيم رد على القائلين بهذا لكن السيوطي رحمه الله ممن يقول بالنزولين يعني نزول القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم النزول المفرق، فهذا هو مكان الرد والاختلاف لكن السيوطي يقول بأن قول ابن عباس هو الصحيح الأشهر.

السؤال الثاني: ما هي الكتب التي تناولت إعراب القرآن الكريم ومتى بدأ إعراب القرآن؟

الكتب التي تناولت إعراب القرآن الكريم كثيرة جدا منها كتاب التبيان في إعراب القرآن للعُكبري وهو من علماء القرن السابع الهجري ومنها إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه ومنها في هذا العصر إعراب القرآن الكريم لمحيي الدين درويش وهو قد أعرب القرآن كله من أوله إلى آخره وأيضا لرجل آخر يقال له الصافي في إعراب القرآن الكريم، فالكتب في إعراب القرآن كثيرة جدا ومن أوعبها وأحسنها وهو الذي يعتمد عليه كثير من المعربين تفسير البحر المحيط لأبي حيان فإن هذا الإمام قد اهتم باللغة اهتماما شديدا ومنها أيضا ومن أوائل الكتب في هذا الباب، إعراب القرآن ومعانيه للأخفش ، وإعراب القرآن ومعانيه للفراء وإعراب القرآن

ومعانيه للزجاج وغيرهم من الأئمة والعلماء الذين تكلموا في هذا الباب ، فالكتب في ذلك كثيرة ، أول من كتب في هذا لا يحضرني حقيقة لكن الأخفش من المتقدمين ممن كتب في هذا المجال لأنه من علماء القرن الثالث الهجري .

ما هو بيت العزة؟ .

بيت العزة لا نعرفه إلا بقدر ما ذكر في هذا الحديث فالذي يظهر والله أعلم أنه بيت في السماء الدنيا قد جعله الله -سبحانه وتعالى- موضعا لنزول القرآن الكريم هل له صفات أخرى هل فيه أشياء أخرى لا أعلم شيئا في ذلك ولعلنا يعني نزيد من البحث إن شاء الله فإن وجدنا شيئا تحدثنا به في الجلسة القامة إن شاء الله تعالى وبهذه المناسبة أحد الإخوة سأل في الدرس الماضي هل هناك فرق بين تمثُّل الملك بصورة غير صورته وتمثُّل الجني بصورة غير صورته؟

الحقيقة أفادني الأخ يوسف بن عبد القوي مُعِد هذا البرنامج جزاه الله خيرا بفائدة عن كتاب للسيوطي رحمه الله وهو كتاب الحبائك في أخبار الملائك وذكر فيها جوابا عن بعض أهل العلم وهو أن الفرق بين تمثل الملك وتمثل الجني أن الملك لا تتحكم فيه الصورة بمعنى أنه إذا تمثل لا يمكن أحد أن يوصل إلى تلك الصورة ضررا بخلاف الجني فإنه إذا تمثل بصورة غير صورته تتحكم فيه الصورة بحيث أنه يمكن إيصال الضرر إليه، ولعلكم تعرفون قصة الجني الذي تمثل بصورة ثعبان فجاء أحد الصحابة ودخل بيته فوجد هذا الثعبان فتقاتل وإياه فتقل الثعبان والثعبان أيضا قتلته فالجني تتحكم فيه الصورة.

فرق آخر: وهو أن الملك لا يأتي إلا بخير ولا يتمثل إلا لأمر نافع وأما الجني فقد يكون لأمر نافع وقد يكون لأمر ضار أو خاص به.

هذا ذكرني بسؤال مر علينا الدرس الماضي.

سؤال

الآيات التي نسخت في رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تم نسخها في القرآن الذي نزل إلى السماء الدنيا ؟

لم ينسخ في القرآن الذي نزل إلى السماء الدنيا شيء، كل ما في القرآن الذي نزل في السماء الدنيا باق على ما هو عليه إنما القرآن الذي بين أيدينا هو الذي حصل فيه النسخ وحصل فيه الناسخ والمنسوخ وما إلى ذلك أما ذلك القرآن فهو على ما هو عليه كما تكلم به الرب -سبحانه وتعالى-.

سؤال:

ما نوع الوحي في قول الله تعالى: (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ) [الجن: ١]؟ .

أوحي إلي يعني أوحى الله -سبحانه وتعالى- إلي أنه اسمتع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا هذا الوحي الشرعي المعروف وحي قرآني نصا ولفظا ومعنى وغير ذلك.

سؤال

هل نزول القرآن كان في فترة أكثر من الأخرى؟ أو في مكة أكثر من المدينة أو نحو ذلك؟

نزول القرآن طبعا في مكة كان فتر في بعض الأوقات والفترة هذه اختلف الناس هل هي امتدت سنتين ونصف أو ثلاث سنوات أو أنها كانت أقل من ذلك، بحيث كانت أياما ، ولأجلها فزع النبي صلى الله عليه وسلم عندما فتر عنه الوحي أياما، وقلق عليه الصلاة والسلام واشتد عليه الأمر.

أما نزول القرآن في آخر الأمر فقد كان ينزل بكثرة بعد أن استقر الإيمان وحصل الفهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمي الوحي وتتابع قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر القرآن نزل قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

سؤال:

ذكرتم في الحلقة السابقة أن إحدى الطرق التي يتلقى بها نبينا صلى الله عليه وسلم الوحي هي أن ينسلخ من طبيعته البشرية إلى الحالة الملائكية فيوحى إليه وأن هذه هي أشد الحالين سؤالي أليس هذا يا شيخنا من الأمور الغيبية وأنها لا تثبت إلا بدليل كما هو مذهب أهل السنة أرجو أن تبينوا لي هذه المسألة وجزاكم الله خيرا؟

أرجوا أني إن كنت عبرت بينسلخ فهي عبارة قد لا يكون صحيحة كلمة ينسلخ غير صحيحة لأن النبي صلى الله عليه وسلم باق على بشريته ولكن عندما يتعامل جنس مع جنس آخر مخالف الله مغاير الله في الطبيعية فإنه لا بد أن يكون هناك تغير في أحد الجنسين ليوافق الآخر إما أن يتغير الملك فيكون بشرا وهذه الحالة الثانية وإما أن يكون هناك تغيير لتتوافق الطبيعة البشرية مع الطبيعة الملكية وليس خروجا من الرسول صلى الله عليه وسلم من الطبيعة البشرية وإنما تهيئة له ليتلقى من جبريل عليه الصلاة والسلام فهذه التهيئة هي التي تشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلنا نغير العبارة إذا كنا قلنا ينسلخ يتهيأ لتلقي الوحي بأن تتغير بعض طبيعته حتى يتلقى الوحي من جبريل وليس في هذا قولا بغير علم، لأن هذا هو الواقع حقيقة حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى شدة فالعلماء يقولون هذه الشدة إنما هي بسبب أنه عليه الصلاة والسلام يتهيأ لملاقاة جبريل والتلقي عنه.

الحديث القدسي هو كلام الله فهل كان ينزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي ؟

نعم الحديث القدسي ينزل حد الجنسيين بوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم هذا الكلام في أول محاضراتنا في الأسبوع الماضي.

ذكرتم أن القرآن أكثر ما نزل خمس آيات خمس آيات ثم ذكرتم أن السلف الصالح كان لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلمونهن ويتعلموا معانيهن؟ فما السبب في تجاوز تعلم الخمس آيات إلى عشر آيات؟

نزل خمسا خمسا كما ورد في الروايات يعني خمسا بالغداة وخمسا بالعشي فكان الصحابة يتعلمون في اليوم ما مجموعه عشر آيات مثلا، خمسا بالغداة وخمسا بالعشي فيكون هذا والله أعلم باختلاف الآيات أو باختلاف مواعيد التعلم إن كانت خمسا بالصباح وخمسا بالعشي سار عشر آيات فيكون الراوي قد جمع وإن كان باختلاف الآيات فقد يكون أحيانا بعض الآيات قصيرة كآيات مثلا سورة الشعراء وغيرها من السورة التي آياتها قصيرة جدا ، وتكون بعض الآيات طويلة جدا، كآيات سورة البقرة وسورة النساء والمائدة، وغيرها من السور المعروفة بطول آياتها ، فهنا يتعلمون خمسا وهنا يتعلمون عشرا. والله أعلم.

ذكرتم في الدرس الماضي أن الوحي أنواع في الشرع وأنواع كذلك في اللغة حينما يقال انقطع الوحي العبارة الشائعة ، انقطع الوحي فهل يقصد كل أنواع الوحي أو الوحي الذي ينزل به جبريل فقط؟

المقصود به الوحي الذي ينزل به جبريل عليه الصلاة والسلام ، وهو يعني أفضل أنواع الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث أنس الرسول صلى الله عليه وسلم بجبريل عندما ينزل عليه لأن النبي كان يأنس بنزول جبريل عليه أنسا عظيما ولذلك كان جبريل ينزل في كل رمضان يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وكان رسول الله لشدة فرحه بملاقات جبريل ومدارسته إياه القرآن أجود ما يكون في رمضان، فكان جوادا عليه الصلاة والسلام جودا عظيما.

هل صحيح أن سورة الأنعام هي السورة الوحيدة التي أنزلت جملة واحدة ؟

هذا وردت به روايات أو بعض الأحاديث لكن في أسانيدها مقال، والعلماء الكاتبون في علوم القرآن الكريم كثيرا ما يذكرون هذا لكن الروايات الواردة في هذا الباب في ما أعلم لم يثبت منها شيء بإسناد صحيح، فيقولون إن سورة الأنعام هي السورة التي نزلت كاملة شيعتها الملائكة في ليلة واحدة، من السماء وهي السورة الواحدة من السور الطوال طبعا، أما الصور القصار يعني قصار السور كالفاتحة والمعوذات فقد ثبت نزولها مرة واحدة كلها كاملة على النبي صلى الله عليه وسلم وليس في ذلك إشكال أما بالنسبة للسور الطوال فإنه لم ينزل منها إلا سورة الأنعام كما يذكر ذلك العلماء الكاتبون في التفسير وفي علوم القرآن إلا أن الروايات في هذا لا ترقى إلى درجة الصحة.

جرت العادة أن نوجه سؤالين للإخوة الحاضرين والمتابعين كذلك

السؤالان اللذان نوجههما الحقيقة للإخوة.

السؤال الأول يقول:

ورد في النصوص أن مدة الوحي عشرون سنة وورد أنها ثلاث وعشرون سنة فكيف الجمع بينهما ؟

السؤال الثاني:

ما عدد الآيات التي ينزل بها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم غالبا؟

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل ، له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد.

فيا أيها الإخوة الكرام ، وأيتها الأخوات الكريمات ، أُحب قبل أن نبدأ درسنا هذه الليلة أن أذكر بأمر عظيم جداً ينبغي علينا التذكير به وهو أمر الإخلاص في طلب العلم الشرعي .

فإن من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا لينال به عرضا من عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة ، وإن عرفها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ، كما ثبت بذلك الحديثُ عن النبي -صلى الله عليه وسلم .

فعلى كل مسلم أن يصحح نيته في طلب العلم الشرعي ، وأن يخلص قصده لوجه الله ؛ لأن طلب العلم الشرعي من أعظم القربات ، وأجل الطاعات ، فعلى المسلم لكي يحصل الأجر من عند الله -جل وعلا- ويفوز بالدرجات العلى عليه أن يخلص قصده ويصحح نيته والله أسأل أن يعينني ويعينكم ويعين سائر إخواننا على ذلك فيما يأتون وما يذرون وما يتقربون به إلى رب العالمين .

ثم إنه قد جرت عادتنا أيها الأحبة بطرح سؤالين في خاتمة كل درس ، فنأتي إلى هذين السؤالين ونستمع إلى إجابتكم فيها ، ثم ننتقل بعد ذلك إلى مراجعة عامة إلى الدرس الماضي ، أما السؤالان اللذان طرحناهما في الدرس الماضي.

أسئلة الدرس الماضي والإجابة عليه

فالأول يقول: ورد في النصوص أن مدة الوحي عشرون سنة وورد أنها ثلاث وعشرون سنة فكيف نجمع بين هذين الرقمين؟ من يجيب؟

أولا: الإجابة لها وجهان الوجهه الأول: أنه من عادة العرب أنهم كانوا يهملون الكسر أما الوجه الثاني: أن بعض العلماء لم يحسب فترة فتور الوحي وفترة الرؤى المنامية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- التي امتدت لثلاثة سنوات.

أحسنت .

هذان جوابان ذكرهما أهل العلم :

الجواب الأول : كما ذكرت بارك الله فيك، وهو أن العرب كان من عادتهم إهمال الكسور فقد يذكرون العشرة ويريدون ، ومقصودهم اثنى عشر أو ثلاثة عشر أو غير ذلك .

والجواب الثاني : أن الرواية بذلك تحمل على إهمال المدة التي فتر فيها الوحي ، والمدة التي كان يرى النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها الرؤيا ، فتقع مثل فلق الصبح، فهذا قول وذاك قول في تخريج هذه القضية.

السؤال الثاني: ما عدد الآيات التي ينزل بها جبريل غالبا على النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

عدد الآيات التي تنزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خمساً خمساً، غالباً، وقد تنزل عشر.

نعم أحسنت .

لثبوت الحديث بذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولثبوت الحديث بذلك عن عمر -رضي الله تعالى عنه- وهو أنه كان يخبر أن جبريل ينزل بالقرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم- خمساً خمساً، ولذلك كانوا يوصون تلاميذهم من التابعين وغيرهم بأن يتعلموا القرآن خمساً خمساً ليفقهوه كما كان ينزل به جبريل -عليه السلام- على نبينا -عليه الصلاة والسلام-.

إذا أذنت لي يا شيخ نستعرض بعض إجابات الإخوة عبر الموقع.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إجابة السؤال الأول: الاختلاف في الأقوال مبني على مدة إقامته -صلى الله عليه وسلم- بمكة بعد النبوة فقيل بأنه مكث عشرة سنوات وقيل بأنه مكث ثلاثة عشر سنة ولم يختلف في مدة إقامته في المدينة أنها عشر .

نحن سؤالنا عن هذا أصلا وهو لماذا اختلفوا في ذكر العشر والثلاث عشر بل إن ابن عباس الذي روي عنه في صحيح البخاري أن النبي مكث بمكة ثلاثة عشر سنة أيضاً ورد عنه أنه مكث بمكة عشرة سنين فكيف نجمع بين الروايتين هو ما ذكرناه في سبيل الجمع مما ذكره أهل العلم.

الجمع بين القولين على طريقتين الأولى: أن القول أنه عاش عشرون سنة لأن العرب اعتادت على إلغاء الكسر كان قليلا من العشر سنين في مكة تقريبا وتعني ثلاث عشرة سنة وعشر في المدينة الثانية، أن مدة الوحي ثلاثة وعشرين سنة يطرح منها الرؤيا الصالحة ستة أشهر وفترة فتور الوحي سنتان ونصف، فتكون مدة الوحي الصريح عشرون سنة، عشر في مكة وعشر في المدينة

هذا جواب صحيح.

إجابة السؤال الآخر يقول: عدد الآيات التي ينزل بها جبريل غالبا من خمس إلى عشر آيات وإلا فإنه أحيانا ينزل بعض آية وأحيانا آية واحدة وأحيانا أخرى سورة كاملة والله أعلم.

نشكر الأخ جزاه الله خيرا على حسن متابعته ودقة إجابته فجزاه الله خيرا وبارك فيه وفي كل الإخوة الذين يتابعوننا في هذا البرنامج.

مراجعة الدرس السابق

نطرح الآن أسئلة نراجع بها الدرس السابق نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا للفهم وحسن القصد.

السؤال يقول: كيف تجمع بين قوله: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) [القدر: ١]، وقوله (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ) [الدخان: ٣]، وقوله (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) [البقرة: ١٨٥]، كيف نجمع بين هذه الآيات الثلاثة؟

تفضل يا أخي:

الجواب: أن ليلة القدر ليلة مباركة وهي في شهر رمضان.

أن ليلة القدر ليلة مباركة وهي في شهر رمضان فبهذا تكون كل آية من هذه الآيات ذَكَرَتْ وصفا من أوصاف هذه الليلة فسميت ليلة القدر ووصفت بأنها ليلة مباركة وليلة القدر تقع في شهر رمضان فتكون هذه الآيات متفقة ومجتمعة على شيء واحد وليس بينها اضطراب أو تباين.

السؤال الثاني: اذكر دليلا على نزول القرآن منجما؟ ذكرنا بالأمس أربعة أدلة تدل على نزول القرآن منجما، فاذكر واحدا من هذه الأدلة؟.

قوله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) [الإسراء: ١٠٦]، وقوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) [الفرقان: ٣٢]،

أحسنت .

هذان دليلان صريحان في القرآن الكريم يدلان على أن القرآن قد نُزِّل تنزيلا مفرقا أي منجما.

السؤال الثالث: ما أصح الأقوال في نزول القرآن ؟ بينا بالأمس أن العلماء أختلفوا في هذه المسألة على أربعة أقوال، وذكرنا أن أصح هذه الأقوال القول الأول فما هو القول الأول؟

أصح الأقوال هو قول ابن عباس أن القرآن نزل نزولين النزول الأول: هو نزوله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا أما النزول الثاني: فهو من الله -عز وجل- إلى رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- بواسطة جبريل.

وهذا قول ابن عباس -رضي الله عنهما- فالصحيح أن القرآن كان له نزولان النزول الأول من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا والنزول الثاني من الله ألقاه إلى جبريل وجبريل نزل به على النبي -صلى الله عليه وسلم- مفرقا على حسب الحوادث والوقائع وعلى حسب الحكم الربانية.

السؤال الأخير: ما حكمة نزول القرآن جملة إلى السماء الدنيا؟ ما هي الحكمة في نزول القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا؟ نعم.

الحكمة من ذلك عدة أمور، منها: شرف لهذا الكتاب العظيم، ومنها أنها شرف للنبي -صلى الله عليه وسلم- ومنها: إعلام أهل السماء بعلم الله -تبارك وتعالى- السابق

نعم أحسنت بارك الله فيك هذه إجابة صحيحة أيضاً.

فضيلة الشيخ نحن توقفنا في الدرس الماضي وبقي معنا محوران

نعم أحسنت.

إذاً نبدأ درسنا إن شاء الله هذا اليوم بذكر المحورين المتبقيين من الدرس الماضي ثم نواصل في درس جديد له صلة بالدرس الماضي ومناسبة ظاهرة، فأما ما وصلنا إليه فهو حكمة نزول القرآن منجما.

ما هي الحكمة من نزول القرآن مفرقا على حسب الحوادث والوقائع والحكم الربانية؟

قد ورد في القرآن الكريم ما يدل على هذه الحكمة ويبين الهدف والغاية من هذا الأمر .

فأول هذه الحكم: التي ذكرها العلماء مما أخذوه من القرآن الكريم تثبيت فؤاد النبي -صلى الله عليه وسلم- (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) [الفرقان: ٣٢]،

والمقصود بتثبيت فؤاده أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يلاقي من المشقة واللأواء في تبليغ هذه الدعوة ما يحتاج معه إلى التثبيت وإلى التسلية والتصبير حتى يقوم بهذا الجهد العظيم الذي حمله الله -سبحانه وتعالى- إياه فكان يحتاج إلى ما يثبته لأن أعداءه كثر لم يكن بمكة من يعينه عندما بدأ هذه الدعوة إلا زوجه ثم بدأ الناس يدخلون في دين الله فردا فردا فردا فردا، حتى تكاثروا وصاروا أمة بعد ذلك، فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- بحاجة إلى ما يثبته فكان نزول القرآن عليه آية بعد آية ومقطع بعد مقطع وسورة بعد سورة مما يثبت النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقوي عزيمته ويصبره على ما يلاقيه من هذه الشدائد العظيمة في تبليغ دعوته، وبذلك قال الله -سبحانه وتعالى- (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) [الفرقان: ٣٢].

الحكمة الثانية: تيسير حفظه وفهمه لأن المراد من إنزال هذا القرآن أن يحفظه الناس ويفهموا معانيه فلو نزل جملة واحدة لما أوقعوا هذه المعاني التي فيه على مراد الله -سبحانه وتعالى- وعلى ما ينبغي أن تقع عليه من المعنى فإذا نزل القرآن كل آية منه أو مجموعة آيات أو سور تنزل لتعالج قضية معينة مناسبة لما نزلت بسببه ، فإن ذلك أدعى إلى فهمها وإلى معرفة معنى تلك الآيات وإلى الاهتداء بهديه، ثم إن الناس أيضاً قد لا يحتملون أن يأتيهم كتاب كامل وآيات كثيرة لا عهد لهم بها دفعة واحدة، فإذا نزلت آية بعد آية ومقطع بعد مقطع ، وسورة بعد سورة كان ذلك أدعى لفهمهم ووعيهم وفقههم وعلمهم بمراد ربهم -سبحان الله.

الحكمة الثالثة: مسايرة الحوادث، الحوادث كثيرة التي تقع في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ويحتاج كل واحد منها إلى إجابة شافية، وإلى معرفة بمراد الله -سبحانه وتعالى- وما ينبغي أن يفعله المؤمن تجاه تلك الحادثة فكان القرآن ينزل نجما نجما وآية آية لكي يساير تلك الحوادث هذه الحوادث إما أن تكون أسئلة يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- مسألة فيحتاج إلى إجابة فيها فينتظر حتى ينزل عليه الوحي بإجابة ذلك السؤال، ولعلكم تعرفون في كتاب الله -سبحانه وتعالى- جملة من الأسئلة التي ذكرت صريحة في القرآن (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) [البقرة: ٢١٩]، (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ) [البقرة: ٢٢٠]، (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ) [البقرة: ٢٢٢]، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ) [الأنفال: ١]، إلى آخر من الآيات التي وردت في القرآن مبينة أن الصحابة كانوا يسألون مسائل فينزل القرآن وينزل الوحي بالإجابة عليها.

ومن ذلك أيضاً بيان حكم الله في المستجدات تجد أمور في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي واقع الأمة الإسلامية فتحتاج إلى من يبين لها حكم الله -سبحانه وتعالى- لا تنسون أو لا يخفى على شريف علمكم ما وقع من حادثة الإفك العظيمة التي زلزلت المدينة في وقتها، واختلط أمر الناس فيها، وأصبح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قلقا شديد القلق بشأنها فبقي الناس شهرا لا يدرون كيف المخرج من هذه القضية فأنزل الله -سبحانه وتعالى- آيات سور في النور التي فيها قول الله -سبحانه وتعالى- (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [النور: ١١]، فانظر إلى هذه الآيات لو نزلت قبل وقوع هذه الحادثة ما كان لها من الاعتبار وما كان لها من الفهم ، وما كان لها من النظر والأهمية مثل ما يكون بعدما تنزل أو بعد نزولها أو إذا نزلت بعد وقوع تلك الحادثة .

من ذلك أيضاً تنبيه الناس إلى أخطائهم الناس يخطئون في أمور كثيرة ويخالفون الصواب فيحتاجون إلى ما يصوب أخطائهم فتنزل الآيات بذلك، ومن ذلك أيضاً كشف حال المنافقين فإن المنافقين يحتاجون إلى ما يكشف حالهم وقد نزل في القرآن الكريم أكثر من خمسمائة آية كلها تتحدث عن أوصاف المنافقين وأخلاقهم ، وعن أحوالهم وعن مؤامراتهم وخدعهم وعن غير ذلك مما يحتاج المسلمون إلى معرفته من أحوالهم ما كان المسلمون ليعرفوا ذلك ولا ليفهموه حق فهمه إلا بعد نزول القرآن عندما تحدث من المنافقين مناسبات تدعوا إلى بيان ذلك بالوحي .

ومن ذلك أيضاً رد شبهات أهل الكتاب فأهل الكتاب كانوا يلقون بشبهات على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعلى المسلمين فكان القرآن ينزل ببيان هذه الشبهات وتجليتها وقول الحق فيها.

الحكمة الرابعة: من حكم نزول القرآن منجما التدرج في التشريع وتربية الأمة، إن نزول القرآن شيئاً فشيئاً متدرجاً لا شك أنه أفضل في تربية الأمة لأن الأمة قد لا تحتمل أن تنهى عن شيء أو تأمر بشيء دفعة واحدة

فكان القرآن ينتقل بها شيئا فشيئا من مرحلة كانوا عليها بعيدة جدا عن أمر الله -سبحانه وتعالى- أو عن نهيه إلى المرحلة التي يريدها الله -سبحانه وتعالى- بهذه الأمة ومن ذلك ما سنذكره إن شاء الله بعد قليل في أمر الخمر وفي أمر الربا وفي أمر الجهاد في سبيل الله وغيرها من شرائع الإسلام.

الحكمة الخامسة: استمرار التحدي ، كانت الآيات تنزل وفيها تحدي هؤلاء العرب فتصور لو أن القرآن نزل جملة واحدة لكان التحدي به مرةً واحدةً لكن (فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ) [هود: ١٣]، بحديث مثله ، بسورة من مثله بسورة مثله، مرة بعد مرة، ويذكر لهم هذا القرآن ويعاد عليهم ويكرر التحدي لهم فيكون ذلك أبلغ في تعجيزهم وبيان أن القرآن حق من عند الله.

الأخيرة من حكم نزل القرآن منجماً: بيان أن القرآن من عند الله -سبحانه وتعالى- كيف ذلك؟ إن أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء من البشر لو أنه أراد أن يتكلم بكلام لاختلف كلامه اليوم عن كلامه بالأمس ولاختلف كلامه في هذا العام عن كلامه في العام الأول، ولاختلف كلامه بعد كبر سنة عن كلامه عندما يكون في شبابه، ولكن القرآن عندما تنظر إليه في مدة ثلاث وعشرين سنة، تجده كتابا متشابها، في القوة والإحكام والبلاغة، والفصاحة ، والمتانة، وشدة الإحكام لا شك أن هذا يدل ويبين أن القرآن من عند الله -سبحانه وتعالى- وأنه ليس في طوق أحد من البشر أن يأتي بمثل هذا الكتاب .

فهذه ست حكم ذكرناها في نزول أو حكمة نزول القرآن منجما.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى الاستفادة من نزول القرآن منجما في مجال التربية والتعليم.

لا شك أن هذه الطريقة التي نزل بها القرآن تفيدنا كثيرا في تربيتنا لمن ندعوه ولطلابنا ولأبنائنا ولأهل بيوتنا أن نأخذهم إلى الحق شيئا فشيئا وأن نربيهم على الخير والفضيلة خطوة خطوة، وأن لا نأتي بهم جميعا فإن الإنسان إذا أمر بالخير كله دفعة واحدة نفر منه، وشرد، وصارت عنده رَدة فعل أما إذا ربي عليه شيئا فشيئا فإنه يقبله ويألفه ويلزمه بإذن الله -سبحانه وتعالى- ولذلك كانت عائشة تقول: « أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار فلما اطمأنت النفوس بالإسلام أنزل الله الحلال والحرام » فلو نزل لا تشربوا الخمر لما أطاعوا أبدا ولو نزل لا تزنوا لما أطاعوا أبدا ولما استقاموا على هذا الأمر وهو كلام من امرأة حكيمة وسيدة فاضلة عرفت الحكمة العظيمة التي تؤخذ من هذا المعنى الشريف في نزول القرآن منجما على أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-.

بهذا نكون أيها الأحبة قد ختمنا القول في موضوع نزول القرآن وننتقل بعده بإذن الله -جل وعلا- إلى موضوع متصل بهذا الموضوع.

وهو موضوع أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل.

ما مناسبة هذا الموضوع لما قبله؟

لا شك أننا عندما نتحدث عند نزول القرآن سيتبادر إلى أذهاننا سؤال ما هو أول شيء نزل من القرآن وما دمنا تحدثنا عن أول شيء نزل من القرآن فإن هذا يجر بالمناسبة الحديث عن آخر شيء نزل من القرآن وهذا هو موضوع درسنا في هذا اليوم فأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعيننا على تمامه وينفعنا به.

المسألة الثانية: هذا الموضع حقيقة يدل على شدة اعتناء الأمة بكتاب ربها فهذا القرآن من بين سائر الكتب التي أنزلت تكفل الله -سبحانه وتعالى- بحفظه وكان من حفظه أن هيأ الله -سبحانه وتعالى- هذه الأمة لتقوم بجهود عظيمة في ضبطه وحفظه ومعرفة كل ما يتصل به، حتى عدت حروفه، وعدت كلماته وأحزابه وسطوره وكل شيء يتصل به، وحفظت الأمة هذا القرآن كله، فلم يلتبس عليها منه شيء ولم ينقص أو يذهب عليهم منه شيء

وهذا من فضل الله -سبحانه وتعالى- على أمة محمد فانظر إلى الأمة النصرانية ماذا حصل لها؟ لقد وجدوا من نسخ الإنجيل أكثر من أربع وعشرين ألف نسخة ليس بينهما من مخطوطات الإنجيل أربع وعشرين ألف مخطوطة ليس من بينهما اثنتان متشابهتان، أما القرآن فانظر إلى القرآن في الصين وانظر إليه في المغرب الإسلامي وانظر إليه في شمال الكرة الأرضية أو في جنوبها هو قرآن واحد لا يستطيع أحد أن يزيد فيه حرف أو أن ينقص منه حرفا ومن ذلك مما يبرهن عليه ويدل عليه ويثبته هذا الموضوع الذي نتحدث عنه، وهو أول ما نزل من القرآن الكريم فكل شيء مضبوط في هذا الكتاب .

أول ما نزل وآخر ما نزل نوعان :

النوع الأول: أول ما نزل وآخر ما نزل على وجه الإطلاق يعني أول شيء مطلقا في القرآن وآخر شيء مطلقا هذا هو النوع الأول.

والنوع الثاني: أول ما نزل وآخر ما نزل في موضوع خاص.

مثلا أول ما نزل في باب الجهاد، أول ما نزل في باب الزكاة أول ما نزل في الصلاة أول ما نزل في الخمر أول ما نزل في الربا أول ما نزل في الزنا وهكذا آخر ما نزل في كل موضوع من هذه الموضوعات المذكورة .

إذاً فأول ما نزل وآخر ما نزل يتحدث العلماء فيه من جهتين أول ما نزل وآخر ما نزل مطلقا وأول ما نزل وآخر ما نزل في موضوع خاص.

فنأخذ أول ما نزل مطلقا :

نقول إن العلماء -رحمه الله تعالى- اختلفوا في أول ما نزلوا مطلقا على أربعة أقوال:

سنبين أن القول الأول فيها هو القول الراجح الذي لا محيد عنه وعليه جماهير العلماء بل لا يكاد يعرف أن أحدا أخذ بغيره من الأقوال واستقر الأمر على ذلك، وإن كان هناك من يقول بغيره من الأقوال إلا أن هذا ذهب وتلاشى ولم يبقى به قائل.

فالقول الأول أن أول ما نزل من القرآن صدر سورة إقرأ، الآيات الخمس منها، عندما نزل جبريل على النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو في غار حراء فقال اقرأ، قال: ما أنا بقارئ قال اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)) [العلق: ١- ٥]، ولعلنا نذكر رواية عائشة رضي الله تعالى عنها في صحيح البخاري التي حدثت بها في هذا الموضوع وهي أصرح ما يعرف في هذا الباب وأصوبه، تقول عائشة رضي الله تعالى عنها فيما رواه البخاري ومسلم: « أول ما بدء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد يعني يتحنث هو التعبد- فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلي أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣)) [العلق: ١- ٣] » في رواية البخاري وقعت مختصرة ذكر ثلاثة آيات وفي رواية مسلم وقعت كاملة فذكر خمس آيات قال: فرجع بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها، فقال: زملوني زملوني. الحديث .

فهذه الرواية صريحة في أن أول ما نزل من القرآن هو مطلع سورة العلق.

وهذا القول هو الذي عليه جماهير العلماء وهو الذي استقرت عليه الأمة بعد ذلك.

القول الثاني وهو قول عند التأمل نجد أنه يؤول إلى القول الأول وهو أن أول ما نزل من القرآن سورة المدثر وما كنا لنقول بذلك لولا أن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال به بناء على ما فهمه ولم يكن عنده علمٌ بحديث عائشة الذي حدثت به، فماذا قال جابر؟

روى مسلم في صحيحه قال يحيى بن أبي كثير سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: أي القرآن أنزل أولا قال: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر: ١]، فقلت: أنبئت أنه (اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق: ١]، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول، فقال: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر: ١]، فقلت لجابر: أنبئت أنه (اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق: ١]، فقال، لا أخبرك إلا بما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت فاستقبطنت الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض -انتبه إلى قوله فإذا هو يشير إلى من؟ يشير إلى جبريل، يعني كأنه شيء آخر قد ذكر في حديث سابق لم يعلمه جابر رضي الله عنه - قال: فأتيت خديجة فقلت دسروني وصبوي علي ماءً بارداً وأنزل علي (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)) [المدثر: ١- ٣]، إن هذه الرواية تشير إشارة لطيفة إلى أن جابراً إنما حدَّث بما يعلم ولم يكن يعلم عما حدثت به عائشة رضي الله تعالى عنها مما هو صريح في هذا الباب .

ومما يؤكد أن القرآن نزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- أو أن الوحي نزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- باقرأ قبل يا أيها المدثر الرواية الأخرى من حديث جابر حيث يقول (بينا إذ أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض) فإذا الملك الذي جاءني بحراء هذا واضح في أن جبريل قد جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل ذلك وأنزل عليه شيئا قبل هذا الأمر فرعبت منه، فرجعت فقلت زملوني زملوني، فأنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢)) [المدثر: ١، ٢]، إلى قوله (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)) [المدثر: ٥]، فحمي الوحي وتتابع.

إذاً لا مجال للشك في أن أول ما نزل من القرآن هو صدر سورة (اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) [العلق: ١]، أي الآيات الخمس الأُوَل من هذه السورة، وأما (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر: ١]، فهي نزلت بعد ذلك .

ولذلك العلماء يقولون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نُبئَ باقرأ، يعني كانت نبوته بسورة اقرأ، لأن الوحي نزل عليه بها، وأرسل بأي شيء ؟بـ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر: ١]، لأن الله قال له: (قُمْ فَأَنذِرْ (٢)) [المدثر: ١، ٢]، فهذه أمر له بأن يبلغ ، وتعلمون أن الرسول هو من أمر بتبليغ الشرع الذي أوحي إليه.

هذان قولان هما يعني أكثر الأقوال قوة، وهناك قولان آخران لكنهما ضعيفان وذلك بسبب أن الروايات التي اعتمد عليها القولان أقوال ضعيفة لا يحتج بها .

فمنهم من قال: أن أول ما نزل سورة الفاتحة وهذا غير صحيح بل باطل قطعا.

والقول الرابع أن أول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم وهذا أيضاً قول غير صحيح، وليس هناك من الأدلة الصحيحة ما يثبته أو يدعمه، أو يقوم مقام حديث عائشة الصحيحة الصريح في هذه المسألة.

إذا أذنت لي يا شيخ هل لأول ما نزل من القرآن مزية على غيره؟ أعتقد بعض الناس يفضل الآيات الأولى من القرآن

لا ، ليس لها مزية ، نحن لا نستطيع أن نثبت مزية أو فضيلة لآية أو سورة من كتاب الله -سبحانه وتعالى- إلا بتوقيف لأن هذا شرع، وهذا تعبد فلا ينبغي لنا أن نثبت فضيلة إلا بوحي .

ولذلك بعض الناس الآن يكثرون من قراءة سورة يس على اعتبار أن هذه السورة لها فضيلة وأنه وردت أحاديث بأنها مثلا قلب القرآن وكل هذه الأحاديث الواردة في فضيلة سورة يس أحاديث ضعيفة، لا ليس بها بحجة فنقول ليس لسورة يس فضيلة عن سائر سور القرآن بل فضيلتها كفضيلة سائر القرآن الكريم فلا ينبغي إثبات فضيلة لسورة أو آية إلا بحجة .

لكن نحن نقول هذا في أول ما نزل من القرآن، ليَبِيْن لنا كيف نزل القرآن أولا، وكيف ضبط، وسنبين بعد قليل إن شاء الله تعالى الفوائد التي نستفيدها من معرفة أولَ ما نزل وآخر ما نزل.

أما آخر ما نزل مطلقا:

ففيه أقوال كثيرة، وسبب كثرة الأقوال فيه هو أن كل واحد من الأصحاب حدث بما علم، لم يسمع النبي -صلى الله عليه وسلم- أو لم يطلع على أن الوحي نزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- بشيء غير الذي سمعه فحدث بالذي سمعه، فمن أجل ذلك كثرت الأقوال في بيان آخر ما نزل من القرآن الكريم هذا هو السبب في كثرة الأقوال حتى بلغت أكثر من تسع أقوال، تسعة أقوال في آخر ما نزل مطلقاً من القرآن الكريم، فدعونا نستعرض أهم هذه الأقوال بإذن الله -جل وعلا-.

القول الأول: أن آخر ما نزل من القرآن آية الربا .

وبه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وابن عباس وأبو سعيد الخدري والزهري من علماء التابعين وغيرهم من العلماء الذين رجحوا هذا القول كابن حجر، والسيوطي وغيرهم من الأئمة، فإنهم يقولون : إن آية الربا أو آيات الربا التي في آخر سورة البقرة، وهي قول الله -سبحانه وتعالى- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ (٢٨٠)) [البقرة: ٢٧٨- ٢٨٠]، إلى آخر الآيات يقولون إن هذه آخر القرآن عهداً بالله -سبحانه وتعالى- يعني أنها آخر ما نزل من القرآن الكريم.

القول الثاني في المسألة قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [البقرة: ٢٨١] .

وهي الآية التي تلي آيات الربا تلك حيث يقول الله -سبحانه وتعالى- (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (٢٨١)) [البقرة: ٢٨٠، ٢٨١]، فيرى أهل هذا القول أن قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [البقرة: ٢٨١]، آخر آية أنزلت على النبي -صلى الله عليه وسلم ، بل يقول سعيد بن جبر: لم يكن بينها وبين موت النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا تسع ليال وقد ثبت القول بآخريتها عن ابن عباس وعن جماعة من السلف منهم، السدي، العوفي ، وعكرمة، وغالب تلاميذ، ابن عباس كانوا يقولون بهذا القول.

القول الثالث: أنها آية الدين .

وبه قال الذهري وابن المسيب يرون أن آية الدين آخر ما نزلت .

عندما تتأمل هذه الأقوال الثلاثة، تجد أنها جميعا في موضع واحد ولذلك نحن نقول :

إن هذا الموضع كله هو آخر ما نزل من القرآن لأن غالب الصحابة والتابعين نصوا على هذا الموطن وإنما ذكر بعضهم أوله، وذكر بعضهم آخره، فتجد أن آية الدين والآية التي قبله وهي (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ

) [البقرة: ٢٨١]، والآيات التي قبل هذه الآية وهي: آيات تحريم الربا كلها في مقطع واحد مما يدل على أن هذه الآيات كلها هي آخر ما نزل من كتاب الله -سبحانه وتعالى .

وفيه مناسبة وبذلك جماعة من أهل العلم يرون أن قوله (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [البقرة: ٢٨١]، هي أنسب ما ينبغي أن يقال أنها آخر آية لأن فيها تذكيراً بتقوى الله -سبحانه وتعالى- الذي هو جماع الدين وتذكير بالبعث والجزاء والنشور والرجعة إلى الله -سبحانه وتعالى ، هذه الأقوال الثلاثة هي أهم الأقوال في المسألة .

ثم نشير إلى بقية الأقوال لنبين أن كل من قال إن آخر آية أو سورة نزلت إنما يريد آخرية مقيدة ولعلنا بالمثال ندلل على هذا المقال .

فالقول الرابع في المسألة أن آية الكلالة التي في آخر سورة النساء، وهي قوله (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ) [النساء: ١٧٦]، إلى آخر الآية أنها آخر ما نزل وبهذا قال البراء بن عازب -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- فنقول : هذه الآية هي آخر ما نزل بالنسبة لآيات المواريث، وإلا فقد ثبت عن الصحابة ما يدل ويبين أن آخر ما نزل هي آيات الربا وآخرها (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [البقرة: ٢٨١].

القول الخامس في هذه المسألة قول من قال: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً (٩٣)) [النساء: ٩٣]، فهذه الآية ورد عن ابن عباس أنها آخر آية قال سعيد بن جبير: أشكلت آية القتل على أهل الكوفة فرحلت إلى ابن عباس أسأله عنها فلما جئته قلت له ما تقول في هذا فقال: إن آخر آية نزلت (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا) [النساء: ٩٣]، قلت ما تقول في قول الله -سبحانه وتعالى- (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ) [الفرقان: ٦٨]، وقال بعدها إلا من تاب فقال هذه نزلت في مكة وتلك نزلت في المدينة وقد نسختها ولم ينزل بعدها شيء، ففهم منه بعض العلماء أن قوله ولم ينزل بعدها شيء، أنها آخر آية نزلت في القرآن وإنما مراد ابن عباس -رضي الله عنهما- أنها آخر آية نزلت في موضوع القتل العمد، وليست آخر آية نزلت مطلقا من القرآن الكريم.

السادس: الآيتان الأخيرتان من سورة التوبة: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) [التوبة: ١٢٨] .

وهذا قال به أبي بن كعب -رضي الله تعالى عنه- فإن الصحابة لما كانوا يكتبون القرآن فوصلوا إلى الآيات الأخيرة من سورة التوبة قال لهم أُبَيٌّ : عندي آخر آيتين نزلت من القرآن وإنما يعني بذلك -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- آخر آيتين أنزلت في هذه السورة.

القول السابع: قول الله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ) [آل عمران: ١٩٥] .

وهذا قالت به أم سلمة -رضي الله تعالى عنها- والمتأمل لحديثها يعلم أنها لم ترد بها آخر آية أنزلت من القرآن وإنما المقصود، آخر آية نزلت في موضوع ذكر النساء والرجال، لأنها قالت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- شاكيتا، « مالي أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء » فأنزل الله -سبحانه وتعالى- قوله: (إِنَّ المُسْلِمِينَ

وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) [الأحزاب: ٣٥]، وأنزل أيضاً آية أخرى في هذا الباب: (وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ) [النساء: ٣٢]، ثم قالت وأنزل الله -سبحانه وتعالى- (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى) [آل عمران: ١٩٥]، وهذا آخر ما أنزل يعني: في ذكر النساء مع الرجال في أمر الشرع.

إذاً أيها الأحبة هذه أقوال قد ذكرت فيها آخرية لكن هذه الآخرية تحمل على أمر مقيد، وإنما كثرنا بذكر هذه الأقوال لئلا يظن أحد منكم أيها الإخوة الحاضرون والإخوة المشاهدون والأخوات المشاهدات عندما يقرأ في تفاسير القرآن الكريم أن هذه الآية آخر ما أنزلت ويكون الحديث بذلك صحيحاً أن يظن أن هذه الآخرية آخرية مطلقة، بل إنما تحمل على آخرية مقيدة.

إشكال وجوابه

لدي بعد هذا أيها الأحبة إشكال قد يقع في قلب الواحد منا، وهي كيف يقول آخر ما أنزل آيات الربا وقوله تعالى (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) [البقرة:٢٨١]، وهناك آية تشعر بألفاظها بأنها آخر ما أنزل من القرآن الكريم وهي قول الله -سبحانه وتعالى- (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) [المائدة: ٣]، هذه الآية تشعر بلفظها أن الدين قد كمل وأن الإسلام تم وأنه لا ينزل قرآن بعد هذه الآية فما هو جواب هذا الإشكال؟

الحقيقة أن العلماء -رحمه الله تعالى- ذكروا جوابا لهذا بَيِّنَاً فقالوا: إن قوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة: ٣]، يحمل الدين هنا على الحج، يعني أكمل الله لنا الحج، وقال آخرون (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة: ٣]، أنه لن ينزل شيء من الشرائع والأوامر والنواهي بعد هذه الآية وهذا قول فيه ما فيه.

القول الثالث : وهو الذي رجحه الطبري -رحمه الله تعالى-، قال: إن قوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) [المائدة: ٣]، المقصود بإكمال الدين يعني ظهور الإسلام، ورفعة هذا الدين حتى إن المسلمين يحجون ذلك العام وليس معهم مشرك لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- في العام الذي قبله قد بعث من أصحابه من ينذر المشركين أن لا يحجوا بعد ذلك العام، فلم يحج مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مشرك واحد فكان ذلك هو كمال الدين وتمامه وتمام النعمة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعلى أصحابه وليس معنى ذلك ألا ينزل بعد هذه الآية قرآن أو ألا يكون بعدها أمر أو نهي هذا جواب هذا الإشكال الذي قد يرد على قلب طالب العلم والله -سبحانه وتعالى- أعلى وأعلم.

أستأذنك في أن نستعرض مجموعة من الأسئلة عبر الموقع

سؤال

هل علم أوقات نزول الآيات جميعا أي هل سجل تاريخ نزول كل آية أو سورة متى وأين وهل هناك كتاب جامع لهذه الأشياء؟

أجاب فضيلة الشيخ

الصحابة كما بينا في الدروس الماضية عنوا بهذا الأمر عناية شديدة حتى قال ابن مسعود: « إني لأعلم كل آية أين نزلت ومتى نزلت ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله -سبحان الله- تضرب إليه أكباد الإبل لرحلت إليه »، وعلي بن أبي طالب ورد عنه قريب من هذا القول لكن هذا لم يوجد بتمامه وكماله ولم ينقل للأمة لأن الفائدة فيه ليست قوية لكن العلماء يعلمون منه ما يهمنا في اتباع أمر الله والعمل بأحكام القرآن الكريم في مثل موضوع الناسخ والمنسوخ فإنهم يعلمون أول ما نزل منه كتاب الله -سبحانه وتعالى- في موضوعات معينة، وآخر ما نزل

منه في تلك الموضوعات، وهذا ضبط لأحكام القرآن حتى لا تلتبس على المؤمنين ، أما أن يعلم كل آية أين نزلت ومتى نزلت فهذا غير معلوم قطعا، في كل القرآن لكن يعلم بعضه، مثلا آية الكلالة قال: أينك عن آية الصيف (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلالَةِ) [النساء: ١٦٧]، فهذه آية نزلت في الصيف لكن أي صيف لا يدرى.

سؤال

تقول الأخت الكريمة: هل الرسول -صلى الله عليه وسلم- يخبر أصحابه عند نزول الآية وله كان يعلق عليها مباشرة؟

أجاب فضيلة الشيخ

نعم، ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يوحى إليه بآية إلا يباشر -عليه الصلاة والسلام- بتبليغها الأمة، لأنه كان مأموراً بهذا البلاغ فكان النبي –صلى الله عليه وسلم- حريصاً على أن يبلغ الأمة القرآن أولا بأول، ولذلك عندما ينزل عليه الوحي يأمر الكتبة بأن يكتبوا له وقد كان كتاب الوحي أكثر من عشرين كاتباً، لكن أشهرهم في الكتابة زيد بن ثابت، -رضي الله تعالى عنه- وأبي بن كعب وعثمان بن عفان، وغيرهم من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا نزلت الآية أمرهم بكتابتها ثم أخبر المؤمنين بها فحفظوها وتناقلوها وأصبح كل واحد منهم مكلفا بأن يبلغها لمن يراه من المؤمنين قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : (بلغوا عني ولو آية) فكان كل واحد من أصحاب رسول الله يجد نفسه مسئولاً مع كل آية أن يبلغها إلى من يعلم من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى يعلم الناس كتاب الله وكلامه، وكان إذا أشكل عليهم شيء سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما نزل قول الله -عز وجل- (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)) [الأنعام: ٨٢]، قالوا يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه فقال -عليه الصلاة والسلام-: ليس هو ما تقولون ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣]، ففسر الظلم في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) بالظلم في قوله تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

سؤال

السؤال الأول: ما هو المشيع في القرآن؟ هل صحيح أن سورة الأنعام نزلت كاملة؟

السؤال الثاني: ما المراد بالملهمات في القرآن الكريم؟

والسؤال الثالث: هل المرحلة الأخيرة من مراحل جهاد الأربع ناسخة للمراحل التي قبلها؟

أجاب فضيلة الشيخ

المشيع نوع من أنواع علوم القرآن مما يذكر في نزول القرآن لأن العلماء يذكرون في نزول القرآن الصيفي والشتائي والليلي والنهاري، ومما يذكرونه أيضاً المشيع، يقصدون بذلك ما نزل مشيعا بالملائكة، يعني نزل معه ملائكة من السماء يشيعونه، كما يشيع الضيف، أو يشيع الشريف والوجيه من قومه، فهذا هو المشيع، وقد قيل إن من المشيع سورة الأنعام وقيل إن من المشيع سورة الفاتحة، وأيضا عدداً من السور ، لكنني لم أرى إسناداً صحيحا لأي من هذه المشيعات .

ومن ذلك سؤالها الذي يليه قولها سورة الأنعام هل نزلت من السماء ومع سبعون ألف ملك ؟ في حلقة الأمس سألت إحدى الأخوات هذا السؤال والحقيقة أن الأحاديث الواردة في نزول سورة الأنعام كاملة لا تصح صرح بذلك أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله وهو من علماء الحديث بأنه لا يوجد لهذا إسناد صحيح، بل الأدلة تدل على أن سورة الأنعام نزلت مفرقة لأن بعض آياتها قد قيل إنها مدنية، وليست مكية، فالصحيح أن سورة الأنعام سورة لم تنزل كاملة أو لم يثبت أنها نزلت كاملة وهي من أمثلة المشيع كما ذكرنا قبل قليل عند من يثبت الحديث الوارد فيها .

أما سؤالها عن المبهمات فهو علم من علوم القرآن وقد أفردت فيه مصنفات كثيرة، منها كتاب للإمام السيوطي -رحمه الله تعالى- مشهور ومطبوع، اسمه (مُفْحِمَاتُ الأقران في مُبْهَمَات القرآن) والمقصود بالمبهمات كل أمر ذكر في القرآن مبهما لم يحدد صاحبه أو فاعله أو مكانه أو زمانه أو غير ذلك، فمثلا من المبهمات في القرآن الشجرة التي أكل منها آدم، من المبهمات في القرآن اسم الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف من المبهمات في القرآن مكان الكهف، هذا مثال لهذه المبهمات وغالب المبهمات أيها الأخوة غالبها لا أقول كلها، مما معرفته لا تعني المسلم ولا ينبغي للإنسان أن يجهد نفسه في البحث عنها لأنه لو كان في العلم بها خير لأخبرنا الله -سبحانه وتعالى- بها ودلنا عليها فلا ينبغي للإنسان أن يجهد نفسه في السؤال عنها ولا في بحثها فعلى المسلم أن يطوي صفحا عن الشيء الذي طوى عنه القرآن وأعرض عنه ، فهذا هو علم المبهمات .

المرحلة الأخيرة في آيات الجهاد لعلنا -إن شاء الله- نذكرها بعد قليل، لعلنا نأتي إليها بعد ذكر الخمر والربا نأتي إلى ذكر مراحل الجهاد إن كان في الوقت بقية ونذكر هذه القضية -إن شاء الله- بشيء من التفصيل.

سؤال

السلام عليكم ذكرتم أن نزل وتنزيل بمعنى أن القرآن نزل مفرق، أما أنزل في أن القرآن نزل جملة واحدة لكن ورد في قوله تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) [الفرقان: ٣٢]، أن هل لو أنزل عليه القرآن جملة واحدة فهنا أراد قال نزل وجملة واحد فهذا معناه نزل تنزيل ممكن تستحضر بالمفرق والمجمل؟

أجاب فضية الشيخ

أما سؤال الأخت، فهو عن أنزل ونزل نقول إن نزل فيها هذه الدلالة لكنها لا تعني أن كل موضع جاءت فيه فهي دالة على التفريق والتنجيم، ليس كذلك، بل يمكن أن ينزل مثلا في قوال الله -سبحانه وتعالى- في سورة آل عمران: قال: (الـم (١) اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ (٤)) [آل عمران: ١- ٤]، فقال في أول الآيات نزل ثم قال وأنزل هذا باعتبار وهذا باعتبار نزل باعتبار أنه نزل مفرقا وأنزل باعتبار نزوله كاملا بعد أن تم وكمل ، لكن هذه العبارة عندما وردت في مواطن كثيرة أوحت بهذا المعنى الذي يدل على التفريق والتنجيب.

سؤال

ما هو مصدر تلقي أولية أو آخرية النزول؟ وهل ممكن أن نأخذه من فضائل النزول أو فضائل القرآن التي ألفت في ذلك؟

أجاب فضيلة الشيخ

مصدر تلقي أول ما نزل وآخر ما نزل هو كلام الصحابة رضي الله تعالى عنه مما غالبه له حكم المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فهذه الأحاديث التي تلوناها حديث عائشة وحديث جابر وغيرها من الأحاديث هي المصدر في ذلك فالأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا ووافرة ومنها يتلقى مثل هذا الأمر، ليس هناك شيء آخر يقال في هذا أكثر من هذا الذي ذكرناه قبل قليل.

سؤال

كيف ضبطت مواضع مثل المقطوع والموصول والتاء المفتوحة والتاء المربوطة في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- وهو كان أمي مثل مثلا التاء من كلمة نامت أو رحمت كيف ضبطها كتاب الوحي؟ هذا الموضوع مشكل علي أرجو الإيضاح؟

أجاب فضيلة الشيخ

بالنسبة لسؤال الأخت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أميا ومع ذلك كتاب الوحي كانوا يكتبون القرآن بصفات مختلفة، نقول نعم: القرآن لما نزل نزل بلغات العرب وعلى الأحرف السبعة وكان الصحابة يكتبونه بالصورة التي ينطق بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فما كان يوقف عليه بالتاء كتبوه بالتاء المفتوحة وما يوقف عليه بالهاء كتبوه بالتاء المربوطة، هذا يقرأ وهذا يقرأ بهذا، وينبغي اتباع رسم المصحف لأن رسمه كان عن علم من هؤلاء الصحابة وبصر منهم نافذ وهم الذين تلقوا الوحي من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وترجموه إلى رسم مكتوب وكتبوا ما يعلمون أنه موافق باللفظ ولذلك نجدهم مثلا في كلمة امرأة أو كلمة شجرة أو كلمة لعنة أو رحمة وغيرها من الكلمات المعروفة مرة يكتوبنها بالهاء ومرة يكتبونها بالتاء فإذا كتبت بالتاء وجب الوقوف عليها بالتاء المفتوحة وإذا كتبت بالتاء المربوطة وجب الوقوف عليها بالهاء اتباعا لرسم المصحف لأن الصحابة لا يكتبون شيئا إلا عن علم وبَيِّنة ، فهم ترجموا ألفاظ النبي -صلى الله عليه وسلم- التي نطق بها إلى هذه الطريقة .

ثم نبين للأخت أنه ما كتب بهذه الصورة أو بهذه الصورة فكله من لغات العرب مثلا (رحمة) يوقف عليها بالتاء في لغة العرب المفتوحة ويوقف عليها بالهاء ، لكن يجب على المسلم التزام المواضع التي وردت بالتاء المفتوحة بأن يقرأها بالتاء المفتوحة والتزام المواضع التي وردت بالهاء يقرأها بالهاء اتباعاً لنزول الوحي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وليس له الحق في أن يزيد هنا أو يدع هنا .

ولعلي أضرب على ذلك بمثال في قوله ملك، ملك وردت في القرآن ثلاث مرات، (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الفاتحة: ٤]، (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ) [آل عمران: ٢٦]، مالك و(مَلِكِ النَّاسِ) [الناس: ٢]، هذه المواطن الثلاثة تأملوا معي كُتِبَت برسم واحد في القرآن الكريم كتبت برسم واحد في القرآن الكريم لكنها في سورة الفاتحة كتبت ملك ووضع فوق الميم ألف، ليدل على أنها تقرأ ملك وتقرأ مالك، وفي سورة آل عمران، لا تقرأ إلا بقراءة واحدة مع أن الرسم واحد (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاءُ) وفي سورة الناس تكتبت بنفس الرسم ولا تقرأ إلا بقراءة واحدة (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣)) [الناس: ١- ٣] .

وهذا يدلنا على أن رسم المصحف أيضاً لا يكفي في تلقي القرآن بل لابد أن تكون معه الرواية المسندة الصحيحة ليتعاضد الرواية مع الكتابة والله أعلم.

سؤال

ما الضابط في كتابة الآيات الكريمة ، خاصة وأن الملقي أو المصدر -صلى الله عليه وسلم- أميا هذا هو الإشكال؟

أجاب فضيلة الشيخ

هو أن القرآن نزل بحروف سبعة أنزل الله -سبحانه وتعالى- رحمة بهذه الأمة ليكون خفيفا على هذه الأمة الأمية لأنها لم تكن لتطاوعها ألسنتها لتنطق بحرف واحد أو لهجة واحدة، فأنزل الله -سبحانه وتعالى- هذا القرآن مختلفا هذا الاختلاف لكنه اختلاف ليس متضادا أو متضاربا وإنما اختلاف يقع في نواحي معينة، سنذكرها -إن شاء الله- عندما نأتي إلى موضوع الأحرف السبعة .

فكان الصحابة يكتبونه على اختلاف هذه الأحرف فمثلا في سورة البقرة التابوت اختلف زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- مع عثمان بن عفان في كتابة التابوت فزيد يرى أن يكتب بالهاء وعثمان يرى أن يكتب بالتاء ولابد أن يُحسم الخلاف في هذه القضية فقال عثمان: بل اكتبه على لغة قريش فإنهم أفصح العرب يعني أن قريشا كانت تقول التابوت ولا تقول التابوه.

سؤال

ماذا عن سورة النصر؟

اجاب فضيلة الشيخ

هذه ستأتينا -إن شاء الله- بعد قليل في معرفة آخر سورة نزلت من القرآن وما دام أن الأخت قد ذكرت هذا السؤال فنحن نبينه .

آخر سورة نزلت من القرآن على الصحيح هي (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) [الفتح: ١]، وموضوعها يدل على ذلك، أما آخر آية فهي الآية التي ذكرناها وهي آية الربا (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) [البقرة: ٢٨١]، وبهذا قال ابن عباس وقبله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عن الجميع، وأما حديث أن آخر سورة نزلت حديث البراء بن عازب أن آخر سورة نزلت هي سورة التوبة، فإن هذا محمول على آخرية محددة وهي آخر سورة نزلت من الطوال عند البراء بن عازب -رضي الله تعالى عنه-.

سؤال

هل الكتب السابقة حرفت تحريفا بالكلمات أم بالمعنى؟ هي لا شك كلام الله فكيف لا نجمع بينهما ؟ فهناك لبث في هذا الأمر فابن كثير يقول لا يكون التحريف بالكلام مطلقا ولكن نرى الكتب قد حرفت وأصبحت كثيرة؟

أجاب فضيلة الشيخ

أنا لم أفهم الفرق حقيقة بين قولها بالكلمات أو بالمعنى، هل تقصد حرفت ألفاظها دون معانيها أو معانيها دون ألفاظها .

الحاصل أنه وقع فيها تحريف ، هذه الكتب وقع فيها تحريف في الألفاظ وفي المعاني وأنها لم تسلم من عبس العابسين بالزيادة أو بالنقص يدل على ذلك الواقع الذي هي عليه، الواقع التي عليه هذه الكتب، لكن لا يجوز لأحدٍ أن يقول كل ما في هذه الكتب باطل وليس من كلام الله -سبحانه وتعالى- فإن فيها من كلام الله -سبحانه وتعالى- ما فيها، إلا أنه قد دخله التحريف كما بين ذلك أهل العلم وفصلوه كما ذكر ذلك شيخ الإسلام في الجواب الصحيح في من بدل دين المسيح وذكره أيضاً ابن القيم في هداية الحيارى وغيرهم من أهل العلم .

سؤال

هل عندما كانت تنزل سورة من القرآن على رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ما تزل سورة أخرى حتى تتم السورة السابقة؟

أجابة فضيلة الشيخ

لا، لا أيتها الأخت كانت تنزل الآية فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم- ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وضعوا هذه الآية التي يذكر فيها كذا وكذا، فهذا يدل على أن الآيات كانت تنزل مفرقة وأن بعض السور لم تكن مكتملة.

سورة الأحزاب كان الصحابة يعدونها في أطول من سورة البقرة، ثم ذهب كثير منها بالنسخ والتقديم والتأخير الذي يحصل فيها.

سؤال

ما المقصود بالمفصل وقصار المفصل؟

أجاب فضيلة الشيخ

المفصل المقصود به ما كثرت فواصله، وهو على الصحيح من أقوال أهل العلم من سورة ق إلى آخر القرآن، وهو ثلاثة أقسام:

طوال المفصل من سورة ق إلى سورة النبأ، وأوساط المفصل، من سورة النبأ إلى الضحى، وقصار المفصل من الضحى إلى سورة الناس.

سؤال

هل ترتيب السور بهذه الصورة في المصحف من قبل الرسول -صلى الله عليه وسلم- أم من ترتيب الصحابة الذين جمعوا؟

أجاب فضيلة الشيخ

سيأتينا تفصيل هذا الموضع -إن شاء الله- في درس قادم ولكن مع ذلك نعجل لكي شيئا من الإجابة الصحيح من قول أهل العلم في هذه المسألة أن هذا الترتيب ترتيب توقيفي وسندلل عليه بما يثبته ويؤكده -إن شاء الله-.

سؤال

قرأت أن أول ما نزل من القرآن اقرأ ثم المزمل، ثم المدثر، وارتبطت الدعوة بذلك، فتكون بدايتها علم ثم عبادة ثم إنذار فما مدى صحة هذا؟

أجاب فضيلة الشيخ

الذي يظهر والله أعلم أن أول ما نزل بعد اقرأ المدثر لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر فيها بالنذارة ثم المزمل، والعلم في ذلك عند الله -سبحانه وتعالى-.

سؤال

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هل القول بأن جبريل نزل القرآن على رسولنا من بيت العزة يترتب عليه استلزامات باطلة تقدح في العقيدة؟

أجاب فضيلة الشيخ

نعم يترتب عليه أن جبريل لم يتلق الوحي من الله -سبحانه وتعالى- ونبطل بذلك النصوص الواردة والواقع الذي كان عليه الوحي فإن الله -سبحانه وتعالى- كان يتكلم بالوحي ويلقيه على جبريل -عليه الصلاة والسلام- ثم ينزل به جبريل على النبي -صلى الله عليه وسلم- ونزوله إلى السماء الدنيا أو إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء

الدنيا قد بينا حكمته بيانا واضحا وأنه لم يكن المقصود منه أن يأتي جبريل ليأخذ الآيات المعينة فينزل بها، إنما كان جبريل يأخذها من الله -سبحانه وتعالى- أو يتلقاها من الله -سبحانه وتعالى- بعد أن يوحها الله إليه.

سؤال

هل كان الصحابة رضوان الله عليهم يعرفون هذا العلم؟

أي علم؟

علوم القرآن

أجاب فضيلة الشيخ

نعم كانت علوم القرآن من أهم العلوم التي كانوا يعنون بها ولا أدل على ذلك من تلك الروايات الكثيرة التي نذكرها في كل باب من أبواب علوم القرآن أول ما نزل وآخر ما نزل فيه ما يزيد على ثلاثين أو أربعين رواية عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الناسخ والمنسوخ أسباب النزول، غيرها من علوم القرآن كلها كانت مأثورة ومأخوذة من علوم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وليست بدعا من القول.

سؤال

نرجو من فضيلة الشيخ توضيح القولين الثامن والتاسع في آخر ما نزل من القرآن مطلقا،

موجود في الموقع؟.

أحاب فضيلة الشيخ

ممكن للأخت أن ترجع للموقع حتى لا يتكرر كثير مما نذكره في الدرس.

سؤال

لقد اعتاد البعض قراءة آيات وسور حسب اعتقادهم في مناسبات مخصوصة مثل قراءة سورة يس على المحتضر وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة عند زيارة القبور، فهل لهذا العمل وجه شرعي؟

أجاب فضيلة الشيخ

قراءة شيء من القرآن الكريم في مناسبة معينة لم يرد الشرع بتلك المناسبة لا شك أن هذا من التعبد لله -عز وجل- بما لم يشرعه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خصوصا إذا التزمه الإنسان وجعل له من القدر مثل ما للسنة الواردة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فإن هذا يكون من البدع لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) فعليه ينبغي للإنسان أن لا يقرأ آية أو سورة في مناسبة معينة ويلتزم ذلك باعتقاده أن هذه الآية يشرع قراءتها في تلك المناسبة، فإن هذا من البدع، ومن ذلك يعني مثلا، قراءة مثلا سورة يس في أوقات معينة أو في أحوال محددة أما قراءتها عند المحتضر فقد ورد فيه حديث اختلف فيه أهل العلم منهم من ضعفه ومنهم من حسنه، فمن حسنه رأى استحباب قراءة هذه السورة عند المحتضر قالوا ليسهل نزع الروح منه، فعليه لا يقال في حق هؤلاء إنهم قد ابتدعوا لأن لكلامهم قصدا لكن إن قلنا إن الحديث ضعيف وهو الذي عليه كثير من أهل العلم من أهل الحديث فإنما نقول لا ينبغي العمل بذلك، نعم، ومثل ذلك ما ذكرت في قراءة سورة الكهف عند المقابر أو عند القبور وما جاورها فإن كان قرأها يوم جمعة فقد ورد ذلك في السنة النبوية في حديث أبي سعيد الخدري وله حكم الرفع، وهو فعل صحيح لا غبار عليه أما إن قرأها ووضع لهذه القراءة

مكانا معينا أو مكانة معينة أو مناسبة خاصة، فهذا من الزيادة على ما شرعه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا ينبغي.

سؤال

نجد اختلافا في نطق بعض الحروف حسب الروايات المقروئة بها كالفاء بدلا من الواو فهل لا يغير ذلك في معنى الآية؟

أجاب فضيلة الشيخ

الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لما أرادوا كتابة القرآن أرادوا أن لا يتركوا شيئا من كتاب الله -سبحانه وتعالى- مما أنزله جبريل على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- فكانوا يحاولون إذا كان الرسم يسع كل القراءات كتبوه برسم يتسع للقراءات كلها، مثلا كلمة ملك، تُقرأ مالك، وملك يوم الدين، كتبوها بأي صورة كتبوها بصورة م ل ك فقط ثم أشاروا إلى قراءة الأخرى بوضع ألف فوق الميم، فيمكن أن تقرأ ملك بقراءة ومالك بقراءة أخرى هذا إذا أمكن اجتماعها في الرسم أما إذا لم يمكن فقد فعلوا شيئا آخر وهذا من شدة اجتهادهم في جمع كلام الله -سبحانه وتعالى- وألا يضيع من تلك الروايات شيئا، فكانوا رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم يكتبون شيئا من هذه الأحرف في أحد المصاحف، ويتركونها ويكتبون الرواية الأخرى في المصحف الآخر، فتجد مثلا في المصحف المكي كتبت بالواو وفي المصحف المدني كتبت بالفاء، مثل قول الله -سبحانه وتعالى- (وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا) [الشمس: ١٥]، وفي القراءة الأخرى (فَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا) لا يمكن أن تكتب هنا فاءا وتنطق واوا، ولذلك كتبوها في مصحف بالواو وفي مصحف آخر بالفاء وسارت الأمة على ذلك، بأن تقرأها مرة بالفاء ومرة بالواو على حسب الروايات المتلقاة في هذا الباب.

سؤال

هناك مقولة ما أدري مدى صحتها يقول: أنزل القرآن في الحجاز وقرىء في مصر وحفظ في المغرب؟ ما مدى صحتها؟

أجاب فضيلة الشيخ

لا هي الكلمة كما سمعناها القرآن كما أنزل في مكة والمدينة أو في الحجاز وقرئ في مصر لكثرة القراء بها وكتب في تركيا، وكلمة أخرى : بأن أكثر الكتاب والخطاطين كانوا في تركيا ، هذا يعني ترجم الواقع الذي حصل في الأمة وهذا يدلنا يا إخواني على أن الأمة قد حملت يعني العناية بهذا القرآن وقد وُزِعت هذه العناية في أطراف الأمة، فمنهم من اعتنى بتلاوته ومنهم من اعتنى بتفسيره ومنهم من اعتنى بالدعوة إلى معانيه واعتقاده ومنهم من اعتنى بكتاباته وخطه وتجميله وتجويده، وهكذا. فيعني مقولة لا بأس بها.

أسئلة درس هذا اليوم

بالنسبة لأسئلة درس هذا اليوم:

السؤال الأول: ما أول آية نزلت في الإذن بالقتال؟

السؤال الثاني : ما الحكمة من نزول القرآن منجماً؟

باختصار في دقيقة واحدة أبرز ما تم الحديث عنه في هذه الحلقة

ذكرنا في هذه الحلقة أيها الأحبة تتمة الدرس الماضي وهو الحديث عن حكمة نزول القرآن مُنَجَّمَاً وذكرنا ست حكم وفصلنا فيها شيئا من التفصيل ثم انتقلنا بعد ذلك إلى أول ما نزل ، بحث موضوع أول ما نزل وآخر ما نزل في القرآن الكريم وبينا أنه نوعان أولية وآخرية مطلقة وأولية وآخرية مقيدة، أما أول ما نزل مطلقا فأثبتنا أن الصحيح فيه أنه أول سورة اقرأ، وأما آخر ما نزل فبينا أنها آيات الربا، في آخر سورة البقرة.

وأما بالنسبة للنوع الثاني، فهذا ما سنأتي إليه -إن شاء الله- في الدرس القادم وهو الأولويات والآخريات الواردة في موضوع خاص، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يبلغنا ذلك على خير وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع

الأوائل والأواخر المخصوصة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه ،وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد.

أيها الأحبة ما زلنا نواصل هذه الدروس في علوم القرآن ، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يزيدنا بكتابه تعلقاً وفهماً وتدبراً .

وهذه الدروس كما تعلمون أيها الأحبة مما يزداد بها الإنسان معرفةً بكتاب الله -سبحانه وتعالى- فأسأل الله العظيم أن يعطينا ما قصدنا وأكثر منه إنه جواد كريم.

مراجعة الدرس الماضي

أيها الأحبة كانت عادتنا -وما زالت- أننا نراجع الدرس الماضي أولاً بالإجابة على السؤالين الذين ذكرناهما في آخر الدرس الماضي ، ثم نذكر أسئلةً عامةً لمراجعةِ الدرس من خلال الطلاب الموجودين معنا في هذا المكان.

فأما السؤالان فقد سألنا سؤالين :

الأول: ما أول آية نزلت في الإذن بالقتال؟

أنا أعلم أن بعض الإخوة المشاهدين والأخوات المشاهدات يقولون : هذا لم يرد في الدرس الماضي . ولكني وضعت هذا السؤال وسأضع أمثاله؛ من أجل أن يقوم الإخوة بالبحث والنظر وتقليب الصفحات للبحث عن الإجابة؛ ليكون هذا بمثابة النشاط للإخوة المشاركين معنا. فما أول آية نزلت في الإذن بالقتال؟ نعم تفضل؟

ذاك قول الله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) [الحج: ٣٩]

أحسنت، أول آية نزلت في الإذن بالقتال (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) وسيأتينا -إن شاء الله- تفصيلُ ذلك -إن شاء الله- في مقدمة هذا الدرس فنرجيء التفصيل فيه إلى ذلك الحين.

السؤال الثاني: ما الحكمة من نزول القرآن منجما؟

ذكرنا في الدرس الماضي عدداً من الحكم في هذا الباب فمن يذكر شيئا منها؟

الأخت الكريمة من الإمارات: قال الله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج: ٣٩]

نعم بينا أن هذه الإجابة هي الصحيحة فشكر الله للأخت إجابتها.

أما بالنسبة للسؤال الثاني: أوردت عدة نقاط منها تثبيت فؤاد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأيضا تيسير حفظه وفهمه ، ومسايرة الحوادث ، والتدرج في التشريع ، وتربية الأمة ، واستمرار التحدي ، وبيان أن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى.

نشكر للأخت حسن إجابتها وحسن متابعتها أيضاً لما ألقيناه في الدرس الماضي ؛ فقد جاءت به بحروفه ، فجزاها الله عنا كل خير، بارك الله فيها وفي جميع الإخوة المشاركين معنا.

إذاً الإجابة الصحيحة في السؤال الأول، ما ذكره الأخ هنا وذكره جمع من الإخوة والأخوات في الموقع وهي قول الله -سبحانه وتعالى- (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) [الحج: ٣٩]، وسيأتي تفصيل ذلك.

وأما الحكمة من نزول القرآن منجماً فقد ذكرت إحدى الإخوات الإجابة الصحيحة وتابعها أيضاً جمعٌ من الإخوة والأخوات حيث أجابوا على السؤال إجابةً صحيحةً ، والحكم في هذا الباب كثيرةٌ جداً ، لكن ذكر العلماء منها الست التي أسلفناها في الدرس الماضي.

أما الأسئلة التي نلقيها على إخواننا في هذا المكان وهي مراجعة الدرس الماضي.

السؤال الأول: كيف نجيب على قول جابر إن أول ما نزل هي سورة المدثر؟

أولا : للإجابة وجهان الوجه الأول :

أن جابر سمعه من النبي -عليه الصلاة والسلام- فظن أنه يقصد بأن سورة المدثر أول ما نزلت .

الوجه الثاني : أنه ذكرت أن في حديث جابر دلالة على أنها ليست أول ما نزلت.

أحسنت :

في حديث جابر دلالة على أن سورة المدثر ليست هي أول ما نزل ؛ لأنه قال : (فجاءني الملك الذي جاءني في غار حراء). وفي الرواية الأخرى (فإذا هو جالس على العرش) وأشار بقوله هو إلى جبريل -عليه الصلاة والسلام- الذي رأه النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل ذلك، ثم أيضاً جابر -رضي الله تعالى عنهما- عندما تحدث بهذا الحديث قال: جئت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يحدث عن فترة الوحي فهذا أيضاً شبه صريح في كونه يتحدث عن فترة غير الفترة التي نزل فيها الوحي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولذلك قال الإمام النووي : إنه لا يصح القولُ بأنَّ سورةَ المدثر هي أول ما نزل من القرآن الكريم بل القول بها قول ضعيف باطل منكر أو كما قال -رحمه الله- .

السؤال الثاني: اذكر نوعي أول ما نزل وآخر ما نزل؟ من يجيب؟

أول ما نزل وآخر ما نزل مطلقاً وأول ما نزل وآخر ما نزل مقيد.

نعم، إذاً أول ما نزل وآخر ما نزل، نوعان نوع مطلق ونوع مقيد وقد تقدم في الدرس الماضي الحديث عن النوع المطلق بشقيه أول ما نزل مطلقا وآخر ما نزل مطلقا.

السؤال الثالث: ما سبب كثرة الأقول في آخر ما نزل؟ تفضيل ؟

الجواب : لأن كل واحد من الصحابة رضوان الله عليهم ظن أن آخر ما سمع هو آخر ما نزل

أحسنتم ، لأن كل واحد من الصحابة سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يتلو آية أو جاء إلى النبي وهو يوحى إليه فظن أن هذا آخر شيء نزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنه لم يسمعه بعد ذلك قال شيئاً أو أوحي إليه بشيءٍ ، فهذا من الأسباب ومن الأسباب أيضاً: أن بعضهم يتكلم بآخرية ما نزل وهو يريد آخرية مقيدة يعني آخر ما نزل في المواريث أخر ما نزل في أمر القتل آخر ما نزل في أمر ذكر النساء والرجال وهكذا.

السؤال الأخير في هذا الميدان : ما المراد على الصحيح بقوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) [المائدة: ٣]، نحن ذكرنا في آخر الدرس الماضي أن هناك إشكالا في قول الله –تعالى- (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) وبين ذكرنا لآخر ما نزل من القرآن فهل هذه الآية هي آخر ما نزل أو تلك الآية التي ذكرنا أن الصحيح أنها هي آخر ما نزل، فذكرنا هذا الإشكال وبينا وجه القول في هذه الآيات فمن يذكره؟

الجواب : المقصود هو ظهور الإسلام ورفعة هذا الدين

نعم: (أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) يعني بإظهار هذا الدين وعلو كلمة الإسلام ورفعة دين المسلمين ومن الأدلة على ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك العام الذي نزلت فيه هذه الآية وفي تلك الحَجة التي أوحي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الآية لم يحج معه مشرك فمكة لم يدخلها في ذلك العام أحد من المشركين. ننتقل بعد هذا إلى تتمة درسنا في الدرس الماضي.

وصلنا في الدرس الماضي إلى أوائل وأواخر مخصوصة والأمثلة الخمر وفيه أربعة آيات

كنا تحدثنا أيها الأحبة في الدرس الماضي عن أول ما نزل وآخر ما نزل مطلقاً، وبيَّنا الصحيح في أول ما نزل وآخر ما نزل ، ثم قلنا إن هناك نوعا ثانياً في هذا الموضوع وهو أوائل وأواخر مخصوصة وهذا أيها الأحبة موضوع طويل والبحث فيه يطول بنا جداً بمعنى أننا لو تحدثنا عن أوائل وأواخر مخصوصة بحسب ما ورد في موضوعات القرآن كله لطال بنا المقام ولكننا نختار نماذج من هذا ليعلم الطالب كيف أن الأحكام الشرعية نزلت فيها آيات يعرف العلماء أول آية نزلت فيها ويعرف العلماء آخر آية نزلت فيها ليبين للإنسان ما هو أول شيء نزل في هذا الموضوع وآخر شيء نزل وعليه استقر الأمر وثبت الحكم، وهذا يفيدنا جدا في معرفة أحكام الشريعة ويفيدنا أيضاً في معرفة تدرج الشارع في تربية المؤمنين والتزام أحكام الإسلام فنأخذ المثال الأول: الخمر وهو من أشهر الأمثلة التي يعرفها الناس في القرآن الكريم نزلت فيه أربع آيات هذه الآيات كل واحدة منها نقلت المؤمنين من مرحلة إلى مرحلة بعدها فالآية الأولى قول الله -سبحانه وتعالى- في سورة النحل (وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً) [النحل: ٦٧]، فتأملوا أن الله -سبحانه وتعالى- يمتن على المؤمنين في هذه الآية من سورة النحل وهي سورة مكة بأن جعل لهم (وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً) ، والمقصود بالسَكَر الخمر، (وَرِزْقاً حَسَناً) فهذه الآية أول شيء نزل في موضوع السكر وموضع الخمر ، لكن عندما تتأمل الآية تجد أنها أشارت إلى منزلة في موضوع الخمر يعرفها اللماح من المتدبرين لكلام الله -سبحانه وتعالى- كيف ذلك . الآية قسمت المأكولات والمشروبات إلى قسمين، الرزق الحسن والسكر، مما يدل على أنها تفهم أن السكر ليس من الرزق الحسن، يعني فافهموا يا أهل مكة ويا من نزل عليكم القرآن ممن كنتم تشربون الخمر أن الخمر ليس من الرزق الحسن فلا تشربوها ولا تقربوا منها لأنها ليست شيئا طيبا لكنها إشارة من بعيد ثم انتقل الأمر بعد ذلك عن الخمر والميسر لأن الصحابة كانوا يسألون عن الخمر، حيث إنهم رضي الله تعالى عنهم كانوا يستغربون أن تبقى الخمر حلالا علما بأن المسلم يأتي أحيانا إلى المسجد فيصلي وهو مخمور فيؤذي نفسه ويؤذي إخوانه ويكون على حالة لا تليق به فكانوا يسألون النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الخمر فأنزل الله -سبحانه وتعالى- الآية التي في سورة البقرة وهي قول الله -جل وعلا-: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) [البقرة: ٢١٩]، وإثمهما أكبر من نفعهما فانظر إلى هذه الآية عن الخمر والميسر سؤال ما حالهما هل هما حلال على المؤمنين أو حرام عليهم فأنزل الله -سبحانه وتعالى- قوله: (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) ولم تحرم الآية الخمر والميسر تحريما قاطعا ثم انتقلت بهم إلى مرحلة ثالثة وهي تحريم الخمر عند قربان الصلاة وذلك لمناسبة وقعت حيث إن أحد الصحابة صلى بأصحابه فقرأ القرآن بطريقة مغلوطة فرفع ذلك إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله -سبحانه وتعالى- قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ) [النساء: ٤٣]، الآية في سورة النساء، فنهي المسلمون عن قربان الصلاة وهم سكارى فهنا ضيق الوقت بمعنى أن الناس كانوا إذا أرادوا أن يشربوا الخمر شربوها في وقت بعيد عن وقت الصلاة يعني من أراد أن يشرب الخمر

مثلا شربها بعد صلاة العشاء حتى لا تأتي عليه صلاة الفجر إلا وقد زال عنه أثر السكر أو يشربها بعد صلاة الفجر حتى لا تأتي صلاة الظهر إلا وقد زال عنه أثر السكر لكنه بين الأوقات المتتابعة المتقاربة لا يشربها فكان ذلك تقييدا يؤذن بنزول مرحلة أشد منها فما هي المرحلة الأخيرة التي استقر عليها الأمر ؟ المرحلة الأخيرة هي قول الله -سبحانه وتعالى- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) [المائدة: ٩٠]، فأنزل الله في هذه الآية النهي التام عن قربان الخمر والميسر وبين الله تعالى أنها رجس وأنها من عمل الشيطان وأنه يجب على كل مسلم أن يجتنبها وختمت الآية الثانية بقوله (فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) [المائدة: ٩١]، فقال الصحابة عندها انتهينا انتهينا.

فتأملوا أيها الأحبة كيف أن موضوع تحريم الخمر تدرج فيه التنزيل إلى أربع مراحل لأن أمر الخمر كان محببا إلى الناس وكان راسخا في قلوبهم فلو جاءهم من أول الأمر النهي عن الخمر وعن شربها لشق ذلك عليهم ولكان سببا لرجوع بعضهم أو عدم إقدامه على الدخول في الإسلام لكن لما استقر الإيمان وثبت اليقين بأحكام رب العالمين صارت نفوس الصحابة متقبلة بل متشوقة إلى تحريم الخمر فسبحان الله الحكيم.

أيضاً من الأوائل والأواخر المخصوصة آيات الربا، الربا كان شائعا في الجاهلية ومعروفا وخصوصا عند أهل مكة لأنهم قوم تجار وكانوا يتعاملون بالربا تعاملا كبيرا بل لم يكن الربا إلا جزء من أجزاء تجارتهم التي لا ينفكون عنها، لما حرمها الله -سبحانه وتعالى- نزلت فيها ثلاث آيات أو أربع آيات فتأملوا كيف نزلت هذه الآيات.

في سورة الروم نزل قول الله -سبحانه وتعالى- وهي سورة مكية، (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُضْعِفُونَ) [الروم: ٣٩]، فهنا يذكر أن الذين يرابون أن ما يرابون به لا يربوا ولا ينموا عند الله -سبحانه وتعالى- والله يرغبهم في الربا الشرعي والمقصود بالربا الشرعي يعني طلب الزيادة التي تكون فضلا من الله وهي بالصدقة، أن يتصدق الإنسان ليطلب بذلك الزيادة والنماء من عند الله -جل وعلا- (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُضْعِفُونَ) هذه أول آية نزلت في موضوع الربا.

ثم جاءت بعدها آية أخرى ذكرها بعض أهل العلماء في سورة النساء وهي في التثريب على اليهود والعيب عليهم بأكل الربا قال الله -سبحانه وتعالى- (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ (١٦١)) [النساء: ١٦٠، ١٦١]، فتأملوا كيف أن الله -سبحانه وتعالى- ذكر اليهود وعابهم على أكل الربا وأخذه قال: (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) ثم جاءت آية ثالثة وهي في مرحلة متقدمة في النهي عن الربا وتعتبر أول مرحلة بالنسبة للنهي الصريح عن الربا قال الله -سبحانه وتعالى- فيها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً) [آل عمران: ١٣٠]، تأملوا هذه الآية نهى الله -سبحانه وتعالى- عن نوع من أنواع الربا وهو أقبح أنواع الربا الذي يسمى الربا المضاعف أو ربا النسيئة كان الرجل منهم إذا داين رجلاً أو أقرضه فحل عليه الأجل قال له إما أن تقضيني وإما أن تربي يعني وإما أن أؤخرك إلى مدة زائدة وتزيد في المال فكان هذا يسمى الربا المضاعف، فكان كل ما جاء الأجل جاء الدائن فقال اقضني حقي أو مرابي، يعني مزيد مقابل الأجل فيطلب الزيادة وهكذا يمتد الربا وهذا يسمى الربا المضاعف فجاءت هذه الآية في سورة آل عمران لتنهى عن هذا النوع وهو من أعظم الأنواع المقصودة في التحريم بل إن تحريم الربا كان في الأصل مقصودا به هذا النوع ثم جاءت الآية الأخرى التي اختتمت بها آيات تحريم الربا في القرآن الكريم تنهى عن جميع صور الربا التي ورد الشرع بتسميتها ربا، قال الله -سبحانه وتعالى- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ (٢٧٩)) [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]، فنُهِي المسلمون بهذا عن كل أنواع الربا ربا النسيئة وربا الفضل وربا القرض وكل ما سماه الشارع ربا فالمسلمون قد نهوا عنه نهيا تاما في هذه الآية وهي قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا) وقد بينا في الدرس الماضي أن هذه الآيات آيات الربا في آخر سورة البقرة من آخر القرآن نزولا كما ذكر ذلك عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- وذكر ذلك ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- وانظروا يا إخواني إلى العقوبة العظيمة التي جعلت على المرابي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) يعني علق الانتهاء عن الربا بالإيمان فمن كان من المؤمنين فإنه ينتهي عن الربا وهذا فيه من التهديد والوعيد ما يكفي ويردع ويزجر قلب كل مسلم أن ينتهي عن الربا كله وأن يبتعد عنه ويفر منه أشد من فراره من الأسد ثم قال (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ) ائذنوا بمعنى اعلموا من الإذن وهو العلم (بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن

تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ) قال بعض العلماء ما نزل وعيد في القرآن بعد الشرك على ذنب أعظم مما نزل في حق المرابين لأنه قيل في حقهم (فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) ومن له طاقة في أن يحارب الله ويحارب رسوله -صلى الله عليه وسلم- لا شك أنه هذه الكلمة تقلقل قلب المؤمن وتزجر كل من في قلبه ذرةٌ من إيمان عن أن يقترب من هذا المحرم العظيم من المحرمات التي استهان بها الناس في هذا الزمان.

أيضا من الأوائل والأواخر المخصوصة، نذكر قضية الجهاد لمناسبة هذا الأمر لهذا الوقت الذي كثر فيه اللبث في هذا الموضوع فالجهاد أيضا ورد فيه الأمر مرتبا على مراحل أربع ، والآيات فيه أكثر من الآيات الواردة في الربا والخمر، فالآيات الواردة في الربا أربع آيات والآيات الواردة في الخمر أربع آيات أما الآيات الواردة في أمر الجهاد فهي كثيرة جدا يكفي أن تعلموا أن المرحلة الأولى تزيد آياتها عن سبعين آية فما هي المراحل التي مرت بها آيات الجهاد أو تشريع الجهاد وأول آيات نزلت فيه وآخر آيات نزلت فيه أول آيات نزلت في أمر الجهاد الأمر بالكف عن المشركين، فقد كان المسلمون يؤمرون بالكف عن المشركين أمرا، بأن لا يقاتلوا وألا يقوموا بأي شيء من أنواع القتال ضد أعدائه لأنهم ليسوا في حالة تأهب تمكنهم من مقارعة أعدائهم، قال الله -سبحانه وتعالى- (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) [النساء: ٧٧]، هذه الآية صريحة في أن المؤمنين قد أمروا بالكف عن القتال ثم خذ من هذا النوع آيات كثيرة فيها الأمر بالإعراض عن المشركين الصفح عنهم العفو عنهم عدم مقابلتهم بمثل ما يقابلون به المسلمين (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ) [الزخرف: ٨٩]، (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ) [المائدة: ١٣]، (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [الكافرون: ٦]، إلى آخره من الآيات التي ورد فيها الأمر بالكف عن المشركين وعدم مقابلة أذاهم بشيء من ذلك، فهذه كلها في المرحلة الأولى تحريم الجهاد والنهي عن قتال المشركين لأنه ليس بالمسلمين طاقة بقتال أعدائهم.

المرحلة الثانية ، بعد أن هاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة وصارت له دولة وعنده قوة ومنعة أذن الله له بالقتال، في آية ذكرناها في مقدمة هذا الدرس وهي قول الله -سبحانه وتعالى- في سورة الحج (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج: ٣٩]، وتأملوا الآيات جيدا تجدون أن فيها قوله أذن ومعنى أذن أي أبيح لهم بعد حذر وتحريم يعني أن الجهاد كان محرما عليهم وكان محظورا عليهم لا يجوز لهم أن يفعلوه (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ) ولاحظ كلمة يقاتلون يعني ليسوا يقاتِلون وإنما يقاتلهم أعدائهم فمن قاتلكم أيها المسلمون من أعدائكم فقاتلوه فلا تبدأوا أعدائكم بالقتال لأنكم لستم في وضع قد تهيأتم فيه لقتال أعدائكم ومبادئتهم بالقتال (بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) إشارة إلى معنى الظلم في أمر القتال، (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) هذه هي المرحلة الثانية الإذن بالقتال لمن قاتلنا وكان منه ظلم علينا .

المرحلة الثالثة: وهي التي ذكرها الله -سبحانه وتعالى- في عدد من الآيات منها آية سورة البقرة قال الله -جل وعلا-: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا) [البقرة: ١٩٠]، الآية السابقة كان فيها الإذن وهذه الآية فيها الأمر فانتقلنا من مرحلة الإذن والإباحة إلى مرحلة الأمر والإيجاب وهو أنه يجب على المسلمين أن يقاتلوا جميع من قاتلهم كل من رفع السلاح في وجوههم أو أرادهم بسوء وجب على المسلمين أن يقابلوه بمثل ذلك ويقاتلوه، (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) ثم قال في نهاية الآية (وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) فنهاهم عن الاعتداء يعني أن يزيدوا في ذلك قدرا لم يأذن الله -سبحانه وتعالى- به هذه هي المرحلة الثالثة.

المرحلة الرابعة: وهي المرحلة التي استقر عليها أمر الجهاد بالنسبة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما كان على حال مثل حاله وهي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما فتح مكة واستتب له الأمر وأعلن أن لا يحج بعد هذا العام العام التاسع مشرك أنزل الله -عز وجل- عليه قوله: (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ) [التوبة: ٥]، وهي الأشهر التي جعلها النبي -صلى الله عليه وسلم- علامة بينه وبين جميع أعدائه، بأن من وجد بعده وهي أربعة أشهر كانت بدايتها في اليوم التاسع أو يوم النحر من حج عام التاسع قبل حجة النبي -صلى الله عليه وسلم- بعام، وامتدت بعد ذلك أربعة أشهر وليس المقصود بالأشهر الحرم الأشهر الحرم المعروفة، وهي شهر ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ورجب الفرد ، وإنما أشهر الحرم حُرم فيها القتال حتى يكون لهؤلاء للمشركين فسحة في من أراد أن يخرج ويذهب بعيدا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فليذهب فنزل فيها قول الله -سبحانه وتعالى- (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا) [التوبة: ٥]، فأمر الله -سبحانه وتعالى- بقتال المشركين كافة في كل مكان، وهنا يأتي سؤال هل هذه الآية ناسخة لما قبلها أو ليست بناسخة؟ نقول نعم، هي ناسخة لجميع المراحل السابقة حيث استقر أمر الجهاد في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- على هذا

فليس هناك إذن بقتال وليس هناك أمر بقتال من يقاتلنا فقط بل هناك أمر عام بمقاتلة جميع أنواع الكفار، إما جهاد طلب أو جهاد دفاع كما هو معروف ومقرر عند أهل العلم.

لكن ينبغي أن يعلم أيها الأحبة أن هذا لمن كان على مثل حال النبي -صلى الله عليه وسلم- من القوة والمنعة ووجود الدولة والاستعداد على أيضاً للكفار، فأما إذا كان المسلمون ضعفاء كأن يكونوا أقلية في العالم أو أقلية في دولة معينة فإن هذا الأمر ليس في حقهم كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-، بل الواجب في حقهم أن يكفوا عن أعدائهم لأنهم لا يسعهم إلا ذلك ما رأيكم لو أن المسلمون قالوا لي وهم قلة جدا في دولة ما، من الدولة قالوا لأعدائهم فإذا انسلخ الأشهر الحرم فإنا سنقتل كل أحد من المشركين ونأخذه في كل مكان ونفعل ونفعل ، من هو المتضرر في هذا الحال لا شك أن المسلمين هم الذين سيتضررون لأنهم لو قتلوا مثل أعدادهم ومثلهم ومثلهم فإن النهاية أنه سيبيدون ويذهب أهل الإسلام ولذلك قال شيخ الإسلام هذه الآية: وهي قوله (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ) [التوبة: ٥]، ناسخةٌ لجميع الآيات التي سبقتها في أمر القتال بالنسبة لمن كان حاله مثل حال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأما من كان حاله ليس كذلك فإنه يُنَزَّل في الحال التي كان عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- إن كانوا ضعفاء قليليين فإنه لا يجوز لهم أن يقاتلوا أعدائهم وإن كانت لهم دولة ولكنهم في حال من الضعف لا يستطيعون به مقاتلة جميع أنواع الكفار فإنهم في هذه الحال يؤذن لهم بالقتال لمن قاتلهم كما قال الله -سبحانه وتعالى- (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج: ٣٩]، فإن كانت عندهم حال أقوى من هذه الحال كما حدث للمسلمين بعد ذلك فإنهم يقال في حقهم (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا) [البقرة: ١٩٠]، فإذا وصلوا إلى المرحلة التي حصلت للنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد فتح مكة فإنه يقال في حقهم: (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) [التوبة: ٥]، إلى آخره، هذه أوائل وأواخر مخصوصة ليست في كل الموضوعات وإنما اخترنا هذه الموضوعات لشهرتها ولبيان الأمر فيها لإخواننا جميعا.

أحسن الله إليكم شيخنا الفاضل، عرفنا الآن أوائل وأواخر الآيات التي نزلت في الخمر والربا والقتال، يا ترى يا شيخ ما هي فائدة معرفة أوائل وأواخر الآيات التي نزلت ؟

أحسنت بارك الله فيك، هذا موضوع مهم جدا نختم به البحث في موضوع أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم ما هي الفائدة التي نستفيدها من معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل ؟

أول فائدة في هذا الباب تمييز الناسخ من المنسوخ لأنك إذا عرفت الآية النازلة أولا ثم عرفت الآية التي نزلت آخرا عرفت ما استقر عليه الحكم وأوضح شيء في هذا نقوله ما ذكر في آيات الربا وفي آيات الخمر وفي آيات القتال وغيرها، دعونا نذكر على ذلك مثالا جليا في هذا الباب وهو آيات العدة، عدة المرأة المتوفى عنها زوجها، فإنه قد ورد في هذا الموضوع آيتان من كتاب الله -سبحانه وتعالى- والعجيب أنه في ترتيبهما جاءت الآية المنسوخة متأخرة في الترتيب عن الآية الناسخة، لكن عندما نعرف أول ما نزل وآخر ما نزل، نعلم أين الناسخ وأين المنسوخ، فنزل قول الله -سبحانه وتعالى- (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ) [البقرة: ٢٤٠]، تأملوا هذه الآية يا إخواني نجد أن هذه الآية ذكر فيها أن من تُوفي عنها زوجها فإنها تعتد بحول كامل هذه الآية وردت في سورة البقرة (مَّتَاعاً إِلَى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ) الآية الثانية جاءت في الذكر قبلها وهي آخر ما نزل في هذا الباب وهي قول الله -سبحانه وتعالى- (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً) [البقرة: ٢٣٤]، فانتقل الحكم من الاعتداد بالحول إلى الاعتداد بأربعة أشهر وعشرا لكن تأمل العلماء يقولون هذه الآية الأخيرة التي ذكرنها هي آخر ما نزل في أمر عدة المتوفى عنها إن كانت غير حامل وتلك هي أول ما نزل، إذا نظرت إليهما في كتاب الله -سبحانه وتعالى- فإنك تجد شيئا غريبا وهو أن الآية المنسوخة جاءت متأخرة في الذكر والترتيب والآية الناسخة جاءت متقدمة على خلاف المعهود، في أن الآية الناسخة تكون في الذكر بعد الآية المنسوخة مما يبين لنا أهمية معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل سواءا مطلقا أو مقيدا في باب معين، هذه هي الفائدة الأولى.

الفائدة الثانية، معرفة تاريخ التشريع الإسلامي وتدرجه في التشريع كيف أن هذه الشريعة شريعة حكيمة، نقلت المسلمين مما كانوا فيه إلى حال أفضل مما كانوا عليه لكن بتدرج وهذا يعطينا درسا نحن المسلمين في أن نتدرج

مع من نربيهم وألا نلقي عليهم كل الأحكام جملة واحدة بل نأخذهم إلى الخير والحق والصواب شيئا فشيئا فإذا جئت إلى قوم مثلا لم يدخلوا في الإسلام بعد فإنه لا ينبغي لك أن تذكر لهم تفاصيل أحكام الشريعة كلها جملة واحدة ، فإنه قد يرد على قلب ذلك الكافر، أنه لا يستطيع تطبيق هذه الأحكام فالأولى بالمسلم أو المنهج القرآني أن تذكره بالعقيدة وترسخ العقيدة في قلبه والإيمان بالله -سبحانه وتعالى- ومعرفة الآخرة والجنة والنار وتعظيم الرب -جل وعلا- ثم تنقله شيئا فشيئا فبهذا يستقر الإيمان في قلبه ويحصل له من محبة الدين ورسوخ الإيمان في قلبه ما لا يحصل له لو خالفنا هذا المنهج.

الأمر الثالث: وهو أمر مهم جدا؛ بسبب عدم معرفة هذا الباب وقع قوم كثيرون في فهم القرآن فهما مغلوطا فإن من فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل أن نفهم القرآن فهما صحيحا ولذلك نجد بعض الناس يأخذ آية من كتاب الله -سبحانه وتعالى- في موضوع معين ويظن أن هذه الآية هي الحكم في هذا الموضوع وما علم المسكين أن هذه الآية قد وردت بعدها آيات أخرى رفعت ذلك الحكم، وقد وقع هذا في موضوعات كثيرة وخصوصا في هذا الزمان عندما وجد من أهل الأهواء من يريد أن يلبس على الناس دينهم فهو يذكر آية من كتاب الله -سبحان الله- ويحتج بها ليقرر أمرا قد رفع وقد أزيل ونسخ محتجا بآية مثبتة في كتاب الله -سبحانه وتعالى- غافلا أو متغافلا عن أن هذه الآية قد جاءت بعدها آيات قد رفعت حكمها وبهذا نقول إن من أراد أن يفهم كتاب الله -سبحانه وتعالى- حقا فعليه أن يعرف أول ما نزل وآخر ما نزل خصوصا في القضايا والموضوعات التي جاء بها الشرع الحكيم، مثلا قد يقول إنسان القرآن في أمر القتال لا يأمرنا إلا بمقاتلة من يقاتلنا فقط وأن الجهاد في الإسلام دفاعيا فقط لأن الله قال: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) [البقرة: ١٩٠]، فنقول له قد أخطأت الفهم اجمع هذه الآيات كلها ورتبها ترتيبا صحيحا كما أنزلت ثم تكلم في هذا الموضوع على ما أراد الرب -سبحانه وتعالى-.

الأمر الرابع: وهو أمر تكرر معنا في عدد من الموضوعات وهو إظهار عناية المسلمين بكتاب ربهم -سبحانه وتعالى- فإن من قرأ في هذا الموضوع وتتبعه وجد أن المسلمين قد عنوا بكتاب الله -سبحانه وتعالى- عناية عظيمة وأولوه عناية خاصة، وعرفوا جميع ما يلزمهم معرفته من كتاب الله -جل وعلا- ، وبهذا نكون قد انتهينا مما ينبغي معرفته في هذا الموضوع المهم من موضوعات علوم القرآن.

سؤال:

لو توضح الناسخ والمنسوخ؟ والتفسير اللغوي للناسخ والمنسوخ؟

أجاب فضيلة الشيخ:

الناسخ والمنسوخ طبعا هذا من أهم موضوعات علوم القرآن الكريم وسنأتي إليه -إن شاء الله- في درس مستقل لكن نقول عبارة موجزة في هذا الباب وهو أن النسخ في القرآن المقصود به الرفع والإزالة يعني أن تأتي آية ترفع حكم آية سابقة، أو أن ترفع آية بكمالها من القرآن إما لفظا أو حكما أو لفظا وحكما كما سيأتينا تفصيله -إن شاء الله- في باب النسخ، فمثلا في الآيات التي مرت معنا قليلا (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ) [التوبة: ٥]، هذه الآية نسخت الآيات الواردة في تحريم القتال حيث إن الله -سبحانه وتعالى- أوجب الجهاد على المسلمين ضد اعدائهم على كل حال فهذا يسمى نسخ أي رفع وإزالة للحكم السابق، فهنا الذي رفع الحكم وأحيانا يرفع اللفظ وأحيانا يرفع اللفظ والحكم سواءً.

سؤال:

طالما أن في سياق الحديث عن أول ما نزل وآخر ما نزل والمطلق والمقيد هل هناك آيات مخصوصة للرقية الشرعية خصوصا لبعض الأمراض وخاصة أننا سمعنا أن هناك آيات خاصة للسع العقارب وعض الثعابين وخلافه من هذه الأشياء؟

أجاب فضيلة الشيخ:

بـارك الله فيك القرآن كلـه رقيـة وشـفاء قـال الله -سـبحانه وتعـالى- (وَنُنَـزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَـا هُـوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَـةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً) [الإسراء: ٨٢]، فسماه الله شفاءا ولم يسمه دواءا لأن الدواء قد يصيب وقد لا يصيب أما الشفاء فإنه يصيب بكل حال، فالقرآن كلـه شفاء وكلـه ممـا يستشفى بـه مـن أمراض القلـوب المعنويـة ومن أمراض الأبدان الحسية وهذا أمر معلوم عند المسلمين متقرر عنـدهم لكـن هنـاك آيـات مـن كتـاب الله -سـبحانه وتعـالى- وسـور مخصوصـة هي أولـى مـا يستشفى بـه ويرقـى بـه المـريض، فمثلا آيـة الكرسـي وردت الرقيـة بهـا ، وكذلك المعوذات سورة الإخلاص وسورة الفلق وسورة الناس، هذه مما يرقى به وهناك بعض أهل العلم يرون أن بعض الأمور يسترقى فيها بآيات معينة تكون الآيات مناسبة لذلك الأمر، وهذا لا شـيء فيـه لأن القرآن كلـه شـفاء فإذا وردت آية في كتاب الله -سبحان الله- في موضوع معين فقرأها الإنسان علـى مـن أصـيب بـذلك الـداء فـإن ذلـك يعتبر من الرقية مثلا قراءة آيـات الجـن علـى مـن بـه مـس ، أو قـراءة آيـات الـسحر الـواردة فـي القـرآن الكـريم فـي سورة البقرة وفي سورة الأعراف وفي سورة طه والشعراء وغيرها، على من به سحر هذا كلـه لا شـيء فيـه، فقـد ذكره العلماء ولم يذكروا به بأسا، ومن الآيات التي يـسترقى بهـا وهـي ممـا ورد الـنص بـه سـورة الفاتحـة فهـي مـن أعظم الرقى وقد رقى أحد الصحابة رجلا لديغا كافرا، لديغا فقام كأنمـا نشط من عقال ثم جاء إلـى النبـي -صـلى الله عليه وسلم- فأخبره فقال: (وما أدراك أنها رقية) وما أدراك أنها رقية أي: يسترقى بها من هذا.

سؤال:

أحسن الله يا شيخنا سؤال ورد عبر الموقع، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا شيخنا الفاضل جـاء الأمـر إلـى الصحابة بالنهي عن الخمر والربا بالتدريج، للأسباب التي عرفناها حتى حرم إلى يوم الدين فكيف نرد يرعـاكم الله على من ابتلي بالربا والخمر ثم يقول أتدرج في تركها كما فعل الصحابة؟

أجاب فضيلة الشيخ:

نقول: هناك فرق بين حالنا وحال أولئك فنحن الدين عندنا قد ظهر وتـم وكمـل فـلا يجـوز لنـا أن نقـول نـأخذ بمـا كان عليه الأمر أول الإسلام لكن لو أن الإنسان جاء إلى قوم كفـار لا عهـد لهـم بـدين الله فـدعاهم إلـى ديـن الله وهـم مبتلـون بمثـل هـذه الأمـور فـإن الـذي ينبغـي فـي حقـه أن لا يبـدأهم بهـذا الأمـر أصـلا، وإنمـا يبـدأهم بـذكر الاعتقـاد وترسيخ الدين في قلوبهم وتذكيرهم بالله وباليوم الآخر وتقوية الإيمان في قلوبهم ثم بعد ذلك يـذكر لهـم أحكـام الله -سبحانه وتعـالى- شيئا فشيئا لكن لا يعني ذلك أبدا أن يقول لهم الربا في الإسلام حلال ولا شـيء فيـه، بـل يبين حكم الله لكن نقول له لا تذكر هذا الأمر إلا بعد أن يستقر الإيمان في قلوبهم لأجل أنهم لو علموا أن الإسلام يحـرم الربـا من أول لحظة وهم أهل ربا تقوم تجارتهم وأموالهم وأرزاقهم عليه، فقد يكون ذلك سببا مانعا من دخلوهم في الدين وهذا لا شك أنه يخضع لحكمـة الداعيـة إلـى الله -سـبحانه وتعـالى- أمـا مـا يحـتج بـه مـن يقـول مثـل هـذا الكـلام التـي تذكرة الأخت الكريمة، فنقول هذا غير صحيح، ولا يليق بمسلم يؤمن بالله واليوم الآخـر أن يقـول فـي حـق الأحكـام الشرعية أنا أتدرج مع نفسي أنت متى علمت أن هذا من حكم الله وأمره فإنه لا يجوز لك أن تتراخـى لحظـة واحـدة النبـي -صـلى الله عليـه وسـلم- لمـا أنـزل الله تحـريم الربـا خطـب النـاس فـي يـوم حجـة الـوداع، قـال: (ألا وإن ربـا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع من ربانا ربى عمي العباس) انظر فوضـع ربـا عمـه العبـاس ليبـين -عليـه الـصلاة والسلام- أن هذا الحكم ساري على كل الناس وأنه لا تراخي في هذا الأمر فحرم الربا إلى الأبد فلا يجوز لأحد أن يقول أتراخى مع نفسي وما يدًريك يـا أخـي أن يأتيـك المـوت قبـل أن تنتهـي مـن الربـا كلـه فتمـوت علـى معصية أو كبيرة من كبائر الذنوب.

سؤال:

قوله تعالى: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) [التوبة: ٣٦]، هل هي نـاسخة لقولـه تعالى: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) [البقرة: ١٩٤]، أم أن أثر النسخ يقتصر فحسب على آيات كف اليد أرجو التوضيح؟

لا، عندنا آيات كثيرة نزلت في نسخ المرحلة الثالثة من مراحل القتـال، أو آيـات كثيـرة ورد فيهـا نـسخ المرحلـة الثانية والثالثة والأولى، وهي من المرحلة الرابعة، كقوله الله -سبحانه وتعالى- (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) [التوبـة: ٣٦]، وقولـه -سـبحانه وتعـالى- أيـضاً: (يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا قَـاتِلُوا الَّذِينَ يَلُـونَكُم مِّنَ الْكُفَّـارِ وَلْيَجِـدُوا فِيكُمْ غِلْظَـةً)

[التوبة: ١٢٣]، وآيات كثيرة كلها تدل على مشروعية القتال مطلقا للمسلمين وأن المراحل السابقة قد نسخت في حق من كان حاله مثل حال النبي -صلى الله عليه وسلم-.

سؤال:

بالنسبة للآيات المنسوخة يعني لو تستطيع أن تسردها لنا؟

أجاب فضيلة الشيخ:

أنا أشكر للأخت أولا اهتمامها وبمناسبة أن الموضوع قد ذكر عرضا في هذا الموضوع الذي تحدثنا عنه اليوم، فإننا نعد الأخت ونعد الإخوة جميعا بالحديث عن الآيات المنسوخة في كتاب الله -سبحانه وتعالى- في حديث خاص فليصبروا علينا قليلا حتى لا يتكرر الكلام كثيرا لكن أحب أن أنبه الإخوة والأخوات جميعا إلى أن موضوع النسخ من أخطر الموضوعات في كتاب الله -سبحانه وتعالى- وأن الحديث فيه سار بين إفراط وتفريط فمن العلماء من منع النسخ كله ولم يره شيئا، وهذا قد رد عليه عامة العلماء وأبطلوا قوله، ومنهم من فتحه على مصراعية فكل ما قيل فيه منسوخ، عده من النسخ الذي بمعنى الرفع والإزالة وهذا أيضاً قول مثل الأول خطأ والقول العدل في هذه المسألة أن الآيات المنسوخة في كتاب الله -سبحانه وتعالى- لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليدين إن لم تكن اليد الواحدة، فهي ما بين خمس إلى عشر آيات ولا تزيد وكل بما قيل فيه من كلام السلف إنه منسوخ فإنهم لم يقصدون به النسخ الذي استقر عليه الاسم عند سائر العلماء المتأخرين وإنما كان لهم مقصد آخر من هذه الكلمة سيأتي بيانه -إن شاء الله- عندما نتحدث عن موضوع النسخ بإذن الله في محله، فلتصبر الأخت وجميع الإخوة ولا يسألونا عن شيء لم يأت بعد مما سنتحدث -إن شاء الله- عنه.

سؤال:

ما المقصود بحال الرسول في المدينة، حتى يأذن له بالقتال ويأمر به؟ هل المقصود به القوة والعز له ولدينه؟

أجاب فضيلة الشيخ:

نعم النبي -صلى الله عليه وسلم- كان في مكة لم يكن عنده قوة ولم تكن له دولة ولم يكن عنده المنعة فكان في حال لا يستطيع فيها القتال ولا يستطيع فيها أن يقوم بشيء ضد أعدائه فلما هاجر -عليه الصلاة والسلام- ووجد القوة والمنعة وكون الدولة أذن له فيه بالقتال فهذا هو المقصود بما ذكرته الأخت.

سؤال: ٥٦:٦

بالنسبة لمعرفة الناسخ والمنسوخ بالنسبة لنا في هذا العصر هل وصل لنا عن طريق الأسانيد أو عن طريق الآيات ينسخ بعضها بعض؟

طبعا لا يعرف الناسخ والمنسوخ إلا بالنقل والرواية وليس شيئا يعرف بمجرد الاجتهاد إلا إذا كانت الآية ما يدل على ذلك مثل آيات مناجات الرسول -صلى الله عليه وسلم- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [المجادلة: ١٢]، ثم جاءت الآية التي بعدها فنسخت هذا الحكم فقال الله عز وجل: (أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ) [المجادلة: ١٣]، فنسخت هذه الآية الآية التي قبلها، ومثل آية المصابرة أيضاً التي نزل فيها أمر المسلمين بمقاتلة أعدائهم وأن يصبر المقاتل لعشرة من أعدائه، ثم نزل بعدها، الآية التي فيها أن المسلمين يصبروا لمثلي عددهم فإن زادوا على ذلك فلهم ألا يقابلوا أعداءهم.

سؤال:

ما حكم ترتيب المصاحب على حسب نزول الآيات فيها؟ يكون ترتيب المصحف على حسب ما نزلت الآيات؟

هذا الترتيب لا شك أنه ترتيب بدعي مخالف للترتيب النبوي فإن ترتيب المصحف على النحو الذي هو فيه ترتيب توقيفي الذي رتبه على هذا النحو هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكانت الآيات تنزل فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم- ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا، ويقول ضعوا هذه الآية بعد الآية التي يذكر فيها كذا فلا يجوز لأحد أن يغير هذا الترتيب أو يقترح ترتيبا آخر غير الترتيب الموجود بين أيدي المسلمين لأن هذا يقتضي أن تفوت حكم كثيرة ويغير القرآن عما كان عليه في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم بأي اجتهاد نأخذ هذا سؤال سيجعل المسلمين يعيشون حالة من الفوضى، والاختلاف في كتاب الله -سبحانه وتعالى- لا حد لها فمعنى ذلك لو قلنا يرتب حسب النزول . النزول ليس مضبوطا ومستيقنا منه بحيث نقول إن آيات القرآن قد علمت آية آية هذه نزلت أولا ثم هذه ثانيا ثم هذه ثالثا، إلى آخره فهذا يقول هذه قبل هذه وقد بينا هذا في أول ما نزل وآخر ما نزل كيف أن العلماء اختلفوا في أول آيات أنزلت من كتاب الله -سبحانه وتعالى- وآخر ما نزل من كتاب الله -سبحانه وتعالى- فلو رتب المسلمون المصاحف على اجتهاداتهم كم سيكون عند المسلمين من مصحف، سيكون عندهم مئات بل آلاف المصاحف في هذا الباب كل يقول مصحفي أصح ومصحفي أحسن ومرتب ترتيبا أفضل والاجتهاد الذي فيه أقوى وهكذا فيحصل عند المسلمين من الاختلاف ما لا ينبغي أن يكون في كتاب الله -سبحانه وتعالى-، وبالمناسبة هذه بدعة دعا إليها بعض المعاصرين لكن العلماء -رحمهم الله تعالى- ووفقهم قد انبروا لهذه البدعة بالرد والإبطال فذهبت بفضل الله -سبحانه وتعالى- ولم يبقى -إن شاء الله- بها قائل.

سؤال:

سأل الأخ من السعودية يقول: بعض العلماء انتقد ترتيب المصحف على حسب الموضوعات؟ فما هو المأخذ في ذلك؟

المأخذ هو ما ذكرنه قبل قليل لو رتبناه أيضاً على الموضوعات لحصل فيه أيضاً من اللبث ما حصل ولغيرنا أيضاً الترتيب النبوي ثم إن من حكم ذكر الآيات ذات الموضوع الواحد في سور متفرقة أن يتردد ذكره على سمع المسلم بين الفينة والأخرى انظر مثلا إلى القصص تصور لو جمعنا قصة موسى كلها في مكان واحد لفاتت الحكمة منها عندما تذكر في موطن مناسب لها، فهي قد ذكرت مثلا في سورة البقرة، وذكرت في سورة الأعراف، وذكرت في سورة طه، وذكرت في سورة الشعراء، وذكرت في سور أخرى، في كل سورة تذكر يكون هناك حكمة معينة من ذكرها في تلك السورة فلو جمعنا قصة موسى -عليه الصلاة والسلام- في كان واحد لفات ذلك على الناس ثم إن الناس يقرؤون كتاب الله -سبحانه وتعالى- في أوقات متفرقة والذين لا يقرؤونه لأميتهم يسمعونه أيضاً في أوقات متفرقة فتصور لو أنهم قرأوا ذلك الموطن أو ذلك الموضوع في مكان واحد ثم لم يروه في مكان آخر من كتاب الله -سبحانه وتعالى- لفات عليهم ذكره والتذكر به في المواطن التي ينبغي تذكره فيها، والعلماء -رحمهم الله تعالى- قد بينوا في موضوعات معلومة سنمر عليها -إن شاء الله- وهي علم المناسبات في القرآن كيف أن الآية أو الموضوع أو القضية أو القصة تذكر في موطن من السورة لحكمة مناسبة لتلك السورة ولموضوعها وللآيات التي سبقتها وللآيات التي تليها فلا يجوز لأحد من المسلمين أن يغير هذا الترتيب لكن لو أن أحدا من المسلمين أخرج معجما على شكل فهرس يبين فيه الموضوعات أو مواطن الآيات التي تحدثت عن النفقة والآيات التي تحدثت عن الزكاة والآيات التي تحدثت عن فرض الصلاة والآيات التي في الجهاد والآيات التي في قصة موسى وقصة إبراهيم والآيات التي في غزوة الأحزاب وغزوة بدر وغيرها، فلا بأس بهذا لأن هذا ليس على شكل مصحف يقرأه المسلمون في ليلهم ونهارهم ويتعبدون لله -سبحانه وتعالى- به وإنما من أجل تقريب هذه القضية لمن أراد أن يأخذها من أطرافها من كتاب الله -سبحانه وتعالى-.

سؤال:

قلنا في المحاضرة السابقة أن القرآن نزل منجماً، كلمة منجما بدلا من كلمة مفرقا أو كلمات أخرى لماذا سمي هكذا منجما؟

أجاب فضيلة الشيخ:

أحسنت هذا سؤال مهم وكنا الحقيقة نريد التنبيه عليه في الدرس الماضي لكن فاتنا ذلك فجزاك الله خيرا على التنبيه عليه، المنجم معناه المفرق وسمي الشيء المفرق منجما لأن العرب كان من عادتهم إذا تداينوا جعلوا الدين

على أوائل الأهلة فكأنهم يرقبون النجوم في ذلك، يقول إذا طلع نجم كذا أو إذا هل شهر كذا فسميت هذه الأوقات نجوما بأسماء النجوم ثم سمي به كل شيء ينزل مفرقا، كما كانوا إذا داينوا أو أقرضوا أو سلفوا أحدا يفعلون ذلك، سمي نجوما من التفريق والتقسيط، لأجل هذا يقال نزل القرآن منجما.

سؤال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بالنسبة للذي يعمل موظف(كلام غير مفهومة) تعقد فيها دورات مكثفة لحفظ القرآن لا تتاح الفرصة للموظف، فهل الموظف إذا ترك العمل من أجل الالتحاق بهذه الدورات لحفظ كتاب الله -عز وجل- وتدبر معانيه والعمل به هل يدخل في حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (أن من ترك شيئا لله أورده الله خيرا منه)؟ وجزاك الله خيرا؟

أجاب فضيلة الشيخ:

شكر الله لك يا أخي العزيز، حرصك على طلب العلم وطرحك لهذا السؤال نقول نعم جميع من ترك شيء يهمه ويصلح به حاله من أجل الله -سبحانه وتعالى- فإنه يدخل في هذا الحديث (من ترك شيء لله عوضه الله خيراً منه) لكن بشرط أن لا يكون ترك شيئا واجبا عليه مثل أن يعطل مصالح المسلمين من أجل أن يقوم بهذا الأمر الذي سعى إليه فإنه في هذه الحالة نقوله له لا لا ينبغي لك أن تفعل ذلك، لأن الذي أنت فيه عبادة فلا تترك هذا الواجب من أجعل أن تفعل شيئا مستحبا أو أمرا فاضلا، أما إذا فعل ذلك الإنسان وعنده سعة وهناك من يقوم بالعمل غيره أو ليس الأمر واجبا عليه وحده أو متعينا في حقه فإنه يدخل في هذا بلا شك لأنه يترك إجازته التي يستمتع بها من أجل أن يتعلم دينه ويحفظ كتاب ربه لا شك أن هذا خير وأنه أفضل وأن على المسلم أن يفعل مثل ما في جهده وقدر استطاعته.

سؤال:

ذكرت يا شيخ بخصوص الأشهر الحرم (كلام غير مسموع) نرجو أن توضح لنا؟

أجاب فضيلة الشيخ:

الأشهر الحرم نوعان:

النوع الأول: الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال دائما وأبدا، وهي ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم وهي ثلاثة أشهر متوالية، وشهر رابع وهو منفرد عنهم وهو رجب، ويسمى رجب الفرد ، وتقول له العرب رجب أصم، لأنه لا تسمع فيه قعقعة للسلاح وكان هذا من دين إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ، هذه الأشهر ليست هي المقصود في هذه الآية بل هي المقصود في قول الله -سبحانه وتعالى-: (مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) [التوبة: ٣٦]، وأما الأشهر المذكورة في هذه الآية فهي الأشهر التي جعل الله النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها أمانا لكل المشركين من أجل أن يتفرقوا حتى يؤذن لهم بعد ذلك بقتال كل مشرك في جزيرة العرب فقد أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- مؤذنين يؤذنون في حج العام التاسع وقد سبقوا حجه بعام أن يؤذنوا في يوم عرفة وفي يوم النحر بأنه لا يحج بعد العام مشرك وكانوا يتلون هذه الآيات التي في أول سورة براءة (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ المُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) [التوبة: ١، ٢]، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر فذكر الله هذه الأشهر الأربعة هذه إذن من الله لهؤلاء المشركين أن يسيحوا في أرض الجزيرة العربية كيف شاءوا ثم بعدها (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوَهُمْ وَخُذُوَهُمْ وَاحْصُرُوَهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) [التوبة: ٥]، وهذه بدأت من يوم النحر في حج العام التاسع، إلى العاشر من شهر ربيع أي ربيع؟ إذا قلنا الشهر الأول عشرة محرم وعشرة سفر وعشرة ربيع الثاني، يعني لما جاء العاشر من ربيع الثاني أذن للمسلمين أن يقاتلوا كل مشرك يجدونه في جزيرة العرب، فهذا هو المقصود بالأشهر الحرم في هذه الآية فلينتبه الطالب إلى المراد بها وأنها تغاير معنى الأشهر الحرم المعروفة عند الناس.

سؤال:

بالنسبة لجزيرة العرب ما المقصود بها؟ هذه الجزيرة الجغرافية كما نعرفها أو كما يقولون الفقهاء مكة والمدينة؟

أجاب فضيلة الشيخ:

هذا موطن خلاف بين أهل العلم وليس عندي الحقيقة فيه ما أتبينه في هذه المسألة فمنهم من يقول جزيرة العرب هي تلك الجزيرة التي تحاط بالبحار المعروفة البحر الأحمر ويسمى في القديم بحر القلزم وبحر العرب في الجنوب والخليج العربي الذي يسمى البحرين أو نحو ذلك في قديم الزمان هذا قول، والقول الثاني أنها مكة والمدينة وما والاهم والقول الثالث أنها أرض الحجاز كلها وأقوال أخرى ذكرها الحافظ بن حجر في فتح الباري وغيره من أهل العلم ولكن أنا لم يستبن لي فيها شيء أستيقنه حتى أقول إنه هو الصواب.

سؤال:

انتقد بعض العلماء فهرسة القرآن على حسب الموضوعات، فما حكم فهرست القرآن على حسب الألفاظ، مثل كتاب معجم ألفاظ القرآن الكريم ؟

ليس في فهرسة القرآن على حسب الألفاظ أي إشكال بإذن الله -سبحانه وتعالى- لأن المقصود من هذه الفهارس سهولة الوصول إلى ما يبتغيه الإنسان من كتاب الله -سبحانه وتعالى- سواءا كان لفظا أو كان موضوعا لكن إن قصد بهذه الفهارس إعادة ترتيب المصحف أو الاعتراض على ترتيبه الذي استقر العمل والأمر عليه فإن هذا لا يجوز ولا يحل لمسلم أن يفعله أو يشارك به أما إن كان تقريب الوصول إلى مبتغى الإنسان من كتاب الله -سبحانه وتعالى- فإن هذا لا شيء فيه وفهارس ألفاظ القرآن موجودة وكثيرة جدا والعمل عليها عند المسلمين فلا شيء فيها بإذن الله -جل وعلا-.

سؤال:

هناك سؤال من الدروس الماضية، الأخ الكريم من الأردن، يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فهمت من الدروس السابقة أن الله تكلم بالقرآن مرتين أولا قبل أن يخلق اللوح المحفوظ ثم كتب فيه، ثم تكلم به مرة أخرى بعد بعث سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- عندما كان يوحيه إليه جبريل فهل فهمي هذا صحيح؟ أم لا؟ أرجو التوضيح وجزاكم الله خيرا؟

أجاب فضيلة الشيخ:

القرآن كلام الله -سبحانه وتعالى- حقا وقد تكلم الله -سبحانه وتعالى- به على الحقيقة على الوجه اللائق به -سبحانه وتعالى- من غير تحريف ولا تعطيل وتأويل ولا تكييف فأما أنه أوحى إلى جبريل وألقاه إليه وقد تكلم به فهذا لا إشكال فيه أبدا وأما أنه تكلم به قبل ذلك يعني عندما كتب في اللوح المحفوظ فهذا لا أعلمه أنا، ولكن لا مانع منه يعني ما هناك شيء يمنع منه والعلم في ذلك عند الله -سبحانه وتعالى-.

سؤال:

السؤال الثاني يقول: نقل السيوطي عن أبو شامة أن من أصول أهل السنة الاعتقاد بقدم القرآن وأن القرآن صفة قائمة بذات الله أرجو توضيح هذين المصطلحين إن أمكن؟

أجاب فضيلة الشيخ:

لا شك أن موضوع كلام الله -سبحانه وتعالى- من الموضوعات التي حصل فيها الخلاف بين أهل العلم والخلاف فيها قديم وطويل ولكن معتقد أهل السنة في ذلك أن الكلام صفة من صفات الله -سبحانه وتعالى- أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه قال الله جل وعلا: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) [التوبة: ٦]، فوصف الرب -سبحانه وتعالى- بأنه يتكلم وأهل السنة يقولون إن صفة الكلام صفة ذاتية

فعلية المقصود بالذاتية هي الصفة الثابتة لله تعالى التي لا تنفك عنه والصفة الفعلية هي التي تكون ثم تزول، والصفة الذاتية بمعنى أن أصل الكلام صفة ذاتية لله -جل وعلا- وأما آحاد كلام الله -جل وعلا- من قرآن أو توراة أو إنجيل أو غيرها فإنها تكون ثم تزول فالكلام ذاتي باعتبار أصله فعلي باعتبار آحاده هذا مذهب أهل السنة وأن الله تكلم بالقرآن ويتكلم بغيره ويتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء -سبحانه وتعالى- على الوجه اللائق به وأن الكلام صفة من الصفات التي يمتدح المخلوق فكيف لا يمتدح بها الخالق -سبحانه وتعالى- وأما من يقول إنها صفة قديمة فهذه قالها طوائف من المسلمين ليسوا على الحق في هذا الباب لأنهم ينكرون أن الله -سبحانه وتعالى- قد اتصف بصفة الكلام وذلك لأنهم يرون أن تجدد الصفة بالنسبة لله -سبحانه وتعالى- يعني أن الله -سبحانه وتعالى- تتعلق به الحادثات والله -سبحانه وتعالى- لا يكون فيه شيء حادث فيقولون إن صفة الكلام قديمة فنقول لا، هي صفة ذاتية بمعنى أن الله يوصف بالكلام ذاتا وهي صفة أيضاً فعليا بمعنى أن الله يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء وآيات القرآن وأحاديث السنة الكثيرة جدا تدل على ذلك، انظروا في كل يوم عندما يصعد الملائكة في صلاتي العصر وصلاة الفجر يسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي هل نقول أن هذا الكلام قد تكلم به الرب -سبحانه وتعالى- في الأذل ولم يعده مرة أخرى هذا يخالف ظاهر النصوص ولا يليق بالمسلم أن يعتقد مثل هذا وإنما جاءت مثل هذه من ارتباط المسلمين أو ارتباط بعض طوائف المسلمين وتأثرهم بعلم الكلام فتأثروا بذلك فقالوا إن الرب -سبحانه وتعالى- منزه عن الحوادث ومن أجل ذلك نفوا كثيرا من الصفات عن الله -سبحانه وتعالى- فنقول كلا بل نثبت كل ما أثبته الله لنفسه وأثبته رسوله -صلى الله عليه وسلم- له على الوجه اللائق به من غير تكليف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل ولا تحريف ونقول إن هذا هو الذي سار عليه الرعيل الأول وسلف الأمة الصالح وإلا فليأتوا وما بأحد من سلف الأمة قد أنكر صفة الكلام الإمام ابن عباس أبو بكر عمر عباس عثمان علي، غيرهم من أئمة الإسلام الأئمة الأربعة لا يوجد إنما جاء هذا بعدما نقل المسلمون كتب الكلام وتأثروا بالمتكلمين وأهل المنطق جاءتهم مثل هذه اللوثات والأفكار وقد رد عليه علماء الإسلام السائرون على منهج السلف الصالح في كتب مستقلة فليرجع إليها الأخ السائل وليرجع إليها الإخوة جميعا في مثل كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، والفتوى الحموية له أيضاً والفتوى العقيدة التدمرية وأيضا كتب علماء الإسلام الذين ساروا على منهج السلف كالإمام الذهبي وكشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من أئمة الإسلام يرجع إليها ويجد فيها بيانا واضح في هذه المسألة وغيرها ومما يوصى به في هذا الباب العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي وشرحها لابن أبي العز الحنفي رحم الله الجميع.

شيخنا الفاضل لعلكم تطرحون سؤال الحلقة سؤال الدرس هذا، حتى يجيب عليه الطلاب -إن شاء الله- في الدرس القادم؟

لدينا سؤالان:

السؤال الأول: اذكر فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل؟

السؤال الثاني: ما أشهر كتاب في أسباب النزول؟ والله أعلم؟

الدرس الثامن

أسباب النزول

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا لله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

فهذه بحمد الله، وفضله، ونعمته علينا، وعليكم -أيها الإخوة- المحاضرة الثامنة من محاضرات علوم القرآن في هذه الأكاديمية العلمية، وموضوعنا في هذا اليوم - بإذن الله سبحانه وتعالى- سيكون عن أسباب النزول، وهو موضوع مهم كما سنبين بعد قليل.

- أيها الأحبة-: جرت عادتنا بأن نجيب على سؤالين نذكرهما في خاتمة كل درس، وفي خاتمة الدرس الماضي طرحنا سؤالين لكم جميعاً فلعلنا نتعرف عليهما، وعلى إجابتهما.

السؤال الأول: اذكر فوائد معرفة أول مانزل وآخر ما نزل؟

أولاً: من فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل: تمييز الناسخ والمنسوخ.

ثانياً: إظهار معرفة المسلمين، واهتمامهم بكتاب ربهم:

ثالثاً: فهم القرآن فهماً صحيحاً.

رابعاً: معرفة التدرج في التشريع الإسلامي.

إذن هذه أربع فوائد ذكرناها بالأمس حول موضوع فوائد معرفة أول مانزل، وآخر ما نزل.

السؤال الثاني: قلنا ما أشهر كتاب في أسباب النزول؟

الجواب: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.

هذا الكتاب، وكتاب الواحدي أسباب النزول المشهور هما من أشهر الكتب المؤلفة في هذا الباب كما سنبين إن شاء الله في ثنايا، وغضون درسنا لهذه الليلة.

ننتقل بعد هذا إلى أمر آخر اعتدنا عليه، وهو أن نراجع الدرس الماضي بأسئلة محددة، السؤال الأول:

ما أول آية نزلت في شأن الخمر؟

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى: (، ومِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ، وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً، وَرِزْقاً حَسَناً)[النحل: ٦٧]،

أحسنت هذه في سورة النحل، وسورة النحل سور مكية قد قال الله -سبحانه وتعالى- (ومِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً) وهذه الآية كما أشرنا بالأمس قد أشارت إلى التحذير من الخمر، وإلى بداية النهي عنه لكن بالإلماح، والفحوى، وليست بالتصريح، وذلك أن الله تعالى قسم ما رزقه الناس من ثمرات النخيل، والأعناب إلى قسمين الرزق الحسن، والسكر مما يدل على أن السكر ليس من الرزق الحسن.

السؤال الثاني:ما آخر آية نزلت في شأن الربا؟

قوله تعالى في سورة البقرة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨)فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ، وَلاَ تُظْلَمُونَ (٢٧٩))[٢٧٨، ٢٧٩]،

السؤال الثالث: ما المرحلة الأخيرة التي استقر عليها أمر الجهاد في سبيل الله؟

هي المرحلة الأخيرة التي في قوله تعالى: (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ، وَجَدتُّمُوَهُمْ، وَخُذُوَهُمْ، وَاحْصُرُوَهُمْ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا، وَأَقَامُوا الصَّلاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ .....) [التوبة: ٥] نعم. وهذه الآية وردت في سورة التوبة، وقد بينا أن هذه الآية هي التي نسخت الآيات السابقة من المراحل التي قدمنا بذكرها في الدرس الماضي.

السؤال الأخير: الذي نختم به هذه المراجعة. هل هذه المرحلة من مراحل الجهاد -التي ذكرها الأخ الكريم- ناسخة لما سبقها من المراحل؟

نعم هي ناسخة لمن كان حاله مثل حال النبي -صلى الله عليه وسلم-أحسنت .

هي ناسخة لمن كان حاله مثل حال النبي -صلى الله عليه وسلم- أما من كان حاله مثل حال النبي -صلى الله عليه وسلم- لما كان في مكة فلا شك أنه ينبغي له العمل أو يجب عليه أن يعمل بما كان عليه المسلمون عندما كانوا بمكة، لأنه لا يسعهم إلا ذلك. قد فصلنا ذلك تفصيلاً جيداً في الدرس الماضي، وذكرنا أن جماعة من أهل العلم قرروا ذلك، وأحكموه، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- وهذا فيه إجابة لسؤال إحدى الأخوات المتابعات معنا في درسٍ ماضٍ من هذا الأسبوع عندما سألت هل مراحل الجهاد المذكورة في القرآن منسوخة بالمرحلة الأخيرة أو ليست كذلك، ووعدناها بالإجابة على هذا، وهذا إجابة سؤالها إن شاء الله تعالى.

نستعرض مجموعة من الإجابات على أسئلة الدرس الماضي

تقول: إجابة السؤال الأول: فوائد معرفة أول وآخر ما نزل:

أولاً: تمييز الناسخ من المنسوخ.

ثانياً: معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، والتدرج في التشريع.

ثالثاً: أن نفهم القرآن فهماً صحيحاً.

رابعاً: إظهار عناية الصحابة بالقرآن حفظاً، وضبطاً.

الإجابة جميلة، وبالنص تماماً مما ذكرناه بالأمس.

إجابة السؤال الثاني: أشهر كتاب أسباب النزول للواحدي، ولباب النقول في أسباب النزل للسيوطي .

تقول: إجابة السؤال الأول: تنبيه الناس للناسخ ، والمنسوخ. معرفة التشريع الإسلامي، وتدرجه في الشريعة. فهم القرآن فهماً صحيحاً. إظهار عناية المسلمين بالقرآن إجابتها كالسابقة جزاها الله عنا كل خير.

من أهم كتب التفسير كتاب أسباب النزول للواحدي.

تقول: معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، وأن نفهم القرآن، وإظهار عناية المسلمين

- أيها الأحبة- درسنا في هذا اليوم - كما أخبرناكم- عن أسباب النزول، وهذا الموضوع من أهم موضوعات علوم القرآن، وهو موضوع طويل الذيول لو تحدثنا فيه بإسهاب، وفصلنا فيه تفصيلاً طويلاً لأخذ منا، وقتاً طويلاً لكننا نحيل الإخوة إلى الكتب المتخصصة في ذلك، والتي ذكرت ذيول هذا الموضوع، وما يتصل به، ونحن هنا نشير إلى أهم ما في هذا الموضوع مما ينبغي للطالب معرفته فأولاً: - أيها الأحبة- نقدم بهذا الأمر المهم، وهو أن القرآن من حيث السببية على قسيمن:

القسم الأول: ما نزل ابتداء، وهو أكثر القرآن، بمعنى أن أكثر القرآن نزل من غير سبب يستدعي نزوله كحادثة أو سؤال، ولذلك لا معنى لسؤال بعض الناس ما أسباب نزول هذه الآيات؟ أو يذهب ليتحرى عن أسباب نزول الآيات، ويجتهد في ذلك ظناً منه أن كل آية في القرآن فإن لها قصة أو حادثة، وقعت بسببها أو سؤال جاءت هذه الآية إجابة عليها أو نحو ذلك، فنقول: إن أكثر القرآن نزل ابتداء، والعجيب إني وجدت سماحة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين في مقدمة كتابه مقدمة أصول التفسير عندما ذكر هذا الموضوع مثل له بمثال عجيب قال: <ومن أمثلة هذا قول الله -سبحانه وتعالى- (ومِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥))[التوبة: ٧٥] > فالشيخ -رحمه الله تعالى- وهذا من حسن اختياره، وإبداعه في تأليفه، وهو من المبدعين في التأليف رحمة الله عليه رحمة واسعة- لما ذكر هذا المثال أراد أن يحقق فائدتين:

الفائدة الأولى: هي أن يذكر لنا مثالاً على ما نزل ابتداء.

والفائدة الثانية: وهي مهمة جداً أن يبين لنا أن هذا المثال قد اشتهر عند الناس بأن له سبب نزول، وهذا السبب باطل لأن إسناده ضعيف، ولأن معناها منكر، وهي القصة التي تروى عن ثعلبة ابن حاطب -رضي الله عنه- حيث إنه جاء يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدعو له بكثرة المال ثم إنه لما كثر ماله ترك المدينة، وترك الجمعة، والجماعة بعد أن تدرج في كل ذلك ثم إنه منع الزكاة فأنزل الله تعالى فيه قوله (ومِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥))، فيذكرون هذا السبب بهذه الآية فالشيخ أراد أن يبين بهذا المثال أن هذه الآية نزلت ابتداء، ولم تنزل على سبب خاص قصة أو سؤال أو نحو ذلك بل إنها ذكرت شيئاً من صفات المنافقين الموجودين في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وبهذه المناسبة نبين - أيها الأحبة- لكم جميعاً أنه ينبغي للإنسان أن يتحرى، وخصوصاً إذا كان في القضية قدح في مقام أحد الصحابة أو إزراء عليه أنه لا بد من التبين في ذلك، ومعرفة صحة ذلك السبب، والتأكد منه.

القسم الثاني: من أقسام القرآن من حيث السببية هو ما نزل على سبب خاص، وهو ما ندرسه في هذا اللقاء، وهو ما يسمى بأسباب النزول.

لو سمحت لي يا شيخ هل يمكن من حيث تقسيم هذه من حيث السبب أو غير السبب يعطينا دلالة على أولئك المشتشرقين الذين يقولون: بأن محمداً -صلى الله عليه وسلم- أتى بهذا القرآن من عند نفسه فإنه ينتظر حدثاً معيناً أو قصةً معينة ليخرج هذا الكلام من تلقاء نفسه -صلوات الله وسلامه عليه-

بالعكس أسباب النزول- كما بينا وأيضاً في الدروس الماضية ظهر لنا- تدل على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يتلقى الوحي من ربه فقد كانت تحدث الحادثة فيبقى النبي -صلى الله عليه وسلم- فترة ينتظر الوحي انظر مثلاً إلى قصة الإفك بقي النبي -صلى الله عليه وسلم- شهراً كاملاً ينتظر الوحي، ويبذل كل ما في وسعه ليتعرف على أطراف هذه القضية التي وقع البلاء فيها عليه في بيته- عليه الصلاة والسلام- واشتد عليه الخطب، وعظم الكرب، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ينتظر الفرج ، ولما أوحي إليه -عليه الصلاة والسلام- بعد شهر كامل نزل الفرج عليه، وعلى زوجه أم المؤمنين الطاهرة المطهرة عائشة بنت الصديق – رضي الله عنها- ومما يدل على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان رسولاً من عند الله، وعبداً لله -جل وعلا- يؤمر، وينهى، ويوحى إليه، ولا يتعدى ما أوحي إليه - عليه الصلاة والسلام-.

يقول بعض المستشرقين أو بعض أذنابهم: إن هذا الكتاب إذا ربطناه بأسباب معينة فهي نزلت لسبب معين لحدث معين، وينتهي هذا بانتهاء السبب، ويزول بزواله

سنقرر - إن شاء الله تعالى- في الدرس القادم قاعدة مهمة في باب أسباب النزول، وسنأتي عليها - بإذن الله سبحانه وتعالى- وهي:

... أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب...

وهذه قاعدة معتبرة عند أهل العلم، ومعروفة، وعليها جماهير أهل العلم: العبرة في القرآن كله بعموم ألفاظه لا بخصوص الأسباب النازلة فيه، ولكن سنبين بعد قليل -إن شاء الله- ما الفائدة من عناية العلماء بذكر هذه الأسباب، وما الحكمة العظيمة التي تجعل بعض آيات القرآن ينزل على سبب خاص.

ننتقل بعد ذلك - أيها الأحبة- إلى موضوع:

عناية العلماء بأسباب النزول: العلماء -رحمهم الله تعالى- اعتنوا بهذا الفن من فنون علوم القرآن، بل وأفردوه بالتصانيف، وأول من أفرده بالتصنيف علي بن المديني في كتاب له في ذلك. المتوفى في عام أربعة وثلاثين بعد المائتين.

وأشهر الكتب ـًـ كما ذكر الإخوة قبل قليل- كتاب أسباب النزول للواحدي، وهو من أشهر الكتب المؤلفة، و المطبوعة في هذا الباب، وقد حقق عدة تحقيقات، وموجود في الأسواق في عدة طبعات، كتاب أسباب النزول للواحدي هذا قد ألف في القرن الخامس لأن الواحدي توفي عام ثمانية وستين بعد الأربعمائة، وهو أشهر كتب الواحدي .

أما الكتب الثاني: من كتب أسباب النزول، وهو مشهور أيضاً فهو: لباب النقول خلافاً لما ذكرته إحدى الأخوات هنا، والذي أجابت عبر الموقع بأنه لباب المنقول نقول: هو لباب النقول في أسباب النزول، وهو أوعب من هذا الكتاب الذي هو كتاب الواحدي إلا أن كتاب الواحدي يذكر الروايات بأسانيدها يعني بإسناده إلى منتهى الإسناد أما السيوطي فقد اختصر ذلك فلم يذكر شيئاً من الأسانيد لكنه جاء بمرويات أخرى فاتت الواحدي -رحمه الله تعالى-

من المؤلفات المهمة في هذا الباب كتاب مفيد جداً، ومهم في هذا الباب، وهو كتاب للحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- المتوفي عام اثنين وخمسين وثمانمائة من الهجرة النبوية أي في القرن التاسع الهجري، وهذا الكتاب اسمه: العجاب في بيان الأسباب، وهذا الكتاب على أهميته إلا أنه لم يخرج للناس مطبوعاً إلا منذ سنوات قليلة لم تتجاوز العشر سنوات، ولم يخرج كاملاً حتى الآن لأن نسخه مفقودة، ويظن أن الكتاب لم يكتمل أو أنه اكتمل، وفقد البقية منه فالموجود منه الآن من أول القرآن إلى سورة النساء، والكتاب لا شك أن مؤلفه من أعلم أهل الأرض بالسنة النبوية، وهو محقق يكفيه فخراً، وشرفاً: كتابه العظيم الذي ألفه شرحاً على صحيح البخاري، ويسمى فتح الباري بشرح صحيح البخاري فهذا الكتاب مفيد جداً، وفيه تحقيقات متميزة، لكنه لم يكتمل- ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤتى به، ويعثر على مخطوطاته حتى يحقق، ويحصل للناس بذلك خير كبير.

أيضاً: اهتم المعاصرون بذكر أسباب النزول، وفيه مؤلفات كثيرة، ومنها صحيح أسباب النزول للأستاذ إبراهيم العليّ، ومنها أيضاً كتاب للشيخ مقبل بن هادي الوادعي اسمه صحيح المسند من أسباب النزول هذا الكتاب ألفه الشيخ مقبل، وهو في السنة الرابعة من الكلية عندما كان طالباً في الجامعة الإسلامية، -رحمه الله رحمة واسعة- وقد اقتصر فيه على ما صح من أسباب النزول، وذكر ذلك بالإسناد لأنه قال: الصحيح المسند. أي الذي ورد بإسناده.

هذه من أهم الكتب التي يهمنا ذكرها في باب أسباب النزول.

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى: تعريف أسباب النزول: أسباب النزول يمكن أن نعرفها بشكل مختصر بهذا التعريف الذي بين أيدينا «ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة، وسؤال» إذن أسباب النزول تعريفها هذا التعريف المختصر [ما نزل قرآن بشأنه] يعني إذا نزل شيء من القرآن على أمر من الأمور سواء كان هذا الأمر [حادثة وقعت] ونزل القرآن لكشفها، وبيانها، وذكر حكم الله- سبحانه تعالى- فيها أو كانت هذه الواقعة [سؤال] وقع من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو من غيرهم فجاء القرآن ببيان الإجابة عليه.

وهنا نقول - أيها الأحبة- في قولنا: [وقت وقوعه] إنما ذكرناها رداً على بعض العلماء الذين ذكروا في أسباب النزول حتى القصص المتقدمة فيقولون مثلاً: في قصة ثمود أو في قصة عاد أو غيرها سبب نزولها هو أن قوم عاد فعلوا، وتركوا أو أن قوم ثمود فعوا، وتركوا فنقول: لا .. إن أسباب النزول مقصورة -في الحقيقة- على الوقائع، والأحداث التي حصلت في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ونزل قرآن بشأنها.

وبهذا نعرف تساهل بعض أهل العلم عندما ذكروا في كتبهم في سورة الفيل قالوا: سبب نزولها حادثة الفيل، فنقول: هذا خبر من الأخبار أخبر الله -سبحانه وتعالى- عنه بقوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ (١)أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢)) [الفيل: ١، ٢]،إلى آخر السورة فهذا لا يعتبر من أسباب النزول، وليس من هذا الباب في شيء، إنما يكون من أسباب النزول ما نزل القرآن بشأنه وقت وقوعه، وقولنا: [كحادثة وسؤال] هذه أنواع ما يحصل من أسباب النزول: إما أن تكون حادثة أو تكون سؤال مثال على الحادثة سورة المسد عندما، وقف النبي -صلى الله عليه وسلم- على الصفا، ونادى في قبائل قريش قبيلة قبيلة حتى اجتمعوا عليه فقال: أرأيتم لو أني أخبرتكم بأن خيلاً صبحتكم خلف هذا الوادي أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً فقال لهم: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال له عمه أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ قال: فنزل قول الله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، وَتَبَّ (١))[المسد: ١]، هذه حادثة، وقعت فنزل القرآن بشأنها، وذكر فيها الدعاء على أبي لهب بأن يده قد تبت، ومثال آخر سورة الضحى عندما انقطع الوحي اشتكى النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم ينزل عليه جبريل ليلتين أو ثلاثة فجاءت أم جميل زوج أبي لهب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت: لم أر شيطانك قد قربك أو إني أرى شيطانك قد قلاك أو هجرك لم أره قربك منذ ليلتين فاستوحش النبي -صلى الله عليه وسلم- من ذلك فأنزل الله تعالى عليه (والضُّحَى (١)وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢)مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ، وَمَا قَلَى (٣))[الضحى: ١: ٣] فهذا مثال على الحادثة التي تكون وينزل قرآن بشأنها.

المثال على السؤال أيضاً كثير جداً: سؤال اليهود عندما سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- ما تقول يا محمد في أمر الروح؟ فسكت النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث ابن مسعود في صحيح البخاري ثم نزل عليه جبريل بقوله تعالى (ويَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥))[الإسراء: ٨٥]، ومثله أيضاً قصة خولة بنت ثعلبة عندما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فجاءت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- تشتكي حالها، وتقول: يا رسول الله إنه قد أكل شبابي، ونثرت له بطني، وإن لي منه أولاداً إن ضممتهم إلي جاعوا، وإن تركتهم عنده ضاعوا فما ترى يارسول الله ؟ والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: قد حرمت عليه. قالت فما هو إلا ونزل عليه الوحي بقول بقول الله -سبحانه وتعالى- (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا، وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، واللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١))[المجادلة: ١] فهذا جواب لسؤال جاءت به هذه المرأة التي سميت هذه السورة بوصفها، وهي المجادلة هذا تعريف لأسباب النزول.

نستعرض مجموعة من الأسئلة:

تقول: شيخنا الفاضل الآية التي في سورة الروم (ومَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُضْعِفُونَ (٣٩))[الروم: ٣٩] أخذنا في الدرس الماضي أن هذه هي المرحلة الأولى في تحريم الربا، وذكر ابن كثير في تفسيره أن المقصود بهذه الآية ليس هو الربا المحرم بل هدية الرجل للرجل يريد الزيادة عليها، وهو مكروه، وليس حراما فهل من تعارض مع ذكرناه في درسنا السابق؟

ليس هناك من تعارض -بإذن الله-لأن المقصود بالآية تحريك موضوع الربا، وبيان أنه أمر يخالف ما ينبغي أن يكون عليه المسلم، ولذلك قال: (ومَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ اللَّهِ) فهو ذم لما يفعله الناس من طلب الربا، والزيادة في أموال الناس سواء كان بالهدية أو بالبيع، والشراء أو غيرهما.

يقول: سؤالي حفظكم الله: هل هناك اختلاف في أسباب النزول بالنسبة للمذاهب؟

سيأتينا بعد قليل أيها الأخ الكريم إن كان في الدرس بقية كيف نفعل عندما تتعدد أسباب النزول؟ وماذا نقدم هل نقدم الصريح أو نقدم الصحيح، وما هي الخطوات العملية التي ذكرها العلماء عند التعارض في هذا الباب؟ فلعل الإجابة تكون في ذلك بإذن الله سبحانه.

يقول: عندما تتحدثون فضيلة الشيخ عن أحد الكتب تقولون: إنه محقق. ما معنى محقق؟

الكتاب المحقق: هو الكتاب الذي قام على النظر في مخطوطاته أحد طلاب العلم أو أحد العلماء الباحثين فيجمع هذه المخطوطات، ويختار أقرب هذه المخطوطات إلى كلام المؤلف، بحيث يجمع النسخ، ويقارن بينها ثم يخرج لنا نصاً محققاً مدققاً مصححاً مضبوطاً، وليس المقصود بالتحقيق كما يشيع عند بعض صغار الطلبة، وهو أن يخرج الإنسان الآيات، والأحاديث فهذه زيادة في التحقيق، ولكن التحقيق هو إخراج نص المؤلف مضبوطاً متقناً أقرب ما يكون إلى ماتركه المؤلف عليه فهذا معنى التحقيق، ولذلك قد تكون في كتاب ليس عليه أي تعليق هذا كتاب محقق، وقد تكون في كتاب آخر مليء بالتعلقات هذا كتاب غير محقق بناء على هذا المعنى الذي ذكرناه في معنى التحقيق.

يتساءل عن الكتاب الذي تدرسونه بين أيديكم الآن ليس لدينا كتاب مخصص في هذا الباب

نعم ليس هناك كتاب مخصص في هذا الباب، ولكن نشير على الإخوة أن يرجعوا إلى كتاب مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان فهو من أكثر الكتب التي تدرس في هذا الباب، والكتب معاصرة، وأيضاً كتاب للدكتور فهد الرومي دراسات في علوم القرآن فهو كتاب يوصى به في هذا المقام، فهي كتب جيدة، وجامعة، ومفيدة، وأساليبها أيضاً مناسبة، ومن أراد أن يتوسع أكثر فعليه بكتابي: الإتقان للسيوطي، والبرهان للزركشي- رحمة الله تعالى عليهم.

الطريق لمعرفة سبب النزول:

نعود مرة أخرى إلى موضوعنا - أيها الأحبة- فنقول: ما هو الطريق لمعرفة سبب النزول: الطريق لمعرفة سبب النزول ليس الاجتهاد أو النظر أو محاولة فهم الآية دون أن يكون هناك رواية صحيحة تؤخذ عن العلماء المعتبرين، والمصادر الموثوقة عند أهل العلم لذلك محمد بن سيرين سأل عبيدة السلماني -رحمه الله تعالى- عن سبب نزول آية فقال له عبيدة: اتق الله، وقل سداداً ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن. ليبين له أن نزول القرآن لا يكون بالاجتهاد، ولا بالنظر، ولا بالتدبر، وإنما يؤخذ بالرواية، والتلقي، ويجب على المسلم أن يتحرى في ذلك خصوصاً أنه يبنى على سبب نزول القرآن فهم الآية، ومعرفة معناها.

كما ينبغي لنا أن نذكر في هذا المقام - أيها الأحبة- التحذير من القول فيه بغير علم كما لا يجوز للإنسان أن يتكلم فيه بالروايات الضعيفة، والموضوعة، وما أكثرها في هذا الباب فهي كثيرة جداً، ومن طالع الكتب المحققة في هذا الباب، وجد أن كثيراً مما يذكر في أسباب النزول هو من باب الضعيف، والباطل، والمنكر الذي لا يجوز القول به كما بينا قبل قليل في قصة حاطب بن أبي ثعلبة -رضي الله عنه- .

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى طريق معرفة سبب نزول القرآن، نقول: طريق معرفة سبب نزول القرآن يكون عن الصحابة لأنهم هم الذين نقلوا لنا كيف نزلت آيات القرآن الكريم لكن إذا ورد السبب عن صحابي فلا يخلو الأمر من حالتين:

الأولى: أن تكون عبارة الصحابي صرحية في السببية، وهذا الموضوع بالمناسبة مهم جداً لأننا سنبني عليه بعض الدروس القادمة، أن تكون عبارة الصحابي صريحة في السببية مثل أن يقول: سبب نزول الآية كذا، فهذه عبارة صريحة في السببية بمعنى أن الصحابي يصرح بأن الآية نزلت على هذا السبب الخاص، وأن هذا السبب هو الذي نزلت الآية أصلاً من أجله، ومثل أيضاً أن يأتي بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول بعد ذكر حادثة أو سؤال: لاحظوا هذه العبارة أن يأتي بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول بعد ذكر حادثة أو سؤال كيف هذا؟ يعني أن يذكر حادثة من الحوادث ثم يقول: فأنزل الله أو يقول: فنزل قول الله أو يقول: فنزلت الآية فلاحظ هذه العبارة ذكر حادثة أو ذكر سؤالاً ثم قال بعده: فنزل قول الله -سبحانه وتعالى- كذا، وكذا مثلما ذكرنا في قصة أم جميل

عندما جاءت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت له ما قالت فاستوحش النبي -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله قوله (الضُّحَى (١)وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) فهذا يعتبر من النوع الصريح في السببية، وهذا عند العلماء - أيها الأحبة- له حكم المرفوع يعني يعد مثل الحديث الوارد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنه ليس فيه محل اجتهاد للصحابي أو نظر له بل هو حكاية بالواقع الذي كان عليه الحال في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو يحكي لنا الحالة التي نزلت عليها الآية فالعلماء يعدون هذا من قبيل المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنتم تعلمون أن المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- نوعان: مرفوع حقيقة، وهو الذي قاله النبي -صلى الله عليه وسلم- وتلفظ به صراحة، ومرفوع حكماً، وهو الذي لم يتلفظ به النبي -صلى الله عليه وسلم- لكن العلماء جعلوا له حكم ما قاله النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعنى كلمة مرفوع أي من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- .

إذن النوع الأول: مما يذكره الصحابة في أسباب النزول أن تكون العبارة صريحة في السببية، وذلك له مثالان أو سبيلان: الأول: أن يقول سبب نزول الآية كذا، والثاني: أن يأتي بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول، مادة النزول أن يقول: فأنزل فنزلت فنزل بعد ذكر حادثة أو سؤال، وهذا كما ذكرنا له حكم المرفوع عند جمهور العلماء.

سنقرأ بعد قليل كلاماً للسيوطي -رحمه الله تعالى- في هذا الباب يبين لنا كيف أن العلماء اختلفوا في هذه القضية.

الثانية: أن تكون الصيغة محتملة للسببية، وهذا مهم أن يعرفه طالب العلم لأن بعض الناس يقرأ في كتب التفسير مثلاً عبارة يظنها صريحة في السببية أو يظن أن مراد الصحابي منها ذكر سبب النزول فنقول له: لا.. انتبه إلى العبارة التي قالها، انظر إلى كلامنا هنا أن تكون الصيغة محتملة للسببية، ومحتملة لما تضمنته الآية من الأحكام مثل نزلت الآية في كذا فهذا العبارة -أيها الإخوة- لا تحمل على السببية بكل حال بل قد يريد بها الصحابي أن يذكر سبب النزول، وقد يريد بها، وهو الأكثر أن هذا الذي يذكره داخل في حكم الآية، ومثله أيضاً أحسب هذه الآية نزلت في كذا فهذا ليس له حكم المرفوع بل هو من الموقوف على الصحابي نعطي مثالاً لهذا - أيها الأحبة- في قول الله -سبحانه وتعالى- (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ)[البقرة: ٢٢٣]، لو قرأت مثلاً في تفسير ابن كثير أو غيره من التفاسير التي تهتم بالرواية لوجدتهم يذكرون الرواية عن ابن عمر -رضي الله عنه-، وهي رواية، واردة في صحيح البخاري من طريق نافع قال: «لما قرأت على ابن عمر -رضي الله عنه- قول الله -سبحانه وتعالى- (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ)، قال: نزلت هذه الآية في إتيان النساء في أدبارهن» فهل مراد ابن عمر -رضي الله عنه- أن سبب نزول الآية هو هذا الموضوع؟ لا.. بل سبب نزول الآية قد ثبت أيضاً في الصحيح من حديث جابر، وهو أن اليهود كانت تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله»لاحظ هذه على الطريقة أو على الصيغة الصريحة في السببية فأنزل الله (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)، وبهذا نعرف أن كلام ابن عمر في هذه الآية ليس المراد به أن يذكر سبب نزول الآية، وإنما أراد أن هذا الذي ذكره داخل في حكم الآية، ومثال قوله: أو أحسب هذه الآية نزلت في كذا: حديث عبد الله بن الزبير في الصحيحين أيضاً أن الزبير بن العوام حواري رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خاصم رجلاً من أهل بدر من الأنصار في شراج الحرة، وشراج الحرة هي الأماكن التي يجتمع فيها الماء من الحرة، الحرة المعروفة في المدينة فاختصما إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في شراج الحرة فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- (اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك) فغضب الأنصاري، وقال: «أن كان ابن عمتك» يعني كأنه اتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في حكمه، ومال إلى أن يحكم لابن عمته، وهو الزبير بن العوام -رضي الله عنه- فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: (اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر ثم أرسل الماء) قال عبد الله بن الزبير، وأحسب هذه الآية نزلت في هذا، وهي قوله (فَلاَ ورَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (٦٥))[النساء: ٦٥] فتأمل كيف أن عبد الله يقول: أحسب أن هذه الآية نزلت في كذا فهذا ليس من الأسباب الصرحية بل هو من الأسباب المحتملة يعني قد يكون مراده أن الآية نزلت في هذا، وهذا سبب نزولها أو أنها داخلة في حكم الآية، ولذلك ليس لها حكم المرفوع عند العلماء بل هو من الموقوف على الصحابي أما إذا ورد مثل هذا عن التابعين فهل يكون له حكم المرفوع؟ يقول السيوطي -رحمه الله تعالى- [فهو مرفوع أيضاً لكنه مرسل] يعني: والمرسل كما تعلمون من أقسام الحديث الضعيف، قال:[فقد يقبل القول في أسباب النزول من التابعي إذا قال مثلما ورد عن الصحابي إذا صح السند إليه] إذا كان السند إلى التابعي صحيحاً، [وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة، مثل قال كمجاهد، وعكرمة، وسعيد ابن جبير أو اعتضد بمرسل آخر يقول إنه إذا ورد

سبب النزول عن التابعين فإنه يحتمل قبوله إذا كان ذلك صريحاً في السببية، وكان القائل به من أئمة التفسير المعروفين بالأخذ عن الصحابة كمجاهد، وسعيد ابن جبير، وعكرمة أو اعتضد بمرسل آخر فإنه في هذه الحالة يقبل القول فيه على أنه من أسباب النزول.

ننتقل بعد هذا إلى قراءة كلام للسيوطي في هذه المسألة فلعلنا نستمع إليه ويقرأ علينا الأخ الكريم من كتاب الإتقان في علوم القرآن في هذا الموضوع موضوع أسباب النزول، تفضل:

قال السيوطي -رحمه الله تعالى- <المسألة الرابعة: قال الواحدي: لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية وبالسماع، ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وقد قال محمد بن سيرين سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله، وقل سداداً ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن > إذن هذه تبين عناية العلماء بمعرفة الأسباب من جهة، وضبطهم لهذا الباب، وعدم السماح بالقول فيه إلا لمن أخذه بطريقة صحيحة مضبوطة متقنة، وألا يقال فيه بأي رواية تأتي بل يقال فيه بالرواية الثابتة الصحيحة.

<وقال غيره معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بقضايا، وربما لم يجزم بعضهم فقال: أحسب هذه الآية نزلت في كذا كما أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرة فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- (اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فقال الأنصاري: يارسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجهه -صلى الله عليه وسلم- ...الحديث) قال ابن الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) قال الحاكم في علوم الحديث إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي، والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند، ومشى على هذا ابن الصلاح، وغيره، ومثلوه بما أخرجه مسلم عن جابر قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ)وقال ابن تيمية قولهم: نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب، كما تقول: عني بهذه الآية كذا وقد تنازع العلماء في قول الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا هل يجري مجرى المسند كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند، فالبخاري يدخله في المسند، وغيره لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد، وغيره بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند، انتهى، >

هذا كلامه، إذن يبين لنا أن الصحابي إذا صرح بالسببية فإنهم جميعاً يقولون: بأن حكمه حكم المسند المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أما إذا قال: نزلت الآية في كذا فإن البخاري -رحمه الله تعالى- يجعله بمثابة المسند يعني المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وجمهور العلماء يعدون هذا من قبيل قول الصحابي الموقوف عليه، ولا يعدونه من المسند، وبهذا يتبين لنا أن المسألة فيها كلام لأهل العلم، وخلاف بينهم فنتأمل كلام شيخ الإسلام الذي نقله السيوطي -رحمه الله تعالى- من المقدمة المعروفة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

إذن إذا قال سبب نزول الآية كذا أو صرح بالسببية فهذا مرفوع عند جميعهم، وأما إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فأكثر أهل العلم على أن هذا من الموقوف على الصحابي، وأنه من قبيل تفسير الصحابي، والبخاري، وبعض أهل العلم يرون أنه من قبيل المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

<قال الزركشي في البرهان قد عرف من عادة الصحابة، والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السببَ في نزولها فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع >

إذن هذا يبين لنا أن أكثر أهل العلم على أن العادة الجارية في كلام الصحابة إذا قال الواحد منهم: نزلت هذه الآية في كذا فإن مرادهم أن هذا يدخل في حكم الآية، وهو من قبيل التفسير منه للآية لا من قبيل ذكر السبب، وإنما أكدنا على هذا الموضوع، وقرأنا هذا الكلام الطويل للسيوطي -رحمه الله تعالى- ليتبين للإخوة جميعاً التفريق بين ما يذكر في الأسباب، وما يذكر من قبيل التفسير من الصحابة.

<قلت: والذي يتحرر في سبب النزول أنه مانزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كقصة قوم نوح، وعاد، وثمود، وبناء البيت، ونحو ذلك، وكذلك ذكره في قوله (واتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (١٢٥))[النساء: ١٢٥]، سبب اتخاذه خليلاً ليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى>

قد تقدم شرح هذا بما يكفي -إن شاء الله- إذن هذا الكلام من السيوطي -رحمه الله تعالى- قد شمل عدداً من المسائل، وقد ذكرناها بالتفصيل قبل قليل.

هل يكون سببان صحيحان أو أكثر لنزول الآية أو لا بد من سبب، واحد فقط حيث إن بعض الكتب يذكر فيها عدة أسباب للنزول فما هو الصحيح في هذه المسألة؟

هذه المسألة سنفصل فيها - إن شاء الله- في الدرس القادم حول تعدد أسباب النزول في الآية الواحدة، وماذا يمكن أن يفعله طالب العلم عندما تتعدد هذه الأسباب؟ ومرة تكون كلها صريحة، ومرة تكون كلها محتملة، ومرة يكون بعضها صريحة وبعضها محتملة سنذكر ذلك - إن شاء الله تعالى-بالتفصيل.

تقول: السلام عليكم، ورحمة الله : قول الله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ، وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ)[البقرة: ٢١٦]، هذه الآية تجعل في أي مرحلة من مراحل التشريع ؟

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٢١٦))الحقيقة أني لا أدري لكنها هي بعد فرض الجهاد بعد المرحلة الثانية قطعاً، وهي مرحلة الإذن بالقتال، المرحلة الثانية من مراحل الجهاد في سبيل الله (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ)[الحج: ٣٩]، ثم بعدها فرض القتال على المسلمين، فهي بعد المرحلة الثانية لكن هل نزلت في آخر المراحل في المرحلة الثالثة أو في المرحلة الرابعة ليس عندي بينة في هذا الباب.

ننتقل - أيها الأحبة- إلى أمر مهم جداً في هذا الباب، وهو فوائد معرفة سبب النزل نقول: هناك فوائد كثيرة ذكرها أهل العلم نقتصر منها على أربع فوائد:

الفائدة الأولى: معرفة حكمة التشريع فإن الإنسان إذا عرف سبب نزول آية ما فإنه قد يعرف معها حكمة تشريع الله -سبحانه وتعالى- من ذلك الحكم الذي نزل في تلك الآية مثال ذلك ما ذكرناه في قصة خولة بنت ثعلبة عندما جاءت مشتكي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما وقع من زوجها عندما ظاهر منها فإنها جاءت، وهي تخبره بالواقع وبالحال التي هي عليها كبرت سنها، ورق عظمها، ونثرت ما في بطنها، وأكل زوجها شبابها، ولها أولاد منه إن ضمتهم إليها جاعوا، وإن ضمتهم إليه ضاعوا، فهي تشتكي حالها، وزوجها قد ظاهر منها أي حرمها على نفسه تحريماً مغلظاً، وقال: أنت علي كظهر أمي فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرها بحال هذه الكلمة في الأصل، وهي أنها تحرم عليه بهذه الكلمة فهي تشتكي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله -سبحانه وتعالى- من عنده الفرج، والكفارة للمظاهر (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) وبين أن هذه الكلمة إثم وزور ومنكر من القول عظيم، وذكر الكفارة، وهي عتق رقبة ثم إن لم يجد صام شهرين متتابعين ثم إن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً فنعرف بأسباب النزول نعرف بها حكم التشريع:

الفائدة الثانية: وهي مهمة جداً، وهي من أعظم فوائد معرفة أسباب النزول: فهم الآية فهماً صحيحاً ، ولعلنا نمثل على ذلك بمثال أو مثالين عندما تقرأ قول الله -سبحانه وتعالى- (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨))[البقرة: ١٥٨] هذه الآية عندما تقرؤها تفهم منها أن الطواف بين الصفا، والمروة مباح، لأنه يقول: (فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا)، وهذا ما فهمه عروة بن الزبير -رضي الله عنه- عندما جاء إلى أم المؤمنين عائشة خالته -رضي الله عنها- جاء إلى عائشة وقال: لا أرى حرجاً على من ترك السعي بين الصفا، والمروة، قالت: «بئسما قلت يا ابن أختي » ثم بينت له السبب كما بينه أنس بن مالك -رضي الله عنه- ما هو السبب؟ السبب أنه كانت على الصفا، والمروة صنمان من أصنام المشركين إساف، ونائلة فلما جاء المسلمون ليحجوا، ويعتمروا تحرجوا من الطواف بينهما لأن بينهما صنمين من أصنام المشركين فأنزل الله هذه الآية لإزالة الحرج الذي، وقع في نفوس الصحابة من طوافهم

بين صنمين من الأصنام التي وضعها أهل الجاهلية فقال الله: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ) ليست من شعائر الكفر، ولا من أمور الجاهلية بل هل من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر (فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا) لا حرج عليه لو تطوف بهما، وعليهما هذان الصنمان لأنهما في الأصل من شعائر الله، وليسا من شعائر الجاهلية، والأمثلة على ذلك كثيرة لو أردنا أن نأخذها.

الفائدة الثالثة: تيسير الحفظ، والفهم لأن الإنسان إذا عرف سبب نزول الآية تيسر عليه حفظها، وسهل عليه فهمها.

الفائدة الرابعة: معرفة من نزلت فيه الآية لئلا تحمل على غيره بدافع الهوى، وهذا يحدث كثيراً عند أهل البدع حيث يحملون بعض الآيات القرآنية على من يريدون أن يحملوها عليه ممن يعظمونه، ويحملون بعض الآيات التي فيها ذم أو وعيد أو غير ذلك على من يخالفونه أو من يشنؤون عليه، ويسبونه مثلاً من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمعرفة أسباب النزول تبين المعنى الصحيح في ذلك، ولعل في ذلك قصة نختم بها، وهي قصة مروان بن الحكم عندما أراد أن يحمل الناس على بيعة يزيد، ويأخذ ليزيد بالبيعة في عهد أبيه معاوية -رضي الله عنه- فإنه خطب الناس في ذلك، وأراد أن يبين لهم هذا الأمر، ويحملهم على البيعة فأنكر ذلك عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فقال مروان بن الحكم خذوه فإن هذا هو الذي أنزل الله سبحانه فيه (والَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ، وقَدْ خَلَتِ القُرُونُ مِن قَبْلِي)[الأحقاف: ١٧] فخرج عبد الرحمن بن أبي بكر، ودخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، وسمعت عائشة هذا الكلام من مروان، وقالت: (كذبت أو كلمة نحوها، والله ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا ما أنزل الله فيه عذري، ثم قالت: لو شئت أن أسمي الذي نزلت فيه لسميته) مما يدل على أن معرفة أسباب النزول تفيد في باب تعيين من نزلت فيه الآية لئلا تحمل على غيره بدافع من الهوى حباً أو بغضاً.

يقول: فضيلة الشيخ: هل نقيس حالنا على حال أهل مكة فقط في مسألة الجهاد أم في جميع الشرائع؟

لا.. ليس في كل الشرائع نقيس أنفسنا على أهل مكة، ولا حتى في أمر الجهاد، بل نحن نقول في أمر الجهاد، وفي غيره من الشرائع إن كان الأمر مما حرمه الله -سبحانه وتعالى- فيجب علينا أن ننتهي عنه، وأن لا نأتي منه شيئاً لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه)، وأما إن كان مما أمر الله به فإن كان لنا به قدرة، ولنا عليه استطاعة يجب علينا القيام به كما أمر الله -سبحانه وتعالى- بدون أن نترخص بشيء من ذلك، وأما إن كان ليس لنا به قدرة، وليس للمسلم عليه طوق واستطاعة فإنه يقوم بما يستطيعه من ذلك الواجب لقوله -صلى الله عليه وسلم- (ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم) وقوله -جل وعلا- : (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا)[البقرة: ٢٨٦] وقوله -جل وعلا- (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)[الحج: ٧٨] إلى آخره من الآيات الدالة على أن على أن الإنسان يأتي بما يستطيع مما أمر به، ولا يجوز لأحد - أيها الأحبة- أن يمثل نفسه بأهل مكة فيترك الشرائع، ويكتفي بكونه دخل في الإسلام أو يكتفي بمهمات هذا الدين، وضرورياته، ويدع ما دون ذلك بحجة أن الفترة التي يعيش فيها هي مثل الفترة المكية أو نحو ذلك لكن هذا يقدر بقدره، والذين يقدرون ذلك العلماء الراسخون. فبعض الشرائع قد لا يستطيع المسلمون القيام به لأسباب وملابسات، ويعرف العلماء كيفية تنزيل هذه الشريعة أو هذا الأمر على واقعهم فيفتون، ويقولون بقولهم في هذه المسألة بما يجعل المسلم بعيداً عن التفلت عن أحكام الله سبحانه وتعالى.

يسأل عن كتاب ابن المرزبان هل هو موجود فضيلة الشيخ؟

لا نعرف أنه موجود- الحاوي في علوم القرآن- ليس موجوداً فيما أعلم.

وكذلك يتساءل عن أحد المستشرقين ألف في علوم القرآن كتابين؟

قد يكون جولد تسيهر نشر مؤلفين نعم هو من أكثر المستشرقين الذين تكلموا في علوم القرآن هو هذا المستشرق، وقد ذكر أغاليط كثيرة جداً، ولكن رد عليه العلماء بما يكفي، ويشفي بفضل الله تعالى.

يسأل: ما تقييمكم لأسباب النزول المذكورة في حاشية تفسير الجلالين؟

المذكور في حاشية تفسير الجلالين في أكثر الطبعات هو كتاب الواحدي -رحمه الله تعالى- أو كتاب: لباب النقول للسيوطي، بعضهم يذكر في الحاشية لباب النقول للسيوطي ليجمع بين الجلالين حيث إن تفسير الجلالين قد ألفه جلالان جلال الدين المحلي ثم أكمله جلال الدين السيوطي فيجعلون في الحاشية لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي -رحمه الله تعالى- وأحياناً يجعلون كتاب أسباب النزول للواحدي، والكتابان لا شك أنهما من أشهر الكتب المؤلفة في هذا الباب، وكتاب السيوطي أكثر ضبطاً، وإتقاناً، وكتاب الواحدي كما ذكرنا مسند يعني يذكر الأسانيد لكنه ليس من الدقة مثل دقة السيوطي -رحمه الله تعالى- ولا بنفس استيعابه فإن السيوطي قد اطلع على كتب السنة ليست كالكتب التي اطلع عليها الواحدي -رحمه الله تعالى- علماً بأن علم السيوطي بالسنة أكثر من علم الواحدي بها لأن الواحدي من علماء القراءات واللغة أكثر منه من علماء الحديث النبوي.

يسأل عنه الكتاب الذي قرأ منه الأخ عبد المحسن؟

الكتاب الذي قرأ منه الأخ هو كتاب: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، وهو أشهر كتاب في علوم القرآن كما ذكرنا في أول هذه الدروس بحمد الله.

تقول: قال الله تعالى (وإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ)[البقرة: ٢٨٤] ما سبب نزول الآية الكريمة، وهل ما تحدث به النفس من المعاصي مع عدم العزم على فعله إطلاقاً مكروه؟

هذه الآية سنتحدث عنها - إن شاء الله تعالى-في باب الناسخ، والمنسوخ لأن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- لما أنزل الله هذه الآية تحرجوا جداً، وظنوا أن الله -سبحانه وتعالى- سيعاقبهم على ما تحدثهم به أنفسهم فأنزل الله بعدها قوله (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا) فجماهير المفسرين على أن هذه الآية الأخيرة من سورة البقرة قد نسخت هذه الآية التي ذكرتها الأخت (وإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ) والصحيح أنه لا نسخ في هذه الآية لأن هذه الآية من باب الخبر، والأخبار لا يصح فيها النسخ إنما يكون النسخ في الأمر، والنهي، والأحكام فقط أما الخبر إذا وقع عليه النسخ فهو تكذيب له، ولا يليق هذا بكلام الله -سبحانه وتعالى- فنقول: إن قوله تعالى (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا) فيه نسخ لما وقع في نفوس الصحابة من فهم الآية حيث فهموها على أنها بمعنى الجزاء والعقاب، والحقيقة أن الآية بمعنى المحاسبة يعني أن الله يحسب ذلك، ويحصيه على العباد، ويعلمه، ولا يخفى عليه خافية من أمر عباده سواء ما أسروه في أنفسهم أو ما أظهروه، ثم إننا لو قلنا: إن ماوقع في القلب لا يحاسب عليه الإنسان فإن النفاق، والحسد، والحقد، وكثير من أعمال القلوب لا تكون إلا في القلب وحده فكيف يقال: إن هذا لا يحاسب عليه الإنسان، ولا يجازى عليه؟ أرجو أن تتاح لنا فرصة - إن شاء الله- عندما نأتي إلى باب النسخ أن نتحدث عن هذه الآية لأنه مما يقع فيه اللبس عند كثير من الطلاب.

يقول: الإتقان في علوم القرآن، والبرهان أي النسخ تصلح لطالب العلم؟ النسخة المحققة المضبوطة أم ماذا ؟

نسخة الإتقان بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، هذه من أشهر النسخ المحققة، وتقع في أربع مجلدات، وأما في كتاب البرهان فمن أفضل النسخ التي اطلعت عليها نسخة بتحقيق عبد الرحمن المرعشلي، وهي أيضاً في أربع مجلدات.

يسأل، ويقول: هل النسخ فضيلة الشيخ يستلزم أن يكون من أمر سهل إلى أمر صعب أو العكس من العسير إلى اليسر؟

يحدث هذا، ويحدث هذا، وسنبين - إن شاء الله تعالى-عندما نأتي إلى باب النسخ -بإذن الله جل وعلا-.

تقول: هل الكتاب الذي تقرؤون منه هو مطلوب منا أو نكتفي بشرحك لأن الكتب لا توجد عندنا؟

إذا كان مسجلاً، وهو الحاصل في التسجيل الصوتي في الموقع فيكون مطلوباً لأن التسجيل سيكون موجوداً فعلى الطالب أن يقيد أهم المعلومات الموجودة في هذا التسجيل، وتكون ضمن ما يطالب به الإخوة.

هي تذكر أن الكتاب مرجع لابد أن يكون معها في هذا.

نحن لا نقرأ من كتاب معين إنما نختار بعض المقاطع من كتب أهل العلم، ونقرؤها، ونعلق عليها من أجل أن يعرف الإخوة أن هذه الحقائق، والمعلومات موجودة في كتب أهل العلم، ويعرفون كيف يوصل إليها- بإذن الله تعالى.

بارك الله فيك: عندما يأتي جبريل بالوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هل يأتيه بغتة دون علم مسبق للرسول أم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعلم بذلك فيتهيأ - عليه الصلاة والسلام- لاستقبال الوحي؟

جبريل ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- في أحوال الغالب منها إذا نزل بوحي جديد أنه ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- دون سابق علم منه، ولذلك يأتيه في أحوال، وأوقات لا يعلمها النبي -صلى الله عليه وسلم- يأتيه أحياناً ورجله على فخذ زيد بن ثابت فيتضرر زيد أو يصيبه ثقل وشدة من ثقل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما ينزل عليه الوحي هل كان النبي -صلى الله عليه وسلم- سيختار ذلك لو كان يعرف أن جبريل سينزل عليه؟ لا شك أنه لن يكون ذلك، وانظر مثلاًَ إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في حادثة الإفك عندما بقي شهراً، وذهبت عائشة إلى بيت أبيها لتمرض هناك فذهب إليها النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال لها:(يا عائشة إن كنت ألممت بذنب فاعترفي، والله يغفر لك، وإن كنت بريئة فسيبرئك الله. فقالت لأبيها: أجب رسول الله. فلم يدر ماذا يجيب به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم قالت لأمها مثل ذلك ثم قالت ما قالت عندما قالت: ألم تسمعوا إلى قول أبي يوسف؟ وقالت: ونسيت اسمه لأنها كانت صغيرة، وجارية حديثة السن -رضي الله عنها- ثم من غضبها أنها التفتت، وجعلت ظهرها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأبويها فأنزل الله جبريل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في تلك الحالة، وقال يا عائشة أبشري فقد برأك الله).

فانظر إلى أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يعلم عن نزول الوحي عليه في تلك الساعة، وأحيانا يكون نزول الوحي على الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو يعلم أو عنده مقدمات للعلم مثلما ينزل جبريل على النبي -صلى الله عليه وسلم- لمدارسته القرآن في رمضان فقد كان جبريل ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- يدارسه القرآن في كل رمضان حتى كان رمضان الذي توفي الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعده نزل عليه جبريل فدارسه القرآن مرتين.

ونحن نتحدث عن أسباب نزول القرآن، وأهمية معرفتها لورود الأحاديث أسباب كذلك، وألفت كتب في هذا المجال هل لمعرفة أسباب ورود الأحاديث أهمية ؟

نعم معرفة أسباب، ورود الحديث أيضاً مهمة جداً لفهم الحديث، وتنزيله على ما يريده النبي -صلى الله عليه وسلم- ونعطي على هذا مثالاً قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها) يحمله بعض الناس على أن الإنسان يخترع شيئاً حسناً في نظره، ويسنه للناس لكي يقتدوا به فيكون له أجرهم، وأجر أيضاً كل من عمل بتلك السنة إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجر العاملين شيئاً. نقول لهذا الأخ: لو قرأت السبب الذي ورد عليه الحديث ما قلت هذا القول كيف ذلك؟ الحديث كيف ورد لما جاء قوم من مضر مجتازي النمار عليهم من أثر الفاقة، والجوع ما أثر في النبي -صلى الله عليه وسلم- فماذا حصل؟ النبي -صلى الله عليه وسلم- جمع الناس ثم خطب فيهم، وأمرهم بالصدقة، وقال: تصدق رجل من صاع بره تصدق رجل من صاع شعيره حتى ذكر شيئاً يوافق أدنى المسلمين مالاً فجاء رجل من الأنصار معه كيس فيه دراهم أو دنانير تكاد يده تعجز عن حملها بل قد عجزت فوضعها بين يدي النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فتبادر الناس إلى الصدقة فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها) انظر إذن مراد النبي -صلى الله عليه وسلم- أن من عمل بشيء من شرع الله مما شرعه الله، وشرعه رسوله -صلى الله عليه وسلم- فالناس اقتدوا به في هذا الأمر المشروع، وفعلوا مثل فعله فإن له مثل أجورهم لأنه أحيا هذه السنة فالمقصود من سن يعني من أحيا سنة قد ماتت، ولم يكن الناس يعملون بها فله أجر أولئك الذين عملوا بها، وقد ألف فيها كتاب لا أذكر اسم مؤلفه لكن اسم الكتاب: التعريف بأسباب ورود الحديث الشريف يقع في ثلاثة مجلدات.

هل يعتبر ما يكون حكم المرفوع -في أسباب النزول- حصل للصحابي بعينه أم لغيره من الصحابة ؟

لا يلزم أن يكون حصل للصحابي بعينه، وهذا مثلما ذكرنا من الأمثلة في حيديث جابر عندما قال كانت اليهود تقول من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله -سبحانه وتعالى- في الرد عليهم (نِسَاؤُكُمْ

حَرْثٌ لَّكُمْ)[البقرة: ٢٢٣] فهذا لم يقع لجابر -رضي الله عنه- ومع ذلك يعتبر هذا من قبيل المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

عندما تكلمنا عن الربا، وعن الخمر، وذكرنا المراحل قلنا: إنه يلزم المرء الاستجابة لأمر الله، والوقوف عند التحريم، ولم نقل على حسب حاله، وعندما تكلمنا على أمر الجهاد في مراحله قلنا في المرحلة الأخيرة على حسب حاله فما سبب التفريق؟

أحسنت هذا السؤال دقيق الحقيقة، أقول: إن أمر الربا، وأمر الخمر من المنهيات المحرمات، والمنهيات، والمحرمات يجب على الإنسان أن يقلع عنها، وأن يتركها لأن الترك لا يحتاج من الإنسان إلى شيء آخر هو أن تقلع عن هذا المحرم، وتتركه استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (مانهيتكم عنه فاجتنبوه) ما قال فاجتنبوا منه ما استطعتم قال: فاجتنبوه لأن الاجتناب يكون أيسر من الفعل الفعل لا يكون إلا بحسب استطاعة الإنسان أما الجهاد فإنه شيء مطلوب منا أن نفعله فنقول: لا يفعل الإنسان منه إلا ما يطيق، ويقدر عليه والله -سبحانه وتعالى- هو وحده الذي يعلم ما إذا كان العبد قادراً أو غير قادر أو كانت الأمة المسلمة قادرة أو غير قادرة فهذ يدين الإنسان به فيقال: لا يفعل المسلم منه أو لا يفعل المسلمون إلا ما يقدرون عليه أرأيتم لو أن جماعة من المسلمين يبلغون ثلاثمائة أو أكثر بقليل أو أقل، وكانوا في أمة تبلغ الملايين هل نطالبهم بأن نقول: قولوا لهؤلاء الأمة: (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ، وَجَدتُّمُوهُمْ، وَخُذُوهُمْ، وَاحْصُرُوهُمْ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ)[التوبة: ٥] ؟ ؟ لا يطيقون ذلك، وهم الخاسرون لو فعلوا ذلك لأن ذلك سيبيدهم، ويذهب بهم جميعاً فنقول: لا.. أنتم في حالكم هذه لا يلزمكم هذا الأمر لأنكم لا تطيقونه، ولا تستطيعونه، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم) لو استطعتم المرحلة الأولى افعلوها، المرحلة الثانية افعلوها، المرحلة الثالثة افعلوها، المرحلة الرابعة افعلوها، ولا يجوز لكم أن تفعلوا ما دونها، والله أعلم.

فضيلة الشيخ هل يوجد أحاديث مرفوعة حقيقة في سبب النزول؟

النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يتحدث عن أسباب النزول إنما الذي يتحدث عن أسباب النزول هم الصحابة الذين يخبرون الناس عن واقع التنزيل يقولون: جاء فلان فسأل عن كذا فأنزل الله كذا، وقع كذا في عهد رسول الله فأنزل الله كذا، الذين يخبروننا عن هذه الأحوال، وينقلون هذه الوقائع، والأحداث، والأسئلة هم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا نعلم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يخبر بنفسه عن هذا الواقع.

تقول: بالنسبة للاختبار عند تعدد الأقوال مثلاً في أول الآيات نزولاً هل نذكر الأرجح أم جميع الأقوال؟

إذا طلب من الأخت أن تذكر أقوال العلماء في المسألة فإنها تذكر جميع ما ذكر، وإن طلب منها ذكر القول الراجح فتقتصر على القول الراجح.

إذا طبق المسلم حكماً من أحكام الله على ظاهرها مثلاً، وكما قال الشيخ الآن قد يكون غير صحيح في وضعنا الآن الذي يعيشه المسلمون في بداية الدعوة هل لو أقام شرعاً من شرع الله على ظاهره يأثم ؟

إذا أقامه بصورة غير صحيحة فلا شك أنه يأثم لأنه يكون فعل شيئاً بغير بينة، وعلى المسلم -أيها الإخوة- ألا يقدم على فعل شيء حتى يسأل أهل الذكر لأن الله قد كلفنا بذلك فقال: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٤٣))[النحل: ٤٣] وليس من حق أي مسلم أن يأخذ القرآن أو يأخذ السنة فيفتحها، ويطبق الأحاديث هكذا مباشرة دون أن يتعلم الطرق، والقواعد التي يفهم بها كلام الله، وكلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نعم ليس العلم في دين الإسلام حكراً على أحد معين. تعلمْ، ولا أحد يمنعك من ذلك، لكنك ما دمت طالباً لا يجوز لك أن تفتي أو تتصدر لإصدار الأحكام، وأنت لا زلت غير متأهل لذلك.

نأتي على أبرز ما أتينا عليه في هذا الدرس الطيب

تكلمنا في هذا الدرس:

أولاً: عن أن القرآن نزل من حيث السببية يقسم إلى قسمن الأول: ما نزل ابتداء، وهو أكثر القرآن، والثاني: مانزل على سبب خاص، وهو القليل منه، وذكرنا بعد ذلك أن العلماء اعتنوا بهذا الباب، وأفردوه بالتصانيف، وأول من صنف فيه على بن المديني، وأشهر الكتب في أسباب النزول أسباب النزول للواحدي، ولباب النقول للسيوطي -رحمه الله تعالى- ثم ذكرنا بعد ذلك تعريف أسباب النزول فقلنا: هي ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال ثم ذكرنا طريق معرفة سبب النزول، وأن طريق معرفة سبب النزول هي الرواية الصحيحة. وحذرنا من القول فيه بغير علم ثم بينا أنه إذا ورد السبب عن الصحابي فلا يخلو من حالتين أن تكون عبارته صريحة، وأن تكون محتملة، وقد فصلنا في ذلك، وبينا أيضاً الحالة في أمر التابعي، وختمنا القول بذكر بعض الفوائد في معرفة أسباب النزول، وهي معرفة حكمة التشريع، وفهم الآية فهماً صحيحاً، وتيسير الحفظ والفهم، ومعرفة من نزلت فيه الآية لئلا تحمل على غيره بدافع من الهوى. هذه جملة ما تحدثنا عنه في هذا الدرس.

نطرح أسئلة هذا الدرس فضيلة الشيخ لو تكرمت؟

أسئلة هذا الدرس سؤالان كما تعودنا:

السؤال الأول:: اذكر الصيغ غير الصريحة في أسباب النزول؟

السؤال الثاني:من فوائد معرفة الأسباب فهم الآية مثل لذلك؟

الدرس التاسع

قواعد و مسائل فى أسباب النزول

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً- اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وإنت تجعل الحزن - إذا شئت- سهلاً، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وارزقنا علماً ينفعنا.

- أيها الأحبة- جرت عادتنا أن نفتتح درس كل يوم بذكر بعض الأسئلة التي نسترجع بها ونستذكر بها ما مضى من درسنا في الحلقة الماضية، في الدرس الماضي تحدثنا عن أسباب النزول وهو موضوع مهم من موضوعات علوم القرآن ونريد الآن أن نجري مراجعة سريعة على أهم القضايا والمسائل التي ينبغي استذكارها في هذا الشأن:

السؤال الأول: كم هي أقسام القرآن من حيث السببية؟

القسم الأول: ما نزل ابتداء وهو الأكثر. والقسم الثاني: ما نزل بسبب و هو الأقل

إذن: أقسام القرآن من حيث السببية قسمان: القسم الأول: مانزل ابتداء. أي: من غير سبب من حادثة أو سؤال وهو الأكثر والثاني ما نزل بسبب خاص وهو الأقل وهو موضع بحثنا.

السؤال الثاني: مثل الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- لما نزل بدون سبب بآية، فما هي وما مراده بالتمثيل بها ؟

الآية قوله - سبحانه وتعالى- (وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥))[التوبة: ٧٥]، فأوردها الشيخ -رحمه الله تعالى- في الرد على من قال: إنها نزلت في الصحابي ثعلبة بن أبي حاطب -رضي الله عنه-

أحسنت. يعني: أراد الشيخ بهذا المثال أن يحقق هدفين:

الهدف الأول: أن يذكر مثالاً على ما نزل ابتداءً.

الهدف الثاني: أن يردَّ على من يستشهدون بهذه الآية فيذكرون فيها سبباً لا يصح وهو حديث ثعلبة بن أبي حاطب وقد ورد وقلت: في الدرس الماضي حاطب بن أبي ثعلبة وهذا خطأ والصحيح ثعلبة بن أبي حاطب.

السؤال الثالث: من أول من أفرد أسباب النزول بالتأليف؟

أول من أفرد أسباب النزول بالتأليف: هو الإمام على بن المديني- شيخ البخاري-.

أحسنت. على بن المديني: هو أول من عرف عنه أنه أفرد هذا الموضوع بالتأليف.

السؤال الرابع: اذكر تعريف أسباب النزول؟

أسباب النزول: ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال.

أحسنت. ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه من حادثة أو سؤال.

هذا مراجعة سريعة لكم - أيها الإخوة- الحاضرون في هذا الدرس. أسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يجعلها سبباً لفهمنا لما تلقيناه من علم.

نأخذ إجابات الأسئلة الماضية

طبعاً في ختام الدرس الماضي ذكرنا سؤالين ونحن في انتظار أجابتهما منكم أنتم - أيها الإخوة- الحاضرون ومن إخواننا المشاركين معنا في الموقع.

السؤال الأول: اذكر الصيغ غير الصريحة في أسباب النزول؟ هل هناك إجابة؟

الجواب كأن يقول الصحابي -رضي الله عنه-: نزلت الآية في كذا أو أحسب هذه الآية نزلت في كذ

أحسنت. هاتان الصيغتان غير صريحتين في السببية:

الأولى: [نزلت الآية في كذ] هذه تحتمل السببية وتحتمل أن تكون تفسيراً من الصحابي واستنباطاً منه لحكم من أحكام الآية.

والثانية:[أحسب هذه الآية نزلت في كذا أو ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في كذ] فهذ أيضاً غير صريح في السببية .

السؤال الثاني: من فوائد معرفة الأسباب فهم الآية فهماً صحيحاً مثل لذلك.

- بارك الله فيك- مثال ذلك: قصة عروة بن الزبير حينما سأل عائشة -رضي الله عنها- عن قوله تعالى (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا)[البقرة: ١٥٨].

أحسنت فإنه سأل أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قائلاً ما أرى على من حج البيت ألا يسعى بين الصفا والمروة فسألته عائشة ولمَ؟ قال: لأن الله قال: (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا)، يعني: فلا إثم عليه في الطواف بين الصفا والمروة إذن: هذا يدل على أن الطواف بين الصفا والمروة ليس واجباً من واجبات الحج، فردت عليه عائشة وقالت: بئسما قلت يا ابن أختى. ثم بينت له السبب الذي نزلت عليه الآية فإذا

فهم ذلك السبب عرف معنى الآية وفهمت الآية على وجهها الصحيح وذلك أن الصحابة تحرجوا من الطواف بين الصفا والمروة لأن عليهما صنمين: إساف ونائلة فلما شرع الطواف بين الصفا والمروة تحرجوا من ذلك وقالوا كيف نطوف بين صنمين؟ فأنزل الله - سبحانه وتعالى- هذه الآية مبيناً أن الصفا والمروة من شعائر الله وليست من شعائر الجاهلية، ولا من دين المشركين يعني: هي من دين الله ومن دين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام- المعروف. فرفع الجناح في الآية إنما جاء لهذا السبب ولهذه الغاية.

نستأذنك في استعرض مجموعة من الإجابات. الإخوة الدارسين معنا هذا الأخ أجاب على أسئلة الدرس الماضي يقول:

إجابة السؤال الأول: صيغ أسباب النزول: أولاً: أن تكون صيغة الصحابي صريحة في السببية كأن يقول: سبب نزول هذه الآية كذا أو يأتي بفاء السببية فيقول: حدث كذا فأنزل الله الآية، وهذا يكون في حكم المرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أما إذا ورد عن التابعي فإنه يكون في حكم الحديث المرسل

هو أجاب عن غير ما سألنا؛ لأننا سألنا عن الصيغ غير الصريحة فهو أجاب عن الصيغ الصريحة وعلى كلٍّ إجابته صحيحة وجزاه الله على ما فعل.

السؤال الآخر : يقول: أن تكون الصيغة محتملة للسببية أو لما تضمنته الآية من أحكام كأن يقول: نزلت الآية في كذا ويذكر فعلاً معيناً وهذه الصيغة الغالب أن تكون في ذكر الأحكام الداخلة فيها أكثر من سبب نزولها كما قال ابن عمر في آية: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ)[البقرة: ٢٢٣]، قال: نزلت في إتيان النساء في الأدبار يقصد أن حكمه داخل فيها. أما سبب نزولها فهو قول اليهود: إن الرجل إذا أتى امرأته من دبرها في قبلها أتى الولد أحول

نعم إجابة الأخ صحيحة.

قالت: السلام عليكم ورحمة الله: الصيغ غير الصرحية: كأن يقول: الصحابي: أحسب أن هذه الآية نزلت في كذا. أو يقول: نزلت هذه الآية نزلت في كذا. ويكون مراده تفسير الآية وليس ذكر السبب

إجابة السؤال الآخر: تقول: من فوائد أسباب النزول فهم الآية فهماً صحيحاً مثل قول الله تعالى (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا)،

نبدأ درسن

نبدأ درس اليوم بإذن الله - سبحانه وتعالى- وهو استكمال لما ابتدأناه في درسنا السابق.

اليوم - أيها الأحبة- سناخذ قواعد ومسائل مهمة جداً متصلة بموضوع أسباب النزول ونسأل الله - سبحانه وتعالى- الإعانة والتوفيق.

القاعدة المهمة العظيمة في هذا الباب والتي ينبغي ألا تغيب عن ذهن طالب العلم وهي قاعدة [العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب] هذه القاعدة ينبغي على كل طالب أن يفهمها حتى يطبق عليها ما يقرؤه من أسباب النزول ويفهم الآيات على ضوء هذه القاعدة كيف ذلك؟

اللفظ - أيها الأحبة- في القرآن يأتي بصيغة عامة في كثير من المواضع بخلاف السبب فإنه يأتي على نحو خاص وقضية معينة وسؤال محدد، وتأتي ألفاظ الآية عامة فأيهما نعمل به خصوص السبب أو عموم اللفظ؟

الذي عليه جماهير أهل العلم: أن العمل بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويكون السبب هو أول ما يدخل في ذلك اللفظ لكن لا يجوز أبداً أن يقصر اللفظ على ذلك السبب الذي نزلت فيه الآية بحيث لا يتعداه إلى أحد سواه وإلا لما انتفعنا بالقرآن الكريم في كل الآيات التي وردت على أسباب معينة بمعنى: أن هناك آيات وردت على

أسباب معينة لو أننا حملناها على من نزلت فيهم دون غيرهم ولم يدخل فيها أحد سواهم لما استفدنا من هذه الآيات ولما انتفعنا بها إذن: فالمعمول به والمعتبر عند جماهير أهل العلم سلفاً وخلفاً: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. مثال ذلك: آية اللعان قول الله - سبحانه وتعالى- في سورة النور (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦))[النور: ٦] إلى آخر الآيات التي وردت في صفة اللعان، هذه الآيات وردت على صفة خاص وهو سؤال عويمر العجلاني أو هلال بن أمية - كما سيأتي تفصيله بعد قليل- ثم نزلت الآية على هذا السبب الخاص فهل نأخذ بعموم اللفظ الذي يقول الله فيه (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ)، ولم يحدد شخصاً بعينه ولم يذكر زمناً محدداً أو مكاناً معيناً أو طائفة أو غير ذلك بل جاءت الآية بألفاظ عامة تشمل أصحاب القضية وغيرهم ممن كان على شاكلتهم واتصف بمثل ما اتصفوا به؟!! فنقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومثل ذلك أيضاً: آية الظهار التي نزلت بها الآيات في أول سورة المجادلة عندما قال الله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا)[المجادلة: ١]، فهذه الآيات نزلت لمعالجة قضية خاصة وهي قضية خولة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- عندما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فهل نقول: إن هذه الآيات نزلت في أوس ولا تتعداه لأحد سواه هذا قول لا يقول به أحد من أهل العلم- كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية- ويكون العبرة في هذا الموطن وفي غيره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لكن السبب التي وردت فيه هو أولى ما يدخل في عموم اللفظ بمعنى: أنه لا يجوز لأحد أن يخرج صورة السبب من عموم ذلك اللفظ، كائناً من كان لأن الآية وردت أصلاً وردت فيه ولم ترد في غيره فيجب ألا يخرج بأي حال من الأحوال، هذا بيان لهذه القاعدة العظيمة التي يجب أن تقع في بال طالب العلم وتكون على ذكر منه عندما يقرأ في أسباب النزول، وهذا يشمل: الأوامر والنواهي ويشمل حتى الأخبار بالمدح أو بالذم إذا مدح الله قوماً أو ذم قوماً في القرآن الكريم ونزلت آيات بسبب ذلك فإن هذه الآيات لا تقتصر عليهم، بل هي فيهم قطعاً وفي غيرهم ممن كان على شاكلتهم كذلك، مثل ما ورد في مدح أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- في خاتمة سور الأعلى حيث قال الله - سبحانه وتعالى-: (فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى (١٤) لاَ يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧)الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨)وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى(١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى (٢٠)وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١))[الليل: ١٤: ٢١] هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وهي كذلك عند عامة المفسرين لكن هل لا يدخل فيها أحد غير أبي بكر؟ نقول: من اتصف بهذه الصفات التي وردت في هذا الآيات واكتملت فيه فله ما فيها من مدح وجزاء وثواب.

ننتقل بعد ذلك - أيها الأحبة- إلى قضية أخرى من قضايا أسباب النزول وهي مهمة جداً لطالب العلم الباحث فيه فإن المتأمل في أسباب النزول يجد - أيها الأحبة- أن الآية الواحدة يرد فيها أكثر من سبب في كتب أسباب النزول وفي كتب تفسير القرآن الكريم فكيف يعمل القاريء عندما يرى مثل هذا الأسباب؟ هل يأخذها جميعاً أو يدعها جميعاً أو يتخير منها بهواه؟ نقول: لا.. قد وضع أهل العلم قواعد لمعرفة ما يؤخذ في هذا الشأن ويقبل وما يرد فنقول: في هذا الخصوص إذا تعددت المرويات في سبب النزول قدم الصحيح الصريح فإن تساويا وتقارب الزمان حمل على الجميع وإن تباعدا حكم بتكرار النزول أو الترجيح. هذا كلام مليء بالأنواع والأمثلة وسنفصله - إن شاء الله- تفصيلاً نرجوا أن يكون واضحاً لدى إخواننا جميعاً.

نقول: إذا تعددت المرويات في سبب النزول إذن: القضية التي سنتحدث عنها:

عندما تتعدد المرويات في سبب النزول أما إذا لم تتعدد فلا إشكال.

قال: قدم الصحيح الصريح إذن: عندنا مأخذان يجب أن ننتبه لهما: عندما ننظر إلى هذه المرويات ننظر إلى الصحة وننظر إلى الصراحة فأول شيء نقدمه ما كان صحيحاً صريحاً ما كان صحيحاً في سنده صريحاً في ذكر السببية بحيث صرح الصحابي فيه بقوله: سبب نزول هذه الآية كذا أو ذكر مادة النزول بعد فاء تعقيبية بعد أن ذكر حادثة أو سؤالاً فهذه صراحة في السببية فنقول: إذا جاءنا الصحيح الصريح قدمناه.

إذا جاءنا صحيح وغير صحيح لا شك أننا سنقدم الصحيح.

إذا جاءنا صحيح غير صريح وجاءنا أيضاً صحيح أيضاً غير صريح فإننا في هذه الحالة نقبل الجميع لأن غير الصريح كما ذكرنا قبل في الدرس الماضي قلنا: يحمل على التفسير ويحمل على أن الصحابي ذكر شيئاً مما يفهمه في معنى الآية.

وإذا جاءنا صريح في السببية لكنه ضعيف رددناه وقدمنا عليه ما كان صريحاً في السببية.

والآن ننتقل - أيها الأحبة- إلى ذكر هذه التقاسيم وذكر الأمثلة التي تدل عليها:

الأول: مثال ما كان فيه صحيح وغير صحيح والكل صريح فهنا نأخذ الصحيح وندع غير الصحيح وردت أسباب نزول لآية أو سورة بعضها صحيح وبعضها غير صحيح وكلها صريحة ففي هذه الحالة نأخذ الصحيح وندع غير الصحيح مثاله: سورة الضحى: سورة الضحى - أيها الأحبة- وردت لها في كتب التفسير أكثر من خمسة أسباب أشهرها سببان: السبب الأول: رواه البخاري ومسلم (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثة فقالت امرأة من قريش: إني أرى شيطانك قد قلاك لم يقربك منذ ليلتين أو ثلاثة فأنزل الله - سبحانه وتعالى- قوله (وَالضُّحَى (١)وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢)مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣))[الضحى: ١: ٣]) هذا حديث صحيح وهو في الوقت ذاته صريح في ذكر السببية؛ لأن مادة النزول جاءت مقترنة بالفاء بعد ذكر حادثة.

السبب الثاني: الوارد في هذا وهو سبب صريح، لكنه غير صحيح وهو سبب مشهور في كتب التفسير أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم ينزل عليه الوحي، بقي أربعة أيام لم ينزل عليه الوحي وهذا الحديث حدث به حفصة بن ميسرة عن أمه عن أمتها يقال لها: خولة وكانت خادمة النبي -صلى الله عليه وسلم- (فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لها: يا خولة ما لي أرى جبريل لم ينزل على منذ أربعة ليال!! قالت: فوقع في نفسي أن أنظف بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما رفعت جانب السرير وجدت جرو كلب قد مات فأخرجته قالت: فجاء رسول الله ترعد لحيته وكان - عليه الصلاة والسلام- إذا نزل عليه الوحي أصابته رعدة) فهذا السبب مذكور في كتب التفسير، لكنه ضعيف الإسناد، ضعفه الحافظ ابن حجر والسيوطي وغيرهم من أئمة الإسناد. الآن عندنا سببان صريحان: الأول صحيح والثاني ضعيف فأيهما نعمل به؟ نعمل بالصحيح وندع الضعيف من السببين.

الثاني: مثال الروايات الصحيحة وفيها الصريح وغيره فهنا نأخذ الصريح وندع غير الصريح كيف ذلك؟ قد ترد روايات كلها صحيحة، لكن بعضها صريح في السببية وبعضها غير صريح في السببية فأيها الذي يعمل به؟ لا شك أن الذي يعمل به في هذا الموطن هو الصريح دون غير الصريح مثال ذلك: قول الله - سبحانه وتعالى- (وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)[البقرة: ١١٥] هذه الآية ذكر المفسرون لها خمسة أسباب، الصحيح منها ثلاثة والصريح من هذه الثلاثة اثنان إذن: دعونا ننظر، ذكر المفسرون لهذه الآية خمسة أسباب اثنان ضعيفان وثلاثة صحيحة، هذه الصحيحة اثنان صريحان وواحد غير صريح ما هي هذه الأسباب؟

السبب الأول: (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما هاجر إلى المدينة كان يستقبل بيت المقدس وكان اليهود يعجبهم ذلك؛ لأنه يوافقهم في قبلتهم وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعجبه أن يستقبل الكعبة، البيت الذي بناه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام- وكان ينظر إلى السماء فأنزل الله - سبحانه وتعالى- (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ)[البقرة: ١٤٤] فاستقبل النبي -صلى الله عليه وسلم- الكعبة فقال اليهود: (مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[البقرة: من الآية١٤٢] ما الذي جعلهم يتركون القبلة التي كانوا عليها؟ فأنزل الله - سبحانه وتعالى- قوله (وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)) هذا حديث ثابت عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من رواية على بن أبي طلحة وهذا إسناد صحيح إليه.

الثاني: من الأسباب الصحيحة الصريحة حديث عامر بن ربيعة وهو في السنن قال:(كنا في سفر مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فأصابتنا ظلمة شديدة فلم ندر أين القبلة، فصلى كل واحد إلى جهة قال: فلما أصبحنا أخبرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله - سبحانه وتعالى- (وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ))
إذن: هذا سبب صحيح وأيضاً صريح ومثله السبب السابق صحيح وصريح.

السبب الثالث: صحيح لكنه غير صريح وهو حديث ابن عمر قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يصلى حيث توجهت به راحلته وفي ذلك أنزل الله قوله: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)، اللفظ هنا - أيها الإخوة- هل صريح أوغير صريح؟ غير صريح؛ لأننا بيَّنا في ألفاظ أسباب النزول أن قول الصحابي: نزلت الآية في كذا أو في هذا نزلت الآية أنه يحمل على أن ذلك داخل في حكم الآية وليس سبباً لنزول الآية إذن: معنى هذا أن هذا السبب- وهو في صحيح مسلم- صحيح في الإسناد، غير صريح في السببية فأي هذه الأسباب الآن نجعلها سبباً للنزول؟ الذي نجعله سبباً للنزول حديث ابن عباس في تحويل القبلة وحديث عامر بن ربيعة في صلاة الصحابة إلى جهات مختلفة عندما كانوا في ظلمة شديدة هذان هما سبب نزول الآية، أما حديث ابن عمر فيحمل على ماذا؟ يحمل على أنه فهمٌ أو حكمٌ يؤخذ من الآية وهو أن المسافر يجوز له أن يصلى النافلة على راحلته حيث توجهت به. هذا مثال.

والمثال الآخر: وقد قدمناه في الدرس الماضي وقد ذكره أحد الإخوة قبل قليل في الإجابة قول الله - سبحانه وتعالى- (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ)، فقد صح عن جابر أنه قال:(إن اليهود كانت تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله قوله: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ) فهذا صحيح وهو في الوقت ذاته صريح في السببية، والرواية الأخرى حديث ابن عمر أنه قال:(نزلت هذه الآية في إتيان النساء في أدبارهن) فهذا يحمل كلام ابن عمر على أن مراده أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم فنأخذ بالصريح الصحيح وندع الصحيح الذي ليس بصريح فلا نجعله سبباً في نزول الآية.

المثال الثالث: نفس هذه القاعدة ما صحت فيه الروايات وكانت صريحة وتقارب نزولها فإننا في هذه الحالة نحمل الآية أو نقول بجميع هذه الأسباب في تلك الآية ونقول: إن الآية نزلت في جميع هذه الأسباب، أن تصح الروايات في السببية وأن تكون أيضاً صريحة فيها، وهذا مثل آيات اللعان، آيات اللعان - أيها الأحبة- عويمر العجلاني سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- قائلاً:(يا رسول الله أرأيت إن وجد أحدنا مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم ماذا يصنع؟ فكره النبي -صلى الله عليه وسلم- مسألته وذلك أنه أرسل سيد بني عجلان يسأل هذا السؤال فكره النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه المسألة فجاء إلى عويمر وأخبره بما كره النبي -صلى الله عليه وسلم- فذهب عويمر وسأل النبي -صلى الله عليه وسلم-). في الوقت ذاته كان هلال بن أمية يسأل هذا السؤال ويقول:(يا رسول الله أرأيت إن رأى أحدنا مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم ماذا يصنع؟ وكان هلال بن أمية قد اتهم امرأته بشريك بن السحماء فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: البينة أو حد في ظهرك فقال هلال بن أمية: والله ليبرئنَّ الله ظهري من الحد ما أنا إلا صادق وما كذبت يا رسول الله، فأنزل الله على رسوله قوله تعالى (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦))[النور: ٦]) إلى آخر الآيات ولذلك لما جاء عويمر قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:(قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك قرآناً (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦)))

وكلا الروايتين صحيحة وكلاهما أيضاً صريحة فنقول: الآية نزلت في هلال بن أمية وفي عويمر العجلاني وذلك أن سبب النزول متقارب .

الأخير في هذا الباب: مثال ما صحت فيه الروايات وكانت صريحة لكن النزول كان متباعداً يعني: دلت الآثار أو دل الحال على أن هذا السبب قد نزل في وقت غير السبب الآخر وذلك في مثل قول الله - سبحانه وتعالى- (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ)[الإسراء: ٨٥]، فإنه قد ورد فيه روايتان: الرواية الأولى: حديث ابن عباس:(أن قريشاً قالت لليهود: أعطونا مسألة نسأل بها هذا الرجل فقال اليهود: سلوه عن الروح فسألوه عن الروح فأنزل الله - سبحانه وتعالى- قوله (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥))) فهذا وقع في مكة والسائلون هم أهل مكة سألوا اليهود أن يعطوهم سؤالاً يسألون به النبي -صلى الله عليه وسلم-.

الرواية الثانية: حديث ابن مسعود وهو صحيح البخاري قال ابن مسعود:(كنت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- نمشي في حرف المدينة وكان متوكئاً على عصا له، فمر بنفر من يهود فقال بعضهم: سلوه. وقال بعضهم: لا تسألوه؛ لئلا تسمعوا منه ما تكرهون، فقام بعضهم فسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الروح، فأطرق النبي -صلى الله عليه وسلم- كأنما يوحى إليه،أو وقد أوحي إليه ثم رفع رأسه فقال: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥))) فمثل هذا - أيها الأحبة- قد وقع فيه خلاف بين أهل العلم منهم من

يقول: لا بد أن نرجح، إما أن تكون الآية نزلت في الأول، وإما أن تكون الآية نزلت في الثاني. ومن أهل العلم من يقول: مادام أن الأسباب قد صحت جميعاً وتباعد النزول فإننا نقول: إن الآية نزلت مرتين. يعني تكرر نزول الآية في المرة الأولى وفي المرة الثانية وذلك تنبيهاً للعباد على أهمية الأمر وبياناً لخطورة الموضوع الذي نزلت فيه هذه الآيات وليس هناك ما يمنع من أن تنزل الآية أو السورة مرة أو مرتين أو أكثر من ذلك لحكمة يريدها الله - سبحانه وتعالى- ومثلها أيضاً قول الله - سبحانه وتعالى- (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى)[التوبة: ١١٣]، فهذه الآية ورد في نزولها سبب صحيح رواه البخاري ومسلم وهو حديث المسيب قال:(لما حضرت أبا طالب الوفاة اجتمع عليه صناديد مكة -أبو جهل وغيره- وجاء النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال له: يا عمي قل كلمة واحدة أحاج لك بها عند الله، فكان المشركون يقولون: أتذر دين عبد المطلب؟ فمازالوا به حتى قال: هو على دين عبد المطلب، ثم مات، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ (١١٣)) هذا سبب ظاهر. والسبب الثاني: ورد عن علي بن أبي طالب رواه الترمذي قال:(سمعت رجلاً من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- يستغفر لأبويه فقلت: أتستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: ألم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ قال: فأخبرت النبي -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله قوله: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ (١١٣)) فمثل هذا بعض العلماء يرجح ويقول: نأخذ بإحدى الروايتين، ونجعلها هي السبب. وبعض العلماء يقول: إن الآية نزلت في هذا ونزلت في هذا ولا شيء في ذلك. وهذا هو الأولى وهو: أن نقول بالجمع دون الترجيح؛ لأن في الترجيح إسقاطاً لإحدى الروايتين وإهمالاً لها واطراحاً للرواية، أما إذا جمعنا بينهما فإننا نكون قد أعملنا جميع الروايات وأخذنا بها ولم نسقط منها شيئاً. هذا هو خلاصة ما نعمله عندما تتعدد الروايات في أسباب النزول، ولعلنا نعود إليها مرة أخرى أو نعيدها مرة أخرى بشكل مختصر:

فنقول: إذا تعددت الروايات في سبب النزول فإنه يقدم الصحيح الصريح فإن تساويا وتقارب الزمان حملا على الجميع يقال: إن هذه الآية نزلت في هذا ونزلت في هذا، وإن تباعدا حكم بتكرار النزول أو بالترجيح على مذهب آخرين من أهل العلم ومثلنا على كل حالة من هذه الحالات بمثال أو أكثر ليتبين المقام. ننتقل بعد ذلك - أيها الأحبة- إلى قضية أخرى في أسباب النزول وهي تعدد الآيات النازلة لسبب واحد: هناك قضية في أسباب النزول ينبغي أن ينتبه لها طالب العلم وهي أنه أحياناً يكون هناك سبب واحد تأتي عدة آيات لأجل ذلك السبب مثاله: حديث أم سلمة -رضي الله عنها- لما قالت للنبي -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه الترمذي: (يغزو الرجال ولا نغزو وإنما لنا نصف الميراث) فأنزل الله (وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (٣٢))[النساء: ٣٢] فبين الله في هذه الآية: أنه لا ينبغي لأحد من الجنسين أن يتمنى ما أعطي الجنس الآخر وليسأل كل واحد منهما ربه - سبحانه وتعالى- من واسع فضله وقالت أيضاً في حديث آخر: (يا رسول الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء فأنزل الله (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ)[الأحزاب: ٣٥]) وفي رواية أخرى (فلم يرعني إلا ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المنبر يقرأ قول الله تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ)، إلى آخر الآية) وأنزل (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ)[آل عمران: ١٩٥]، فانظروا القضية واحدة والسبب الذي نزلت هذه الآيات لأجله واحد وهو سؤال أم سلمة في أن الرجال يذكرون ولا تذكر النساء فأنزل الله تعالى في هذا المقام ثلاث آيات تتلى في كتاب الله: الآية الأولى: قول الله - سبحانه وتعالى- (وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ).

والآية الثانية: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ)، في سورة الأحزاب. والآية الثالثة: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ)، في سورة آل عمران.

إذن: هذا مفيد - أيها الأحبة- أنه يمكن أن تتعدد الآيات النازلة لسبب واحد فقط.

نستعرض مجموعة من أسئلة الإخوة الدارسين:

تقول: السلام عليكم ورحمة الله ما رأي فضيلتكم في كتاب تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول للمؤلف خالد العك وهل هو مناسب لطلبة العلم المبتدئين؟

الحقيقة أني ما اطلعت على هذا الكتاب حتى أحكم عليه فلعلنا- إن شاء الله- نطلع عليه أو نقتنيه ونحكم عليه -بإذن الله- بما نراه مناسباً، لكن الدكتور أو الشيخ خالد العك له عدد من المؤلفات في علوم القرآن منها تاريخ المصحف ومنها أصول التفسير وقواعده وهي كتب جيدة في بابها.

تقول: القاعدة هي الأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هل هناك استثناء على القاعدة -بارك الله فيك-؟

قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا أعرف استثناء لها، والله أعلم.

يقول: شيخنا الفاضل في آيات القبلة إذا أخذنا بأن لها سببين هل معنى ذلك أنها نزلت مرتين مرة في السفر ومرة بعد قول اليهود؟

نعم نحن قلنا: إنه إذا تعددت الأسباب وكلها صحيحة وصريحة فإن تقارب النزول حملت الآية على أنها نزلت بعده وإن تباعد النزول قيل إنها نزلت مرتين: مرة في هذا الموطن ومرة في هذا الموطن، ولا مانع من ذلك لماذا؟ لأنه يمكن أن يكون للآية أكثر من دلالة فيكون نزلت في المرة الأولى لبيان دلالة معينة ثم لما احتيج إلى بيان دلالة أخرى من دلالاتها نزلت مرة أخرى لبيان أن ذلك الحكم الجديد داخل في حكم الآية كما في آية (وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)، وسنبين أيضاً أمثلة أخرى في ما تبقى من درسنا- إن شاء الله.

تقول: السلام عليكم ورحمة الله: هل تعدد الروايات لا يعتبر فيه تعارض أرجو التوضيح؟

تعدد الروايات بينا أنه أحياناً قد تكون متعارضة وأحياناً تكون متوافقة فإذ كانت متعارضة فقد بينا سبيل الجمع فيها والعمل إما أن تكون كلها صحيحة وصريحة أو تكون صحيحة غير صريحة أو يكون بعضها صريحاً وبعضها غير صريح بينا ذلك فيما تقدم من كلامنا فأرجو أن ترجع الأخت إلى كلامنا مفصلاً لتعرف كيف تخرج من هذا التعارض.

أيضاً من القضايا في أسباب النزول - أيها الأحبة- أن تتعدد أسباب النزول والآية واحدة وهذا خلاف ما ذكرناه قبل قليل من أن تتعدد الآيات النازلة والسبب واحد ومثال ذلك قول الله - سبحانه وتعالى- (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ)[التحريم: ١]، فقد ورد في هذه الآية سببان مشهوران وكلاهما صحيح وكلاهما صريح في السببية: السبب الأول: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخلت عليه حفصة في حجرتها وهو مع أم إبراهيم- سريته مارية القبطية- فاستنكرت ذلك وقالت: يا رسول الله أعلى فراشي وفي نوبتي؟ فقال لها النبي -صلى الله عليه وسلم-: إني قد حرمتها على نفسي فلا تخبري بذلك أحداً فأخبرت حفصة -رضي الله عنها- عائشة فأنزل الله -عز وجل-: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ)، والرواية الثانية: وهي أيضاً صحيحة وصريحة في السببية، الحديث الوارد وهو في صحيح البخاري(أن سودة وقيل: صفية كانت زينب بنت جحش كان عندها عسل وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدخل إليها فيشرب من ذلك العسل الذي عندها لأنه كان يعجبه - عليه الصلاة والسلام- الحلوى والعسل فلما علمت بذلك عائشة -رضي الله عنها- قالت لحفصة ولإحدى زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- أخرى على اختلاف الروايات الواردة في ذلك إذا جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- إليك فقولي له: يا رسول الله إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير؟ فإن قال: لم آكل مغافير بل أكلت عسلاً فقولي له: جرست نحله العرفط وهذا يعني أن العسل يكون فيه رائحة مكروهة وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يشتد عليه أن يوجد منه الريح المكروهة، ففعلت ذلك إحدى زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم لما دخل على الأخرى قالت له: مثل ذلك ثم لما دخل على الثالثة قالت له: مثل ذلك فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إنه حرام علي) فحرمه على نفسه فأنزل الله - سبحانه وتعالى- قوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١))) إلى آخر الآيات) فهذه أسباب صحيحة وهي في الوقت ذاته صريحة وتعددت هذه الأسباب، والنازل في ذلك آية واحدة أو شيء واحد من كتاب الله - سبحانه وتعالى-.

ومثلها أيضاً في تعدد الأسباب ما ذكرناه من قصة اللعان من حديث عويمر العجلاني وهلال بن أمية -رضي الله عنهما-.

أيضاً مما ينبغي أن نذكره في هذا المقام في أسباب النزول: يكون النزول سابقاً ويكون النزول لاحقا وهذه قضية ذكرناها من أجل ألا يلتبس الأمر على طالب العلم إذا قرأ في بعض المواطن- مع قلتها ومحدودية أمثلتها- الأصل - أيها الأحبة- أن ما ينزل من الآيات القرآنية يكون متوافقاً مع السبب، بحيث أن الآيات تنزل بعد حدوث أو مع وجود ذلك السبب من سؤال أو حادثة هذا هو الأصل، ولسنا بحاجة إلى التمثيل لأن الأمثلة السابقة كلها كانت في هذا المعنى، لكن أحياناً يذكر أن الآية نزلت قبل نزول حكمها مثال ذلك قول الله - سبحانه وتعالى- في سورة الأعلى وهي سورة مكية (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى (١٤)وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥))[الأعلى: ١٤، ١٥]، فقد حمل جماعة من السلف هذه الآية في قوله (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى (١٤)وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥))، أي أخرج زكاة الفطر وزكاة الفطر وصلاة العيد إنما كانت في مكة فقال بعض أهل العلم: إن هذا من نزول الآية قبل مجيء سببها والذي يظهر -والله أعلم- أن الآية تكون عامة فيأتي بعد ذلك شيء خاص يمكن إدخاله في عمومها كما هو الحال في زكاة الفطر وصلاة العيد الوارد في هذه الآية وليس معنى ذلك أن هذه الآية نزلت لبيان حكم زكاة الفطر وصلاة العيد أصلاً ولكنهاعامة يدخل فيها مثل هذا ومثلها، أيضاً قول الله - سبحانه وتعالى- (لا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ (١)وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ (٢))[البلد: ١، ٢] فإن هذه السورة مكية بإجماع المفسرين ومع ذلك قال (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ (٢))، كيف وأنت حل بهذا البلد؟ يعني وهذا البلد حلال لك ولم يحل هذا البلد لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا في فتح مكة، فنقول: هذا على الصحيح إخبار بوقوع حلية هذا البلد لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل حصوله لأنه سيقع قبل حصوله ومثلها أيضاً قول الله - سبحانه وتعالى- (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥))[القمر: ٤٥] وهذه في سورة مكية ومع ذلك كان عمر يقول: «لا أدري كيف سيهزم الجمع ويولون الدبر»؟ قال:(فلما كنا في بدر وولى المشركون الأدبار سمعت رسول الله يقرأ قوله (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥)))فنقول إن الآية أخبرت عن شيء مستقبل فوقعت كما أخبر الرب - سبحانه وتعالى-

أحياناً - أيها الأحبة- يكون النزول للآية لاحقاً والحكم نزل متقدماً ونمثل على ذلك بمثالين وهما الوضوء والجمعة فالوضوء - يا إخواني- منذ أن شرعت الصلاة في مكة كان فيه وضوء، بل قال ابن عبد البر: إنه لم تشرع صلاة بلا وضوء ، إذن فأمر الوضوء كان مشروعاً على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه منذ شرعت الصلاة في مكة لكن متى نزلت آية الوضوء في بعض غزوات النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما انقطع عقد عائشة فاحتبس النبي -صلى الله عليه وسلم- للبحث عنه وقل الماء بأيدي أصحاب رسول الله وشح عليهم فأنزل الله آية التيمم في قوله في سورة المائدة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الغَائِطِ)[المائدة: ٦]، إلى آخر الآية فانظر جاء ذكر الوضوء، لكن متى جاء ذكر الوضوء؟ بعد أن شرع الوضوء بفترة طويلة فهذا مما تكون الآية وردت فيه بعد تقرير الحكم، ومثله أيضاً الجمعة فإن قوله الله - سبحانه وتعالى- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ)[الجمعة: ٩]، هذه الآية نزلت في سورة الجمعة وهي آية مدنية بإجماع، لكن صلاة الجمعة قد فرضت على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه قبل أن يهاجر بدليل حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه- أنهم كانوا يصلون الجمعة مع أسعد بن زرارة -رضي الله عنه- قبل أن يهاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- فيكون هنا النزول لاحقاً للحكم. فهذا آخر ما يمكن أن نذكره في هذا الباب ونسأل الله - سبحانه وتعالى- لنا ولكم التوفيق والهدى والعلم النافع.

السلام عليكم ورحمة الله. بالنسبة للأقوال الإسرائيلية التي تروى في كتب التفسير عن حادثة أو ما أشبه ذلك هل هي كذب محض لا يؤخذ بها أم ماذا؟

حقيقة من يقرأ في كتب التفسير يجد شيئاً ظاهراً وهو المرويات الإسرائيلية وهي أخبار أهل الكتابين من اليهود والنصارى مبثوثة في كتب التفسير فما هو الموقف منها؟ نقول: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد قال في الحديث الصحيح المروي في الصحيح: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) فهذا فيه الدلالة على جواز التحديث عن بني إسرائيل يعني: أن ماورد عن أخبارهم ومآثرهم وأحوالهم وتاريخهم نحدث به ولاحرج علينا في ذلك علماً بأننا أحياناً لا ندري هل هو صحيح أو غير صحيح ولذلك العلماء ــ رحمهم الله تعالى- حدثوا عن بني إسرائيل ونقلوا هذه الأحاديث في كتب التفسير ومن هنا ورد الإشكال هل معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (حدثوا عن بني

إسرائيل ولا حرج) أن ذلك يمكن أن يكون تفسيراً للقرآن فنقول: لا.. ما ورد عن بني إسرائيل لا يخلو من ثلاثة أحوال:

- إن كان صحيحاً جاز التحديث به، يعني إن جاء القرآن أو السنة بالدلالة على صحته جاز التحديث به بلا شك، لكن ما عندنا من الكتاب والسنة يغني عنه.

- وإن كان كذباً فلا يجوز التحديث به أساساً؛ لأن من حدث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ، فلا يجوز التحديث بشيء من الكذب وهذا كثير في الإسرائيليات مثل هذه التهم التي تجعل في حق الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- من اتهامهم بأمور باطلة لا تليق بأضعف الناس ديانة وخلقاً فضلاً، أن تكون مع أنبياء الله الذين هم أطهر خلق الله- صلوات الله وسلامه عليهم- فهذه لا يجوز التحديث بها ولا تجوز روايتها ولا ذكرها في الكتب العادية فضلاً عن كتب التفسير.

- ما ليس في ديننا ما يصدقه أو يكذبه فهذا هو الذي وقع فيه الخلاف هل يروى في التفسير أو لا يروى في التفسير؟ فنقول: الأولى ألا يروى في التفسير لماذا؟ لأننا في تفسير القرآن البين الظاهر الواضح الذي جعله الله - سبحانه وتعالى- هدى لا نحتاج فيه إلى أن نقرأ فيه مرويات بني إسرائيل أو أن نستقي معلومات من بني إسرائيل نعم قد نستفيد قصة أو نذكر رواية لكن أن نفهم الآية من خلال هذه المروية أو نرجح قولاً على آخر من خلال تلك المرويات فهذا غير صحيح.

بل نقول: نعم يجوز التحديث بهذه الأخبار وذكرها لا على أن تكون تفسيراً لكلام الله - سبحانه وتعالى- أو تكون مرجحاً لفهم على آخر، إنما نحدث بها كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) فتبين بهذا أن ما كان صدقاً قد دل الكتاب والسنة عليه ففي الكتاب والسنة ما يغني عنه، وما كان كذباً فلا يجوز التحديث به لا تفسيراً ولا غيره وما لم يكن لا صدقاً ولا كذباً فإنه في هذه الحالة يجوز التحديث به لكن لا يجوز أن يكون تفسيراً للقرآن الكريم، يرجح به وجه على آخر.

السلام عليكم ورحمة الله. هناك مشكلة إذا كانت بعض الآثار الواردة في أسباب النزول قد تشترك في الصحة والصراحة ولكن هناك فترة زمنية طويلة بينهما فكيف تنزل الآية مرتين فربما النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد النزول الأول قد حفظ الآية وحفظها الصحابة من حوله لا أفهم كيف تنزل مرة أخرى وهي أصلاً قد نزلت في المرة الأولى؟

أقول: الآية يمكن أن تنزل مرتين وما الذي يمنع من ذلك أصلاً يعني: ليس هناك شيء يمنع من نزول الآية أو السورة مرتين يعني ليس عندنا نص من كتاب أو سنة يمنع من ذلك، فنحن إذا وجدنا سببين صريحين صحيحين وكان الزمن بينهما متباعداً بحيث لا يمكن أن يكون السببان مجتمعين فتنزل الآية لهما، فإننا في هذه الحالة نحمل الآية على أنها نزلت مرتين وذلك من أجل أن نأخذ بكل الرويات الواردة في هذا الباب، وهذا ما فعله كثير من أهل العلم من المفسرين والمحدثين وغيرهم في التعامل مع هذه الروايات، بل إن هذا فيه فائدة من جهة أولاً بيان أهمية هذا المنزل وأن الله أنزله أكثر من مرة، ومن جهة أيضاً أحياناً يكون النازل يتضمن أكثر من حكم فينزل في أول مرة لبيان حكم مما تضمنته الآية وفي المرة الثانية تنزل الآية مرة أخرى لبيان أنها تتضمن الحكم الذي يوافق تلك الواقعة الثانية والثالثة وغيرها، فلا مانع من ذلك ولا شيء يصرف عن العمل به وهذا ما جرى عليه علماء الإسلام في وجود مثل هذه الروايات فلنقبل ذلك ولا نتردد فيه إن شاء الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله. هل الآن ما ظهر في الجرائد عن تحريف القرآن الكريم من إسرائيل وهي قضية مستمرة تحدث كثيراً فما تعليقكم؟

بل إني أخبر الأخت وأخبر كل المشاهدين بأنه ما يمكن أن يجترئ البشر على تحريف القرآن إلا ويحدث الله - سبحانه وتعالى- من أمره ما يزيد هذا القرآن حفظاً؛ فقد طبع اليهود مرة طبعة للقرآن الكريم محرفة فيها تغيير وتبديل وزيادة ونقص وحملوا بها باخرة إلى العالم الإسلامي فتسامع المسلمون بمثل ذلك فاجتمع العلماء المسلمون

في الأزهر على تدارس هذا الأمر، واقترح في ذلك الوقت تسجيل القرآن تسجيلاً صوتياً وهذا لأول مرة يحدث في الأمة الإسلامية ولم يكن معروفاً أن القرآن يسجل صوتاً إنما كان معروفاً أن القرآن يتلقاه الناس جيلاً بعد جيل مشافهة أو يكون مكتوباً بكتابة واضحة لا لبس فيها ولا غموض فسجل القرآن تسجيلات على مختلف القراءات في أنحاء العالم الإسلامي فكأن الأعداء تمنوا بعد ذلك أن لو لم يفعلوا فعلتهم ولم يستطيعوا أن يدخلوا نسخة واحدة إلى بلاد المسلمين.

وهذا من تيسير الله -عز وجل- وحفظه لكتابه لأنه هو الذي تكفل بذلك بنفسه.

السلام عليكم ورحمة الله. نريد من الشيخ شرح حديث (إني أجد منك ريح مغافير) الحديث ككل؟

المقصود: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يأتي إلى سودة وقيل: إلى زينب بنت جحش فكان يشرب عندها عسلاً وكان - عليه الصلاة والسلام- يحب العسل والحلواء فلما علمت بذلك عائشة وحفصة وباقي زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- أصابتهن الغيرة من كون النبي -صلى الله عليه وسلم- يدخل عليها في غير نوبتها من أجل أن يشرب ذلك العسل الذي عندها فكانت الحيلة في أن يذكرن شيئاً يكره النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يشم منه أو يوجد منه وهو الريح الغير الطيبة فتآمرن على أن يقلن للنبي -صلى الله عليه وسلم-: إنا نجد منك ريح مغافير وريح المغافير يعني: ريح لشيء غير محمود ما أدري أهو صمغ أو شيء يخرج من بعض الأشجار؟ لا تحمد رائحته ولا أعرفه بالتحديد الذي هو المغافير فلما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى إحداهن قالت: يا رسول الله إني أجد منك ريح مغافير فقال: لا.. إلا إني أكلت أو شربت عسلاً عند فلانة من زوجاته، فقال: جرست نحله العرفط يعني: أنها امتصت العرفط أو شيئاً من ذلك فاكتسب العسل شيئاً من رائحة تلك الشجرة الخبيثة التي رائحتها ليست طيبة فلما ذهب إلى الزوجة الأخرى قالت له: مثل ذلك، فما ذهب إلى الزوجة الثالثة قالت له: مثل ذلك. فعلم النبي -صلى الله عليه وسلم- أن رائحته غير محمودة و أنه لا ينبغي أن يأكل من هذا العسل، فحرمه على نفسه -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله هذه الآيات (لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١)قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) وعاتب زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- اللاتي فعلن ذلك معه -صلى الله عليه وسلم-.

أستأذنك في أن نستعرض مجموعة من الأسئلة وردت في الموقع

- تقول: السلام عليكم ورحمة الله: كيف نزل القرآن على عدة روايات مرة على ورش ومرة على حفص إلى آخره؟

هناك موضوع- إن شاء الله- مستقل سنتحدث فيه -إن شاء الله- عن الأحرف السبعة وعن القراءات السبعة وسنفصل في هذا تفصيلاً- إن شاء الله- نرجوا أن يكون شافياً كافياً ونرجوا من الأخت أن تتابع معنا حتى نصل إلى ذلك الدرس.

يقول: كيف نوفق بين الأمر من الله - سبحانه وتعالى- بقتال المشركين حيث ثقفوا وبين أن الكافر يعرض عليه الإسلام إن أبي فالجزية إلى آخره؟

هذه مسألة اختلف فيها أهل العلم وهي أن المشركين من غير أهل الكتاب هل يعرض عليهم الإسلام فإن أبوا فالجزية فإن أبوا قوتلوا أو أن هذا خاص بأهل الكتاب؟ قولان: مشهوران لأهل العلم: من أهل العلم من يقول: إنه يعرض هذا على أهل الكتاب فقط ويعامل المجوس معاملتهم؛ لأنه ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) يعني في أنه يدعون إلى الإسلام فإن أبوا دفعوا الجزية وبقوا في حماية المسلمين فإن أبوا قوتلوا، وقالوا: وأما بقية المشركين فإنهم يقاتلون أساساً.

وقال آخرون من أهل العلم: بل هذه هي السنة الثابتة في حق كل الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وعلى هذا جرى المسلمون في فتوحاتهم أنهم لا يأتون إلى بلد ولا يقاتلون القوم من الكفار أياً كانوا إلا عرضوا عليهم الإسلام ثم الجزية ثم إن أبوا هذا وذاك قاتلوهم فهما قولان مشهوران لأهل العلم في هذه المسألة.

السلام عليكم ورحمة الله. بالنسبة لكتب التفسير- تفسير الشيخ الصابوني- ما أدري هو موجود في المساجد وفي مكتبات المدارس ما أدري مدى درجة الاعتماد على هذا الكتاب في تفسير بعض الآيات ؟

السلام عليكم ورحمة الله. [ما المقصود بتفسير ابن مسعود؟ وأسلوب ومنهجه في تفسيره ومدى صحة ما نسب إليه من مرويات ؟ ابن مسعود ؟]

بالنسبة لهذا السؤال الذي سألت فيه عن أسلوب ابن مسعود: الكتاب طبعاً معروف وهو من الكتب الجيدة المحققة التي جمعت مرويات ابن مسعود--رضي الله تعالى عنه- الله نعالى عنه وأرضاه- في التفسير، فابن مسعود وغيره من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأيضاً من أئمة التابعين في التفسير كل واحد منهم له طريقة ومنهج وأسلوب في الحديث عن تفسير القرآن الكريم فيقوم أحد الدارسين أوأحد الباحثين أو طلاب العلم أو العلماء بجمع هذه المرويات ودراسة طريقة ابن مسعود في تفسير القرآن الكريم، تجد مثلاً أحد المفسرين من السلف يغلب عليه تفسير القرآن مثلاً بالقرآن أو القرآن مثلاً بأحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما عدا ذلك نجد أيضاً آخرين من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يهتمون مثلاً بذكر الشواهد من كلام العرب وهكذا كل واحد منهم له طريقة ومنهج وله أسلوب في تفسير القرآن الكريم فما ذكره المحقق في مقدمة كتابه عن أسلوب ابن مسعود قبل أن يذكرالمرويات هذا شيء جميل جداً يشكرعليه المحقق كما يشكر أي إنسان على دراسة أسلوب أي مفسر من أئمة السلف -رضوان الله تعالى عليهم- وابن مسعود له تفسير مجموع مبثوث في كتب التفسير المأثور وقد جمعه هذا الباحث- جزاه الله خيراً- في كتابه وهو من التفاسير المعتمدة لكن الروايات عن ابن مسعود منها ما هو مقبول صحيح ومنها ما هو ضعيف مردود، فنقبل المقبول ونرد المردود.

الأخ الذي سأل عن أحد التفاسير نقول إجابة عامة: أي تفسير - أيها الأحبة- يخرج للمسلمين ويكون هذا التفسير مشتملاً على أخطاء وتكون هذه الأخطاء مثلاً في الاعتقاد ينبغي ألا يقرأ فيه ويقتنيه ويتعاهده بالدرس إلا من كان يعرف تلك الأخطاء؛ لكيلا يتابع المؤلف عليها من حيث لا يشعر هذه قاعدة عامة في كل التفاسير وأنا أخبر القاريء أنه قل أن يوجد تفسير من التفاسير إلا وفيه أخطاء، لكن من هذه الأخطاء ما يكون أخطاء معتبرة ومعروفة وتتسع لها صدور أهل العلم ومنها ما تكون أخطاء في الاعتقاد، حتى هذ الأخطاء في الاعتقاد منها ما يكون أخطاء عظيمة جسيمة فهذه يجب أن يحذر من الكاتب والكتاب وأن يبين أن هذا ضلال لا يجوز إقراره في تفسير كلام الله، ومنها أخطاء يسيرة في بعض القضايا التي شاعت في الأمة الإسلامية مثل قضية تأويل آيات الصفات وذكرها على منهج المتكلمين فإن مثل هذا لا ينبغي للطالب المبتدئ أو للإنسان الذي لا يعرف مثل هذه الهفوات في الاعتقاد أن يقرأ في مثل هذه الكتب بل عليه أن يقرأ في الكتب السليمة وهي- بحمد الله كثيرة- تفسير الطبري تفسير ابن أبي حاتم تفسير ابن كثير تفسير السعدي التفسير الميسر وغيرها بفضل الله - سبحانه وتعالى- كثير ينبغي أن يتعاهد الناس مثل هذه الكتب وأن يرجعوا إليها ويدعوا ما يتوقع أن يكون فيه شيء من الخطأ أو تكلم عليه أهل العلم وهم لا يحسنون أن يتخلصوا مما فيه من الخطأ.

تكلمنا عن سورة الضحى، ذكرنا من ضمن الروايات أنها وجدت الجارية أو خادمة النبي -صلى الله عليه وسلم- جرواً أو جيفة جرو تحت غطاء ما الذي ضعف فضيلة الشيخ هذه الرواية؟

ضعفها الإمام السيوطي -رحمه الله تعالى- في لباب النقول وضعفها الحافظ ابن حجر في الفتح وقال: وإن كانت هذ الرواية صريحة في سبب النزول إلا أنها مخالفة لما ثبت في الصحيحين من ذكر السبب الصحيح لنزول الآية واستغربه الحافظ ابن حجر. وضعفه جماعة من أهل العلم آخرون فهو حديث ضعيف وهو ورد عند الطبراني وعند ابن أبي شيبة.

بعض العلماء يدخلون في التفسير- مثل الشيخ الصابوني وابن عاشور- البلاغة وأيضاً يذكرون بعض الفوائد اللغوية وكذا ما رأيكم في هذا؟

لا شيء في ذلك إذا كانت هذه الفوائد البلاغية فوائد صحيحة متسقة مع القواعد المعروفة عند أهل العلم فإن القرآن لا شك أنه جاء على أرفع أوجه البلاغة وأعظمها، فاستنباط هذه الأوجه البلاغية والتنبيه عليها لا شك أنه مما يفيد الإنسان ويزيد حمايته لكلام الله وفهمه لكتاب الله - سبحانه وتعالى- لكن يجب أن تكون من إنسان متخصص وقادر على الخوض في هذا الفن والكلام فيه بمقتضى القواعد المعتبرة عند أهل العلم.

السؤال الأول:: مثل لآية تعددت أسبابها؟

السؤال الثاني: متى تحمل الآية على تكرر النزول؟

هذان السؤالان نرجوا أن يجيب الإخوة عنهما -إن شاء الله- في الدرس القادم.

الدرس العاشر

السور المكية والمدنية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-(من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يسهل لنا بما قصدنا وما قمنا به طرقاً إلى الجنة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أيها الأحبة جرت عادتنا في دروسنا في علوم القرآن ـ وهذه هي المحاضرة العاشرة من هذه الدروس المباركة ـ أن نفتتح الدرس بمراجعة سريعة لمحاضرة الدرس الماضي، فنقول:

السؤال الأول: مثِّل لسورة فيها سببان سبب صحيح وسبب غير صحيح؟

السورة هي سورة الضحى، ورد فيها سببان: السبب الصحيح أن امرأة من قريش قالت للنبي -صلى الله عليه وسلم- إني أرى شيطانك قد قلاك، والسبب الضعيف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- شكا لخادمته بانقطاع الوحي عنه فوجدت بعد ذلك جيفة جرو تحت غطاء ثم ذهبت فوجدت النبي -صلى الله عليه وسلم- وفيه رعدة، والسبب الأول هو الصحيح والسبب الثاني هو الضعيف ضعفه ابن حجر والسيوطي .

السؤال الثاني: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد بينا معنى هذه القاعدة المهمة في أسباب النزول في الدرس الماضي بيانا شافيا.

السؤال الثالث: مثِّل لسبب تعدد النازل فيه؟

المثل هو قول أم سلمة -رضي الله عنها- للرسول -صلى الله عليه وسلم- «يغزو الرجال ولا يغزو النساء ويذكر الرجال ولا يذكر النساء»

نعم فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله جل وعلا (وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ)[النساء: ٣٢]، وأنزل أيضا قوله تعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ)[الأحزاب: ٣٥]، وأنزل قوله تعالى (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ)[آل عمران: ١٩٥]، فنزلت ثلاث آيات على سبب واحد.

السؤال الأخير: اذكر حكمين شُرِعا قبل نزول آيات فيهما؟

حكمين شرعا قبل نزول آيات فيهما: الوضوء والجمعة

أحسنت ... الوضوء وقد بينا أنه لم تشرع صلاة إلا بوضوء، والصلاة إنما شرعت في مكة، وآية الوضوء مدنية باتفاق العلماء؛ لأنها نزلت في إحدى غزوات النبي -صلى الله عليه وسلم- ، والجمعة أيضا أقيمت في المدينة قبل أن يهاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- والآيات النازلة فيها في القرآن الكريم إنما هي في سورة الجمعة، وسورة الجمعة هي مدنية باتفاق أهل العلم.

نعود بعد ذلك أيها الأحبة إلى السؤالين الذين طرحناهما في آخر المحاضرة السابقة لنتعرف على الإجابة عليهما، فإذا كان هناك إجابات من الإخوة.

تقول: السلام عليكم ورحمة الله إجابة السؤال الأول: قال الله تبارك وتعالى (وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)[البقرة: ١١٥]،

طبعا السؤال: مثِّل لآية تعددت أسبابها... إجابة الأخت إجابة صحيحة فهي قول الله عز و جل (وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)، بينا أنها ذكر فيها خمسة أسباب: ثلاثة أسباب منها صحيحة، وسببان ضعيفان، والثلاثة الصحيحة: اثنان صريحان، وواحد غير صريح.

تقول ذكر المفسرون لها خمسة أسباب الصحيح منها ثلاثة والصريح من هذه الثلاثة اثنان]

إجابة السؤال الثاني تقول: تحمل الآية على تكرار النزول إذا كانت صحت فيها الروايات وكانت صريحة ومتباعدة

أحسنت فيما أجابت.

تقول: المثل: قال الله تعالى (وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)،تحمل الآية على تكرار النزول عندما تكون الآية صحيحة وصريحة

الشيخ: المقصود عندما يكون السبب المذكور صحيحا أو تكون الأسباب صحيحة وصريحة وتباعد الزمان فيهما فإنها تحمل على تكرار النزول.

ذكرت قصة العسل مع زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- وعندما حرم النبي -صلى الله عليه وسلم- على نفسه زوجته أم إبراهيم

في متى تحمل الآية على تكرار النزول؟ لا ... هذه تحمل كلها على أنها نزلت مرة واحدة وتعدد السبب النازل فيها.

تقول السلام عليكم ورحمة الله إجابة السؤال الأول: قول الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[التحريم: ١]، نفس الإجابة السابقة والإجابة عليها كذلك، إلا إن كانت مثِّل لآية تعددت أسبابها فهو إجابة صحيحة، إجابة السؤال الأول يا شيخ أليست قول الله تعالى (وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ)[البقرة: ١١٥]، وأيضا هذه إجابة صحيحة فنشكر الأخت على أنها ذكرت مثالا آخر لما تعددت أسبابه.

نبدأ درسنا فضيلة الشيخ.

الحمد لله درسنا اليوم في موضوع مهم من موضوعات علوم القرآن، ذلكم أن كل من يقرأ القرآن يلفت نظره أنه يرى في التعريف بالسورة، أحيانا يقال: سورة مكية، وأحيانا يقال: سورة مدنية، فما معنى هذا المصطلح عند علماء علوم القرآن؟ وماذا يريد به العلماء عندما يفصِّلون في السور فيقولون هذه سورة مكية وهذه سورة مدنية.

هذا الموضوع أيها الأحبة هو موضوع درسنا لهذه الليلة .... المكي والمدني.

القرآن عندما نزل، نزل في مدة طويلة تبلغ كما فصلنا قبلُ ثلاثا وعشرين عاما، منها ثلاثة عشر عاما في مكة، وعشرة أعوام في المدينة، ولأجل ذلك ذكر العلماء -رحمهم الله تعالى- مواقع نزول القرآن، فإن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قد اهتموا بهذا الباب اهتماما شديدا، ومن حرصهم على تلقي القرآن، ومعرفة جميع ما يتصل به، ويتعلق بأحكامه أنهم ضبطوا لهذه الأمة مواقع نزوله، فأين نزلت هذه الآية وأين نزلت هذه السورة؟ ولأجل ذلك حصلت أو حصل الحديث أو صار الحديث في موضوع المكي والمدني، فموضوع المكي والمدني متصل بالدروس الماضية لأنه في قضية نزول القرآن، نحن تحدثنا فيما مضى عن الوحي، وهو متصل بنزول القرآن، ثم

عن نزول القرآن وفصلنا فيه، ثم عن أول ما نزل وآخر مانزل، ثم في الدرسين الماضيين تحدثنا عن أسباب النزول، واليوم نتحدث عن مواقع النزول، أين نزل هذا المقطع وهذه الآيات؟ أين نزلت؟ وهذه السور أين نزلت؟ وتلك السور أيضا أين نزلت؟ هذا مما اهتم به العلماء.

وكانت البداية من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الذين ضبطوا لنا هذا المعنى وهذا الموضوع ضبطا عجيبا، يقول ابن مسعود -رضي الله عنه- «والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه» تأملوا كيف أن ابن مسعود -رضي الله عنه وأرضاه- من دقة علمه واجتهاده في علوم القرآن أنه ما من آية عنده إلا يعلم أين نزلت وفيم نزلت، ولو يعلم أن أحدا أعلم منه بكتاب الله تبلغه الإبل لركب إليه، فهذا فيه الدلالة على عظم عنايتهم بهذا الباب. هذا الحديث رواه البخاري ومسلم .

وقال على -رضي الله عنه- وهو على المنبر «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل».

إذن هذا يبين لنا حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على معرفة مواقع نزول القرآن، هل نزل في مكة؟ هل نزل في المدينة؟ هل نزل فيما بينهما عندما هاجر النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ هل نزل في تبوك؟ هل نزل في الحديبية؟ هل نزل في الصيف؟ أم نزل في الشتاء؟ هل نزل في الليل؟ هل نزل في النهار؟ هل نزل في السفر؟ هل نزل في الحضر؟ إلى آخره.

ثم تتابع العلماء على ذلك، ونجد أثر متابعتهم لذلك أنهم ذكروا ذلك حتى في المصاحف فكانت السورة تُذكر، ويُذكر معها هل هي مكية أو مدنية أو كلها مكية إلا آية كذا وآية كذا أو مدنية إلا آية كذا وآية كذا، وذلك لما سنبينه إن شاء الله من الفوائد التي تترتب على معرفة ما إذا كانت السورة مكية أو كانت السورة مدنية.

بعد هذا أيها الأحبة ننتقل إلى أنواع المكي والمدني، قد يتبادر إلى ذهن أحدكم أننا عندما نقول مكي ومدني، يعني أن القرآن مقسم إلى قسمين: مكي نزل في مكة ومدني نزل في المدينة فقط، وليس هذا هو المقصود، بل المقصود بقولنا المكي والمدني: علم مواقع نزول القرآن ومواضع نزوله، أين نزل هذا القرآن؟ ولأجل هذا نجد في بحث المكي والمدني في كتب علوم القرآن أنهم يبحثون أنواعا كثيرة، يُفرد العلماء بعض هذه الأنواع في مصنفات مستقلة. كيف ذلك؟ المقصود بعلم المكي والمدني: علم مواقع نزول القرآن، فيدخل في ذلك ـ خذوا هذه الأنواع أيها الأحبة ـ علم المكي الذي نزل قبل الهجرة، والمدني الذي نزل بعد الهجرة، وما اختلف فيه من سور القرآن، وأيضا ما نزل بمكة وحكمه مدني، وعكس ذلك ما نزل بالمدينة وحكمه مكي، ويدخل فيه أيضا ما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، ويدخل فيه أيضا ما يشبه نزول المكي في السور المدنية، وعكسه أيضا ما يشبه نزول المدني في السور المكية، ويدخل فيه أيضا الليلي يعني ما نزل بالليل، ويدخل فيه أيضا النهاري، ويدخل فيه الصيفي مانزل في الصيف، ويدخل فيه أيضا الشتائي مانزل بالشتاء، ويدخل فيه الحضري ما نزل في الحضر، ويدخل فيه أيضا المشيع وهو الذي نزل مشيعا بالملائكة تشيعه الملائكة عند نزوله، ويدخل فيه المفرد وهو الذي نزل به جبريل وحده ولم ينزل معه أحد من الملائكة، وهو غالب القرآن ، ويدخل فيه أيضا الآيات المدنية في السور المكية، وعكس ذلك الآيات المكية في السور المدنية؛ فإنه قد يأتي معنا إن شاء الله ذكر سور مكية فيها آيات مدنية، وذكر سور مدنية فيها آيات مكية، ويدخل فيه أيضا ما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، انظر إلى هذه الأنواع ... كلها داخلة في موضوعنا الذي نتحدث عنه اليوم، وهو موضوع المكي والمدني، ولو أننا فصلنا في كل واحد من هذه الأنواع وذكرنا ما ذكره العلماء من أمثلة عليه، لوجدنا أننا أمام بحر طويل، وأمثلة كثيرة، ونماذج متعددة لا يتسع لها وقت البرنامج، لكني أحيل الإخوة المشاهدين على الكتب المتخصصة في ذلك مثل: الإتقان للسيوطي -رحمه الله تعالى- والبرهان للزركشي -رحمه الله تعالى- وإن شاءوا أيضا بعض الكتب المعاصرة ككتاب شيخنا الشيخ مناع القطان ... مباحث في علوم القرآن، فقد ذكر طرفا من ذلك يحسن لطالب العلم أن يتعرف عليه.

هذه أيها الأحبة جملة من أنواع المكي والمدني، وبعض العلماء يذكر ما هو أكثر من ذلك حيث أوصلها بعضهم إلى أكثر من خمس وعشرين نوعا، كلها تدخل تحت مسمى المكي والمدني.

بعد هذا أيها الأحبة نتحدث عن الأمر المهم، ما هي السور المكية وما هي السور المدنية؟ لا شك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنزل عليه أكثر القرآن وهو في مكة، لماذا؟ لأنه عاش في مكة ثلاثة عشر عاما يوحى إليه، وكان هناك مقتضيات كثيرة، وأسباب وفيرة تدعو إلى نزول أكثر القرآن في مكة، مِن إقناع الناس بدعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- وترسيخ العقيدة في قلوبهم، وبيان حقائق هذا الدين، ومناقشة الكافرين، وبيان قصص الأنبياء التي أخذت حيزا كبيرا من السور المكية، وذكرت في كثير من هذه السور، فقصة موسى عليه السلام أخذت أكبر حيز من قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لما فيها من الدرس والعظة والحكمة والعبرة التي لا غنى للناس عنها، مؤمنهم وكافرهم.

إذن أكثر القرآن نزل في مكة، وإذا كان كذلك فنحن الآن نريد أن نحرر ما الذي نزل بالمدينة حتى نعرف أن البقية نزل في مكة، فما هي السور التي نزلت في المدينة؟ السور التي نزلت في المدينة عشرون سورة باتفاق العلماء، يعني اتفق العلماء على أن هذه السور التي سنذكرها الآن بأسماءها قد نزلت في المدينة، وأنها من المدني المتفق عليه، فمن ذلك سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة، ثم تجد بعد ذلك كل السور التي بعد سورة التوبة إلى سورة النور كلها مكية، ثم سورة النور وبعد النور أيضا مثل ذلك إلى سورة الأحزاب، ثم بعد سورة الأحزاب ليس هناك سورة مدنية إلا في محمد، ثم محمد والفتح والحجرات والحديد وجزء المجادلة كله مدني عدا سورتين الصف والتغابن، ثم تتوقف السور المدنية إلى سورة النصر التي ذكرنا في دروس سابقة أنها آخر سورة نزلت في القرآن الكريم.

هذه عشرون سورة اتفق العلماء على أنها سور مدنية وإنما ذكرنا هذه السور؛ لأنها أقل من السور الأخرى المكية، فإذا عرف المدني عرف بالتتبع المكي، ودائما إذا كان هناك أعداد فيها قلة وفيها كثرة يعني أشياء قليلة وكثيرة تذكر القليل ليتميز بعد ذلك الكثير.

ما هي السور التي اختلف العلماء فيها؟ هناك ثنتي عشرة سورة اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- فيها هل هي من السور المكية أم هي من السور المدنية؟ فمنهم من يقول بهذا ومنهم من يقول بهذا، ولكل أدلته، هذه أيضا يجب أن نأخذها في الاعتبار مع السور العشرين حتى نميز بعد ذلك بقية سور القرآن الكريم، فسورة الفاتحة وسورة الرعد وسورة الرحمن والصف والتغابن والمطففين والقدر والبينة والزلزلة والمعوذات أعني بذلك سورة الإخلاص وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس. فهذه ثنتى عشرة سورة اختلف العلماء فيها ولعلي أمر على أرجح الأقوال في هذه السور، أما الفاتحة فالراجح أنها مكية، وكذلك الرعد أكثر السلف على أنها مكية، وهذا روي عن مجاهد، وروي عن ابن عباس بأسانيد صحيحة، وكذلك سورة الرحمن الأصح فيها أنها سورة مكية، وسورة الصف الأظهر فيها أنها سورة مدنية، وسورة التغابن الأكثر من العلماء على أنها سورة مكية، وسورة المطففين أولها لا شك أنه نزل في أهل المدينة كما صح بذلك الخبر عن ابن عباس -رضي الله عنه-، واختلف العلماء في بقيتها هل هو مكي أو مدني؟ والأظهر أنها مكية ومقدمتها كانت مدنية، وسورة القدر الأرجح أنها مكية، وسورة البينة اختلف العلماء فيها، والأظهر أنها مكية، وإن كان ابن كثير -رحمه الله تعالى- رجح أنها مدنية، وسورة الزلزلة الأظهر فيها أنها مدنية، وسورة الإخلاص اختلف فيها، منهم من قال إنها مكية ومنهم من قال إنها مدنية، وأما سورة الفلق والناس فالأرجح أنهما مدنيتان؛ لأنهما نزلتا في سحر النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما سحره لبيد ابن الأعصم، فأنزل الله هاتين السورتين رقية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فانحل عنه السحر بإذن الله جل وعلا.

ما عدا ذلك من السور وهي اثنتان وثمانون سورة فهي مكية، وبهذا يكون مجموع سور القرآن مائة وأربعة عشر سورة، عشرون مدنية باتفاق، واثنا عشر مختلف فيه، والبقية وهي اثنتان وثمانون سورة من السور المكية.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى كيف نعرف المكي من المدني؟ يعرف المكي من المدني أيها الأحبة ـ كما يذكر ذلك العلماء ـ بإحدى طريقتين: الطريقة الأولى: طريقة النقل والسماع وهذا هو الأصل، وهو أننا لا نستطيع التعرف على المكي أو المدني إلا بالرواية والنقل عمن شاهدوا التنزيل وهم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبالمناسبة لا يعرف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تكلم في هذا الباب بشيء بعينه، فقال هذه سورة مكية أو مدنية، وإنما جاء هذا في اصطلاح بعد النبي -صلى الله عليه وسلم-، والصحابة تكلموا في هذا الباب، ومَن بعدهم أيضا تكلموا فيه بالتتبع.

إذن فالطريقة السليمة المعروفة عند أهل العلم في معرفة المكي والمدني هي النقل والرواية والسند وليس غير.

وذكر بعض أهل العلم أن هناك طريقة في معرفة المكي والمدني، وهي الاجتهاد والقياس، بمعنى أن نعرف أسلوب السور المدنية وموضوعات السور المدنية فنقيس عليه، ونعرف أساليب السور المكية وموضوعات السور المكية فنقيس عليه، فنقول: هذا غير مسلم ولا يصح. نعم ... قد يتعرف الإنسان على المكي وعلى المدني، لكن أن يحدد أن هذه السورة أو هذه الآية مكية أو مدنية بمجرد ذلك ... هذا غير صحيح؛ لأن مثل هذا لا يعرف إلا بالنقل، ولا أدل على ذلك أنك أحيانا تسمع الآية فتظن من أسلوبها أو من موضوعها أو من التاريخ أنها مكية فيتبين لك أنها مدنية، أو العكس من ذلك، مثلا قول الله عز وجل (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)[البينة: ١]، هذه قد يقول بعض الناس إن فيها ذكر أهل الكتاب إذن فهي مدنية، ولكن السورة عند كثير من أهل العلم مكية، ومثله ما ذكرنا في الدرس الماضي في قول الله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى(١٥) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)[الأعلى: ١٥، ١٦]، فهذه فسرها بعض أهل العلم بأن المقصود زكاة الفطر وصلاة العيد، فتأمل لو أنك نظرت إلى هذا الأمر من هذه الزاوية لقلت: إن السورة مدنية، والحقيقة أن السورة بإجماع أهل العلم مكية وليست مدنية، ولأجل هذا القول وهو أن طريق القياس والاجتهاد من طرق معرفة المكي والمدني نجد بعض المفسرين يقول مثلا: هذه السورة مكية إلا آية كذا وكذا لأنه نظر إلى هذ الاعتبار وهو القياس و الاجتهاد، والصحيح أنه لا مدخل للقياس والاجتهاد في معرفة المكي والمدني، وإنما تعرف السور المكية والمدنية بالنقل والرواية والسماع .

يقول القاضي أبو بكر ابن الباقلاني في الانتصار «إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين» فهذا هو الذي يرجع إليه في معرفة المكي من المدني.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى تعريف المكي والمدني، فما هو المكي وما هو المدني؟ ما الضابط لما يقال فيه مكي وما الضابط لما يقال فيه مدني؟

فنقول: إن أهل العلم اختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال تبعا لثلاث اعتبارات عند هؤلاء المختلفين.

الاعتبار الأول: اعتبار مكان النزول، فمن العلماء من قال إن الآية يقال فيها مكي إذا نزلت في مكة وما حولها، ويقال فيها مدني إذا نزلت في المدينة وماحولها، وهذا قال به بعض أهل العلم لكنه غير صحيح، لماذا؛ لأنه يصبح غير حاصر لجميع السور والآيات، إذ أن بعض السور والآيات نزلت في تبوك أو نزلت في الطائف أو نزلت في أماكن متعددة من أسفار النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم إن بعض الآيات نزلت في مكة، وهي في آخر عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كقوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)[المائدة: ٣]، فالصحيح عدم اعتبار هذا الضابط، وهو أن يعتبر في تعريف المكي والمدني وضبطهما باعتبار مكان النزول، فنقول هذا غير مسلم.

الثاني: باعتبار المخاطب، مِن العلماء مَن قال: إنما ينظر في ضبط المكي والمدني والقول بأن هذا مكي وهذا مدني إلى الخطاب النازل، فإن كانت الآيات فيها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فهي مدنية وإن كان فيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) فهي مكية، ونقول: إن هذا غير منضبط؛ لأننا نجد سوراً نزلت قطعاً في المدينة وفيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) كسورة البقرة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[البقرة: ٢١]، وأيضا مثل سورة البقرة أيضا مثل قوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا)[البقرة: ١٦٨]، بل خذ سورة النساء التي صح وثبت عن عائشة -رضي الله عنها- أنها إنما نزلت في المدينة ... افتتاحيتها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ)[النساء: ١]، فكيف يقال بهذا؟! ثم إن هذا التعريف غير حاصر، لماذا؟ لأن جملة كثيرة من القرآن وسوراً كثيرة من القرآن ليس فيها لا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ولا (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) فكيف نعرف حال هذه السور هل هي سور مكية أو سور مدنية؟ وهذا القول قال به ميمون بن مهران وأيضا روي عن ابن مسعود وبعض السلف رضوان الله تعالى عليهم.

القول الثالث: باعتبار الزمان، فيقولون: ما نزل قبل الهجرة أي قبل وصول النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني، وهذا هو التعريف الذي سار عليه أهل العلم، وهو تعريف منضبط وحاصر لجميع السور، ولا يخرج عنه شيء.

وعليه نقول كل ما نزل بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل في مكة، ومثال ذلك أيها الأحبة في مثل قول الله سبحانه وتعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا)، أين نزلت هذه الآية؟ نزلت في مكة، وفي أي يوم؟ في يوم عرفة. في أي عام؟ في العام العاشر في حجة الوداع، نزلت على النبي -صلى الله عليه وسلم- وشهدها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وهذه الآية آية مدنية مع أنها نزلت في مكة، ومثلها قول الله تعالى في سورة النساء (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ)[النساء: ٥٨]، وهذه نزلت لما فتح النبي -صلى الله عليه وسلم- مكة ثم استلم مفاتيح الكعبة، فظن القائمون على مفاتيح الكعبة من الحجبيين أن هذه المفاتيح ستؤخذ منهم وتعطى لغيرهم، فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ).

إذن فهذا هو التعريف المنضبط وهو الذي سار عليه أهل العلم، وهو التعريف الحاصر لجميع آيات القرآن الكريم وسوره، لا يخرج عن ذلك منها شيء.

ننتقل بعد ذلك أيها الأحبة إلى ما ذكره أهل العلم في ضوابط المكي ومميزاته وضوابط المدني ومميزاته، يذكر أهل العلم أيها الأحبة في هذا الباب شيئا طريفا وهو ضوابط المكي والمدني، بمعنى أنك لو كنت في أي سورة وأردت أن تعرف هل هي مكية أو مدنية انظر إلى هذه الضوابط التي استقرأها العلماء من واقع السور المكية، فإن وجدت شيئا منها فاعلم أن هذه السورة سورة مكية، إذن هذه ضوابط استقرائية ومعنى ضوابط استقرائية أن العلماء نظروا إلى السور المكية فوجدوا فيها عددا من العلامات التي تكون فيها ولا تكون في غيرها، فجمعوها وضبطوها لنا.

الأول من هذه الضوابط: كل سورة فيها ـ كلا ـ فهي سورة مكية فـ ـ كلا ـ لم تنزل في سورة مدنية، وليس معنى ذلك أن العلماء اقترحوا هذا الضابط وجعلوا كل السور مكية اجتهادا منهم ـ لا ـ ، نظروا إلى السور المكية فوجدوا أن كلمة كلا وجدت فيها ولم توجد في السور المدنية.

إذن أي سورة تجد فيها كلمة كلا فهي سورة مكية والعجيب أن كلمة كلا وردت في القرآن ثلاثا وثلاثين مرة، ووردت في النصف الثاني من القرآن، وليس في النصف الأول منها شيء، وهي تأتي بمعنيين: بمعنى الردع والزجر إذا سبقها كلام منكر، وتأتي بمعنى حقٌ إذا لم يكن قبلها كلام يرد عليه أو ينكر.

الثاني من الضوابط: كل سورة فيها سجدة فهي سورة مكية، وكم عدد السجدات أيها الأحبة في القرآن؟ قيل أربع عشرة سجدة، وقيل خمس عشرة سجدة، وكل السور التي وردت فيها السجدات سور مكية عدا سورة واحدة اختلف فيها وهي سورة الرعد، وقد بينا أن ابن عباس ومجاهد وجماعة من العلماء يرون أنها سورة مكية، وهذا هو الذي رجحه السيوطي -رحمه الله تعالى- في الإتقان فقال: إنها سورة مكية عدا بعض آياتها فإنها مدنية.

إذن فكل سورة فيها سجدة فهي سورة مكية، أولها سورة الأعراف سورة مكية باتفاق وآخرها سورة العلق سورة مكية باتفاق.

الثالث: كل سورة مبدوءة بقسم فهي سورة مكية فخذ مثلا (وَالصَّافَّاتِ صَفًّ)[الصافات: ١]، (وَالطُّورِ)، (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا)[الذاريات: ١]، (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا)[النازعات: ١]، (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ)[التين: ١]، (وَالْفَجْرِ)، (وَالضُّحَى)،(وَالْعَصْرِ)، (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى)[النجم: ١]، (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا)[الشمس: ١]، (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى)[الليل: ١]، وغيرها من سور القرآن وجزاكم الله خيرا على هذا التفاعل.

نعم كل هذا السور أيّ سورة مبدوءة بقسم فهي سورة مكية، ولو تأملت وجدت فعلا أن القسم يناسب أهل مكة أكثر من مناسبته لأهل المدنية؛ لأن أهل مكة يحتاجون إلى مؤكدات ومقويات الكلام، بخلاف أهل المدينة فقد ثبت الإيمان في قلوبهم، يحتاجون إلى تعريفهم بتفاصيل أحكام الدين، وما يريده الله سبحانه وتعالى منهم.

الرابع: كل سورة مفتتحة بالحروف المقطعة فإنها سورة مكية عدا الزهراوين، وما الزهراوان؟ البقرة وآل عمران. فكل السور التي افتتحت بالحروف المقطعة، حروف التهجي (الم) (ق) (ص)(كهيعص) (طه) (يس) هذه تسمى حروف التهجي، كل سورة مبدوءة بحروف التهجي فهي سورة مكية عدا سورة البقرة وسورة آل

عمران، وفي الرعد خلاف، وأما سورة العنكبوت فالصحيح أيضا فيها أنها سورة مكية، وإن كان أولها نزل في المدينة.

الخامس: كل سورة فيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وليس فيها في الوقت ذاته (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) وهذا احترازاً من ماذا؟ احترازا من سورة البقرة وسورة النساء فإن فيهما (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وفيهما (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) إلا سورة واحدة وهي سورة الحج، فإنها مفتتحة بقوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)[الحج: ١]، وفي الوقت ذاته في خاتمتها جاء قول الله سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[الحج: ٧٧]، وسورة الحج سورة مكية باتفاق.

السادس: كل سورة مفتتحة بالحمد فهي سورة مكية، وما هي السور المفتتحة بالحمد؟

هي سورة الكهف وسورة الأنعام وسورة فاطر وسورة سبأ وسورة الفاتحة، والمفروض أن نبدأ بها لأنها فاتحة الكتاب، فهذه خمس سور كلها سور مكية وليس فيها شيء مدني، أما السور المفتتحة بالتسبيح فهي سبع سور لكن لم نذكرها لأن بعضها مدني مثل (يُسَبِّحُ للهِ)[الجمعة: ١]،(سَبَّحَ للهِ)[الصف: ١]، (سَبَّحَ للهِ)[الحديد: ١]، (سَبَّحَ للهِ) [الحشر: ١]، كل هذه مدنية ولذلك لم نذكرها، فالسور المفتتحة بالتسبيح سبع سور (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)[الإسراء: ١]، هذه أولها و(سَبَّحَ للهِ) الحديد و(سَبَّحَ للهِ)الحشر و(سَبَّحَ)الصف و(يُسَبِّحُ) الجمعة و(يُسَبِّحُ) التغابن (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) [الأعلى: ١]، التي هي سورة الأعلى.

السابع: وكل سورة فيها قصص الأنبياء فهي سورة مكية عدا سورة البقرة، كل سورة تذكر فيها قصص الأنبياء وتأملو الفرق أيها الأحبة عندما نقول قصص الأنبياء وعندما نقول الأنبياء أو أسماء الأنبياء فأسماء الأنبياء قد ترد في سورة مدنية أما قصص الأنبياء فلم ترد إلا في السور المكية عدا سورة البقرة.

بعد هذا أيها الأحبة نتحدث عن مميزات المكي ذكر العلماء -رحمهم الله تعالى- أنه تتميز السور المكية بعدد من المميزات، يعني عندما تتأمل هذه السور تجد أن فيها مميزات تخالف فيها السور المدنية، فمن مميزات السور المكية تأصيل الاعتقاد وتثبيته؛ لأنها نزلت في قوم يُدعَون إلى الله سبحانه وتعالى، ويراد منهم أن يَثبتوا على دين الله، ويعرفوا حقيقة هذا الدين، وأن يميزوا بين الإسلام والشرك، والإيمان والكفر، والإيمان وما يضاده، ويرد فيه على العقائد الباطلة، فتأصيل الاعتقاد .. الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء والإيمان بالملائكة والإيمان بالقدر .. نجد ذلك واضحا جليا في السور المكية.

الميزة الثانية للسور المكية ذكر أصول الشرائع، يعني لم تذكر فيها تفصيلات الأحكام وإنما ذكرت أصول الشرائع، فذكرت الصلاة وذكر الصيام وذكرت الزكاة وذكر أيضا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المهم ذكرت أصول الشرائع (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامً)[الفرقان: ٦٨]، تجد أن أصول الدين من مأمورات ومنهيات قد ذكرت في السور المكية، لكن تفصيلات هذه الشرائع ودقائق الأحكام وما يتصل بالمعاملات والأنكحة والعدد والبيوع والحدود وغيرها، هذه لا تكاد تجد لها ذكرا في السور المكية إنما تذكر في السور المدنية.

أيضا من مميزات المكي العناية بذكر قصص الأنبياء وقصص أممهم لما في ذلك من شدة الاتعاظ وأخذ العبرة والدرس وانتفاع الناس في ذلك؛ لأن القلوب تتحرك مع القصص وخصوصا أن العرب تعرف بعض أخبار من مضى؛ لأنهم كانوا في جزيرة العرب، كقوم صالح مثلا، وكقوم عاد، وتمر أيضا بديار قوم لوط وغيرهم من الأمم، فذُكِّروا بهذه القصص وهذه الأخبار تذكيرا جيدا ليكون ذلك عظة وعبرة لهم لكي يؤمنوا بالنبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يتبعوا أهوائهم

أيضا مما يميز السور المكية قصر الآيات وقصر الألفاظ في السور، لماذا؟ لأنها في موطن حجاج، وفي موطن تخويف وترهيب ووعد ووعيد، والآيات القصيرة أو العبارات القصيرة أبلغ في زجر الناس من الآيات الطويلة بخلاف الأحكام مثلا فإنها تحتاج إلى تفصيل وبسط وإطناب وتوسع في ذكر التفاصيل. خذ آية الدين مثلا تجد أن فيها تفصيلا واسعا، هذه لا تكون آية مكية بل هي آية مدنية، لكن خذ مثلا سورة الطور (وَالطُّورِ(١)وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ(٢) فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ(٣)وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ)[الطور: ١: ٤]، إلى آخر الآيات . لما سمع جبير ابن مطعم هذه

الآيات قال: (كاد قلبي يطير ـ لما سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يتلوها ـ قال كاد قلبي يطير) (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَ(٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَ(٢٩) وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا٣١.أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَ(٣٠) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَ(٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ(٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى)[النازعات: ٢٧: ٣٢]، تأمل آيات قصيرة لكنها بالغة في الزجر، قوية الألفاظ، جرسها شديد على القلوب، وقعها عظيم على الأفئدة، ولذلك كانوا أحيانا يتبادرون إلى أن يقولوا (لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)[فصلت: ٢٦]، لأنهم لا يتحملون هذه القوة الموجودة في آياته.

نستعرض بعض الأسئلة قبل أن ندلف إلى ضوابط المدني ومميزاته

تقول: قلتم بأن سورة المائدة مدنية والآية (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) هل نزلت في حجة الوداع؟

نعم ... هذا بإجماع العلماء نزلت في حجة الوداع في يوم عرفة ومع ذلك تعد هذه الآية من هذه السورة مدنية باعتبار ما عرَّفنا به المدني والمكي فقلنا مانزل قبل الهجرة فهو مكي ومانزل بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل في مكة.

يقول: هل سور القرآن نزلت بهذا الترتيب أم قام الرسول -صلى الله عليه وسلم- بترتيبها؟

لا .. سور القرآن نزلت مفرقة كما أخبرنا، فأحيانا تنزل آيات من سورة البقرة فيقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا، وأحيانا تجد حتى آيات مدنية نزلت فوضعها النبي -صلى الله عليه وسلم- في سورة مكية، والعكس كذلك صحيح، مثلا سورة الأنعام سورة مكية و(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ)[الأنعام: ١٥١]، قال ابن عباس إنها آيات مدنية، وسورة الزمر سورة مكية وقول الله سبحانه وتعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ)[الزمر: ٥٣]، قال بعض المفسرين من السلف إنها آيات مدنية، إذن هذا يبين لنا أنه يمكن أن يكون كذلك ويكون كذلك، لكن ترتيب هذه السور على هذا الوضع سيأتينا إن شاء الله في درس مستقل وسنثبت فيه إن شاء الله أن هذا الترتيب توقيفي لثبوت ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، أما ترتيب الآيات فلا شك أنه ترتيب النبي -صلى الله عليه وسلم-، أما السور فاختلف فيه والراجح أنه ترتيب نبوي.

يقول: على أساس ماذا قسِّم القرآن: ثُمن، حزب، جزء؟

هذه التقسيمات جاءت متأخرة يعني ليست في عهود الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وكانت هذه التقسيمات يراد منها أن ينتقل القاريء من مرحلة إلى مرحلة كي لا يمل القراءة، وليعرف مواطن وقوفه خصوصا في السور الطويلة، ولذلك نجد أن القرآن قسم بالطريقة التالية:

وضع ثلاثين جزءا لماذا؟ لتكون على عدد أيام الشهر، فمن يقرأ في كل يوم جزءا سيختم القرآن ويمر عليه في الشهر مرة، ثم قسِّم الجزء إلى حزبين يعني نصفين، وكل حزب قُسم إلى أربع أرباع، من أجل أن يعرف الناس في أي مرحلة وقف، فالذي يقرأ سورة البقرة يعرف أنه انتهى من الحزب الأول، الذي يحفظ هذه السورة يعرف أنه مضى عليه حزبان وبقي عليه حزبان وشيء من الحزب الثالث؛ فيكون ذلك سببا لدفعه إلى التقدم وأن ينتقل من مرحلة إلى مرحلة، بل إن حكمة تقسيم القرآن وتسويره يعني جعله في سور هي التي دعت العلماء إلى أن يفعلوا ذلك في عامة سور القرآن وأجزائه.

بعد أن بينا أيها الأحبة الضوابط التي ذكرها أهل العلم في المكي، نعود إلى الضوابط التي ذكرها العلماء في المدني والمميزات التي ذكرها العلماء للمدني، فنقول: ذكر العلماء ضوابط في المدني، بمعنى أنهم استقرأوا السور المدنية، تتبعوا السور المدنية فوجدوا أن هذه السور تشتمل على عدد من العلامات التي إذا رأيتها في تلك السور عرفت أنها سور مدنية فمن ذلك:

ـ كل سورة فيها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُو) وليس فيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) فهي سورة مدنية مثال ذلك ... مَن يذكر مثالاعلى هذا؟ سورة الحج فيها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) في آخرها وفيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) في أولها، هذه سورة مكية

.... سورة التحريم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا) [التحريم: ٨]،ليس فيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) إذن هذه سورة مدنية، مثال آخر سورة الممتحنة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)[الممتحنة: ١]، أيضا مثال ثالث: سورة الجمعة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ)[الجمعة: ٩]، هذه سورة مدنية ولم يذكر فيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ)، أما إذا ذكر فيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) فقد يحتمل أنها تكون مكية كما هو الحال في سورة الحج

ـ الثاني كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي سورة مدنية، مثال ذلك سورة المنافقون سورة مدنية لأن الله تعالى ذكر فيها المنافقين، سورة المجادلة أيضا وأيضا سورة التوبة وأيضا سورة النساء ذُكر فيها المنافقون، وأيضا سورة الحشر (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا)[الحشر: ١١]، فهذه كلها سور مدنية .

ـ كل سورة فيها بيان حد أو فريضة من فرائض الله سبحانه وتعالى فهي سورة مدنية، سورة البقرة فيها بيان جملة من الحدود، سورة النساء فيها بيان جملة من الحدود والفرائض، المائدة فيها بيان كثير من الحدود والفرائض على هذه الأمة فهي سورة مدنية. سورة النور أيضا سورة مدنية التي فيها قول الله سبحانه وتعالى (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ)[النور: ٢]، إلى آخرها. وهكذا إذن هذه جملة من الضوابط ذكرها العلماء إذا رأينا شيئا منها عرفنا أن هذه السور مدنية وليست مكية.

ذكر العلماء بعد ذلك مميزات المدني، يتميز القرآن المدني بعدد من المميزات:

ـ الميزة الأولى تفصيل الأحكام وبسطها وذكر دقائق الشرائع، فإذا وجدت سورة فيها تفصيل الأحكام فاعرف أنها مدنية، يعني القرآن المدني تميز بهذا الطابع، فكثير منه تأتي فيه الأحكام مفصلة موضحة مبينة، فيها دقائق وأمور ليست كما هو مذكور في السور المكية من ذكر أصول الشرائع.

ـ أيضا كشف المنافقين وفضحهم وبيان مكرهم وخديعتهم وأساليبهم وذكر صفاتهم، فهذا مما تميز به القرآن المدني لأن صف المنافقين ظهر في مكة أو في المدينة؟ في المدينة؛ لأنه في مكة كان الناس إما كفارا وإما مؤمنين، وليس هناك حاجة للناس لأن ينافقوا؛ لأن الدولة كانت للكفار فلما ذهب النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة وصارت له الدولة ودخل الإسلام من لم يعتقده صار هناك صف اسمه صف المنافقين.

ـ أيضا من مميزات المدني محاورة أهل الكتاب وكشف باطلهم وذكر مكرهم، لأن القضايا التي وردت مع أهل الكتاب والتعامل معهم إنما كان بعدما هاجرالنبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، فقد عاش معه كثير من اليهود من بني قريظة وبني قينقاع وبني النضير، وأيضا تعرف عليه النصارى وجاءوا إليه وهم نصارى نجران بعد أن هاجر إلى المدينة على الصلاة والسلام.

ـ أيضا مما تميز به القرآن المدني طول الآيات، وذلك لأن تفصيل الأحكام وذكر الشرئع يحتاج إلى بسط في الآيات، ولذلك نجد الآيات الطويلة غالبها آيات مدنية.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى فوائد معرفة المكي والمدني لنختم بذلك هذا الدرس من دروس علوم القرآن، ذكر العلماء جملة من الفوائد في هذا الباب، فمن أهم الفوائد:

أولاً: تمييز الناسخ من المنسوخ لأننا إذا عرفنا أن هذه الآية نزلت في مكة، وأن هذه الآية نزلت في المدينة، وبين الآيتين تعارض فإننا نجعل الآية التي نزلت في المدينة ناسخة للآية التي نزلت في مكة.

ثانياً: فهم القرآن، فإن الإنسان أيها الأحبة إذا عرف ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة فهم القرآن على مواضعه، وعرف الشرائع التي نزلت في مكة، والشرائع التي نزلت في المدينة، وميز هذا من هذا، ولذلك إذا عرفت أن هذه السورة مكية فإنك لا يمكن أن تحمل ماورد فيها على المعاني والقضايا التي جاءت في المدينة، انظر مثلا (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِنْدَ اللهِ)[الروم: ٣٩]، لا يفهم من هذا أحد أن الله قد حرم الربا في هذه الآية وهي آية في سورة مكية وهي سورة الروم، لكننا نفهم التحريم ونعلمه من الآية التي وردت في سورة

البقرة، وهي قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ)[البقرة: ٢٧٨]، إلى آخره.

ثالثاً: معرفة تاريخ التشريع، فإن الإنسان إذا عرف المكي من المدني عرف تاريخ هذه الشريعة، وكيف نزلت، كيف شرعت الصلاة، وعلى أي شيء استقر الصوم الزكاة الحج وغيرها من شرائع الإسلام.

رابعاً: الاستفادة منه في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، كيف ذلك أيها الأحبة؟ الداعية إلى الله سبحانه وتعالى يحتاج إلى منهج يقوم به عندما يدعوا إلى الله سبحانه وتعالى، والمنهج موجود في القرآن الكريم، فليس من اللائق ولا من الحكمة أن تأتي إلى قوم لا عهد لهم بالإسلام بتاتا لتذكر لهم تفاصيل الأحكام والشرائع، بل تبدأ معهم بما بدأ به القرآن المكي من ذكر العقائد وترسيخ الإيمان وتثبيت الإيمان باليوم الآخر وبالله وبالكتب وبالرسل، وتكثر من الحديث في ذلك حتى يرسخ الإيمان، ثم ذكر تفصيلات الشرائع تكون بعد ما يدخل الإنسان في دين الله سبحانه وتعالى، الآن نجد بعض الدعاة - هداهم الله تعالى - لم يفهموا هذه الحكمة من المكي والمدني فتجدهم يخطئون في طريقة الدعوة، يأتي إلى الإنسان الذي يريد أن يسلم يقول: انتبه قبل أن تسلم الدخان محرم، شرب الخمر لا يجوز في الإسلام، يجب عليك إذا دخلت في الإسلام أن تختن وإلا فلا تصح منك صلاة ولا تصح لك طهارة، يجب عليك أن تفارق زوجتك التي معك إذا كانت على الشرك، ويذكر له تفصيلات من الأحكام تجعل هذا الرجل يقول: لا داعي ولا حاجة لي بهذا الدين الذي سيقلب حياتي كلها رأسا على عقب، لكنه إذا دعاه إلى الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر، ذكره بالجنة والنار، ذكر له الحقائق العظيمة التي يجب عليه أن يؤمن بها وعرف ذلك واستقر الإيمان في قلبه، فإن ذلك الرجل سيأتي إليك ويسألك ويقول لك يا أخي هل يجوز لي أن أعمل هذا؟ هل هذا من دين الله سبحانه وتعالى؟ هل يرضى الله عني إذا فعلت كذا وكذا، هل يقرني الشرع على أن تبقى زوجتي هذه معي وهي على غير ديني إلى آخره مما ينبغي مما يمكن أن يقوله لك مثل ذلك المدعو.

خامساً: معرفة سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، إذاعرفنا المكي والمدني عرفنا السيرة من خلال معرفتنا للمكي والمدني.

سادساً: بيان عناية المسلمين بهذا القرآن العظيم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى عليهم، فقد كان المسلمون شديدي العناية بكتاب ربهم، حتى إنهم يعرفون الليلي من النهاري، والشتائي من الصيفي، والسفري من الحضري، ومانزل حتى على رؤوس الجبال أو في السهول والوديان. يقول أحدهم سألت عكرمة عن آية من القرآن فقال: هذه الآية نزلت في سفح هذا الجبل ويشير إلى جبل سلع، جبل سلع جبل صغير في المدينة النبوية، وانظر يقول: نزلت في سفح هذا الجبل وابن مسعود تقدم لنا ماذا كان يقول عن نفسه: ما من آية إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم أنزلت ولو أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه.

فهذا يدلنا على شدة عناية المسلمين بكتاب ربهم، فعلينا أن نعود إلى هذه العناية بكتاب الله سبحانه وتعالى حتى يعود لنا ذلك المجد وذلك العز الذي كان لهم. أسأل الله أن ينفعني وإياكم بما قيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

السلام عليكم ورحمة الله قول ابن عمر في قوله تعالى (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ) هل يقصد هذا صلاة الفريضة أم النافلة؟

هل هناك آيات نزلت أثناء الهجرة وإذا كانت هناك آيات نزلت فإلى أي قسم تصنف إلى المكي أو إلى المدنيعفوا أخي في أثناء الرحلة؟ لا أثناء طريق الهجرة هل هناك آيات نزلت فإلى أي قسم تصنف؟

كيف نرد على من يضعف القول بأن أول السورة مدني وآخره مكي هذا قول ضعيف كيف نرد عليه؟

بالنسبة لسؤال الأخت حول قول الله عز وجل (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ)، ذكرنا حديث ابن عمر -رضي الله عنه- وهو في صحيح مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلى حيث توجهت به راحلته، هذا أيها الأخت إنما هو في صلاة النافلة، أما صلاة الفريضة فلا يجوز للمسلم أن يصليها على ظهر الراحلة إلا عند الضرورة، مثل أن ينزل عليه مطر شديد لا يستطيع معه النزول أو يكون الإنسان مثلا على ظهر الطائرة أو غيرها مما لا

يستقر، فإن الصلاة في هذه الحالة إن كان لضرورة جازت الفريضة، أما النافلة فينبغي على الإنسان أن يعمر وقته أثناء السفر بصلاة النافلة، كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يفعل ولو لم يستقبل القبلة لأن استقبال القبلة في النافلة إذا كان الإنسان على الراحلة وهو في السفر ليس بشرط، فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يصلي على الراحلة النافلة حيث توجهت به، أما بالنسبة لسؤال الأخ هل نزلت آيات أثناء الهجرة، لا أستحضر منها شيئا لكن أظن منها قول الله عز وجل (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)[الأنفال: ٣٠]، والعلماء ذكروا أن كل ما نزل في الهجرة على النبي -صلى الله عليه وسلم- يعد من قبيل المكي مالم يصل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، فعدوا ما كان مدنيا إنما كان بعد وصوله إلى المدينة، قال: كيف نرد على من أنكر أن يكون أول السورة مدني وآخرها مكي؟ نقول هذا هو الواقع حقيقة أن السور تكون مكية وتكون مقدمتها أو فاتحتها مدنية ولا شيء في ذلك، فهذا القرآن كله من عند الله، ويمكن أن يتقدم نزول بعضه ويتأخر نزول بعضه، فهذه سورة المطففين ثبت عن ابن عباس في نزول أولها أنها نزلت في أهل المدينة، قال: لما هاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة وجد أهل المدينة أخبث الناس كيلا، فأنزل الله سبحانه وتعالى (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ(١)الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ(٢)وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)[المطففين: ١: ٣]، فصاروا بعد ذلك أحسن الناس كيلا، فهذه أولها لا شك أنه نزل في أهل المدينة، ولذلك اختلف العلماء هل بقية السورة مدني أو مكي أكثر العلماء على أنها مكية والعلم عند الله.

هل يقال إن السور المكية أكثر بلاغة وأكثر فصاحة من السور المدنية؟

سورة العنكبوت ذكر فيها أهل الكتاب فهل هي مكية أو مدنية؟

يقول: هل يقال في السور المكية أنها أبلغ وأفصح؟ لا ، لا يقال ذلك؛ لأن مقتضى البلاغة هو الإيجاز في مقام الإيجاز والإطناب في مقام الإطناب، فإذا راعى الإنسان الحالة التي هو فيها فأعطاها ما تستحقه كان هذا هو البلاغة، ولذلك الآيات المكية كانت موجزة وقصيرة وقوية الألفاظ؛ لأن ذلك أنسب في مكة، أما الآيات المدنية فإن الناس بحاجة إلى التعرف على تفاصيل الأحكام، وعلى محاورة أهل الكتاب وكشف وفضح المنافقين، فالأبلغ أن تأتي الآيات مطولة، وألا تكون قصيرة قوية الألفاظ، فيقال في هذا إنه بليغ وفي هذا إنه بليغ.

وقد قال الله سبحانه وتعالى (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا)[الزمر: ٢٣]، أي متشابها في بلاغته وحسنه وجماله، وقوة ألفاظه وجزالة عباراته إلى آخر ما هنالك، متشابها مثاني (مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) إلى آخر الآيات.

أما السؤال الآخر يقول: إن سورة العنكبوت ذكر فيها أهل الكتاب، فنحن ما قلنا إن من ضوابط المكي أن لا يذكر في المكي أهل الكتاب، لم نقل ذلك في الضوابط ولم نذكره، إنما قلنا إن المدني تميز بذكر أهل الكتاب وفضحهم وبيان مكرهم إلى آخره، نعم .. المدني تميز بذلك .. فهذه الموضوعات: محاورة أهل الكتاب وكشف أباطيلهم وذكر مكرهم وخداعهم ومناقشتهم وبيان ما كانوا عليه من الزيف والانحراف عن مناهج الأنبياء، هذا من مميزات المدني لكنه ليس ضابطا. الضابط يعني الشيء الذي يوجد في السورة أو في السور المكية أو المدنية أو يوجد في أحد النوعين ولا يوجد في الآخر، ولأجل هذا أيها الأخ الكريم نقول: إن القياس والاجتهاد في موضوع نزول القرآن هل هو مكي أو مدني ليس معتبرا، المعتبر هو التلقي والرواية والسماع، فيقال هذه سورة مكية باعتبار الرواية، ويقال هذه رواية مدنية باعتبار الرواية.

هناك بعض الآيات في بعض السور يكون بعض السورة يختلف فيها آية مدنية وتكون آية أخرى مكية فما العلة في اختلاف الآيات أو تمازجها فيما بينها يعني ما تكون سورة خالصة مدنية أو ما تكون سورة خالصة مكية نرجوا التعقيب؟

هذه أيها الأخ الكريم لو رجعت إلى من تحدثوا في المناسبات من علماء القرآن لوجدت الحكمة في وضع تلك الآيات المدنية في وسط السورة المكية، أو تلك الآيات المكية في وسط السورة المدنية، فهذه يا أخي الذي وضعها بهذه السورة هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يضعها هكذا إلا بوحي من الله سبحانه وتعالى، فلهذا حكم عظيمة تختلف باختلاف تلك المواطن، فأنت عندما تحدد سورة معينة فيها آيات مدنية، تنظر إلى هذه الآيات المدنية، تجد أن هذه الآيات لها صلة بهذا الموضوع المذكور في تلك السورة، أو بالقضايا المذكورة في تلك

السورة ولا شك، وهذا مثله أيها الأخ الكريم عندما تجد موضوعا كاملا في القرآن الكريم في سورة معينة وفي ثنايا ذلك الموضوع نقلة إلى موضوع آخر، يقول الرائي لأول وهلة إن هذا لا صلة له بهذه الآيات، مثل ما في آيات العدد في سورة البقرة، يقول الله عز وجل ، (وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[البقرة: ٢٣٧]، ثم قال بعدها (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ(٢٣٩) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) ثم رجع مرة أخرى فقال: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ) قد يقول قائل ما صلة قضية الصلاة بآيات العدد والطلاق والمهور وغيرها مما هو بعيد عن موضوع العبادات، فنقول: هذا له حكم أيضا ذكرها أهل العلم لو رجعت إلى كتب التفسير وخصوصا من يتحدثون في علم المناسبات ويهتمون بتناسب الآيات واتفاقها فإنك ستجد بغيتك في ذلك.

وإجابة على هذا السؤال الذي طرحته أخيرا نقول: إنما ذكر الله أمرالصلاة لأن الالتزام بأحكام العدد والقيام بها والمحاسنة في ذلك، بمعنى أن يقوم الإنسان بأمر الله سبحانه وتعالى على وجه الإحسان، ويتقي الله في طلاقه وفي أداء ما وجب عليه من مهر ومن حق لزوجته وأيضا تقوى الزوجة لربها سبحانه وتعالى، وعدم كتمانها ما في رحمها، لا يكون ذلك حقيقة إلا عند من يحافظون على الصلوات، وليبين الله سبحانه وتعالى أن هذا الدين جملة واحدة لا ينبغي أن يأخذ الناس شيئا منه، ويدعوا شيئا آخر.

لدي تساؤل فضيلة الشيخ ما قيل عنه أنه حمل من مكة إلى المدينة أو من مكة إلى الحبشة ما علاقته في مبحث المكي والمدني؟

هو من تتمة هذا المبحث لأنه حديث عن مواضع النزول، فمثلا آيات سورة براءة نزلت في المدينة أولها (بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ)[التوبة: ١]، هذه لما نزلت بعد أن سار أبو بكر بالناس ليقيم لهم الحج في العام التاسع بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- عليا على رأس جماعة من الصحابة ليقرؤوا هذه الآيات على الحجاج، ويسمعها كل العرب، فحملت هذه الآيات من المدينة إلى مكة، فهي من هذا الباب فقط، والآيات التي حملت من مكة إلى المدينة مثل ما ذكر البراء ابن عازب -رضي الله عنه- قال: لما جاءنا مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم كانا يقرآننا القرآن، فكنا نتلقى عنهم، ثم جاء عمر ومعه عشرون سورة يعني حمل إليهم عشرين سورة، ففرحوا بها أشد الفرح قال: ثم جاء رسول الله فما فرحنا وما فرح أهل المدينة بشيء أشد من فرحهم برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يأت رسول الله إلا وقد حفظت سورة الأعلى يعني حفظ سورة الأعلى قبل أن يأتي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة.

هل نقول لماذا يعبر بالمكي والمدني، ولا يعبر بالسور المكية والمدنية هل ذلك ليشمل الآيات جميعها ؟

لا يظهر ذلك، يعني يقال المكي والمدني، والسورة المكية والسورة المدنية ما أظن أن في هذا شيئا يذكر والله أعلم.

نستعرض مجموعة من الأسئلة

يقول: السلام عليكم ورحمة الله ، هل سورة الفاتحة تدخل في الجزء الأول من القرآن أم لا؟ لأن الجزء الأول في كل المصاحف يبدأ من قول الله تعالى (الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ)[البقرة: ١، ٢]،

ـ لا ، الجزء الأول يبدأ من قول الله تعالى (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[الفاتحة: ١، ٢]، ولذلك لا نجد العلامة بدأت من هناك إنما نجد علامة نهاية الثمن الأول أو الربع بالنسبة للحزب عند قول الله تعالى (إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً)[البقرة: ٢٦]، أما البداية فلم يذكر شيء إذن فهي البداية مع أول القرآن.

تقول: هل ما دام القرآن مرتباً بهذا الشكل إذن يمكن أن نقول: إن القرآن يقرأ كما هو مرتب في القرآن ؟

نعم الذي ينبغي قراءته أو ينبغي أن يقرأ القرآن على هذه الصورة المرتبة الموضوعة بين دفتي المصحف الذي بين أيدينا.

وذلك لأن نتدرج في الدعوة بالترتيب قياسا على أن نعلم الناس نؤسس العقيدة أولا في النفوس ثم نتطرق إلى التشريعات الأخرى.

نعم هذه من فوائد معرفتنا للمكي والمدني.

يقول: ذكرتم فضيلة الشيخ أن سورة الأنعام كلها مكية باستثناء قوله تعالى (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ)[الأنعام: ١٥١]، فنرجوا من فضيلتكم توضيح قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (نزلت عليَّ سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك)

قلنا في دروس ماضية أيه الأخ الكريم أن سورة الأنعام لم يثبت في نزولها جملة واحدة حديث بل إن أبا عمرو ابن الصلاح وهو من علماء الحديث قد بين أنه لا يصح فيها حديث والذي ذكرته في كونها نزلت كلها مكية إلا الآيات الثلاثة فهذا وارد عن ابن عباس -رضي الله عنه- وهو ينقض ما ذكر عن الحديث الذي قلنا إنه حديث أو أحاديث ضعيفة.

نوجه سؤالين للإخوة المتابعين والمتابعات

السؤال الأول: لماذا كان طول الآيات أنسب في القرآن المدني؟

السؤال الثاني: كيف نرد على من جعل ضابط المكي والمدني باعتبار المخاطبين؟

الدرس القادم إن شاء الله تعالى سيكون عن جمع القرآن بإذن الله جل وعلا.

الدرس الحادي عشر

جمع القرآن فى عهد النبوة، وفي عهد أبي بكر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فهذا هو الدرس الحادي عشر من دروس علوم القرآن في هذه الأكاديمية المباركة، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيدنا به علما وهدى وتوفيقا وأن يجعله من العلم النافع وأن يرفعنا به في الدنيا ويرفعنا به في الآخرة.

أيها الأحبة جرت عادتنا بتقديم أسئلة لمراجعة الدرس الماضي، وقد كان الدرس الماضي كله عن المكي والمدني، فسنذكر بعض الأسئلة في موضوع المكي والمدني لعل الإخوة الحاضرين يجيبون عليها، ثم ننتقل بعد ذلك إلى الإجابة عن سؤالين ذكرناهما في خاتمة الدرس الماضي.

السؤال الأول: اذكر بعض أنواع المكي والمدني.

ما نزل قبل الهجرة وبعد الهجرة والسفري والحضري، وكذلك ما نزل بمكة وحكمه مدني والعكس، كذلك والمشيع والمفرد وهكذا.

أحسنت. هذه بعض الأنواع التي ذكرناها في موضوع أنواع المكي والمدني، وإنما سألت هذا السؤال لأن كثيرين من الناس يتصورون عندما نتحدث عن المكي والمدني أننا نتحدث عن نوع خاص وهو ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة، بينما هذا الباب يشمل موضوعات كثيرة وأنواعا متعددة، منها ما ذكره الأخ: المكي والمدني، والمختلف فيه هل هو مكي أو مدني، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، والمشيع والمفرد، والصيفي والشتائي والليلي والنهاري والسفري والحضري، وغيرها من الأنواع التي نيفت على خمس وعشرين نوعا ذكرها أهل العلم في هذا الباب.

وقد فصل فيها تفصيلا ظاهرا الإمام السيوطي -رحمه الله تعالى- في كتابه المشهور كتاب الإتقان في علوم القرآن.

السؤال الثاني: اذكر بعض ضوابط المكي. اذكر بعض الضوابط التي ذكرها العلماء في أمر المكي.

هناك بعض الضوابط تعرف للمكي، ومنها: كل سورة فيها كلا، وكل سورة فيها سجدة، وكل سورة مبدوءة بقسم، وكل سورة مفتتحة بحروف متقطعة ما عدا الزهراوين، وكل سورة فيها يا أيها الناس وليس فيها يا أيها الذين آمنوا، وكل سورة مبدوءة بالحمد، بالإضافة إلى كل سورة ذكر فيها قصص الأنبياء ما عدا البقرة .

هذه جملة من الضوابط التي ذكرها أهل العلم في موضوع معرفة المكي، بمعنى أنك إذا رأيت واحدا من هذه الضوابط فإنك تعلم أن هذه السورة مكية، فمثلا إذا كان أول السورة مبدوءا بالحمد، اعلم أنها سورة مكية، أو مبدوئا بقسم أو غيره مما ذكرنا من الضوابط التي أفاض الأخ في ذكرها.

السؤال الثالث: كم عدد السور المدنية المتفق عليها؟

السور المدنية المتفق عليها هي عشرون سورة

أحسنت. عشرون سورة اتفق العلماء على أنها مدنية، وثنتا عشرة سورة اختلف العلماء هل هي مكية أو مدنية، وبقية ذلك وهو ثنتان وثمانون سورة هي من السور المكية.

السؤال الأخير في هذا الباب: كيف نستفيد من معرفة المكي والمدني في الدعوة إلى الله تعالى؟

تفيد معرفة المدني والمكي في الدعوة إلى الله، تفيد الداعية من حيث التنوع في الأسلوب.

أحسنت. حيث إن الأسلوب في السور المكية والموضوعات تختلف عن الأسلوب والموضوعات في السور المدنية. إذن هذا يفيد الداعية إلى الله سبحانه وتعالى عندما يريد أن يخوض غمار الدعوة ويدخل في ميدان الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى أن يستفيد من منهج القرآن في مكة ومنهجه في المدينة ويراعي ذلك في حال المدعوين إلى الله سبحانه وتعالى.

أحسنت. جزاك الله خيرا، ننتقل بعد هذا إلى ما جرت به العادة من الإجابة على سؤالين نذكرهما في خاتمة الدرس الماضي.

السؤالان ذكرناهما:

الأول: لماذا كان طول الآيات أنسب في القرآن المدني؟

لأن موضوعات الآيات في المدني كانت مشتملة على الأحكام والأحكام تحتاج إلى البسط والإطالة؛ لذا كانت طويلة

أحسنت. السور المدنية كما قدمنا فيها تفصيل للأحكام وبيان لتفاصيل الشرائع ومثل هذا يناسبه الإطالة والتفصيل بخلاف القرآن المكي. أحسنت. بارك الله فيك.

الثاني: كيف نرد على من جعل ضابط المكي والمدني باعتبار المخاطبين؟ من العلماء من جعل ضابط المكي والمدني إنما هو باعتبار المخاطبين، فكيف نرد على هذا التعريف أو التفريق بين المكي والمدني؟

نرد عليه بأنه لم ترد في جميع السور ذكر المخاطبين مثل "يا أيها الناس"، و"يا أيها الذين آمنوا" يعني واحد، بالإضافة إلى أن هناك سور مكية ورد في ذكرها يا أيها الذين آمنوا وأخر مدنية ذكر فيها يا أيها الناس

أحسنت. إذن هذا التعريف الذي ذكروه ليس حاصرا ولا ضابطا لأن جملة كثيرة من السور ليس فيها لا "يا أيها الناس" ولا "يا أيها الذين آمنوا" ولا ما يشير إلى نوع المخاطبين. الثاني كما ذكر الأخ -جزاه الله خيرا وبارك فيه وفيكم جميعا- هو أننا قد نجد بعض السور فيها "يا أيها الذين آمنوا" كسورة الحج وهي مكية ونجد بعض السورة فيها "يا أيها الناس" كسورة البقرة والنساء وهما مدنيتان بالإجماع، إذن فهذا التعريف غير حاصر ولا ضابط.

وردت لنا بعض الأجوبة عن طريق الموقع لعلنا نستعرضها بشكل سريع:

يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الإجابة عن السؤال الأول كان طول الآيات أنسب في القرآن المدني لأن الصحابة بعد أن استقر الإيمان في قلوبهم كانوا في حاجة إلى التفصيل في باب العبادات والمعاملات حتى يعرفوا ما يأتوا وما يذروا. صحيح.

الإجابة عن السؤال الثاني: نرد على من جعل ضابط المكي والمدني باعتبار المخاطبين- أي أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخوطبوا بـ"يا أيها الناس" وإن كان غيرهم داخلا فيه، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا بـ"يا أيها الذين آمنوا" وإن كان غيرهم داخلا فيه - بأن هذا الضابط لا ينطبق دائما لأن في سورة البقرة والنساء وهما مدنيتان خطابا مكيا وهو "يا أيها الناس".

جزاك الله خيرا يا أخي على هذه الإجابة المفصلة الطيبة وأسأل الله سبحانه وتعالى لك التوفيق والهدى وسائر الإخوة.

كذلك الأخت تقول: كانت الآيات الطويلة أنسب للقرآن المدني لأن الآيات المدنية كانت تنزل في المدينة والآيات المكية كانت مخصصة لأهل مكة. الإجابة ليست طبعا دقيقة ولا مفصِّلة في الجواب فنقول الإجابة ما ذكره الأخ قبل قليل وكذلك ما ذكره الإخوة هنا معنا في هذا المكان.

أيها الأحبة موضوعنا في هذا اليوم- بإذن الله سبحانه وتعالى-عن جمع القرآن. بعد أن تحدثنا في الدروس الماضية عن أول ما ينبغي أن يتحدث عنه في علوم القرآن وهو نزول القرآن من الوحي وأسباب النزول وكيفية نزول القرآن وأول ما نزل وآخر ما نزل ثم بعد ذلك تحدثنا عن المكي والمدني وكل هذه الموضوعات في قضية نزول القرآن الكريم. ننتقل إلى جملة آخرى من موضوعات علوم القرآن وهو ما يتصل بجمع القرآن.

كيف جمع هذا القرآن الذي بين أيدينا؟ وكيف صار على هذا النحو الذي نراه؟ هل هو كذلك من عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أو طرأ عليه شيء من التغيير هذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل في درس هذا اليوم وفي درس الغد بإذن الله جل وعلا فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا التوفيق ويرزقنا السداد في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أيها الأحبة جمع القرآن يطلق عند العلماء على نوعين.

النوع الأول: جمعه بمعنى حفظه في الصدور، يقال فلان جمع القرآن يعني حفظه وضبطه في صدره.

النوع الثاني: جمعه بمعنى كتابته وتدوينه.

ونحن سنتحدث عن كل واحد من هذين النوعين بإذن الله سبحانه وتعالى على وجه التفصيل.

هناك من العلماء المعاصرين من ذكر نوعا ثالثا وهو جمعه بمعنى تسجيله في الأشرطة المسماة أشرطة الكاسيت ونحوها، فهذا نوع ثالث تحدث عنه بعض المعاصرين كالدكتور/ فهد الرومي في كتابه دراسات في علوم القرآن على أنه من الأنواع التي تلحق بجمع القرآن وهو نوع مستحدث لم يكن للمسلمين به عهد فيما سبق.

فدعونا ندلف بإذن الله سبحانه وتعالى إلى هذا الموضوع.

فنقول النوع الأول: جمعه بمعنى حفظه.

ما دليل هذا النوع؟ دليل هذا النوع في القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى: (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)[القيامة: ١٦، ١٧]، فانظر إلى قوله (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) يعني إن علينا جمعه في صدرك يا محمد حتى ما ينفصل وينفصم عنك الوحي إلا وقد وعيته في صدرك وحفظته فلم يذهب عليك منه شيء.إذن جمعه بمعنى حفظه في الصدر دليله قوله تعالى (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)؛ ذلكم أيها الأحبة أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- كان يلاقي من التنزيل شدة وكان يحرك لسانه عندما ينزل عليه جبريل خشية أن يفوته شيء من الوحي؛ لأن الله قد ائتمنه عليه، وهذا من حرص رسولنا -صلى الله عليه وسلم- على هذه الأمانة العظيمة: أمانة الوحي، فالله سبحانه وتعالى تكفل له بأن يجمع في صدره فلا يفوت عليه منه شيء بمعنى أن يحفظه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمجرد إلقاء جبريل عليه في صدره فلا يذهب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منه شيء، وقد حفظه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بهذا المعنى ولا شك في ذلك.

وأما حكمه -حكم جمع القرآن بمعنى حفظه- فإنه يكون فرض عين وفرض كفاية.

أما فرض العين فهو ما لا تتم صلاة المرء إلا به كسورة الفاتحة مثلا، فإنه يجب على كل مسلم أن يحفظها عاميا كان أو متعلما، عربيا أو عجميا، كل من قدر على حفظها وجب عليه أن يحفظها لأنها من فرائض الصلاة قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب).

وأما سائر القرآن فإن حفظه بالنسبة للأمة من فروض الكفاية إذا قام به من يكفي من هذه الأمة سقط الاثم عن الباقين.

وأما فضله - فضل هذا النوع- فقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم- ودلائل كثيرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم- في بيان فضل جمع القرآن في الصدر بل قال الله جل وعلا في سورة العنكبوت (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)[العنكبوت: ٤٩]. قال العلماء: هذا فيه شرف حفظ القرآن حيث سمى الله الحفاظ ووصفهم بأنهم من أهل العلم وكان النبي - صلى الله عليه وسلم- يحث الصحابة على حفظ القرآن ويقول: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (والماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة) ويجعل النبي - صلى الله عليه وسلم- مقياس التقديم في الإمامة أَوَلَ شيء لجمع القرآن، فالأولى بالإمامة الأحق بها: أقرؤهم لكتاب الله والأقرأ يكون بالحفظ والرعاية لأحكام التلاوة، وأيضا كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد أن يجهز سرية أَمَّرَ عليهم أكثرهم حفظا للقرآن الكريم. بل إنه عليه الصلاة والسلام من رعايته لهذا الشأن كان إذا قتل اثنان من الصحابة أو قتل عدد من الصحابة فأراد أن يدفن في القبر الواحد أكثر من واحد قدم أكثرهم أخذا وجمعا للقرآن. وجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن وما جمعه الإنسان منه مهرا للحصول على المرأة كما في حديث المرأة التي عرضت نفسها على النبي - صلى الله عليه وسلم- ولم يكن للنبي بها حاجة فقال الرجل يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة فقال النبي - صلى الله عليه وسلم- له: ما تصدقها؟ أو نحوا من ذلك. المهم أن الرجل لم يجد شيئا فقال: (زوجتكها بما معك من القرآن) يعني على أن يعلمها مما معه من القرآن مما حفظه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

الصحابة رضوان الله تعالى عليه لما كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يحثهم على ذلك ويدلهم عليه ويرغبهم فيه أشد الترغيب كانوا يستجيبون لهذا الدعوة الكريمة، فلم يكن شيء في عهدهم أشد عناية عندهم ولا رعاية من حفظ القرآن الكريم والعناية به والاهتمام بأمره ولذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يعلمهم، ويأمر من تعلم منهم أن يُعَلِّم إخوانه، ويعقد لذلك عليه الصلاة والسلام الحِلَق التي تكون لتعليم الداخلين في الإسلام ويرغبهم في ذلك حتى يقول (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ويقول عليه الصلاة والسلام (لأن يخرج أحدكم فيتعلم أو يعلم آيتين خير له من ناقتين كوماوين وثلاثة خير له ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل) كل هذا من ترغيب النبي - صلى الله عليه وسلم- في أن يتعلم الناس القرآن وقال: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول "الم" حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) كل هذا من الترغيب والحث وتبليغ الأمة أهمية العناية بكتاب الله سبحانه وتعالى.

يأتي عندنا أيها الأحبة إشكال في هذا الأمر وهو أنه روي عن أنس أو ثبت عن أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه- في صحيح البخاري (أنه لم يجمع القرآن في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- سوى أربعة من الصحابة) فهل فعلا لم يحفظ القرآن في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا هؤلاء الأربعة الذين ذكرهم أنس بن مالك.

دعونا نتأمل هاتين الروايتين ثم نجيب على الإشكال الذي تورثه هذه الرواية عن أنس بن مالك فعن قتادة قال: (سألت أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه- من جمع القرآن على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم؟ فقال أربعة كلهم من الأنصار يعني أربعة من الأنصار كلهم قد جمع القرآن على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد يعني أبا زيد بن السكن -رضي الله تعالى عن الجميع). وفي رواية أخرى عنه - رضي الله عنه- قال (مات النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد) روى هذين الحديثين الإمام البخاري، فهل فعلا لم يحفظ القرآن في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- إلا هؤلاء الأربعة؟ نقول إن هذا الكلام من أنس. أجاب عنه العلماء. لأن الواقع أن كثيرين من الصحابة كانوا قد جمعوا القرآن في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- وحفظوه. أما الذين حفظوه وجمعوه بعد عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- فهم أكثر من أن يحصروا، وأما في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- فهم كثير.

والإجابة عن كلام أنس تكون بواحد مما ذكره أهل العلم.

الأول: يقصد أنس أن هؤلاء الأربعة هم الذين تلقو القرآن كاملا من النبي - صلى الله عليه وسلم- مباشرة وغيرهم من الصحابة إنما تلقو أجزاء من كتاب الله من النبي -صلى الله عليه وسلم- والباقي تلقوه من بعضهم

فهؤلاء كانوا من شدة حرصهم أنهم عرضوا القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم- هذه إجابة وهي إجابة في غاية الوضوح وأيضا القرب والمعقولية.

والثاني من الإجابات التي ذكرها أهل العلم: أن المقصود بكلام أنس أن هؤلاء جمعوه بمعنى كتبوه كاملا في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- جمعوه بمعنى كتبوه.

والثالث: أن أنس بن مالك لم يرد بذلك حصر جمع القرآن بهؤلاء الأربعة بدليل أن الروايتين قد اختلفت في ذكر الصحابة ففي إحداهما ذكر أبي بن كعب وفي الثانية أسقط أبي وذكر بدلا عنه أبو الدرداء -رضي الله تعالى عنه- مما يدل على أن أنسا لم يكن يريد بذلك حصر جمع القرآن في هؤلاء الأربعة.

والواقع الذي تشهد له نصوص كثيرة وتدل عليه الدلائل أن الذين جمعوا القرآن في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كثير وقد تشبث بمثل هذه الروايات بعض الزنادقة ليشككوا في موضوع تواتر القرآن، فنقول إن تواتر القرآن ثابت بإجماع الأمة حتى على فرض أن معنى كلام أنس - رضي الله تعالى عنه- لم يجمع القرآن إلا أربعة أن معناه لم يحفظه إلا أربعة، فنقول قد ثبت التواتر تواتر القرآن بكون الصحابة قد حفظوه جملة فتجد الآيات من القرآن والمقطع والسورة قد حفظها جماعات من الصحابة وإن لم يكن كل واحد منهم قد وعى القرآن بأكمله، لكن القرآن كله قد روي، يرويه جماعة من الصحابة عن مثلهم إلى أن وصل إلينا متواترا وعلى هذا إجماع الأمة، فلا يجوز أن يتشبث بمثل هذه الرواية للقدح في تواتر القرآن فإن مثل هذا لا يتشبث به إلا من في قلبه هوى.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى حفظ التابعين للقرآن. التابعون - رضي الله تعالى عنهم ورحمهم- تلقو القرآن عن الصحابة خصوصا بعد عهد عثمان - رضي الله تعالى عنه- فإنه لما بعث المصاحف إلى الأمصار- كما سيأتي معنا إن شاء الله في الدرس القادم- بعث مع كل مصحف رجلا يُقرأ الناس فاجتمع الناس على هؤلاء القراء وأخذوا يقرأون عنهم ويتلقون عنهم القرآن الكريم على المصحف الذي بين أيديهم، فأهل مكة بعث إليهم بمصحف، وأهل الكوفة بعث إليه بمصحف، وكذلك أهل البصرة وأهل الشام وأهل المدينة وأهل البحرين وأهل اليمن. هذه هي المصاحف التي بعث بها عثمان - رضي الله تعالى عنه، فبعث مع كل مصحف قارئا يقرأ الناس فتلقى الناس القرآن عن هؤلاء. ومن أشهر المدارس التي صار فيها تلاميذ كثر يتلقى الناس منها تلاوة كلام الله سبحانه وتعالى بالإسناد والرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هي المدرسة المكية، والمدرسة المدنية - في المدينة-، والمدرسة البصرية والمدرسة الكوفية وكذلك المدرسة الشامية التي كان فيها أبو الدرداء وغيره من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى خصائص هذا الجمع. يعني ما هي الأشياء التي يتميز ويختص بها هذا الجمع الذي هو بمعنى حفظ القرآن في الصدور؟

فنقول هذا الجمع هو أول أنواع علوم القرآن لأن القرآن أول ما نزل شرع الناس في حفظه وجمعه في صدورهم وكان الرجل يشرف وترتفع منزلته بقدر ما يجمع من القرآن كما بينا قبل قليل، وكان الرجل إذا أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة اجتمع الناس عليه في المدينة فتلقوا عنه آخر ما نزل من الوحي فهذا يأتي بثلاث سور وهذا يأتي بخمس سور ويأتي عمر بعشرين سورة وهكذا كل واحد منهم يأتي بمجموعة من السور، والناس يتلهفون على حفظ كلام الله ويتتبعونه تتبعا دقيقا. فأول علوم القرآن هو حفظ القرآن وجمعه في الصدور هذه هي الخصيصة الأولى.

الخصيصة الثانية: أن هذا دائم لا ينقطع بإذن الله حتى يأذن الله في آخر الزمان برفع القرآن من الصدور ومن السطور أيضا. وهذا وردت فيه روايات يحسنها بعض أهل العلم وهو أن القرآن في آخر الزمان سيرفع لكنه باق في هذه الأمة إلى آخر الزمان، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى له بالحفظ والدوام.

الثالث من خصائص هذا النوع وهذا الجمع بمعنى الحفظ: أن القرآن تفرد به عن سائر الكتب فلا يوجد كتاب في الدنيا من لدن آدم إلى يومنا هذا يحفظ ويتلى ويحرص الناس على جمعه في صدورهم مثل الذي وجد في كتاب الله سبحانه وتعالى بل إن الذين يحفظون التوراة قد يعدون على أصابع اليد والذين يحفظون الإنجيل يعدون على أصابع اليد، ولا يكاد يوجد في أهل الملل المعروفة التي عندها كتب من السماء من يحفظ ذلك الكتاب. أما هذا

القرآن فإنه يحفظه مئات الألوف من الأمة، بل إنك تجد أحيانا ظاهرة في بلد معين أنه لا يكاد يوجد طفل من أطفالهم أو شاب من شبابهم إلا وقد جمع القرآن في صدره فهذه خصيصة لهذا القرآن لم يشاركه فيها أي كتاب على الإطلاق على وجه البسيطة.

الرابع من خصائص هذا النوع من الجمع: وجوب حفظ جزء منه على كل مسلم، وأقل ذلك كما ذكرنا هو حفظ سورة الفاتحة. وكل المسلمين بحمد الله متفقون على أنهم يحفظون سورة الفاتحة ويحفظون سورا أخرى يصلون بها ويقيمون بها صلاتهم الواجبة والنافلة.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى النوع الثاني من أنواع الجمع وهو جمع القرآن بمعنى كتابته وتدوينه. فنقول جُمع القرآن بهذا المعنى ثلاث مرات. الأولى: في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- والثانية: في عهد أبي بكر -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- والثالثة: في عهد عثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه. ولا يظنّن ظان أن الجمع الأول والثاني والثالث متطابق بحيث يقال ما الفائدة من هذا التكرار في الجمع؟ فنقول كل واحد من هذه الأنواع الثلاثة والمرار المذكورة كان لها مزية ومبرر وسبب يختلف عن سبب التي بعدها.

فأولا جمعه في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم: القرآن كان مجموعا في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- بمعنى حفظه في الصدور كما تقدم، وبمعنى أيضا كتابته وتدوينه فكان النبي - صلى الله عليه وسلم- عندما ينزل عليه الوحي ينادي أحد كتاب الوحي فيأمره بكتابة ما أنزل؛ ليكون القرآن موثقا في هذه الأمة من جهتين من جهة التلاوة ومن جهة الكتابة، ويكون القرآن بهذا قد ضبط ضبطا كاملا لا يمكن أن يتطرق إليه ريب ولا أن يصل إليه أدنى شك لأنه مضبوط بالتلاوة ومضبوط بالكتابة. وكان للنبي -صلى الله عليه وسلم- عدد كبير من الكتاب تجاوزوا عشرين كاتبا وقد أفرد في ذكر كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم- كتب من آخرها كتاب للشيخ/ محمد الأعظمي في كتاب الوحي منهم على سبيل المثال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي الله تعالى عن الجميع- وزيد بن ثابت –رضي الله تعالى عنه- ومعاوية وأبي ويزيد بن أبي سفيان وخالد بن سعيد والزبير بن العوام وحنظلة بن الربيع وعامر بن فهيرة وعمرو بن العاص وعبد الله بن الأرقم والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن رواحة وخالد بن الوليد وثابت بن قيس الشماس وغيرهم ممن ورد ذكرهم في الروايات ممن كانوا يكتبون الوحي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- لكن أشهرهم على الإطلاق وهو الذي تولى مهمة جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان كما سيأتي هو زيد بن ثابت فكان أكثر الصحابة كتابة للوحي؛ ذلك أنه كان كاتبا يعني يجيد الكتابة ويحسن الخط وكان شابا صغيرا ذكيا ألمعيا فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعتمد عليه أكثر من غيره في كتابة الوحي؛ ولذلك لما أراد أبو بكر الصديق أن يجمع القرآن في عهده وكَلَ هذه المهمة إليه لعلمه بما تميز به في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم.

ما صفة هذا الجمع؟ صفة هذا الجمع أيها الأحبة. النبي - صلى الله عليه وسلم- كان إذا نزل الوحي أمر أن يُكتب القرآن، فكان يكتب على ما تيسر مما سيأتي من أدوات الكتابة، ثم يوضع عند النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان الصحابة يأتون ويتلقونه من فم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومما كتب عنده.

أما الأدوات التي كانوا يستعلونها فأنتم تعلمون أن الورق في ذلك الوقت لم يكن موجودا، فكانوا يكتبون على اللخاف، ويكتبون على الرقاع ويكتبون على العسب، ويكتبون على الكرانيف، ويكتبون على الأقتاب، ويكتبون على الأكتاف.

ما هي هذه الأدوات؟ العُسُب: جمع عسيب والعسيب هو جريد النخل المعروف. واللخاف: الحجارة الرقيقة التي تكون بيضاء اللون كانوا يجمعونها ويكتبون عليها. والرقاع ما يكون من الجلود ونحوها رقعة تكون من الجلد يكتب عليها. والكرانيف: هي أصول العسب عسب النخل يعني ما يسمى عندنا الكرب الآن. أصل جذع النخلة أو جريد النخلة يسمى كرانيف. والأقتاب: وهو ما يكون في الرحل الذي يكون على الجمل. وأيضا الأكتاف وهي بقايا أو قطع الأكتاف التي تكون من الإبل والغنم ونحوها فإنها تكون عريضة تصلح للكتابة. فكان القرآن يكتب على مثل هذه الأشياء ويوضع في بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان بعض كتاب الوحي يكتب نسخة لنفسه كما كان عبد الله بن مسعود يفعل وكما كان زيد بن ثابت يفعل وعمر بن الخطاب؛ لأنه لما جاء جمع القرآن في عهد أبي بكر وجمع القرآن في عهد عثمان جمعوا كل ما كان موجودا عند أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- غير

الذي كان في بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فكان القرآن كله مجموعا مكتوبا في بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان الصحابة أيضا يكتبون لأنفسهم، كل حسب استطاعته وقدرته وما تيسر له.

ما هي مميزات جمع القرآن في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم؟

نقول تميز جمع القرآن في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعدد من المميزات:

الميزة الأولى: أنه كتب على الأحرف السبعة. تعلمون أيها الأحبة أن القرآن كان ينزل في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- على أحرف سبعة تيسيرا على العرب الذين كانت لهجاتهم وطرائقهم في الكلام تختلف فكان يشق عليهم أن يلتزموا لغة قريش وطريقتها في الكلام، فأنزل الله القرآن على سبعة أحرف تيسيرا على هذه الأمة فكان القرآن ينزل على هذه الأحرف السبعة وكان يدون بهذه الأحرف السبعة في هذه الرقاع واللخاف والكرانيف والأقتاب والأكتاف وغيرها في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- فهو مجموع بجميع ما نزل عليه القرآن من أحرفه السبعة.

الثاني: كان مرتب الآيات، فالذي تولى ترتيب آياته هو النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنه كان يقرأ القرآن كاملا من أوله إلى آخره وكان جبريل عليه الصلاة والسلام يدارسه القرآن كل عام، فكيف كان يدارسه القرآن! وكان يقرأ سورة البقرة وسورة النساء وسور آل عمران وبقية سور القرآن بل كان يقرأ المفصل كله، فما هو هذا ! المفصل إن لم تكن آياته مرتبة، بل ورد في حديث عثمان (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا نزلت عليه الآية قال: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذ).

الثالث: أنه كان يوجد في هذا القرآن في هذا الجمع الذي كان في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- بعض ما نسخت تلاوته، بعض مانسخت تلاوته كان موجودا فيما جمعه النبي -صلى الله عليه وسلم- من القرآن يدل لذلك حديث عائشة في صحيح مسلم عندما قالت: (كان مما أنزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-عشر رضاعات معلومات يحرمن فنسخن بخمس رضعات معلومات يحرمن فتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهن مما يقرأ في القرآن) علما بأنه لا يوجد في القرآن لا خمس ولا عشر مما يدل على أن العشر قد نسخت والخمس أيضا قد نسخت ورفعت تلاوتها وإن كان قد بقي حكم الخمس لأننا نعلم أن المحرم من الرضاع ما كان في الحولين وكان خمس رضاعات، فأين هي الخمس في القرآن؟ ليست موجودة. إذن قد نسخت تلاوتها ومع ذلك بقيت لأن نسخها كان متأخرا فالصحابة علموا أنها نسخت لكنها كانت موجودة في المصحف الذي كان قد جمعه النبي -صلى الله عليه وسلم- أو في تلك الرقاع وهذا أضبط من قولنا المصحف لأنه لم يسمى مصحفا ولم يجمع مرة واحدة أو بين دفتين إلا في عهد أبي بكر -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-.

إذن فبعض المنسوخ تلاوة كان موجودا في الرقاع التي كانت مكتوبة في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم.

أيضا من المميزات لهذا الجمع أنه لم يكن في مصحف واحد وقد بينا ذلك قبل قليل.

قد يقول قائل لِمَ لَمْ يجمع القرآن في مصحف واحد في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم؟ فنقول الجواب على ذلك يسير.

أولا: لأن القرآن كان في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يستقر على شيء واحد حيث إن بعضه كان ينزل نَسْخُه، بعضه يرفع وينزل نسخه من السماء، فلذلك لم يجمع. فتصور لو أنه كان مجموعا ثم نسخ بعضه كيف يكون إزالة ذلك البعض، وكيف يكون حال ترتيب الآيات من جراء هذا النسخ؟

ثانيا: أن نسيان القرآن مأمون. نسيان القرآن في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- مأمون فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بجمعه في صدر النبي -صلى الله عليه وسلم- فلا ينسى منه شيئا إلا ما نسخ الله سبحانه وتعالى تلاوته.إذن فالحاجة إلى أن يجمع في مصحف واحد لم تكن قوية كما هي الحاجة في عهد أبي بكر ومن بعده من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

الثالث: لأجل اختلاف التنزيل والترتيب كيف ذلك ترتيب القرآن في المصحف الموجود بيننا والذي رتبه النبي - صلى الله عليه وسلم- لم يكن على ترتيب نزوله حيث إنه كان ينزل على النبي - صلى الله عليه وسلم- مفرقا، وقد نزل في ثلاث وعشرين سنة فكانت تنزل الآيات فيقال:(ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا، تنزل الآيات فتوضع في السورة التي يذكر فيها كذا وكذ)، فكيف يمكن جمعه في مصحف واحد وهو على هذه الحال؟ لو كان ترتيبه في المصحف على ترتيب نزوله لأمكن وضعه في مصحف واحد. أما وإن ترتيبه في المصحف يختلف عن ترتيبه في النزول فإن هذا غير ممكن ومن الصعب جدا أن يرتب وأن يوضع في مصحف واحد ويجمع بين دفتين.

إذن نحن الآن انتهينا من عنصر مميزات جمعه في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- قبل أن نأخذ يا شيخ - ثانيا جمعه في عهد أبي بكر- لعلنا نأخذ بعض الأسئلة من الحضور. هل يوجد أسئلة من الإخوة الحضور؟

ذكرتم فضيلة الشيخ أن من خصائص القرآن الكريم هو حفظ جزء كامل من هذا القرآن، فهل يكون حفظ هذا الجزء واجب أم يكتفى بفاتحة الكتاب؟

المقصود بالجزء ليس الجزء الاصطلاحي الذي هو واحد من ثلاثين جزءا من أجزاء القرآن، وإنما قصدنا بجزء منه يعني مقدار أو قطعة منه أقلها فاتحة الكتاب، ففاتحة الكتاب لا تقوم الصلاة إلا بها وما زاد على ذلك فهو خير وفضيلة هذا بالنسبة لكل فرد من أفراد الأمة لكن بالنسبة لمجموع الأمة لابد أن يكون في الأمة من يحفظ هذا القرآن كاملا، ليس فردا وإنما أن يكون القرآن محفوظا في صدور هذه الأمة تتلقاه جيلا عن جيل أو خلفا عن سلف.

بالنسبة لبعض ما ذكر في منسوخ التلاوة يعني هل يوجد هناك مثال آخر غير الخمس رضعات التي نسخت؟
أنا لا أعرف مثال آخر لكن هذا الحديث في صحيح مسلم كما تعلم، أريد أن أتأكد أنا سمعت أو قرأت أنه نسخت بحكم المحصن. الرجم كان مذكورا ونسخ يعني نسخ تلاوة وهو مذكور حكم لا. نحن نتحدث عن هل هناك شيء مما نسخ تلاوة بقي بعد عهد النبي - صلى الله عليه وسلم. أنا لا أعرف فيه إلا حديث عائشة. أما المنسوخ تلاوة وقد بقي حكما هذا ذكر العلماء له أمثلة منها "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهم البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم"، وغيرها أيضا مما نسخت تلاوته وبقي حكمه وهذا سنأتي على تفصيله إن شاء الله في موضوع النسخ في القرآن الكريم.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه. ما سبب جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق، وما تاريخ ذلك؟ تحكي هذا رواية تحدث بها زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- وأخبر عن سبب هذا الذي وقع، وعن أيضا المدة أو الزمان الذي وقع فيه، وهذا قد رواه البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه فدعونا الآن نستمع إلى ذلك الحديث الطويل الذي تحدث فيه زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- عن هذا الأمر، تفضل يا أخي.

روى البخاري في صحيحه أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ الْقُرْآنِ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ قُلْتُ لِعُمَرَ كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُمَرُ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ قَالَ زَيْدٌ قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنْ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ قُلْتُ كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنْ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ)[التوبة: ١٢٨]، حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ فَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أحسنت. هذا الحديث كما رأيتم رواه البخاري بسنده عن زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- وقد بين فيه زيد ما سبب جمع القرآن في عهد أبي بكر؟ ذلكم أن قراء القرآن الذين كانوا يحفظون القرآن ويُقرئونه الناس قد

شاركوا في حروب الردة التي أقامها أبو بكر -رضي الله تعالى عنه- ضد المرتدين الذين نكصوا عن الدين بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم، فلما استحر القتل فيهم - قتل منهم يوم اليمامة خلق- جاء عمر إلى أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- وقال له إني أرى القتل قد استحر في قراء القرآن فأخشى أن يذهب القرآن بذهاب هؤلاء القراء؛ ذلكم أيها الأحبة أن القرآن كما أخبرناكم قد جمع بطريقتين كل واحدة منهما حصن للأخرى، وهي جمعه في الصدور والمشافهة والتلقي بالرواية وجمعه أيضا بالكتابة فكل واحد من الاثنين يصدق الآخر فإذا ذهب الذين يحفظونه فإن هذه الصحف الموجودة وهذه اللخاف والعسب وغيرها، لا تفيد لأننا لا نعرف كيف يُقرأ القرآن حيث إن القرآن قد يقرأ بأوجه كثيرة لو لم يكن معها رواية مضبوطة متلقاة عمَّن نزل عليه الوحي وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فقال: خشيت أن يذهب القرآن بذهاب هؤلاء القراء، فما زال عمر يراجع أبا بكر حتى شرح الله صدر أبا بكر لذلك، فلما هم بذلك دعوا زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- الذي كان مشهورا بكتابة الوحي، فأخبراه بهذا الأمر فنفر زيد من هذا الرأي لأنه شيء لم يكن على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يُجمع القرآن كله في مصحف واحد وفي كتاب واحد وبين دفتين فما زالا به حتى شرح الله صدره فكلفاه بعد ذلك بالقيام بهذه المهمة العظيمة التي قال عنها زيد فوالله لو كلفوني نقل جبل لكان أهون علي من هذا الذي كلفوني به، لأنها أمانة عظيمة وتحتاج إلى دقة هائلة ورعاية تامة وقد والله اختاروا رجلا لذلك جد أمين وهو زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- الذي قام بهذه المهمة خير قيام، فتتبع القرآن من العسب واللخاف وصدور الرجال يجمع هذا وهذا حتى جمعه في مصحف واحد ، فبقي عند أبي بكر الصديق حتى توفي ثم بقي عند عمر حتى توفي فعهد به عندما قتل إلى حفصة فبقي عند حفصة ؛لأنه لم يكن استخلف أحدا -رضي الله تعالى عنه- وإنما عهد بالأمر إلى الستة الباقين من العشرة -رضي الله تعالى عنهم- فبقي عند حفصة حتى استدعاه أو طلبه عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- لينسخ منه المصاحف التي كتبها في عهده ثم لما توفيت حفصة أخذه مروان بن الحكم فمزقه لحكمة سيمر بنا ذكرها بإذن الله سبحانه وتعالى.

لماذا اختار أبو بكر الصديق زيد بن ثابت قلنا لأنه حافظ للقرآن وهذا أمر متفق عليه فقد كان ممن يحفظون القرآن بل كان ممن عرضوا القرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم- العرضة الأخيرة إما مرة أو مرتين وكان أيضا كاتبا للوحي وهذه ميزة أخرى توفرت في زيد إضافة إلى حفظه للقرآن، وأيضا ذكاؤه وقد نص على ذلك أبو بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- وشبابه كان شابا وإلا كان في بعض الصحابة من هو أكبر سنا وأكثر علما من زيد لكنهم كانوا شيوخا والشاب أقدر على مثل هذه المهمات من الشيوخ لأنه أصبر وأضبط حفظا ولأنه لما تلقى القرآن من النبي -صلى الله عليه وسلم- تلقاه وهو شاب يافع حاد الذهن جيد الخاطر وأيضا لأنه شهد العرضة الأخيرة وعرضها على النبي -صلى الله عليه وسلم- فيكون بذلك من أتقن الصحابة حفظا وجمعا للقرآن الكريم.

أما منهج جمع أبي بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- فهو أن يكون المكتوب والمحفوظ موافقا للعرضة الأخيرة، يعني أن ما خالف العرضة الأخيرة لم يجمعه أبو بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- فكل ما كتبوه وقبلوه -من محفوظات الصحابة رضوان الله تعالى عليهم- كان موافقا للعرضة الأخيرة، ولا بد أن يأتي كل واحد ممن معه شيء مكتوب في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- أن يكون معه شاهدان على أن هذه الرقعة أو هذا الكتف أو هذا العظم الذي كتب عليه شيء من القرآن قد كتب في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- وبحضرته إذ لا يقبل شيء قد كتبه إنسان من مجرد حفظه، وكذلك من حفظ شيئا فإنه لا يُقبل ذلك المحفوظ الذي حفظه الإنسان من تلقاء نفسه أو تلقاه عن الناس، إنما يقبل من حفظه وأخذه وتلقاه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فهي شروط شديدة ولذلك ماذا قال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه؟ قال قم يا عمر ويا زيد عند باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين يشهدان على أنه كتب في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فاقبلا منه وقال عمر: من تلقى من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئا من القرآن فليأتنا به. معنى ذلك أن من تلقى شيئا من القرآن من غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أو كتبه عند غير رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإنه لا يُقبل في هذا الجمع وذلك منهم رعاية للدقة والضبط وتمام الإتقان في كتابة القرآن وجمعه، فقد شهدت هذه العملية أدق المراحل والعمليات التي جمع فيها القرآن وضبط حتى وصل إلينا بهذه الطريقة مضبوطا متقنا.

نكمل يا شيخنا الفاضل مميزات جمع القرآن في عهد أبي بكر - رضي الله تعالى عنه.

نعم تميز جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق بعدد من المميزات نذكر أهمها:

أولا: كما بينا لكم قبل قليل الدقة وشدة التحري في جمع القرآن الكريم على تلك الصورة التي رواها زيد بن ثابت - رضي الله تعالى عن.

الثاني: استبعاد ما نسخت تلاوته. كان في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي الصحف والرقاع واللخاف التي كانت موجودة في بيت النبي - صلى الله عليه وسلم- يوجد شيء من المنسوخ تلاوته هذا كله قد استبعد في جمع أبي بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- فثبت أن الذي جمعه أبو بكر لم يكن فيه شيء قد نسخت تلاوته.

الثالث من مميزات هذا الجمع في عهد أبي بكر الصديق: أنه موافق للعرضة الأخيرة التي نزل عليها القرآن أو دارس عليها النبي - صلى الله عليه وسلم- جبريل حيث إنه دارسه في آخر رمضان وعارضه القرآن مرتين وقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (أظن هذا حضور أجلي).

الرابع: أنه كان مرتب الآيات باتفاق. يعني أن القرآن في عهد أبي بكر الصديق كان مرتب الآيات باتفاق، أما ترتيب السور فإن هذا موضع خلاف بين أهل العلم وسنذكر إن شاء الله الصحيح في هذه المسألة عندما نأتي إلى موضوع ترتيب الآيات والسور.

الميزة الخامسة: أنه نسخة واحدة، يعني بدل أن كان متعددا أصبح نسخة واحدة مجموعة عند أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه- كمرجع للأمة في كتاب ربهم لو وقع بينهم اختلاف رجعوا إليه ليعلموا هذا من القرآن أو ليس من القرآن، أم مما نسخت تلاوته أو لا زال محكما تلاوة وحكما.

مما تميز به أيضا جمع أبي بكر-رضي الله تعالى عنه- أن جمعه لم يلزم به الصحابة بمعنى أن مصاحف الصحابة بقيت بأيديهم فلم يلزم أبو بكر -رضي الله تعالى عنه- أحدا من الصحابة بأن يأتي بمصحفه وأن يكتبوا المصاحف عن المصحف الذي جمعه أبدا. كل واحد من الصحابة بقيت معه مصاحفه وسوره، وما كتبه عن النبي - صلى الله عليه وسلم- يقرأه الناس على الطريقة التي كان يقرأ بها في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

ثم من المميزات أيضا: أن القرآن سمي بعد جمع أبو بكر بـ" المصحف" يعني هذا الذي جمعه أبو بكر في هذه الصحف وجعله نسخة واحدة سمي بـ" المصحف" ؛ ذلكم أن أبا بكر لما جمع القرآن هذا الجمع قال للناس ما ترون أن نسميه فقال بعضهم نسميه " السفر" وكانت اليهود تسمى كتابهم وتسمى كتبهم أسفارا فكرهوا أن يتشبهوا باليهود ثم ذكر بعض الصحابة أنهم وجدوا أهل الحبشة يسمونه المصحف فارتضى ذلك أبا بكر الصديق وسمى الذي جمعه بالمصحف واستمر هذا الاسم يطلق على ما جمع بين دفتين إلى يومنا هذا.

ما مكانة هذا الجمع الذي فعله أبو بكر؟ اتفق الصحابة رضوان الله تعالى عليه ولقي منهم قبولا واستحسنوه وأجمعوا على جمع أبي بكر وأنه قد أحسن فيما فعل بل قال علي -رضي الله تعالى عنه- كلاما عجيبا - رواه ابن أبي داود- في المصاحف قال: «أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر فإنه أول من جمع ما بين اللوحين» وما روي أن علي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه- بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم- وبعد أن بويع لأبي بكر لم يره أبو بكر فسأل عنه فجاء علي فقال: «مالك قد احتبست عني» فقال: «إني قد آليت ألا ألبس إزارا إلا لجمعة حتى أجمع القرآن» فإن هذا كثير من أسانيده إما ضعيف أو موضوع وما صح من الروايات في هذا يحمل على جمع القرآن بمعنى جمع عليٍ - رضي الله تعالى عنه- للقرآن في صدره ولكن أول من جمع القرآن جمعا بهذه الصورة التي ذكرناها هو أبوَ بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه.

ننتهي أيها الأحبة إلى خبر مصحف أبي بكر ماذا حصل له؟ أبو بكر لما جمع القرآن وجعله في نسخة واحدة أبقاه عنده فلما مات انتقل إلى عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- فلما طعن عمر وكل حفظه إلى حفصة - رضي الله تعالى عنها- لأنه لم يكن خليفة في عهد عمر - رضي الله تعالى عنه- حيث إنه عهد بالأمر إلى الستة المعروفين من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبقي عند حفصة حتى أراد عثمان أن يجمع القرآن الجمع المعروف والذي سنأتي على تفصيله في الدرس القادم، فطلب الصحف أو المصحف من حفصة -رضي الله عنها- فنسخ النسخة المعروفة ثم رد ذلك إلى حفصة، ثم إن مروان بن الحكم طلب هذه الصحف من حفصة من أجل أن يمزقها لأن لا يرجع إليها أحد من الناس بعد جمع عثمان فيبلبل على المسلمين في قرآنهم أو مصحفهم فأبت حفصة - رضي الله عنها- أن تسلمه إياه وذلك لمَّا كان مروان بن الحكم واليا على المدينة من قبل معاوية

فلما توفيت حفصة -رضي الله عنها- وبعد أن دفنت مباشرة أرسل مروان بن الحكم إلى عبد الله بن عمر يأمره أن يسلم تلك المصاحف أو ذلك المصحف الذي جمع فى عهد أبي بكر فسلمه إياه فمزقه مروان بن الحكم وذلك خشية أن يأتي أحد فيجد فيه شيئا ليس في مصحف عثمان الذي جمع عثمان الناس عليه فيُحدث بذلك فتنة وفرقة بين المسلمين في كتاب ربهم، والأمة حري بها أن تجتمع بكتاب الله سبحانه وتعالى وأن يكون كتاب الله موئلا ومكانا لاجتماعها لا سببا لفرقتها واختلافها والعلم في ذلك عند الله سبحانه وتعالى.

يقول: لماذا رفع الله شيئا ونسخ آخر من القرآن؟

هذا من عظيم حكمة الله سبحانه وتعالى فالله سبحانه وتعالى يثبت ما يشاء من كلامه ويرفع ما يشاء له الأمر كله وهو سبحانه وتعالى الحكيم العليم فالله -جل وعلا- ينزل شيئا من القرآن على هذه الأمة ثم يرفعه لحكمة يعلمها الله -جل وعلا-، وقد تظهر لنا هذه الحكمة وقد لا تظهر.

فمن الحكم مثلا أن الله قد ينزل على الأمة أمرا أو تكليفا تكون فيه مشقة عليهم ثم لما يدركوا هذه المشقة ويحصل منهم شيء من الشكوى يخفف الله سبحانه وتعالى عنهم، فيكون في ذلك إدراك رحمة الله بعباده وتيسيره على المؤمنين. مثل ما شرع الله الصيام أول الأمر كان مشروعا على كيفية مخالفة لما هو عليه الآن. كان من أفطر فنام بعد فطره لم يحل له أن يأكل شيئا ولو أدرك شيئا من الليل، ويبقى صائما إلى الليلة القابلة ثم رفع الله سبحانه وتعالى ذلك عن المؤمنين وجعل حد الصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، هذه واحدة.

أيضا قد يكون من حكمة الله سبحانه وتعالى ابتلاء المؤمنين في كونهم يؤمنون بحكم لا يقرؤون الآية فيه في كلام الله سبحانه وتعالى، مثل حكم رجم الزاني. هذه الآية -التي نزلت في حكم رجم الزاني- الآن مرفوعة وليست موجودة في القرآن الكريم فيبتلى الناس هل يأخذون هذا ويتلقونه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويؤمنون به كما لو نزل في القرآن أو أنهم يجعلون ذلك فتنة لهم وسببا لتهربهم من كلام الله جل وعلا أو من حكم الله جل وعلا وعدم تطبيقه؟ والعلماء قد ذكرو الحكم في ذلك في باب النسخ ولعل الأخ إن شاء الله ينتظرنا حتى نطرق هذا الباب ونتحدث عن الحكم العظيم من نسخ شيء من القرآن.

هل لكُتَّاب الوحي على عهد نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- مزية على غيرهم أم يكفي أن يكونوا كُتَّابا وجزاكم الله خيرا؟

نعم كل من قام بعمل صالح يكون له مزية على غيره، ولذلك تجد الذين كانوا يكتبون الوحي على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانوا يمدحون بأنهم كانوا من كتاب الوحي على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بل كان بعضهم إذا اعتدي عليه أو هضم حقه يفخر بذلك قال وكنت أكتب الوحي في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعني أني كنت محلا للأمانة فالنبي -صلى الله عليه وسلم- جعلني بهذه المرتبة وهذه المنزلة العظيمة التي أنزلتها ولذلك نحن نقول لمن يسبون أمير المؤمنين الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان كيف يسب مثل هذا ويقدح في عرضه ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأتمنه على كتابة الوحي وكان -رضي الله تعالى عنه- يفخر بهذا ويقول كنت أكتب الوحي بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

السؤال هنا على امتداد كُتَّاب الوحي، السائلة تقول: أليس كتاب الوحي عددهم أربعين من بينهم تم ذكر أسماءهم هل عددهم معروف؟

لا أذكر العدد حقيقة بالتمام لكن لو رجعنا إلى الكتب التي ذكرت من كتبوا الوحي يمكن أن نعرف العدد فأنا لست متأكدا من العدد بالضبط.

تقول: ما معنى نزول القرآن على سبعة أحرف؟

سيأتينا هذا في درس مستقل بإذن الله سبحانه وتعالى وسيتضح معنى قولنا الأحرف السبعة.

تقول: استشكل عليها كلمة العرضة الأخيرة هل هي عرضة جبريل للرسول القرآن في آخر حياته؟

نعم كان النبي - صلى الله عليه وسلم- ينزل عليه جبريل فيدارسه القرآن ويعرضه عليه في كل رمضان مرة إلا في آخر رمضان قبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم- فقد عارضه القرآن مرتين يعني دارسه القرآن مرتين وكان في كل مرة يدارسه القرآن يُقَدم شيء ويؤخر آخر ويحصل تغيير في ترتيب القرآن، وتعديل في نمط القرآن الكريم بوحي من الله سبحانه وتعالى فالعرضة الأخيرة هي التي استقر عليها أمر القرآن، وهذا القرآن الذي بين أيدينا وهذه الروايات الموجودة لتلاوة القرآن كلها كما يقول العلماء متفقة مع العرضة الأخيرة.

شيخنا الفاضل هنا السؤال يقول: أما خاف الصحابة عند الجمع من التحريف أم كانت ثقتهم بحفظ الله سبحانه وتعالى أنها تكفي ؟

لا شك أنهم يخافون ولذلك دققوا وضبطوا واجتهدوا في أن يضعوا ضوابط قوية جدا لحفظ القرآن وضبطه ونحن نقول للأخت اطمئني فالقرآن محفوظ من التحريف لا يمكن ولا يستطيع أحد أن يحرف فيه شيئا ذلكم أنه قد ضبط بالتلاوة فتلقاه الصحابة جموعا إثر جموع من النبي - صلى الله عليه وسلم- وممن تلقاه من النبي - صلى الله عليه وسلم- ثم إنه كتب؛ كتبه النبي - صلى الله عليه وسلم- أو أمر بكتابته، والقرآن كان مجموعا كله، وكله عنده وأيضا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كان كثير منهم له مصحفه الخاص قد جمع فيه ما أخذه من النبي -صلى الله عليه وسلم.

يقول: السؤال: ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه قام من الليل فقرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران بهذا الترتيب فكيف نوفق بين هذا الحديث الصحيح والترتيب الحالي للقرآن البقرة ثم آل عمران ثم النساء،؟

نقول إن ترتيب القرآن في المصحف لا يلزم منه ترتيب تلاوة القرآن في الصلاة أو في غيرها فللقاريء أن يقر فيقرأ سورة قبل أخرى وهذا مما فسح فيه للأمة، والدليل على ذلك فعل النبي - صلى الله عليه وسلم- أما هذا الترتيب فسنبين في الدرس القادم أنه ترتيب توقيفي وخصوصا في بعض السور فقد اتفق الناس على أنها من ترتيب النبي - صلى الله عليه وسلم- الثابت عنه ففعل النبي - صلى الله عليه وسلم- هذا. قال بعض العلماء إنه من أجل التوسعة على الأمة حتى لا ترى أنه لزاما عليها ألا تقدم في تلاوتها شيئا من القرآن وتأخر أخرى.

كذلك على نفس سياق الترتيب تقول: أحفظ عدة أجزاء من القرآن ولكن للصلاة رتبت سور قصيرة من تلقاء نفسي وأصبحت أقرأها على هذا الترتيب فما رأيكم يا شيخ؟

لا بأس أن يقرأ الإنسان ما شاء من كتاب الله سبحانه وتعالى لكن لا ينبغي له أن يضع شيئا محددا على صفة معينة يتلوه لأن هذا فيه نوع مضاهاة للشريعة أو للشارع حيث إن الإنسان كأنه يقنن لكل صلاة شيئا معينا من القرآن لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فنقول اقرئي في صلاتك من القرآن ما شئت، قدمي أو أخري من المتقدم من الطويل أو من القصير أو من غيره لا شيء في ذلك لكن أن ترسمي منهجا بحيث أنك في صلاة المغرب تقرئين من سورة كذا والعشاء تقرئين من سورة كذا والفجر تقرئين من سورة كذاب وتلتزميه في صلاتك كلها نقول هذا لا ينبغي لأن هذا فيه نوع مضاهاة للشارع وترتيب أمر لم يرتبه الشارع على هذا النحو الذي رتبتيه.

فيه أسئلة تتعلق بالحكمة من النسخ نسخ القرآن

هذه نرجئها إن شاء الله عندما نتحدث عن نسخ القرآن بإذن الله جل وعلا.

كذلك يا شيخ الروايات- القراءات- هل هي القراءات الأربع والسبع والعشر وما إلى ذلك؟

هذه في حديثنا عن القراءات والأحرف السبعة وما يتصل بها بإذن الله سبحانه وتعالى.

لعلكم تطرحون سؤالَي الحلقة سؤالَي الدرس

العادة جرت بأن نطرح سؤالين لعل الإخوة أن يجيبوا عليها من باب مراجعة الدرس الذي تحدثنا فيه:

السؤال الأول: اذكر مميزات جمع القرآن في عهد أبي بكر -رضي الله تعالى عنه؟

السؤال الثاني: لِمَ لَمْ يجمع القرآن في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- في مصحف واحد؟

درسنا القادم إن شاء الله سيكون تتمة هذا الدرس في جمع عثمان -رضي الله تعالى عنه- للقرآن وما يتصل بذلك.

الدرس الثاني عشر

جمع القرآن في عهد عثمان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أيها الإخوة الكرام، أيها الإخوة المشاهدين والأخوات المشاهدات: هذا هو الدرس الثاني عشر من دروس علوم القرآن في هذه الأكاديمية المباركة وقد تحدثنا في الدرس الماضي- درس يوم أمس- عن جمع القرآن واليوم نتم- بإذن الله - سبحانه وتعالى- وبفضل منه- هذا الموضوع المبارك الذي نسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يزيدنا به إيماناً وعلماً وهدى وتوفيقاً.

جرت عادتنا - أيها الأحبة- قبل أن نبدأ درسنا بأن نسأل بعض الأسئلة على وجه الاستذكار والمراجعة لما سبق في الدرس الماضي، فنسأل الإخوة الحاضرين معنا – جزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين كل خير-.

السؤال الأول: من أول من سمى ما جمع من القرآن مصحفاً؟

أول من سمى ما جمع من القرآن مصحفاً هو أبو بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- .

أحسنت. وبالمناسبة كلمة مصحف مثلثة الميم يعني: يقال فيها مُصحف ومَصحف ومِصحف فهذه حتى لا يتحرج أحد من النطق بواحد من هذه الحركات الثلاث على حرف الميم.

وقد قلنا بالأمس: إن أبا بكر -رضي الله تعالى عنه- لما جمع هذا المصحف ولم يكن يسمى بهذا الاسم قال: ما تسمونه فقال بعضهم: نسميه السفر ولكنهم كرهوه لأنهم خشوا أن يشابهوا اليهود ثم قال بعضهم: وجدنا الناس يسمون مثل هذا في الحبشة مصحفاً فسموه: مصحفاً- والله أعلم بكل ذلك-.

السؤال الثاني: اذكر بعض كتَّاب الوحي؟

الجواب: الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان ويزيد بن أبي سفيان وعبد الله بن رواحة وثابت بن قيس خالد بن الوليد -رضي الله عنهم أجمعين- وغيرهم ممن ذكرهم أهل العلم لكن نذكر في هذا نموذجاً ممن كان يكتب الوحي لرسول الله -صلى الله عليه وسلم.

السؤال الثالث: لماذا اختار أبو بكر -رضي الله تعالى عنه- زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- لكتابة المصحف؟

اختير زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- لحفظه للقرآن وكتابته للوحي ولذكائه وشبابه وحضوره للعرضة الأخيرة أحسنت. وحضوره للعرضة الأخيرة، فكان زيد ممن تميز بكونه عرض العرضة الأخيرة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومع أن أبا بكر وعمر كانا أفضل من زيد وأعلم منه بسائر الإسلام وأجل قدراً إلا أن ذلك لا يمنع أن يكون في أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من يكون متميزاً في باب من أبواب الدين أو في باب من أبواب العلم أو فن من فنونه فيبرع في ذلك ويقدم على غيره ولو كان ذلك الغير أفضل منه.

السؤال الأخير: - أيها الأحبة- ما خبر المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق؟ يعني: إلى أي شيء آل هذا المصحف؟

مصحف أبي بكر بقي عند أبي بكر حتى توفي أبو بكر -رضي الله تعالى عنه- ثم بقي عند عمر بن الخطاب ثم عند حفصة بنت عمر ثم طلب مروان بن الحكم من بن عمر أن يحضره له ثم مزقه لئلا يحصل اختلاف. لئلا يحصل بسبب وجوده اختلاف بين الناس حيث إن ذلك المصحف كانت توجد فيه أحرف غير الأحرف التي أقرها عثمان في جمعه للقرآن كما سيأتي معنا في درس هذا اليوم - بإذن الله-.

كنا - أيها الأحبة- قد ذكرنا في خاتمة حلقة الأمس سؤالين على العادة الجارية حتى ينشط الإخوة معنا ويستذكروا هذا الدرس الذي تم إلقاؤه فألقينا السؤال الأول وقلنا فيه:

- اذكر مميزات جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق؟ الأولوية في ذلك للإخوة على الموقع إذا كان هناك أحد.

وردت إجابة تقول: إجابة السؤال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إجابة السؤال الأول:

أولاً: التحري والدقة- استبعاد ما نسخت تلاوته- أنه موافق للعرضة الأخيرة- أنه كان مرتب الآيات باتفاق- أنه كان نسخة واحدة لم يلزم به -رضي الله تعالى عنه- الصحابة- وتسميته بالمصحف.

أحسنت فيما فعلت وجزاها الله عنا وعن الإسلام والمسلمين كل خير.

السؤال الثاني: الآن نلقيه يا أخي: لم لم يجمع القرآن في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- في مصحف واحد؟ عندها إجابة؟

نعم تقول: أولاً: لأن القرآن كان لم يستقر على شيء واحد فبعضه لا زال يرفع وينسخ.

ثانياً: أن نسيانه في ذلك الوقت مأمون فقد تكفل الله بجمعه في صدر رسوله -صلى الله عليه وسلم- فلا ينسى إلا ما نسخ (سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى(٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ)[الأعلى: ٦، ٧].

ثالثاً: لأجل اختلاف الترتيب فإنه كان ينزل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مفرق.

أجابت عن السؤال الأول: الدقة وشدة التحري- استبعاد ما نسخت كتابته- أنه موافق للعرضة الأخيرة التي دارسها جبريل -عليه السلام- على النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت الآيات مرتبة في عهده بإتقان- أنه نسخة واحدة بعد أن كان متعدداً- أن جمعه لم يلزم به الصحابة إجابتها كإجابة الأخت جزاها الله خيراً.

نكتفي بذلك لأن الإجابات صحيحة والإخوة لن يزيدوا على ذلك - بإذن الله جل وعلا.

بعد أن تحدثنا - أيها الأحبة- عن جمع القرآن في الدرس الماضي في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبينا معناه ثم تحدثنا عن جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- وبينا أيضاً معناه وصفته ومميزاته وما يتصل بذلك.

اليوم: نتحدث عن جمع القرآن في عهد عثمان -رضي الله تعالى عنه- وسيبين لنا بذلك الفرق بين ما جمعه أبو بكر وبين ما صنعه عثمان -رضي الله تعالى عنهم جميعا- فقد صنعوا بالمسلمين خيراً ولهم في الذي صنعوه أجر كبير لا يعلم مقداره إلا الله - سبحانه وتعالى- وهذه سنة الخلفاء الراشدين التي أوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- باتباعها خصوصاً وأن الصحابة كانوا متوافرين وقد أجمعوا جميعاً على ما فعله هذان الإمامان الكبيران، الصحابيان الجليلان، الخليفتان أبو بكر وعثمان.

أول ما نبدأ به - أيها الأحبة:

*سبب جمع عثمان للقرآن:

بينا فيما مضى - أيها الأحبة- أن أبا بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- لما أراد أن يجمع القرآن كان سبب جمعه أن القتل استحر في القراء في يوم اليمامة فخشوا على القرآن أن يذهب بذهاب حملته فجاء أبو بكر -رضي الله تعالى عنه- وجمع المصحف من الرقاع واللخاف والأكتاف والعظام ومن صدور الرجال- وبينا فيما مضى بما أغنى عن إعادته صفة ذلك الجمع وطريقته- واستمر الوضع على ذلك في عهد أبي بكر وفي عهد عمر لأن أبا بكر -رضي الله تعالى عنه- لم يحمل الناس على المصحف الذي جمعه إنما أراد أن يحفظ به المصحف من

أن يتفرق أو يضيع منه شيء وكان كل واحد من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معه مصحفه الذي تلقاه على أي حرف من الأحرف السبعة، يُقرئ الناس بما تعلمه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يكن فهم الناس الذين يتلقون عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كفهم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فصار أحدهم إذا تلقى عن صحابي أخذ يَقرأ به ويُقريء ويظن أن القرآن على هذه الشاكلة وليس هناك شيء آخر، فإذا اجتمع طالب من هنا وطالب من هناك تلقى عن صحابي آخر اختلفوا حتى يكاد يكفر بعضهم بعضاً لأن كل واحد منهم يقول لصاحبه: هذا ليس بقرآن أنت أخطأت في تلاوة القرآن ويقول له صاحبه: بل والله أنت الذي أخطأت إنما تلقيته عن فلان من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقرأنيه، وقد كتبته عنه وتلقيته عن فمه ولم أخرم من ذلك شيئاً فكادت أن تكون بذلك فتنة وقد عبر عن ذلك أفضل تعبير وأحسنه حذيفة بن اليمان الذي كسب الأجر في هذا الجمع حيث إنه هو الذي اقترح أن يجمع القرآن أو بادر بعرض المشكلة على عثمان -رضي الله تعالى عنه- حتى يقوم بشيء تجاه هذا الاختلاف الذي يكاد يودي بالأمة الإسلامية.

الروايات في هذا كثيرة جداً ومن أوعب من ذكرها ابن أبي دواود في كتابه: المصاحف فدعونا الآن نستمع ونقرأ ما كتبه ابن أبي داوود في كتابه من الرويات في ذلك، تفضل يا أخي:

(ما كتبه ابن أبي داوود في كتابه المصاحف: حدثنا عبد الله قال: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن أنس بن مالك:(أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فرج أرمينية قال أبو بكر يعني: الفرج الثغر في أذربيجان مع أهل العراق فرأى حذيفة اختلافهم في القرآن فقال لعثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلى بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت حفصة إلى عثمان بالصحف، فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير أن ينسخوا الصحف في المصاحف وقال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا وأمر بسوى ذلك في صحيفة أو مصحف أن يحرق وقال غيره: يخرق قال الزهري: وحدثني خارجة بن زيد أن زيد بن ثابت قال: فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرؤها أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ)[الأحزاب: ٢٣]، فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة وألحقتها في سورتها قال الزهري: واختلفوا يومئذ: في التابوت أوالتابوه فقال النفر القرشيون: التابوت وقال زيد: التابوه فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه "التابوت" فإنه بلسان قريش)

أحسنت:

(حدثنا عبد الله قال: حدثنا محمد بن عوف قال: حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرن أنس بن مالك الأنصاري أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان في ولايته وكان يغزو مع أهل العراق قِبل إرمينية وأذربيجان في غزوهم ذلك الفرج ممن جمع من أهل العراق وأهل الشام ويتنازعون في القرآن حتى سمع حذيفة من اختلافهم فيه ما زعره فركب حذيفة حتى قدم إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى في الكتب ففزع لذلك عثمان وأرسل إلى حفصة بنت عمر: أن أرسلي إليّ بالصحف التي جمع فيها القرآن فأرسلت بها إليه حفصة فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن اكتبوها بلسان قريش فإن القرآن ينزل بلسانهم ففعلوا ذلك حتى كتب في المصاحف ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به فذاك زمان حرقت المصاحف بالعراق بالنار)

أحسنت، وأيضاً مما ذكره ابن أبي داوود في كتابه:

(قال سويد بن غفلة: والله لا أحدثكم إلا شيئاً سمعته من علي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه- سمعته يقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً أو قولوا له خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً فقال: أي عثمان: ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغني أن

بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفراً قلنا: فماذا ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت. قال: فقيل: أي الناس أفصح؟ وأي الناس أقرأ؟ قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص وأقرأهم زيد بن ثابت فقال: ليكتب أحدهما وليملي الآخر ففعلا وجمع الناس القرآن على مصحف قال: قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل)

إذن: تبين لنا بهذا - أيها الأحبة- القصة الحقيقية التي حملت عثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- على أن يقوم بهذا الجمع الذي حمده الناس له: وهو أنه خشي أن تختلف هذه الأمة في قراءة القرآن وروايته وتلقي الأمة له عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى يكون القرآن سبباً لاتفاقهم لا سبباً لوقوع الشقاق والاختلاف بينهم وهذا ما حدث بفضل الله - سبحانه وتعالى- حيث قام عثمان -رضي الله تعالى عنه- بهذا الجمع الذي سنتحدث عنه هذه الساعة.

- أيها الأحبة- كان هذا هو السبب فمتى وقع هذا الجمع؟ كما يقول الحافظ ابن حجر في الفتح: إنه وقع في أواخر عام أربعة وعشرين وأوائل عام خمسة وعشرين من الهجرة النبوية أي في أوائل خلافة عثمان -رضي الله تعالى عنه- من هي اللجنة؟ كما تقدم في الروايات التي تلاها أخونا جزاه الله خيراً، اللجنة كانت مكونة من زيد بن ثابت وزيد كان ركناً أساساً فيها وذلك لأنه هو الذي تولى جمع المصحف في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- وللمزايا التي اجتمعت وتوافرت فيه -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- ثم اختير معه ثلاثة كلهم من قريش: الأول: عبد الله بن الزبير والثاني: سعيد بن العاص وكان من أفصح الناس وقد ورد في الرواية ما يدل على ذلك حتى قال عثمان -رضي الله تعالى عنه- للصحابة: من أكتب الناس؟ وفي رواية من أقرأ الناس؟- كما في رواية ابن أبي داود- قالوا: كاتب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زيد بن ثابت قال؟ فأي الناس أعرب؟ يعني: أفصح وأشد علماً بلغة العرب وأقوم على تأدية هذه اللغة وفي رواية: أفصح قالوا: سعيد بن العاص قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد ليجمع بذلك بين خير كاتب وأفصح قائل، حتى يكون القرآن الكريم على أعلى درجات الحفظ والضبط والدقة والإتقان.

هذا ما قام به عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- فقد اختار أربعة لكتابة المصحف ولا يعني ذلك أن الصحابة كانوا بمعزل عن هؤلاء الأربعة بل كان ذلك بحضور منهم ومشورة واجتماع وكانوا يتلقون كل الصحف من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويشددون عليهم في ذلك- كما سيأتي معنا بيانه- ثم إن عثمان -رضي الله تعالى عنه- صنع منهجاً لهذا الجمع فما هو هذا المنهج الذي طلب أو صنعه عثمان -رضي الله تعالى عنه- ليتم به جمع المصحف؟

أولاً: - أيها الأحبة- بدأ عثمان -رضي الله تعالى عنه- بأن خطب الناس فقال: (أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون: قراءة أُبيّ وقراءة عبد الله يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به)، يعني: عزم على كل واحد عنده شيء من كتاب الله تلقاه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا جاء به إليه ليجمع القرآن الجمع النهائي وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرته، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم: لسمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو أملاه عليك فيقول: نعم، يعني: يسأل كل واحد: أناشدك الله هل أخذت هذا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتلقيته منه أو تلقيته من أحد سواه فكل من كان معه شيء تلقاه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شهد بذلك فجمع من ذلك شيئاً كثيراً، ثم إنه -رضي الله تعالى عنه- أرسل إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر التي كان القرآن مستودعاً عندها بعد وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- وطلب منها أن ترسل بالمصاحف كما تقدم في ذكر الرواية التي تلوناها في كتاب المصاحف لابن أبي داوود، فأرسلت بالمصاحف على أن يعيدها عثمان إليها ثم دفع عثمان -رضي الله تعالى عنه- هذا كله - ما جمعه من الصحابة والمصحف الذي ورثوه من أبي بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- دفعوه إلى هؤلاء الأربعة الذين يريدون كتابة المصحف كتابة واحدة وقال لهم عثمان قال للقرشيين الثلاثة عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ولأن قريشاً كانت أفصح العرب والناس يمكن أن تجتمع على لسان قريش لأن قريشاً كانت هي مورد العرب يعني: جميع العرب يردون إليهم أو يفدون عليهم في الحج فكانت قريش تختار من لغاتهم ما هو أليق وأفصح وأبلغ وأجمل في السمع وعلى اللسان، والقرآن أول مانزل نزل بلسانه وإنما زيد فيه أحرف أخرى من أجل التخفيف على الأمة لما اتسعت دائرة الداخلين في الإسلام من شتى القبائل- قبائل العرب.

بعد ذلك - أيها الأحبة- صنعوا منهجاً في كتابة هذا القرآن الكريم هذا المنهج اتسم بالدقة المتناهية حتى يستوعبوا في كتابتهم لكلام الله - سبحانه وتعالى- كل ما ثبت في العرضة الأخيرة من أحرف في هذا القرآن الكريم، وذلك أنهم كانوا يكتبون الآية كتابة يصلح أن يُقرأ بها على أي حرف من الأحرف التي وردت عليها- ما دامت تحتمل ذلك- وهذا كان بلا شك من دون نقل وبطريقة يمكنهم بها أن يقرؤوه بأي حرف من الحروف الواردة في لغة العرب مثل ما ذكرت لكم في أول هذه المحاضرات من قوله: ملك، ملك وردت ثلاث مرات (مَلِكِ النَّاسِ) [الناس: ٢]،(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الفاتحة: ٤]،(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ)[آل عمران: ٢٦] وكتبت في المواطن الثلاثة بصورة واحدة «ميم لام كاف » لكنها في سورة الفاتحة لما كانت وردت قراءتها بملك ومالك كتبوا فيها ملك ومن أراد أن يقرأها بالحرف الآخر جعل ألفاً صغيرة فوق الميم ليقرأها مالك، أما (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) فإنما قرأت هكذا عند جميع القراء وكذلك (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(١) مَلِكِ النَّاسِ) فكانت طريقتهم -رضي الله تعالى عنه- أن الكلمة توضع بشكل يصلح أن تقرأ فيه علي كل ما ورد فيها من الأحرف السبعة التي كانت في العرضة الأخيرة، فإن كان لا يمكن ذلك فإنهم -رضي الله تعالى عنهم- يكتبونها في مصحف من المصاحف التي نسخوها بحرف وفي المصحف الآخر بحرف آخر ودعونا نمثل على هذا بأمثلة يتضح بها المقال فمثلا في قول الله تعالى (نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا)[البقرة: ٢٥٩]، كتبت طبعاً من دون نقط ومن دون ضبط لأن هذا لم يكن موجوداً عندهم بحيث تصلح لأن تكون ننشرها وتصلح أن تكون ننشزها يعني تنطق بالراء وبالزاي وكذلك أيضاً: فتبينوا- فتثبتوا كتبت من دون أن يكون هناك نقط يصلح أن تقرأ هكذا بأنها وردت على ذلك في الأحرف السبعة ووردت على ذلك أيضاً على القراءة الثانية في الأحرف السبعة فتبينوا فتثبتوا (إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا)[الحجرات: ٦]، في القراءة الأخرى فتثبتوا فقد كتبت بطريقة تصلح لهذا وتصلح لذاك، وكذلك قول الله - سبحانه وتعالى- ملك وننشزها وننشرها أما إذا لم تكن لا يمكن كتابتها في موطن واحد بطريقة تصلح للحرفين فإنها تكتب في أحد النسخ التي كتبها عثمان بحرف وفي المصحف الثاني بحرف آخر ليكون بذلك عثمان قد استوعب العرضة الأخيرة بجميع ما ورد فيها مثل: قول الله - سبحانه وتعالى- (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ)[البقرة: ١٣٢]، فإنها كتبت في بعض المصاحف ووصى وكتبت في بعضها وأوصى يعني: زيدت ألف بعد الواو الأولى وكذلك في قوله (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ)[آل عمران: ١٣٣]، كتبت في بعض المصاحف: وسارعوا كالمصحف الذي بين أيدينا وفي بعضها كتبت: سارعوا من دون واو لأنها وردت هكذا ووردت هكذا وكذلك قوله (وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا)[الشمس: ١٥]، في آخر سورة الشمس (فلا يخاف عقبه)كتبت في مصحف هكذا وفي مصحف هكذا.

وبعد أن فرغ عثمان -رضي الله تعالى عنه- من كتابة المصاحف بعث بها إلى الأمصار، كتب عدداً من المصاحف وبعث بها إلى الأمصار لتكون العمدة في سائر الأقطار قيل: إن عدد هذه المصاحف أربعة كما حكاه الداني وقال: عليه أكثر الأئمة، مصحف بالمدينة ومصحف لأهل الكوفة ومصحف لأهل البصرة ومصحف لأهل الشام، ثم الناس من بعد ذلك انتسخوا مصاحف لأنفسهم كل يكتب من هذه المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الناس في الأمصار وقال السيوطي: المشهور أنها خمسة مصحف للمدينة ومصحف لمكة ومصحف للكوفة ومصحف للبصرة ومصحف للشام، وبعث مع كل مصحف من هذه المصاحف الخمسة قارئاً يعلم الناس القراءة على ضوء ما ثبت عند الصحابة من العرضة الأخيرة، فجعل مثلاً في المدينة زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- يُقرئ الناس المصحف المدني، وبعث إلى مكة عبد الله بن السائب ومعه المصحف المكي وبعث المغيرة بن شهاب إلى الشام يُقرئ الناس بالمصحف الشامي وبعث أبا عبد الرحمن السلمي يقرئ الناس في الكوفة المصحف الذي بعث به عثمان إلى الكوفة وبعث عامر بن عبد القيس إلى البصرة يقرئ الناس المصحف الذي بعث به عثمان إلى البصرة -رضي الله عن هؤلاء جميعاً- ثم الناس شرعوا بعد ذلك ينتسخون لأنفسهم نسخاً من هذه المصاحف فكان الزبير بن الحارث -رضي الله تعالى عنه- يتفرغ كل رمضان يأخذ المصحف الإمام الذي كان بالمدينة فيعرض الناس عليه مصاحفهم، يقرؤون عليه من مصاحفهم وهو يتابع لهم ويقابل لهم في المصحف الإمام حتى يتأكدوا من ضبط مصاحفهم وأنها موافقة للمصحف الذي كتبه أمير المؤمنين أو أمر بكتابته أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه وأرضاه-.

ما هي مزايا هذا المصحف الذي كتبه عثمان -رضي الله تعالى عنه؟

لا شك أنه تميز بمزايا عديدة نذكر منها:

أولاً: أنه كتب على حرف واحد من الأحرف السبعة وهو حرف قريش وما يوافقه من الأحرف الأخرى. فإذا كان هناك حرف يخالف حرف قريش لا يمكن اجتماعه مع حرف قريش فإنه في هذه الحالة يطرح لئلا يحدث في

الأمة اختلاف في تلاوة القرآن الكريم، فإن قيل: كيف جاز لهم أن يتركوا القراءة بالأحرف التي قرأ بها النبي -صلى الله عليه وسلم- وأمر أن يقرأ بها وأن يعلمها الأمة، قلنا: الجواب على ذلك يسير، إنما نزل القرآن بهذه الأحرف السبعة تيسيراً على الأمة حتى لا يكون عليها مشقة في تلاوته لأن العرب كانت لهم لغات ولهم طرائق في الكلام ولهجات، ولا تستقيم ألسنتهم بالقراءة على طريقة واحدة وعلى لهجة واحدة فكان ذلك فيه من المشقة والعسر عليهم ما جعل الله - سبحانه وتعالى- يخفف عليهم وييسر عليهم هذا الأمر فأنزله على سبعة أحرف فلما انتهت هذه الحكمة وذهب القوم الذين شق عليهم نزول القرآن على حرف واحد وصار بقاؤه على تلك الأحرف سبباً للعسر والمشقة أو سبباً للاختلاف والفرقة وأن الأمة قد لا تستوعب هذه الأحرف السبعة جاء عثمان فأزال تلك الأحرف وأبقى حرفاً واحداً وما يوافقه من الأحرف الأخرى بما يحتمله رسم المصاحف.

وهذا ما ذكره جماعة من أهل العلم وبينوا أن ترك مثل ذلك لا شيء فيه ولذلك مثل ابن القيم مثالاً عجيباً في هذا فقال: لو أن هناك طرقاً كثيرة تؤدي إلى البيت نقول: البيت الحرام، وكلها تؤدي إليه فجاء إمام المسلمين وأمر الناس ألا يسلكوا منها إلا طريقاً واحداً مع أنه يجوز لهم أن يسلكوا جميع هذه الطرق قال: من أجل ألا يتصيدهم العدو وألا يقعوا فريسة لقطاع الطرق ولأمور أخرى ومصالح رآها إمام المسلمين، فإن منعه الناس عن أن يسلكوا تلك الطرق لا شك أنه تخفيف عليهم وتيسير لأن في ذلك مصلحة لهم في العاقبة وإن كان في الأصل يجوز لهم أن يسلكوا هذا الطريق وذاك الطريق والثالثة والرابعة والسابعة إلى آخره.

فهذا تمثيل جيد يبين لنا الحكمة التي من أجلها اطرح الصحابة -رضي الله تعالى عنه وأرضاهم- القراءة بالأحرف السبعة التي لم توافق العرضة الأخيرة ولم تكن مناسبة للكتابة مع حرف قريش.

الميزة الثانية: من مزايا جمع عثمان: إهمال ما نسخت تلاوته كل ما نسخت تلاوته فإنه لم يكتب في مصحف عثمان -رضي الله تعالى عنه- حيث إنه كان يوجد في مصاحف الصحابة التي بأيديهم بعض ما نسخت تلاوته.

الثالث: الاقتصار على ما ثبت في العرضة الأخيرة لأنها هي العرضة التي استقر عليها كتاب الله - سبحانه وتعالى.

الرابع: الاقتصار على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وإلغاء ما لم يثبت وفي قولنا قبل قليل: الاقتصار على ما ثبت في العرضة الأخيرة من هنا ظهر ما يسمى عند العلماء بالشاذ، الشاذ من القراءات أتدرون ما هو الشاذ؟ الشاذ - أيها الأحبة- هو ما لم يثبته الصحابة في جمع عثمان -رضي الله تعالى عنه- فإنه يسمى شاذاً ولو كان إسناده صحيحاً لماذا؟ لأن الصحابة لم يتفقوا على وضعه في المصحف الأخير الذي كتب بمحضر من الصحابة وبإجماع منهم ولذلك تقرأ مثلاً في صحيح البخاري أن أبا الدرداء -رضي الله تعالى عنه- يقرأ سورة الليل (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى(١)وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى)[الليل: ١، ٢] ولا يقول (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) وإنما يقول: والذكر والأنثى ويستغرب -رضي الله تعالى عنه- من الناس كيف يقرؤونها (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى)؟ لأنه تلقاها عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هكذا وكذلك ابن مسعود ثبت عنه أنه كان يقرؤها هكذا [والذكر والأنثى] لكن هذه القراءة مع صحة إسنادها تعتبر عند العلماء شاذة لأنها لا توافق الرسم والمصحف الذي جمعه عثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- فمن هنا خرج ما يسمى عند العلماء بالشاذ وهو: الذي صحت روايته أو لم تصح لكنه في الجملة لم يوافق المصحف العثماني الإمام الذي جمع عثمان عليه الناس -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-.

الخامس: من مزايا جمع عثمان -رضي الله تعالى عنه- أن المصحف الذي كتبه كان مرتب الآيات كما كان مصحف أبي بكر مرتب الآيات أيضاً، لكن مصحف عثمان قد اتفق الناس أيضاً على أنه مرتب السور، وليس مرتب الآيات فقط بل مرتب السور أما مصحف أبي بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- فإنه كان مرتب الآيات باتفاق، واختلف هل كان مرتب السور أو لم يكن كذلك؟ سنبين ذلك في الدرس القادم لكنهم اتفقوا على أن مصحف عثمان كان مرتب الآيات ومرتب السور.

إذن: يأتينا سؤال ما الفرق بين هذين الجمعين جمع أبي بكر وجمع عثمان؟

أستأذنك أستعرض مجموعة من الرسائل- بارك الله فيك- يسأل فضيلة الشيخ ويقول: ورد في الحديث عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال لأحد كتاب الوحي (ألق الدواة...)إلى آخر الحديث، فهل يدل ذلك على أنه - عليه الصلاة والسلام- تعلم القراءة والكتابة بعد نزول الوحي؟

لا.. الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أمياً قال الله -عز وجل- (وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)[العنكبوت: ٤٨]، فالثابت الذي عليه عامة علماء الأمة خلافاً لبعض من شذ منهم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أمياً لكن لا يعني ذلك أنه -عليه الصلاة والسلام- قد يعرف الكلمة أو الكلمات التي تكتب فإن هذا لا ينفي وصف الأمية عنه -صلى الله عليه وسلم- وقد يكون ذلك من تفويض الله - سبحانه وتعالى- إياه أن يعرف بعض الكلمات التي تقرأ أو تخط وهذا موجود حتى عند بعض العامة الذين لا يقرؤون ولايكتبون تجد أنه أحياناً يعرف رسم الكلمة الفلانية وغير ذلك وهذا كله من باب الاحتياط لكتاب الله - سبحانه وتعالى- حتى لا يقال: إن محمداً انتسخه من الكتب الماضية فمحمد أمي لا يقرأ ولا يكتب.

ما الفرق بين الأمي والعامي النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أمياً لكنه ليس عامياً؟

نعم الأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب أما العامي فهو الإنسان الذي يكون محدود العلم وقليل المعرفة فهذا يسمى عامياً لم يتعلم ولم يتفقه ولذلك نحن نرى مثلا بعض الناس قد يكون أعمى وهو من أعلم الناس فهذا يقال فيه: إنه أمي من ناحية أنه لا يعرف القراءة والكتابة لكنه يعتبر عالما وإماماً يرجع إليه في سائر أنواع الفنون.

يقول: ما هو المحكم وما هي آياته وما هو المتشابه وما هي آياته وما هو المختلف بين الكتاب والسنة وما هي آياته؟

لدينا درس عن المحكم والمتشابه - بإذن الله سبحانه وتعالى- فلينتظرنا ونقول هذا لسائر الإخوة: إذا لم يكن السؤال في موضوع الدرس أو المحاضرة فإنا طلبنا منهم أن يتريثوا حتى يستمعوا -إن شاء الله- إلى بقية الدروس في علوم القرآن فستأتي وافية- إن شاء الله- في مقصودها.

كيف نرد شبهة أن جمع القرآن في عهد أبي بكر يمكن أن يكون فيه زيادة من المنافقين أو غيرهم أو نقص كما وجدوا آخر آية التوبة عند واحد من الصحابة؟

هذا الكلام لا يمكن أن يكون في كتاب الله - سبحانه وتعالى- لأن الصحابة إنما أخذوا تلك الصحف المفرقة في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجمعوها وتثبتوا منها بما هو موجود عند أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكانوا لا يقبلون شيئاً إلا بشهادة رجلين عدلين وكانوا يتثبتون من ذلك غاية التثبت ثم إن الذين فعلوا ذلك هم خيار أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم إن الأمة قد اجتمعت على هذا وقد عصم الله الأمة أن تجتمع على ضلالة ثم إن المنافقين أرعن وأسفه من أن يكونوا حريصين على كلام الله - سبحانه وتعالى- وعلى جمعه ثم إن القرآن قد استوعبه الصحابة حفظاً يعني لا تظني يا أختى ولا يظن أحد من المشاهدين أن القرآن لم يكن مجموعاً إلا في تلك الرقاع وفي تلك اللخاف والصحف الموجودة المبثوثة لا... لم تكن تقبل ورقة مكتوبة أو أديم فيه شيء من القرآن إلا أن يكون هناك من يحفظها ولا شيء مما حفظ في الصدور إلا أن يكون هناك شيء مكتوب يؤيده ولذلك زيد بن ثابت ماذا يقول في هذه الآيات؟ قال: كنت أسمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرأ آيتين ولم تكن موجودتين عندي حتى جاء بها أبو خزيمة أو خزيمة على اختلاف الروايات في هذا، معنى ذلك ماذا؟ أنهم كانوا يحفظون هذه الآيات ويتقنونها وقد جمعوا القرآن كله في صدورهم -رضي الله تعالى عنهم- لكن من شدة تحريهم وضبطهم أنهم لا يعتمدون على المحفوظ ولا يعتمدون على المكتوب كلاً على حدة بل يؤيدون هذا بهذا وإذا جاءهم كل واحد بشيء قالوا له: إيت بشاهدين يشهدان على أن هذا كتب بحضرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- انظر إلى مدى التثبت فكيف يمكن لأحد أن يزيد في القرآن شيئاً؟ ثم إن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- قد استوعبوا القرآن وعرفوه لفظاً ومعنى فمن الذي يطيق أو يستطيع أن يزيد فيه حرفاً؟ وهل يمكنه ذلك؟ كلا والله لا يمكنه ذلك لو اجتمع الإنس والجن على أن يزيدوا في القرآن حرفاً واحداً بل أن يغيروا في تلاوة ما هو ثابت من حروفه لما قدروا على ذلك لماذا ؟ لأن الله - سبحانه وتعالى- قد تكفل بحفظه فلا يطيق أحد من البشر كائناً من كان أن يزيد فيه أو يغير فيه.

وصلنا إلى الفروق بين جمع أبي بكر وعثمان -رضي الله تعالى عنهما- نلخص هذه الفروق في هذه النقاط:

أولاً: الذي بعث أبا بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- على الجمع هو أنه خشي أن يذهب القرآن الكريم بذهاب حملته في حروب الردة لأن القتل استحر في القراء فخشوا أن يذهب القرآن بذهاب الحملة وإلا فالقرآن كان موجوداً لكنهم أرادوا أن يجمع وصحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- متوافرين موجودين.

وأما عثمان -رضي الله تعالى عنه- فالباعث على جمعه هو كثرة الاختلاف في قراءتهم للقرآن الكريم فخشي أن يؤدي بهم ذلك إلى الشقاق والفرقة والاختلاف هذا أولاً.

ثانياً: جمع أبي بكر الصديق يشمل الأحرف السبعة الثابتة في العرضة الأخيرة، أما عثمان فإنه جمعه على ما يوافق حرف قريش مع تجريده حتى يحتمل أحرفاً أخرى فجعل العمدة والركن الأساس حرف قريش ما وافقه فإنه يجعل الكتابة محتملة لحرف قريش ولحرف غيرهم وما خالف حرف قريش بحيث لا يمكن أن يجتمع مع حرف قريش فإنه قد اطرحه -رضي الله تعالى عنه- حتى يكون الناس كلهم على بينة في هذا الأمر.

الثالث: أن أبا بكر لم يلزم الناس بما جمع أو باتباع المصحف الذي جمعه بخلاف عثمان -رضي الله تعالى عنه- فإنه ألزم الناس باتباع المصحف الذي كتبه -رضي الله تعالى عنه- وأمر بجمعه بل إنه أمر بإحراق سائر ما عند الناس وجمعت المصاحف التي بأيدي الناس متفرقة في الأمصار حتى التي كتبها أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جمعت ثم مزقت أو أحرقت.

إذن: ألزم عثمان -رضي الله تعالى عنه- ولذلك منعت القراءة بما نسخ من الأحرف السبعة ولم يثبت في العرضة الأخيرة وظهر ما يعرف - كما بينا قبل قليل- ما يسمى بالقراءة الشاذة وهي نوع من القراءة يصح سندها لكنها لم تثبت في المصحف العثماني.

أيضاً: من الفروق جمع أبي بكر كان مرتب الآيات ويقع الخلاف في السور هل كانت مرتبة في عهد أبي بكر أو لا أما في عهد عثمان فقد اتفق الناس أنه على الحالة التي ورد علينا مرتب الآيات والسور.

موقف الصحابة مما فعله عثمان بن عفان:

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى موقف الصحابة مما فعله عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- بعد أن أنفذ عثمان المصاحف إلى الأمصار أمر بإحراق جميع المصاحف التي بأيدي الناس وقال لهم: إني صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم. فقام كل أمير في كل مصر من الأمصار وأنذر الناس وأخبرهم من كان عنده شيء من المصاحف سواء تلقاه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو تلقاه عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فليأتِ به فجمعت جميع المصاحف وأضرمت فيها النار أو مزقت ومحيت ولم يبق منها شيء حتى يجتمع الناس على إمام واحد ولا يختلفوا في كتاب الله - سبحانه وتعالى.

ماذا كان موقف أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من هذه السياسة الراشدة من أمير المؤمنين عثمان -رضي الله تعالى عنه-؟ كان موقفهم الاستحسان والموافقة والتأييد لعلمهم بحسن العاقبة في الأمر الذي فعله أمير المؤمنين عثمان -رضي الله تعالى عنه- يقول زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه-: فرأيت أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- يقولون: أحسن والله عثمان أحسن والله عثمان. فإن هذه - أيها الأحبة- من السياسة التي يتخذها الإمام ويكون فيها تفويت بعض المصالح لكن فيها في العاقبة إدراك مصالح أعظم ودرء مفاسد أكبر مما يتوقع الناس وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص -رضي الله تعالى عنهم-: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد وقال علي- كما سمعنا قبل قليل في الرواية التي قرأها الأخ- قال علي : «لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا».

وهكذا سائر أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- كلهم وافقوا عثمان على ما صنع إلا ما ثبت عن ابن مسعود أنه خالف في ذلك فإن عبد الله بن مسعود خالف أول الأمر وسبب مخالفته ليس أنه أنكر الجمع ولا أنكر الطريقة

ولا عتب عليهم أنهم أثبتوا شيئاً لا يريد إثباته أو فعل شيئاً لا يريد فعله ولكنه -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- استنكر أنهم اختاروا زيداً وهو أكبر من زيد وأسن منه وقد أوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- بقراءته وقال (من أحب أن يسمع القرآن غضاً طرياً كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد) أو كما قال -عليه الصلاة والسلام- وأمر أن يقرأ عليه القرآن وكان يقريء الناس القرآن في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمن أجل ذلك استنكر ابن مسعود هذا الأمر حتى إنه خطب الناس على المنبر وقال: كيف يبعد مني هذا الأمر أو أعزل عن نسخ المصاحف ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر؟ يعني: زيد بن ثابت يقول: كيف يولى هذا الأمر زيد بن ثابت وأنا قد كنت مسلماً وهو لا يزال في ظهر أبيه؟ وهذا- يا إخواني- يحمل على الغضب من ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- لأنه كان يتوقع أنه من أولى الناس بهذا ولكنه -رضي الله تعالى عنه- بعد ذلك رضي وتابع الجماعة وقبل ما قبلوه وحتى إن الزهري قال: فرأيت جماعة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أنكروا ما قاله ابن مسعود ولم يرضوه ولا يعني- يا إخواني- أن يولى زيد بن ثابت أنه أفضل من ابن مسعود، لكن زيد بن ثابت لا شك أنه كان أكثر كتاب الوحي كتابة للوحي وهو الذي تولى جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق وكان شاباً وكان ذكياً ألمعياً لا يخفى عليه شيء ولا يعني تقديمه في هذه المسألة أنه أفضل من غيره بل غيره قد يكون أفضل منه لكنه -رضي الله تعالى عنه- قد تميز في هذا الجانب وصار له القدح المعلى فيه -رضي الله تعالى عنه.

الحاصل - أيها الأحبة- أن ابن مسعود لم ينكر الجمع ولم ينكر الطريقة ولم يخالف في شيء من ذلك إنما أنكر -رضي الله تعالى عنه- أن يقدم غيره عليه في هذا الباب ثم إنه -رضي الله تعالى عنه- أيضاً ابن مسعود حرصاً منه أن يكون على أن يكون من أهل ذلك الميدان وعلى أن يحقق شيئا من أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي أمر بأن يقرأ بقراءة ابن مسعود ومدح تلاوته وقال: والله لقد تلقيت من فم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نيفاً وسبين سورة نيفاً وسبعين سورة تلقيتها من فم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخبر عن نفسه أنه ما من آية يحفظها إلا ويعلم أين نزلت وفيم نزلت ولو كان يعلم أحداً أعلم منه بكتاب الله تبلغه الإبل لرحل إليه فكان يريد أن يشارك في هذ المهمة لأنه كان أحق بها كما قال يوسف (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)[يوسف: ٥٥]، لكن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- راعوا أمراً آخر لم ينتبه له عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالى عن الجميع- أيضاً مما حصل من ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- أنه كان ينكر أن تكون المعوذتان من القرآن وكان يرى أنهما تعويذتان مما يتعوذ به الناس ولكنهما ليسا من القرآن والصحيح الذي أجمع عليه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأطبق عليه الناس وثبتت به الأحاديث واستقر عليه الأمر أنهما من سور القرآن الثابتة قد ثبتت بذلك أحاديث كثيرة جداً عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بل إن أصحاب ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- الذين تلقوا عنه القرآن كانوا يقرؤون بها ويعدونها من كتاب الله - سبحانه وتعالى- لكن ابن مسعود لم يكن ينكر أن تكون وحياً إنما كان ينكر أن تضم إلى القرآن لأنه يرى أنها من التعويذات التي يتأول بها المسلم وليست من القرآن. الصحابة كلهم خالفوه واستقر الأمر على ذلك إلى يومنا هذا.

بقي معنا فضيلة الشيخ توقفنا عند النوع الثالث وهو الجمع بمعنى التسجيل صوتياً وهو أمر يعتبر حديث نسبياً نتطرق إلى هذا المحور ومعنا اتصالات سنأخذها بعد أن نأتي على هذا المحور.

نعم النوع الثالث: هذا لم يكن موجوداً في الأمة الإسلامية إلا في القرن الأخير، حيث إنه من ضمن ما اكتشف الناس هذا التسجيل الصوتي فالمسلمون تداعوا إلى تسجيل القرآن صوتياً فسمي هذا التسجيل جمعاً للقرآن بطريقة لم تكن مألوفة للمسلمين من قبل، ذلكم - أيها الأحبة- أن القرآن كما تعلمون تلاوة القرآن تتلقى من المصحف ومن الشيخ ولا بد من اجتماع الإثنين فلا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن من مصحف لم يتلقه من شيخ ولا يجوز لشيخ أن يقرأ شيئاً من القرآن من عند نفسه دون أن يرجع إلى المصحف فلابد من اجتماع هذين على ضبط القرآن وتلقيه فجاء التسجيل الصوتي الذي يمكن به نقل القرآن الكريم نقلاً صوتياً يسمعه كل إنسان في كل مكان ويمكن أن يتلقى منه القرآن كما تُلي في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكانت بداية هذه الفكرة تبنتها الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم بمصر عام تسعة وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية(١٣٧٩هـ)، طرحت هذه الفكرة وكان ذلك باقتراح من رئيس هذه الجمعية وهو الشيخ/ لبيب السعيد كتب هذا الاقتراح وطريقته ثم دعي كبار القراء في ذلك الوقت لتلاوة القرآن صوتياً وأول من بدأ تسجيل القرآن صوتياً هو كما يذكر لبيب السعيد في كتاب أخرجه بهذا الخصوص هو الشيخ/ محمود خليل الحصري حيث سجل القرآن برواية: حفص عن عاصم وسجله أيضاً برواية: الدوري، وأيضاً كان من ضمن الخطة أن يقرأ جمع آخرون من القراء المشهورين كعبد

الفتاح القاضي ومحمد صديق المنشاوي وغيره مصاحف أخرى بروايات أخرى ولكن ذلك لم يتم في ذلك المشروع بالذات.

ثم تتابع الناس من بعد ذلك على تسجيل القرآن صوتياً سواء كان ذلك في وزارات الإعلام في العالم الإسلامي أو انتهى المطاف أخيراً إلى مجمع الملك فهد في المدينة النبوية الذي تولى العناية بالمصحف طباعة على الورق وتسجيلاً صوتياً ومنذ عشرين عاماً وهذا المجمع يطبع المصحف طباعة على ورق فاخر حيث طبع إلى الآن أكثر من مائة مليون نسخة من المصحف مع التراجم إلى عدد كبير من لغات العالم الإسلامي وسجل أيضاً بأصوات جمع من المقرئين كما هو معروف لدى الإخوة المستمعين.

واستمرت هذه السنة في المسلمين وهي لا شك فتح عظيم، يقول بعض الكاتبين في ذلك: إن سبب هذا الجمع ومصدره هو أن اليهود طبعوا نسخة من المصحف محرفة في ألمانيا ثم بعثوا بها على باخرة إلى بلاد المسلمين لتنتشر في مساجدهم وبينهم حتى يحصل بين المسلمين بلبلة في ذلك فعلم المسلمون بذلك واجتمعوا على عدم استقبال هذه المصاحف وإحراقها وحصل من وراء ذلك أن فكروا في جمع القرآن صوتياً حتى لا يمكن لأحد أن يفكر في العبث بكلام الله - جل وعلا-.

بعد هذا - أيها الأحبة- من هذا الدرس ومن هذه القناة المباركة ندعوا إلى جمع رابع- نسأل الله - سبحانه وتعالى- أن ييسره لإخواننا القائمين على قناة المجد للقرآن الكريم أو قناة المجد العلمية- وهو تسجيل القرآن تسجيلاً مرئياً ونسميه المصحف المرئي بحيث يؤتى بالقراء المتقنين المعروفين بجودة التلاوة وضبطها ليقرؤوا القرآن بالروايات المختلفة قراءة مسموعة مرئية فيكون النفع بذلك أكبر والعناية بذلك أشد وأتقن من مجرد السماع الصوتي إذ إن بعض صفات الحروف لا يكاد الإنسان يميزها ويعرفها إلا بالرؤية مثل: الإشمام في قول الله تعالى (لاَ تَأْمَنَّا)[يوسف: ١١]، فإنه لا يمكن أن يسمع بالأذن وإنما يرى بالعين وكذلك طريقة إخراج المدود والغنن والحروف هذا إذا رآه المشاهد انتفع به واستفاد منه وكان أبلغ في التعلم والتعليم- نسأل الله تعالى أن يقيد لهذه الفكرة من يقوم بها ومن ينشرها في الأمة ومن يعمل على تحقيقها حتى ينتفع الناس بكلام الله - سبحانه وتعالى- ويكون هذا الجمع هو الجمع الرابع من ما حصل للقرآن الكريم من الجموع نسأل الله أن يحقق ذلك.

هناك فضيلة الشيخ جمع على ملفات صوتية أقراص مدمجة هذه تسجل من ضمن الجهود التي بذلت لحفظ القرآن

هذه نفس الجمع الصوتي عن طريقة حفظه ممن يكون على شريط الكاسيت أو على أي شيء آخر لكن بمناسبة الجمع المرئي قد يقال كيف يبث للناس؟ نقول إما على أشرطة فيديوا يوزع للناس أو يكون على أشرط ال دي في دي [DVD] فإن الشريط الواحد منها يستوعب كمية هائلة جداً من الصوت والصورة في نفس الوقت بل يمكن أن يجمع القرآن كله في قرص واحد يحمله الإنسان معه في جيبه ويشاهده في أي مكان يحل فيه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لدي اقتراح وسؤال: الاقتراح: إذا أمكن إدارة القناة ترجمة الدروس باللغة الإنجليزية أو حسب وجهة النظر. والسؤال: أنا أسمع الأحرف سبعة وعلى حرف فهمي يذهب إلى الأحرف الأبجدية فلو تكرم الشيخ شرح هذه المسألة ما هو الحرف؟ وما هي الأحرف السبعة التي ذكرت؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: قضية الأمية أخذ كثير من الناس في هذا العصر عند تغير كثير من المفاهيم أن وصف الأمية وصف عيب مع أن الأمية هي وصف للنبي -صلى الله عليه وسلم- فهي وصف شرف وليست وصف عيب أو قدح في الإنسان - فكما تفضلتم- أن الإنسان قد لا يقرأ ولا يكتب ويكون عالماً من العلماء بل وربما يكون قارئاً كاتباً لكنه جاهل من الجهال، وبذلك المصطلح العام وهو قضية محو الأمية فكرة أن الأمية وصف عيب في الإنسان فيحتاج إلى إزالة هذه الأمية ومحوها من الناس وكما قال بعض العلماء أو بعض المشايخ: يفضل أن يقال محو الجهل أو تعليم القراءة والكتابة لأن نبينا -صلى الله عليه وسلم- وصفه ربه عز وجل بالأمي (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ)[الأعراف: ١٥٧]، فهل من تعليق على هذه العبارة؟

الأخ يقترح أن تترجم هذه الدروس هذه فكرة مطروحة - إن شاء الله- يعمل على تحقيقها- إن شاء الله تعالى- نسأل الله أن يوفق الإخوة القائمين على تحقيق ذلك وغيره مما ينفع الناس.

أما بالنسبة لموضوع الأحرف السبعة فنحن وعدنا الإخوة السائلين في الدروس الماضية إلى أنه ستكون هناك درس مستقل حول هذا الأمر وأنا أبين للأخ أن الأحرف السبعة ليست كما يتوقع أنها سبعة أحرف من حروف التهجي وإنما المقصود أن يقرأ بالآية أو بالجملة أو الكلمة من كلمات القرآن على سبع لغات من لغات العرب أو طرائق من الطرائق التي ذكرها أهل العلم في تلاوة القرآن التي أنزل عليها وسيأتي- إن شاء الله تعالى- تفصيل لذلك يعني يعرف به الأخ والإخوة جميعاً معنى قولنا: الأحرف السبعة ولكن ينبغي أن يميزوا أيضاً بأن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع المشهورة بين الناس اليوم.

أما ما ذكره أما ما ذكره الأخ فهو اقتراح جيد يعني الأمية ليست وصف عيب بإطلاق ولكنها حسب اصطلاح الناس في كل زمان، فالناس يقصدون بها في هذا الزمان الأمية يعني: كون الإنسان غير متعلم يسمون غير المتعلم أمياً بينما الأمية تطلق في الحقيقة على من لا يعرف القراءة والكتابة قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب) ففسر الأمية بقوله:(لا نحسب ولا نكتب) وليس معنى ذلك أننا أمة جاهلة بل هذه الأمة هي أعلم الأمم وأكثرها تقدماً في العلم وهذا العلم الذي وصل للأمم الأخرى إنما جاءهم بعد فضل الله - سبحانه وتعالى- من هذه الأمة، فاقتراح الأخ أن يغير مسمى محو الأمية إلى مدارس تعليم القراءة والكتابة أنا أعتبره اقتراحاً جيداً وينبغي العمل عليه - جزاك الله خيراً على هذا الاقتراح.

شيخ محمد هي لا شك أنها صفة كمال وشرف في حق النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنها تدل على النبوة وهي إعجاز كيف يأتي هذا النبي الذي لا يعرف لا يقرأ ولا يكتب بهذا لكتاب من الله- عز وجل- عن طريق الوحي فهي في غيره قد تكون صفة سيئة يعني لا يعرف القراءة، ديننا حث على القراءة حث على طلب العلم والكتابة وقد تكون صفة نقص في الإنسان الذي لا يقرِ.

بالمناسبة نحن لا نعترض أيضاً الجاهل أيضاً قد يسمى أيضاً أمياً لكن يقول لأن كلمة الأمية تحتمل هذا وهذا لماذا لا نعدل عنها إلى شيء لا يحتمل إلا المعنى المراد؟ وهو أنه هؤلاء الناس لا يعرفون القراءة ولا الكتابة أما الأمي فقد يكون أمياً عالماً وأمياً جاهلاً فلما كانت الكلمة محتملة هذين المعنيين قالوا: إن الأولى أن يورد أو يذكر أو يصطلح على كلمة أخرى وعلى كل لا مشاحة في أمور الاصطلاح لكن ما ذكره في نظري وجيه وينبغي العمل عليه.

ما توجيهكم لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في صحيح البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال: يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا .. إلى آخر الحديث

النبي -صلى الله عليه وسلم- معصوم عن نسيان شيء من القرآن قبل أن يبلغه فإذا بلغه فإنه يمكن أن يطرأ عليه شيء من النسيان وليس هذا النسيان هو النسيان الدائم ولكنه بمعنى الفوات البشري كون الإنسان تفوت عليه الآية ولذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يصلي بأصحابه فيرتج عليه في الآية بمعنى أنه ينسى الآية فيطلب من الصحابة أن يفتحوا عليه كما حصل منه ذلك في إحدى صلواته فلم يفتح أحد من الصحابة عليه فانفتل من صلاته فقال: (أليس فيكم أبي؟) وعجب أن لا يكون أبيّ قد فتح عليه تلك الآية.

إذن: فالنبي معصوم في أن ينسى شيئاً من القرآن قبل التبليغ، أما إذا بلغ القرآن فكتب وحفظه الصحابة ووعوه فإنه يمكن أن يطرأ عليه النسيان وليس هذا النسيان نسياناً دائماً بمعنى أنه يذهب من قلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا يذكر منه شيئاً ولكنه النسيان الطارئ الذي يرد على كل قلب وهذا للدلالة على بشرية رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وأنه يطرأ عليه ما يطرأ على سائر البشر- عليه الصلاة و السلام- بأبي هو وأمي-.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل السؤال تعقيب وتأكيد لكلام الأستاذ -جزاه الله خيراً- على أن اليهود يحاولون أن يبثوا الفرقة بين المسلمين بالمصاحف التي ينسخونها ويبثونها مغالطة والآن الدعوة إلى العامية هذا يعتبر أيضاً من الإفساد بين المسلمين لإبعادهم عن الإسلام لأن القرآن نزل عربياً (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)[الشعراء: ١٩٥]، إذن: هذا الأمر يحتاج إلى توضيح وتأكيد على الفرق بين الأمية والعامية حتى نعرف أن العامية التي يدعو إليها أعداء الإسلام ليبعدوا المسلمين عن قرآنهم وعن دينهم بهذا الأمر فنأمل من فضيلة الشيخ توضيح ذلك؟

عناية المسلمين بكتاب الله -عز وجل- تربط ارتباطاً أكيداً بعنايتهم بهذه اللغة العربية الفصيحة التي نزل بها كتاب الله -عز وجل- وهذه العناية توجب أو تلزم أن يتعلمها الإنسان وأن يقرأها وأن يحاول قدر ما يستطيع أن يتحدث بها ويتخاطب بها ويعلمها لأجياله ولأولاده ومن يعول تعليقكم فضيلة الشيخ

لا شك أن أعداء المسلمين يتمنون أن يزيحوا الناس عن كتاب ربهم بإثارة مثل هذه التصرفات التي يفعلونها مثل: الدعوة إلى إحياء اللغات العامية واللغات الميتة في الأمة الإسلامية والدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية وغيرها من الدعوات وقد تولى وزر ذلك بعض المستشرقين وبعض المستغربين من المسلمين- نسأل الله العافية والسلامة- ولكن نحن نبشرك ونبشر كل مسلم على وجه الأرض بأن جهودهم ستبوء بالفشل لأن الله جعل هذا الكتاب عصمة لهذه اللغة فلن تموت هذه اللغة - بإذن الله جل وعلا- ولكن يجب على المسلمين أن ينتبهوا لمكايد أعدائهم فلا ينخدعوا بها ويعلموا أن مرادهم بما يفعلونه هو صرفهم عن كتاب الله - سبحانه وتعالى- ولا أدل على ذلك- يا أخي- انظر إلى الأمة التركية كانت تكتب حتى لغتها التركية بالحروف العربية وكان ذلك يجعلهم يقرؤون الحروف العربية والكلام العربي لأن الحروف كانت متفقة وكان يسهل عليهم حتى قراءة القرآن الكريم أما الآن فتجد كثيرين من هؤلاء المسلمين الذين صرفوا إلى حروف أخرى بعيدة عن الحرف العربي لا يستطيعون حتى قراءة القرآن الكريم بسبب أن حرفهم قد اختلف عن الحرف العربي فهذا من مكايد الأعداء بلا شك وعلى المسلمين أن ينتبهوا لهذه المخاطر ويحذروا منها أشد التحذير.

سنأخذ مجموعة من الأسئلة الآن وستكون الإجابات مختصرة: تقول: هل نأخذ من قضية إحراق عثمان -رضي الله عنه- للمصاحف دلالة على جواز حرق أوراق المصاحف التالفة التي لا يمكن القراءة منها؟

نعم- لا شك في ذلك- يعني: أي مصحف يتلف عند الإنسان فإن للإنسان أن يحرقه لكن شريطة أن يضعه في مكان طيب وطاهر بحيث لا يدنس ولا يكون مع الأقذار.

ما رأيكم فضيلة الشيخ فيمن يقرأ القرآن بلكنة وطنه كمن يقلب الضاد ظاء وما شابه ذلك كمن يقرأ مثلاً: ولا الضالين ولا الظالين؟

نقول يا أخي من قرأ القرآن بأي طريقة مخالفة للطريقة التي ثبت بها عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فلا شك أن هذا مما ينهى عنه الإنسان كالذين يقرؤون مثلا الضاد زاياً أو الثاء سيناً أو غير ذلك ويجب على كل مسلم مستطيعاً أن يقرأ القرآن بطريقته التي نزل بها وعلمها الناس ولا يجوز لأحد أن يغيره، أما ما ذكرته بالنسبة للضاد والظاء فإن كثيرين من أهل العلم قد تسامحوا في ذلك خصوصاً بالنسبة للعامة ولمن لا يستطيع التفريق بين الحرفين وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في المسائل المارد‌ينية وذكره ابن كثير -رحمه الله تعالى- لما بين الحرفين من التشابه الكبير والتقارب في المخرج فهذا يتسامح فيه، أما غيره في الحروف كقلب الثاء سيناً مثلا والظاء مثلا زاياً أو نحو ذلك فهذا لا يجوز لمن يقدر على ترك مثل هذا.

يقول: فضيلة الشيخ لقد سمعت في درس مضى بأن سورة الأحزاب كانت أكبر من سورة البقرة لكن ضاع منها الكثير بسبب النسخ فكيف ذلك ونحن نعرف أن القرآن محفوظ من الله -عز وجل- ؟

النسخ الذي ورد على سورة الأحزاب يذكره العلماء من باب نسخ التلاوة يعني: نسخت تلاوته ورفعت في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وليس المقصود أنه ذهب على الصحابة والنبي -صلى الله عليه وسلم- قد بلغهم إياها كاملة فقد ورد عن أبي بن كعب أنها كانت تعدل سورة البقرة من طولها لكنها قد رفعت في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسنبين- إن شاء الله -عندما نأتي إلى موضوع النسخ أن مما ينسخ ينسخ تلاوة فيذهب فلا يبقى منه شيء لا في السطور ولا في الصدور.

هي يعني ذهبت بسبب النسخ وليست بسبب الضياع وليست بسبب الضياع فالكلمة التي عبر بها الأخ ليست صحيحة في محلها.

بعضهم يظن فضيلة الشيخ أن النسخ هو الكتابة ذهبت بسبب تداول الكتابة

لا النسخ المقصود به: الرفع والإزالة.

ما أكثر الرواية التي كان يقرأ بها الصحابة قبل أن يجمع عثمان -رضي الله تعالى عنه- ؟

ما ندري ما هي الرواية التي كانوا يقرؤون بها لكنها ليست شيئاً غير الذي نقرأ بها باختلاف الروايات الموجودة عندنا، وكان كثير من أهل العلم يستحبون قراءة نافع لأنها كانت قراءة أهل المدينة الذين كان الصحابة متوافرين فيها.

جاء في سورة الحديد برواية قالون عن نافع المدني قول الله تعالى: (وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)[الحديد: ٢٤]، أما في رواية حفص (وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) فما تقولون في ذلك؟

هذا الاختلاف هو الذي حصل - مما ذكرناه قبل قليل- في طريقة عثمان في جمع المصاحف إن كان يمكن حملها على كتابة واحدة كتبت كتابة واحدة وجردت حتى تحتمل القراءتين وإن لم يمكن وكانت ثابتة في العرضة الأخيرة فإن عثمان يكتبها في مصحف بطريقة أو بوجه ويكتبها في المصحف الآخر بالوجه الآخر.

يقول: من هو الصحابي الرابع في لجنة الجمع بعد سعيد بن العاص؟

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

يقول: هل الكتابة الموجود في القرآن الكريم توقيفية يعني: هل هي عن طريق الوحي مثل إضافة الألف إلى مالك ؟

ما كتب من ذلك وأثبت فلا شك أنه مما أوحي به لكن طريقة الرسم هذا مما أجمع عليه الصحابة لأن الرسم من عمل الناس وليس من عمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ولا من عمل جبريل لكنهم كتبوه على طريقة موافقة للوحي الذي نزل به جبريل عن النبي - صلى الله عليه وسلم – فلا يوجد زيادة ولا نقص في الكلمة إلا وهي موافقة لما أوحي به فمثلاً: مالك وملك يوم الدين قرئت هكذا قرأها جبريل على رسول الله: مالك وملك، لكن (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) ما قرئت إلا على وجه واحد وما نزل جبريل بها إلا بوجه واحد (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(١) مَلِكِ النَّاسِ) ما نزلت إلا بوجه واحد وهو ملك الناس.

فضيلة الشيخ بعض الناس يسأل عن كتابة القرآن الكريم بالكتابة العادية خلاف الرسم العثماني ؟

إذا كان ذلك يكتبه في مذكرة أو يكتبه مثلاً للاستشهاد به في مجال الاستدلال أو غير ذلك هذا لا بأس به الأمر فيه واسع أما إن كان يكتب مصحفاً للناس فإنه لا يجوز على الصحيح من أقوال أهل العلم أن يكتب القرآن على غير الطريقة التي كتب بها القرآن في عهد عثمان -رضي الله تعالى عنه- وذلك لأنهم كتبوه بطريقة يقصدون من ورائها حفظ القرآن من أي شائبة ومن حصول أي نقص أو تغيير فعلى المسلمون أن يلتزموا ذلك الرسم أما إن كانت آية للاستشهاد أو مقطعاً يكتب من القرآن ولا يقصد به إصدار مصحف الأمر في ذلك- ولله الحمد- واسع.

جرت العادة فضيلة الشيخ أن نأخذ مجموعة من الأسئلة وسؤالين في نهاية هذا الدرس ونذكر كذلك بعنوان الدرس القادم.

السؤال الأول: كيف كانوا يكتبون الآية في جمع عثمان؟

السؤال الثاني: من هم الذين وكلت إليهم مهمة الكتابة في جمع عثمان-رضي الله تعالى عنه-؟

أما الدرس القادم- إن شاء الله- يوم السبت فسيكون -بإذن الله تعالى- عن ترتيب سور القرآن وآياته، فاسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يمد في أعمارنا ويحينا حياة طيبة.

الدرس الثالث عشر

سور القرآن الكريم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فهذه أيها الأحبة هي المحاضرة الثالثة عشر من محاضرات علوم القرآن في هذه الأكاديمية المباركة نسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيدنا بهذه الدروس وغيرها مما يلقى في هذه الأكاديمية علما وفهما وإيمانا وحكمة وتقوى وعملا، وقد جرت عادتنا أيها الأحبة أن نقدم في كل درس بمراجعة للدرس الماضي، فنسأل الإخوة الحاضرين معنا في الاستديو هذه الأسئلة التي نستذكر بها ما مضى من درسنا يوم الأربعاء:

السؤال الأول: كم عدد المصاحف التي بعث بها عثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- وإلى أين أرسلت؟

عدد المصاحف أربعة مصاحف وقيل خمسة وأرسلت إلى الكوفة والبصرة والشام ومكة والمدينة.

أحسنت، قال أبو عمرو الداني إنها أربعة، وذكر أن أكثر العلماء على ذلك، وأما السيوطي فذكر أن المشهور أنها خمسة، وقد أرسلت إلى هذه الأمصار التي ذكرها الأخ جزاه الله خيرا.

السؤال الثاني: كيف جاز للصحابة ترك ما لا يحتمله الرسم من الأحرف التي أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بقراءة القرآن بها؟

القراءة بالأحرف جائزة وليست واجبة وكانت للتيسير على الأمة فلما اقتضت الحاجة إلى تركِها تَرَكَهَا الصحابة.

هذه الأحرف التي أنزل عليها القرآن لم يكن إنزالها على وجه الوجوب على الأمة بأن تقرأ بها، وإنما كان ذلك من أجل التيسير على هذه الأمة، فلما زالت هذه الحكمة وصار بقاء هذه الأحرف سببا لوجود فرقة وخلاف بين الأمة أو بين الناس الذين يتعلمون القرآن الكريم رأى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ترك ما لا يتوافق مع العرضة الأخيرة من هذه الأحرف.

السؤال الثالث: ما الفرق بين باعث أبي بكر وعثمان في جمع القرآن؟

الباعث الذي كان عند أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- أنه خشي عندما كثر أو تفشى القتل في حفظة القرآن وحملته من الضياع، وأما الباعث الذي كان عند عثمان -رضي الله تعالى عنه- ليجمع الصحابة ويبعد الفرقة وخشي أن يكون تفرقهم على الأحرف سببا في تفرق قلوبهم .

إذن الفرق بين باعث أبي بكر أن أبا بكر خشي أن يذهب القرآن بذهاب حملته عندما استحر القتل في حروب الردة بالقراء حملة القرآن -رضي الله تعالى عنهم جميعا-، وأما عثمان فلما وجد الاختلاف بين القارئين للقرآن الكريم بسبب وجود الأحرف التي كانت في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يحملهم على مصحف واحد وحرف واحد.

السؤال الأخير: متى بدأ تسجيل القرآن صوتيا ومن الذي قام بذلك؟

الجواب بدأ تسجيل القرآن الكريم صوتيا عام ١٣٧٩هـ من قبل جمعية المحافظة على القرآن الكريم برئاسة لبيب السعيد

أحسنت بارك الله فيك، عام ١٣٧٩هـ من قبل جمعية المحافظة على القرآن الكريم في القاهرة بمصر برئاسة لبيب السعيد، وسجل القرآن أول مرة بصوت الشيخ محمود خليل الحصري -رحمه الله تعالى-، ثم تتابع الناس بعد ذلك على تسجيله صوتيا.

ننتقل بعد ذلك إلى سؤالين ذكرناهما في نهاية وخاتمة درسنا الماضي:

السؤال الأول: كيف كانوا يكتبون الآية في جمع عثمان رضي الله عنه؟

السؤال الثاني: من هم الذين وكلت إليهم مهمة الكتابة في جمع عثمان -رضي الله تعالى عنهم- ؟

أجابت: كانوا يكتبون الآية كتابة يصلح أن يقرأ بها على أي حرف من الأحرف التي وردت عليها ما دامت تحتمل ذلك وبطريقة يمكن أن يقرأها بكل حرف من حروف العرب مثل ملك، مالك، مالك الملك ومالك يوم الدين.

إجابة السؤال الثاني: زيد بن ثابت هو الأساس يكتب وسعيد بن العاص يملى.

وبقية الكتبة ما ذكرتهم.

أجابت السؤال الأول: كانوا يكتبون الآية كتابة يصلح أن تقرأ بها على أي حرف من الأحرف السبعة ما دامت تحتمل ذلك، وفي جمع عثمان وكلت الكتابة إلى لجنة من الصحابة يرأسها زيد بن ثابت ومتكونة من عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام.

نعم لكن جوابها الأول كان ناقصا وهو أن الكلمة إذا لم يمكن أن تكتب أو لم يمكن اجتماع الأحرف بها على رسم واحد فإنهم كانوا يكتبونها في مصحف بوجه وفي المصحف الآخر بوجه آخر، هذه تتمة إجابة الأخت في السؤال الأول.

تقول في إجابتها: كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يكتبون الآية بطريقة تصلح قراءتها بالأحرف السبعة ما دامت تحتمل ذلك أما إذا لم تحتمل فإنها كانت تكتب في مصحف بحرف وفي المصحف الآخر بحرف آخر إجابة صحيحة

إجابة السؤال الثاني: الذين وكلت إليهم مهمة الكتابة في جمع عثمان هم زيد بن ثابت وهو الذي تولى جمعه في عهد أبي بكر الصديق وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

جزاها الله خيرا على هذه الإجابة، فهي إجابة مفصلة ووافية وصحيحة.

كذلك جزى الله الإخوة السابقين كل خير.

- (تعليق من الشيخ على أسماء الطلاب التي يظهرون بها على الموقع)

يعني الأولى بالإخوة حقيقة أن يكتبوا أسماءهم صراحة لأن هذا الحمد لله طلب للعلم الشرعي والإنسان يشرف بمثل هذا ويفخر به وهو خير له، فالأولى في نظري في مثل هذه الميادين التي لا يُستحيا منها ينبغي الإنسان أن يكون صريحا بذكر اسمه أو على أقل الأحوال أن يذكر اسمه الأول و لقبه الأخير أو كنيته الصحيحة.

درسنا اليوم بإذن الله سبحانه وتعالى سيكون كما وعدناكم عن سور القرآن، وأهم موضوع في سور القرآن هو ترتيب هذه السور كما سنفصله بعد قليل، وإنما ذكرنا ترتيب سور القرآن بعد جمع القرآن؛ لأن سور القرآن قد اختلف فيها هل كانت من فعل أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو كانت من فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- وتوقيفه يعني هل كان ترتيب السور توقيفيا أو كان اجتهاديا؟

فلأجل ذلك ألحقنا هذا الموضوع وهو سور القرآن وترتيبها بموضوع جمع القرآن؛ لأن الصحابة الذين جمعوا القرآن هل لما جمعوه كانوا هم الذين رتبوه أو أن هذا الترتيب كان موجودا في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كما سيأتي تفصيله بعد قليل؟

أول ما نبدأ به إن شاء الله في هذا الموضوع الذي يهم طالب علوم القرآن معنى السورة، فنقول معنى السورة في اللغة: هي مأخوذ من أحد أمرين: إما أن يكون مأخوذ من السؤرة يعني مهموزاً، السؤرة من أسأر أي أبقى، وسميت بذلك لأنها بقية جملة القرآن وقطعة منه، يعني مثل السؤر الذي يبقى من الشارب في الإناء يعني بقية من شرابه، كذلك السورة سميت بذلك لأنها بقية من القرآن، من جملة القرآن وقطعة منه. هذا قول في معناها اللغوي.

والقول الثاني: وهو الأشهر أن السورة مأخوذة من السُّور بمعنى المنزلة والشرف وما طال من البناء، ومن العلامة، كل ذلك من كلمة السور، ووجه الشبه بين السورة والسور أن السورة فيها ما في السور من الإحاطة والرفعة، فالسور يكون مرتفع البناء عاليا، كذلك السورة عالية القدر جليلة المعنى، وأيضا محيطة بجملة من الآيات كالسور محيط بجملة من القرى والمدن والبيوت والأسواق وغيرها، وأيضا السور مركب من لبنات بعضها فوق بعض والسورة مركبة من آيات، أقلها ثلاث آيات كما في سورة الكوثر، وأكثرها كما في سورة البقرة.

وأما تعريف السورة شرعا فهي: طائفة مستقلة من آيات القرآن الكريم ذات مطلع ومقطع، ذات مطلع أي بداية، ومقطع أي نهاية، إذن فالسورة جملة من الآيات وطائفة مستقلة من الآيات ذات مطلع ومقطع، ولو قلنا في التعريف زيادة مفتتحة ببسم الله الرحمن الرحيم لكان أبين في تعريفها.

بعد ذلك أيها الأحبة ما طريق معرفة السورة؟ يعني كيف تعرف السورة؟ هل هو الاجتهاد أو بتوقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ الصحيح أن السورة لا تعرف إلا بتوقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو الذي يعرِّف الأمة مقدار السورة بداية ونهاية، ولذلك يقول ابن عباس: كنا لا نعرف فصل السورة من السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم.

إذن هذا الأمر ليس محلا للاجتهاد بحيث يمكن لأحد من الناس كائنا من كان أن يضع سورة معينة أو يقسم القرآن إلى سور محددة يخترعها أو يحددها هو بنفسه.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى عدد سور القرآن، عدد سور القرآن الذي استقر عليه مائة وأربعة عشر سورة، وهذا الذي اتفق عليه الصحابة في مصحف عثمان ولم يختلفوا عليه واستقر الأمر عليه في الأمة إلى يومنا هذا، وقد عدها مجاهد مائة وثلاثة عشر بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة؛ لاشتباه الطرفين وعدم الفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم، ولكن يرد عليه بأن الصحابة قد أطبقوا على جعل هاتين السورتين منفصلتين، وتسمية كل واحدة منهما باسم مستقل ولأنه أيضا كما قال السيوطي وأيضا الزركشي في البرهان بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد سمى كلا منهم، فلا ينبغي القول بأن سور القرآن مائة وثلاثة عشر، وقد كانت مصاحف الصحابة تختلف في عدد سور القرآن، فمصحف ابن مسعود كان عدد السور فيه مائة واثنتي عشرة سورة لأنه كان -رضي الله تعالى عنه- لا يعد المعوذتين من سور القرآن وقد بينا هذا في الدرس الماضي، وبعض الصحابة أيضا قد لا يعد بعض السور لأنه لم يسمعها من النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكن هذا كله قد زال باتفاق الأمة على هذه السور الموجودة في المصحف الذي كتبه عثمان وصار ذلك محلا لاتفاق المسلمين.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى أسماء السور فنقول تنقسم سور القرآن من حيث التسمية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما له اسم واحد، فهناك جملة من سور القرآن ليس لها إلا اسم واحد مثل سورة الأنعام، لا تُعرف إلا بهذا الاسم، ومثل سورة الأعراف لا تعرف إلا بهذا الاسم، وهكذا سورة الكهف ومريم والأنبياء وطه وغيرها من السور ليس لها إلا اسم واحد.

القسم الثاني: ما له أكثر من اسم، فإما أن يكون لهذه السورة اسمان، وإما أن يكون لها ثلاثة أسماء، وإما أن يكون أكثر من ذلك، فمثال ما له اسمان سورة محمد: تسمى محمد وتسمى القتال، ومثال ما له ثلاثة أسماء سورة

غافر: يقال غافر والمؤمن والطول، لقول الله عز وجل (غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ)[غافر: ٣]، فتسمى أيضا سورة الطول.

وما له أكثر من ثلاثة مثل: التوبة، وأكثر منها ـ وهي أكثر سور القرآن أسماء ـ سورة الفاتحة، فقد عد بعض العلماء لها خمسة وعشرين اسما، والتوبة من أسماءها ماذا؟ الفاضحة والمقشقشة أو المشقشقة، وأيضا براءة والتوبة، وعدد من الأسماء ذكرها المفسرون في بداية تفسير سورة التوبة، وأما الفاتحة فذكر في أسماءها قرابة خمس وعشرين اسما، منها أم الكتاب والفاتحة والسبع المثاني والحمد والشافية والرقية والكافية والصلاة كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي يرويه عن ربه (قسمت الصلاة بين بين عبدي نصفين) وغير ذلك من الأسماء التي ذكرها أهل العلم في مقدمة تفسير سورة الفاتحة.

إذن عندنا قسم من سور القرآن ليس له إلا اسم واحد وقسم له أكثر من اسم وهذا أنواع منه ما له اسمان ومنه ماله ثلاثة أسماء ومنه ما هو أكثر من ذلك كسورتي التوبة والفاتحة.

القسم الثالث: وهو أن تسمى أكثر من سورة باسم واحد كالزهراوين والحواميم والطواسين والمسبحات والسبع الطوال والمعوذات، ودعونا نفصل كل واحدة من هذه، الزهراوين مثل ماذا يا إخواني؟ ما معناهما؟ البقرة وآل عمران، والحواميم هي المفتتحة بـ حم، وهي سبع سور متوالية يقال فيها الحواميم، ويقال فيها آل حم على خلاف بين السلف في طريقة التعبير عنها مجموعة، فما هي هذه الحواميم مفتتحة بأي سور؟ سورة غافر ثم فصلت ثم الشورى ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الأحقاف فهي سبع سور متوالية.

الطواسين: ما هي الطواسين؟

ما افتتح بـ طسم ما افتتح بـ طس أو طسم وهي ثلاث سور: طسم الشعراء وطس النمل وطسم القصص، وهي مرتبة على هذا النحو.

والمسبِّحات ما هي المسبحات؟

السورالتي ابتدأت بسبح أو يسبح أو سبحان نعم المسبحات يقصد بها هذه السور التي وقعت في الأجزاء الأخيرة من القرآن الكريم، سبَّح الحديد و سبَّح الحشر وسبَّح الصف ويسبِّح الجمعة ويسبِّح التغابن، هذه سور المسبحات، أما التي افتتحت بالتسبيح ومشتقاته فهي سبع سور كما قدمنا في درس سابق، والسبع الطوال يقصد بها السبع الأول من القرآن الكريم الموصوفة بالطول الشديد، بدايتها البقرة ثم آل عمران ثم النساء ثم المائدة ثم الأنعام ثم الأعراف هذه السادسة والسابعة اختلف فيها فقيل هي سورة الأنفال والتوبة سواء، وقيل سورة يونس، وقيلت أقوال أخرى لكنها شبه مهجورة، والأكثر من المفسرين على أنها الأنفال والتوبة، كانوا يعدونهما شيئا واحداً في هذا المعنى، والمعوذات يراد بها السور الثلاث الأخيرة من القرآن الكريم، وهي سورة الإخلاص وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس.

إذن أن تسمى أكثر من سورة باسم واحد هذا هو النوع الثالث من أقسام سور القرآن من حيث التسمية، جزاكم الله خيرا.

أما مصدر التسمية فقد اختلف فيه أهل العلم هل هو اجتهاد من العلماء بداية بالصحابة رضوان الله تعالى عليهم ثم من جاء بعدهم من خيار هذه الأمة أو أنه توقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

يرجِّح الزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان أن تسمية سور القرآن توقيفية، يعني أن هذه الأسماء صدرت ووردت وجاءت من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا يُقطع به في كثير من القرآن، لكن يبقى هناك إشكال في بعض السور هل فعلا هذه السور سور وردت أسماؤها المتعددة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن غيره أو من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحده ؟ العلم في ذلك عند الله سبحانه وتعالى لكننا نقطع بأن أكثر سور القرآن كانت بتسمية من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بلا شك.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى أقسام سور القرآن. لدينا حديث بل أكثر من حديث في تقسيم سور القرآن أشهرها حديث واثلة بن الأسقع الذي رواه الإمام أحمد قال: (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال أو السبع الطُّوَل وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفُضِّلت بالمفصل) هذا الحديث رواه الإمام أحمد وصححه الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- فهذا الحديث يبين لنا أن سور القرآن قد قسمت إلى أربعة أقسام كل قسم له طابع معين من حيث الطول، فالقسم الأول السبع الطوال ثم المئون ثم المثاني ثم المفصل، ولعلنا نتوقف قليلا مع كلام جيد في هذا المعنى للزركشي في كتابه البرهان حيث إنه -رحمه الله تعالى- قد ذكر هذه الأقسام لسور القرآن وبين معنى كل قسم من هذه الأقسام الأربعة، فدعونا نسمع تفضل يا أخي:

قال العلماء -رضي الله تعالى عنهم- القرآن العزيز أربعة أقسام: الطُّوَل والمئون والمثاني والمفصل، وقد جاء ذلك في حديث مرفوع أخرجه أبو عبيد من جهة سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة بن الأسقع عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال (أعطيت السبع الطوال مكان التوراة وأعطيت المئين مكان الإنجيل وأعطيت المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفصل) وهو حديث غريب وسعيد بن بشير فيه لين، وأخرجه أبو داوود والطيالسي في مسنده عن عمران عن قتادة به، فالسبع الطول أولها البقرة وآخرها براءة لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة سورة واحدة، وبذلك لم يفصلوا بينهما؛ لأنهما نزلتا جميعا في مغازي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وسميت طول لطولها، وحكي عن سعيد بن جبير أنه عد السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس سعيد بن جبير يرى أن يونس - وهذا ثابت عنه بإسناد صحيح - هي السابعة وليست الأنفال والتوبة، ولكن الأظهر والله أعلم أن التوبة والأنفال هما السورة السابعة؛ لأن التوبة أطول من سورة يونس أصلا فكيف تعد سورة يونس هي السابعة من الطول، نعم .. ومعرفة الطول يا إخواني مهم حتى نفهم حتى بعض الأحايث قال في الحديث (صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاة المغرب فقرأ طولى الطوليين) ما هي طولى الطوليين؟ سورة الأعراف لأنها هي الأطول بعد الطوليين البقرة وآل عمران والطول بضم الطاء جمع طولى كالكُبَر جمع كبرى، قال أبو حيان التوحيدي وكسر الطاء مرذول كسر الطاء - يعني يقال الطِّول - مرذول يعني لغة رديئة، والمئون ما يلي السبع الطول، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربه إذن المئون ما جاء بعد الطول، مثل سورة يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل والكهف والإسراء ومريم، قال: ما بلغت مائة أو قاربتها، يعني لا يلزم أن تكون مائة فسميت هذه السور لتقاربها المئون والمثاني ما ولي المئين وقد تسمى سور القرآن كلها مثاني، ومنه قوله تعالى (كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ)[الزمر: ٢٣]، وقوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي)[الحجر: ٨٧]، وإنما سمي القرآن كله مثاني لأن الأنباء والقصص تثنى فيه، ويقال إن المثاني في قوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي)،هي آيات سورة الحمد، سماها مثاني لأنها تثنى في كل ركعة نعم.. المثاني ما كان بعد المئين وهي مثل سورة يس والصافات والزمر وغافر والحواميم، هذه كلها من المثاني؛ لأنها يكثر تكرارها وإعادتها وتلاوتها في الصلاة وغيرها، وهي من التثنية تثَنَّى أو تُثْنى في كل مرة بعد أخرى أو لأنه كما ذكر هنا الأخبار والقصص تُثَنَّى فيها أو تُثْنى أي تعاد وتكرر، وقال: إن القرآن كله يطلق عليه مثاني من جهة أن الأخبار والأحكام والعقائد تُثْنى فيه أو تُثَنَّى أي تعاد وتكرر، وكما قال الله عز وجل (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ)، يعني تُثَنَّى فيه الأحكام والأخبار والعقائد والقصص مرة بعد أخرى، وسورة الفاتحة على الصحيح تسمى هي التي قال الله سبحانه وتعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)، وسميت الفاتحة السبع المثاني؛ لأنها سبع آيات تثنى أي تكرر وتعاد في كل ركعة من ركعات الصلاة، والمفصل ما يلي المثاني من قصار السور، سمي مفصلا لكثرة الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل لقلة المنسوخ فيه، وآخره قل أعوذ برب الناس، وفي أوله اثنى عشر قول إذن بعد المثاني المفصل، والمفصل سمي بذلك لكثرة الفصل فيه بين سوره ببسم الله الرحمن الرحيم كما قال هنا في التعبير، قال: لكثرة الفصول فيه، وقال بعضهم إنما سمي مفصلا لإحكامه، من الفصل وهو القطع، فهو محكم ليس فيه شيء منسوخ أو لقلة المنسوخ فيه، والعلماء مجمعون على أن آخره سورة الناس، وأما أوله فقد اختلف فيه على اثنى عشر قولا ذكرها الزركشي -رحمه الله تعالى- ونقلها عنه السيوطي في الإتقان، فقيل: إنها من الصافات، وقيل من محمد، وقيل من الحجرات، وقيل من ق، وقيل من الرحمن، وقيل من الصف، وقيل من البروج، وقيل أقوال أخرى في معنى المفصل، لكن أصوب هذه الأقوال أن المفصل يبدأ من سورة ق، والدليل على ذلك حديث أوس بن حذيفة لما ذكر مجيء وفد سقيف إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان من بينهم، قال فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يخرج إلينا كل ليلة فيحدثنا، قال: فأبطأ علينا ليلة ثم جاء، فقلنا: أبطأت علينا يا رسول الله فقال: (إنه طرأ عليَّ حزبي الليلة فكرهت أن آتي حتى أتمه) قال: فسألنا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده، فلو حسبت هذه

السور لوجدت ثلاث البقرة وآل عمران والنساء هذه يقرأونها في ليلة، هذا حزب ليلة، والثاني خمس سور، ماذا بعد الثلاث؟ المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة، هذا حزب ليلة، وهكذا بعدها سبع سور ثم تسع سور ثم إحدى عشرة ثم ثلاث عشرة، تجد أن بعد هذا تكون سورة ق؛ لأنه قال بعدها وحزب المفصل وحده، فهذا مثل الصريح في أن حزب المفصل يبدأ من سورة ق، وهذا هو الصحيح والله أعلم الذي عليه الكثير من أهل العلم في معنى المفصل وبدايته، وسمي بذلك كما ذكرنا لأجل كثرة الفصول فيه، وقد ذكر العلماء أن المفصل ثلاثة أقسام: طوال وأوساط وقصار، طوال من أين؟ من ق إلى نهاية المرسلات، وأوساطه من أين؟ من عم إلى نهاية الليل، وقصاره من الضحى إلى سورة الناس بإجماع العلماء، وإنما نذكر هذا يا إخواني لأنه يهمنا في صلاتنا، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ في المغرب غالبا من قصار المفصل، ويقرأ في الظهر والعصر والعشاء من أوساط المفصل غالبا، ويقرأ في الفجر من طوال المفصل غالبا، إذن معرفة المفصل مهمة، ولذلك ينبغي على الإنسان أن يعرف هذا وخصوصا من الأئمة أن يعرفوا هذا الأمر حتى يقرأوا بالناس في صلاتهم بما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ في صلاته الجهرية والسرية.

نستعرض مجموعة من الأسئلة: تقول الأخت: فضيلة الشيخ: هل الأحرف الستة المتبقية لازالت موجودة أم لا أثر لها؟

وهنا تساؤل آخر: تقول: هل صحيح أن سبب حرق عثمان للمصاحف لأنها كانت على الأحرف السبعة حيث أدت للفتنة أم لأسباب أخرى؟ وهل نحن اليوم نقرأ القرآن بالأحرف السبعة أم بلغة قريش؟

تحدثنا كثيرا في الحلقات الماضية أو الدروس الماضية عن موضوع الأحرف السبعة أنه سيخصص له محاضرة كاملة ونجيب فيه على أسئلة الإخوة بإذن الله سبحانه وتعالى.

يقول: بعض من يشتغلون بالتفسير أول ما يبدأون به البحث عن المناسبة بين الآيات وبين السور فهل عندهم مستند من فعل المتقدمين في ذلك؟

نعم ... من المعروف عند المتقدمين، وقد ورد ذلك عن الصحابة وعن التابعين والمتقدمين من سلف الأمة ذكرُ المناسبات، لكنهم لم يكونوا يُعنون بهذا العناية التامة، بمعنى أنهم استفرغوا جهودهم للبحث عن المناسبات بين الآيات أو السور أو بين المقاطع أو بين القصص ونحوها لكن ثبت عنهم أنهم تحدثوا في هذا الشأن، وهذا يبين لنا يا إخواني أن ترتيب آيات القرآن توقيفي. إذن فينبغي البحث في الحكمة التي من أجلها جعلت هذه الآية بعد هذه الآية، وجعلت هذه القصة بعد تلك القصة، وذلك الخبر أو الحكم بعد الذي سبقه، فهذا شيء معروف عند أهل العلم من غير نكير إلا شيئا لا يكاد يذكر كالذي ذكر عن الإمام الشوكاني، وهو محمول والله أعلم على أن التكلف في هذا العلم شيء مذموم لا ينبغي التكلف فيه والقطع فيه بشيء من دون أن تكون هناك بينة من وحي أو أمر معروف عند السلف الصالح.

يقول السائل: عند الإمام حمزة الزيات يجعل القرآن سورة واحدة فلا يفصل بين سورة وأخرى بالبسملة فما الدليل في ذلك وكيف نجمع بين ذلك وتسميات السور؟

حمزة وغيره لا يجعلون القرآن سورة واحدة، نعم.. قد لا تكون البسملة موجودة عنده في حرفه لأن الأحرف السبعة نزل في بعضها البسملة وفي بعضها لم ينزل البسملة، لكن الذي استقر عليه العمل هو الفصل بين السور بالبسملة وبقاء هذا الأمر، أما هذه السور فهي موجودة وثابتة في السنة الصحيحة وبإجماع المسلمين، وعدد سور القرآن كما ذكرنا مائة وأربعة عشر سورة لايختلف المسلمون في هذا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول(اقرأوا الزهراوين) ماذا يعني الزهراوين إذا كان القرآن كله سورة واحدة لكنه يجعل القرآن بمثابة السورة الوحدة لا يفصل بين سورة وسورة بسم الله الرحمن الرحيم هذا ممكن أما أن تكون كل سورة كيانا مستقلا فهذا لابد منه.

نأتي بعد هذا أيها الأحبة على ترتيب السور. هل هذا الترتيب الذي بين أيدينا اجتهاد من الصحابة أو توقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم- ؟

أما الآيات كما سيأتي معنا في الدرس القادم إن شاء الله فالصحيح الذي لا شك فيه ولا ريب كما قال الزركشي في البرهان أن ترتيبها بتوقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم- فليست إن شاء الله محلا للخلاف والجدال، أما ترتيب السور فقد وقع فيه الخلاف بين أهل العلم على ثلاثة أقوال ظاهرة:

القول الأول: أنه توقيفي، واستدل أصحاب هذا القول بإجماع الصحابة على ترتيبه كذلك على مصحف عثمان، يعني أن الصحابة رتبوه كذلك، ولم يعرف أنهم اختلفوا بترتيبه بحيث تمسك كل واحد منهم بالترتيب الذي رواه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أو الذي اجتهد فيه من نفسه مما يدل على أن هذا الترتيب توقيفي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- . والدليل الثاني هو الحديث الذي ذكرناه قبل قليل، حديث أوس ابن حذيفة عندما سأل أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كيف تحزبون القرآن قالوا: ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده، فلولا أن هذه السور كانت مرتبة في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- لما ذكروا هذا الأمر، كيف تكون ثلاث ثم خمس ثم سبع ثم تسع ثم إحدى عشرة ثم ثلاث عشرة ثم حزب المفصل وحده إلا وهي مرتبة كذلك ومحزبة على هذه الصورة في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وهذا الحديث من أقوى ما يستدل به على أن سور القرآن توقيفية، على أن ترتيبها توقيفي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وذكر السيوطي -رحمه الله تعالى- عدة أدلة يستأنس بها في كون هذا الترتيب ترتيبا توقيفيا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مثل حديث ابن مسعود في صحيح البخاري، قال عن سورة بني إسرائيل التي هي سورة الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء إنها من العِتَاق الأُول وإنهن من تِلادي، يعني من قديم ما أخذت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ورتبها على هذا النحو، والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا أراد أن ينام جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ المعوذات: قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق قل أعوذ برب الناس، ثم مسح على رأسه وما استقبل من جسده، وأيضا اقرؤوا الزهراوين وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على أن هذا الترتيب توقيفي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، واستدل السيوطي أيضا بأمر آخر على أن هذا الترتيب توقيفي، قال انظر إلى الحواميم تجد أنها مرتبة من غافر إلى الأحقاف سبع سور متوالية، وكذلك الطواسين جاءت متوالية، وأما المسبحات فلم تأت متوالية فلو كانت من ترتيب الصحابة لوالوا هذه وهذه وهذه، أي سوو بين هذه السور جميعا في الموالاة وكون بعضها يعقب بعض، لكن لما توالت هذه وهذه واختلفت تلك وهي المسبحات دل ذلك على أن هذا الترتيب ترتيب توقيفي، ثم انظر إلى الطواسين فإنه جعل طسم الشعراء ثم طس النمل بعدها ثم عاد مرة أخرى إلى طسم القصص علما بأن القصص أطول من النمل، ومع ذلك جعلت طس النمل وسطها مما يدل على أن هذا الترتيب ترتيب توقيفي. هذا ما استدل به العلماء على كون الترتيب توقيفي.

القول الثاني: وقال آخرون من أهل العلم وهم كثر إن هذا الترتيب اجتهادي، قالوا لاختلاف مصاحف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فإن اختلاف مصاحفهم يدل على أن هذا الترتيب ترتيب اجتهادي حيث إن كل صحابي يرتب مصحفه على ما يشاء، فيقال إن علي بن أبي طالب ـ والعلم في ذلك عند الله سبحانه وتعالى ـ قد رتب مصحفه على نزول القرآن، على ترتيب النزول، وأما مصحف ابن مسعود فقد رُتِّب: البقرة ثم النساء ثم آل عمران، ومصحف عثمان الذي بين أيدينا الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم النساء، ومصحف أبيّ فيه: الفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران، قالوا فاختلاف ترتيب الصحابة لمصاحفهم يدل على أنه لم يكن بأيديهم شيء منصوص عليه من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأيضا مما استدلوا به على ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ثبت عنه من عدة أحاديث كحديث حذيفة وابن مسعود أنه قرأ في قيام الليل سورة البقرة ثم النساء ثم آل عمران، فهذا ما استدلوا به على أن الترتيب كان اجتهاديا .

القول الثالث: يرى أن كثيرا من السور ترتيبها توقيفي، وبعض السور رتبت باجتهاد من الصحابة كسورتي التوبة والأنفال، فهم يجزمون بأن ترتيب كثير من السور كان توقيفيا من النبي -صلى الله عليه وسلم- بدليل قوله: وحزب المفصل وحده، هذا يدل على أن هذا الحزب قد رتبت سوره بترتيب من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهناك سور أخرى قد رتبت باجتهاد من الصحابة. فهذا قول أراد أن يجمع فيه صاحبه بين القولين.

والذي يترجح والله أعلم أن ترتيب السور توقيفي من النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنه فيما بين أيدينا هو كذلك في اللوح المحفوظ وفي السماء الدنيا، وليس بين هذه المصاحف أي اختلاف أو بين القرآن الذي بين أيدينا والقرآن الذي في السماء أي اختلاف، وأدل الأدلة على ذلك وأظهرها حديث أوس بن حذيفة عندما قال: سألنا أصحاب

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كيف تحزبون القرآن فقالوا ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشر وثلاث عشرة ثم حزب المفصل وحده وغير ذلك من الأحاديث التي ذكرناها في كون هذه السور مرتبة على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الصورة. هذا هو الذي يترجح والعلم في ذلك عند الله سبحانه وتعالى ولعلنا نقرأ كلاما للسيوطي -رحمه الله تعالى- في هذا الباب حيث ذكر جملة من كلام الأئمة ممن رجحوا أن ترتيب القرآن على هذا النحو كان عليه كثير من أهل العلم المحققين، فهذا الذي اختاره السيوطي وجماعة من أهل العلم، تفضل أخي:

وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضا أو باجتهاد من الصحابة؟ خلاف فجمهور العلماء على الثاني، منهم مالك والقاضي أبو بكر في قولين القاضي أبو بكر هذا ابن الباقلاني -رحمه الله تعالى- له قولان في هذه المسألة قال ابن فارس: جمع القرآن على ضربين أحدهما تأليف السور كتقديم سبع الطول وتعقيبها بالمئين، فهذا هو الذي تولته الصحابة وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي تولاه النبي -صلى الله عليه وسلم- كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، ومما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف عليّ كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم نون ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني، وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد، وكذا مصحف أبيّ وغيره، وأخرج ابن أشته في المصاحف من طريق إسماعيل بن عياش عن حبان بن يحيى عن أبي محمد القرشي قال (أمرهم عثمان أن يتابعو الطول فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة في السبع ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم) وذهب إلى الأول جماعة منهم القاضي في أحد قوليه، قال أبو بكر ابن الأنباري «أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جوابا لمستخير ويُوقف جبريل النبي -صلى الله عليه وسلم- على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، كله عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن » إذن ابن الأنباري -رحمه الله تعالى- يرى أن هذا الترتيب ترتيب توقيفي وأنه مطابق موافق لما عليه القرآن في السماء الدنيا وفي اللوح المحفوظ. وقال الكرماني في البرهان ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولا (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ)[البقرة: ٢٨١]، فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين، وقال الطيبي أنزل القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقا على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ، قال الزركشي في البرهان: والخلاف بين الفريقين لفظي لأن القائل بالثاني يقول إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي -صلى الله عليه وسلم- مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم. فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر وسبقه إلى ذلك أبو جعفر ابن الزبير

إذن الزركشي -رحمه الله تعالى- يرى أن الخلاف بين القول الأول والقول الثاني من يقول بالتوقيف أو يقول بالاجتهاد أن الخلاف لفظي بينهما، قال: لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- رتب أكثره، وبقيت سور تركها النبي -صلى الله عليه وسلم- لاجتهاد الصحابة، لكن يعرفون كيف يضعونها على ترتيب المنزل على الترتيب المحكم الموحى به المنزل من عند الله سبحانه وتعالى، قال: فآل الأمر إلى أنه يعني كل هذا الترتيب أشبه ما يكون ترتيبا توقيفيا.

وقال البيهقي في المدخل كان القرآن على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- مرتبا سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان السابق، ومال ابن عطية إلى أن كثيرا من السور كان قد عُلم ترتيبها في حياته -صلى الله عليه وسلم- كالسبع الطول والحواميم والمفصل، وإن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده .

إذن ابن عطية صاحب المحرر الوجيز -رحمه الله تعالى- يرى الرأي الثاني وهو أن بعض السور قد رتبت بالتوقيف وبعضها قد رتب باجتهاد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

وقال أبو جعفر ابن الزبير الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية وبقي منها قليل يمكن أن يجري فيها الخلاف كقوله (اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران) رواه مسلم.

إذن بقية الكلام قد أسلفناه قبل قليل في بيان اختلاف العلماء، وإنما أردنا أن نطلع على جملة مما ذكره أهل العلم في هذه المسألة المشهورة بينهم.

بقي عندنا أيها الأحبة ما الموقف من هذا الترتيب؟ يعني على أي الأحوال سواء قلنا إنه اجتهادي أو قلنا إن الترتيب توقيفي من النبي -صلى الله عليه وسلم-. الآن استقر الأمر على ترتيبه على هذا النحو الذي أجمع عليه الصحابة بدءاً بالفاتحة وختاما بسورة الناس، يجب على المسلمين أن يحترموا هذا الترتيب، وأن ينبذوا جميع الدعوات التي تنادي بإعادة ترتيبه حسب نزوله أو ترتيبه على حسب الموضوعات، فإن هذه الدعوات خروج عن الإجماع السابق الذي استقر عليه أمر هذه الأمة، وهذه الدعوات لا شك أن الاستجابة لها ستؤدي إلى أمر عظيم وهو اختلاف الأمة في كتاب ربها، هذا الكتاب الذي أجمع المسلمون عليه على هذه الصورة ولم يختلفوا فيه من لدن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذين كانوا عملوا جهدهم على ضبطه وروايته وحفظه وإتقانه إلى يومنا هذا، ولذلك نحن نقول تجب محاربة هذه الدعوات ونبذها، والتشكيك في حال من يحاول أن يدعوا الناس إلى ترتيب القرآن على حسب النزول أو حسب الموضوعات، يا إخواني هب أننا رتبنا القرآن على حسب النزول، باجتهاد من سنأخذ؟ سيأتي هذا العالم وهذا الرجل يرتبه ترتيبا يخالفه فيه الآخرون، ثم يصبح للمسلمين عدد من المصاحف يختلفون فيها كل يرتب على حسب ما يشاء، فنقول يجب أن يبقى المصحف على ما هو عليه وعلى ما اتفق عليه الصحابة، وألا يغير منه شيء، ونرضى بما رضي به الرعيل الأول الذين كانوا أدرى بهذا التنزيل وأعرف بمواقعه، وأكثر فهما له منا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على الاتباع لا على الابتداع.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: هناك سور مكية وسور مدنية، لماذا لم تكن كلها مكية أو كلها مدنية ؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أحد الإخوة مرة قال لي إن طه اسم من أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- واستدل بقول الله تعالى (طه(١)مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)[طه: ١، ٢]، فقلت له على كلامك هذا ـ الر ـ اسم من أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- لأن الله جل وعلا قال (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ)[الرعد: ١]، فهل هذا الرد صحيح عليه؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ذكرت تعريف السورة أنها طائفة مستقلة من آيات القرآن الكريم مفتتحة ببسم الله الرحمن الرحيم فهل هذا التعريف الذي هو مفتتحة ببسم الله الرحمن الرحيم يسقط سورة التوبة باعتبار أننا رددنا على قول مجاهد لما جعل سورة التوبة والأنفال سورة واحدة.

السؤال الثاني: كيف نرد على أصحاب القول الثاني وهم قالوا إن ترتيب السور باجتهاد الصحابة فقالوا إن مصحف عليّ مرتب كذا مصحف أبيّ كذا؟

سأل الأخ عن المكي والمدني يقول لماذا لم تكن السور كلها مكية أو مدنية نقول النبي -صلى الله عليه وسلم- عاش جزءا من دعوته في مكة ثم هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وكان القرآن ينزل هنا وينزل هناك فالعلماء لكي يفرقوا بين هذا النازل في أول الأمر والنازل في آخر الأمر جعلوا ما يسمى بالمكي والمدني، وذلك لأن القرآن قد اختلف تماما في موضوعاته وما يطرحه ومناقشاته ونوع الناس الذين يتحدث إليهم بين مكة والمدينة، فكل ما نزل قبل الهجرة يسمى مكيا وما نزل بعد الهجرة يسمى مدنيا ولا بد من هذا.

الأخ يقول إن صاحبه يقول له إن طه اسم للنبي -صلى الله عليه وسلم- فنقول لم يرد في حديث لا صحيح ولا ضعيف أن طه من أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- وغاية ما يحتج به في هذا المقام هو قول الله سبحانه وتعالى (طه(١)مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)، فنقول إن كلمة طه هي من الحروف المقطعة التي افتتحت بها سور القرآن الكريم وعددها تسع وعشرون سورة، افتتحت بحروف مقطعة مختلفة يس ق ن ص الم المر إلى آخره، فهذه كلها حروف مقطعة افتتحت بها السور، ولا يصح أن يقال إن هذه الأسماء لأحد بعينه كرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ولم يعرف أن أحدا من السلف قال أو ادعى أن طه ويس من أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم-.

نقول: إننا ذكرنا في تعريف السورة بأنها طائفة مستقلة مفتتحة ببسم الله الرحمن الرحيم ذات مبدأ ومقطع مفتتحة ببسم الله الرحمن الرحيم، نقول إن سورة التوبة ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، نقول نعم ولذلك نجد كثيرين من الكاتبين في علوم القرآن لا يقولون مفتتحة ببسم الله الرحمن الرحيم وإنما ذكرت ذلك؛ لأن هذا هو الغالب ولا يستثنى من ذلك إلا سورة التوبة وهو معلوم أنه ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم، فالتعريف ببسم الله الرحمن الرحيم أو ذكر ذلك في التعريف لا يكون منضبطا، يعني حاصرا لجميع سور القرآن، لكنا ذكرناه لأن أغلب السور على هذا النحو، والمقصود بالتعريف أيتها الأخت الكريمة هو توضيح المعنى وليس الضبط بمعنى أن يكون التعريف جامعا مانعا والعلم عند الله.

نقول أيضا عندها سؤال كيف نرد على من قال إن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، نقول استدلوا هم بأدلة إن مصاحف الصحابة مختلفة، نقول مصاحف الصحابة نعم مختلفة لكنهم لما كتبوا مصحف عثمان جاؤوا به على النحو الذي كان عليه في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- أما الصحابة فكان كل واحد منهم يرتب مصحفه بطريقته التي يقرأها، قد لا يأتي بالمصحف كاملا كما يقرأ في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ أنه لا يحفظ أو لم يجمع من القرآن إلا أجزاء منه أو سورا معينة منه، ثم إنهم استدلوا أيضا بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران، ونقول في الإجابة على هذا إن القراءة يجوز فيها أن يقرأ القارىء ويقدم السورة على صاحبتها أو على ماتقدم عليها، إذ الترتيب ليس واجبا في التلاوة لكن في هذا الوضع الذي عليه المصحف هو توقيفي من النبي -صلى الله عليه وسلم- على الصحيح، ولذلك لو قرأ القارىء مثلا في الركعة الأولى سورة الناس وفي الركعة الثانية سورة الفلق فلا بأس بذلك، ولو قرأ في الركعة الأولى سورة البقرة ثم النساء ثم في الركعة الثالثة آل عمران مثلا من قيام الليل فإن هذا لا بأس به ولا شيء فيه، وفعل النبي -صلى الله عليه وسلم- يدل على الجواز.

بعض أهل العلم فضيلة الشيخ يرى الوجوب في ترتيب السور خاصة في الفرض ويقول إنما ذلك إنما هو مختص في صلاة النفل وقيام الليل مثل ما ورد عدم ترتيب النبي -صلى الله عليه وسلم- في قيام الليل فما رأيكم فضيلة الشيخ؟

الذي يظهر والله أعلم أن النافلة والفريضة كلاهما سواء في الأحكام ما لم يدل الدليل على تخصيص أحدهما بشيء، فيجوز أن يقرأ في النافلة ويقرأ في الفريضة بالسور ولو لم تكن مرتبة، هذا هو الذي عليه أكثر أهل العلم وإن كان هذا هو خلاف الأولى، الأولى أن يقرأ القرآن مرتبا، والدليل على ذلك أن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- لما قال له رجل لقد قمت البارحة بالمفصل فقال ابن مسعود أهذّاً كهذ الشعر أو نثرا كنثر الدقل؟ إنما سمي مفصلا لتفصلوه، يعني توضحوه وتبينوه إني لأعرف القرائن التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرن بينها في صلاته ثم ذكر عددا من السور تبلغ عشرين سورة يقرأ النبي -صلى الله عليه وسلم- في كل ركعة بسورتين، غالب هذه السور على غير هذا الترتيب الذي نعرفه مما يدل على أن ترتيب سور القرآن في القراءة ليس واجبا ترتيب سور القرآن في القراءة في الصلاة ليس واجبا لكن الأولى التزام ذلك الترتيب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما قول الشوكاني في الترتيب الذي تذكره؟

في المناسبات ذكرنا قبل قليل أن أكثر أهل العلم على القول بالمناسبات وبعض أهل العلم لا يرى القول بالمناسبات، يعني أن يبحث عن مناسبة بين الآية وبين التي تليها فنقول إن الشوكاني -رحمه الله تعالى- لعله أراد التكلف في هذا الباب لأن من يقرأ في تفسير فتح القدير يجد أنه يذكر أحيانا المناسبة بين الآية والتي تليها أو القصة والتي تأتي بعدها أو السورة أحيانا والتي تليها مما يدل على أنه لا يقول بنبذ المناسبات بالكلية وإنما وجد من أهل العلم من تكلف في ذلك تكلفا ظاهرا حتى صار ذلك شيئا معيبا، لا يقال مثله في كتاب الله تعالى ، فنقول متى بدت وظهرت المناسبة وكان هناك علائق تدل على صحتها قيل بها، وإلا فإنه لا ينبغي التكلف في ذلك ونعلم أن لها حكمة ومناسبة لكن لم نطلع عليها.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: لي مداخلة وهي أنه ليس هناك تضارب أو تضاد بين ما أنزل الله تعالى من سور غير مرتبة على الترتيب وبين ما رتبه الصحابة وذلك لأن القرآن نزل ولله المثل الأعلى كما إنسان يبني عمارة هو عنده مخطط كامل للعمارة وكيف تكون لكن أحيانا يأتي بالخشب ويأتي بالأسمنت ويأتي بالحديد هذا قبل هذا وهذا قبل هذا، ولكن أثناء العمارة بعد ذلك يكون كل شيء مرتب كما أراد هو، لذلك ولله المثل الأعلى السور

نزلت حسب الوقائع والأحداث والسؤال والجواب والمناقشة والرد عليهم وما شاكل ذلك ثم بعد ذلك الله تعالى جعله كما هو في اللوح المحفوظ.

كما ذكر الدكتور ليس هناك تضارب بين ما آل إليه أمر القرآن وبين ما هو عليه في اللوح المحفوظ.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: هناك سؤال ذكرتم أن بعض الآيات نزلت في المدينة المنورة ولكن لها حكم المكي هلا تفضلتم بشرح هذا الموضوع ؟

الآيات التي نزلت في المدينة وأعطيت حكم المكي بمعنى أنها مثلا تناقش الكفار من مشركي مكة فيعطيها العلماء يقول هذا لها حكم المكي، أو تكون على ذات الأسلوب والطريقة التي نزل بها القرآن المكي، فهذه تسمى آيات مدنية ولها حكم القرآن المكي، ومثل ذلك أيضا ما نزل بالمدينة ما يسمى مدنيا وقد نزل بمكة؛ لأنه كان بعد الهجرة كقوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا)[المائدة: ٣]، ومثل آيات سورة الفتح وغيرها ومثلها أيضا قول الله سبحانه وتعالى (إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)[النساء: ٥٨]، فهذه الآية نزلت في مكة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ومع ذلك هي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أفضل تفسير لكي يبتدأ به طالب العلم ما هو ؟

أفضل تفسير يبتدئ به طالب العلم إذا كان مبتدئا في الطلب فأنا في نظري أن التفسير الميسر الذي أخرجه مجمع الملك فهد من أحسنها وأبينها، أو تفسير الشيخ السعدي، وإن ازداد بعد ذلك في أحد مختصرات تفسير ابن كثير فهذا فضل وشيء طيب، هذا إذا كان مبتدئا في الطلب أما إذا تجاوز ذلك فله أن يقرأ في الكتب المأمونة من تفاسير القرآن كتفسير ابن كثير وتفسير البغوي وغيرها من التفاسير المعروفة بصحتها وسلامتها، وأما طلاب العلم فالأمر في حقهم واسع.

بقي معنا فيما يتصل بموضوع سور القرآن حكمة تسوير القرآن لماذا جعل القرآن سورا ولم يجعل قطعة واحدة من أوله إلى آخره؟

ذكر العلماء لذلك حكما أشار إليها الزركشي في البرهان وأشار إليها السيوطي -رحمه الله تعالى- في الإتقان وغيرهم من الكاتبين في علوم القرآن فمن ذلك أيها الأحبة:

أولا: تيسير حفظه ومدارسته؛ لأنه إذا كان القرآن على جمل وطوائف وقطع معلومة يسهل حفظه وتسهل أيضا مذاكرته ومدارسته وفهمه.

ثانيا الدلالة على موضوع السورة وأهدافها، نجد أن سور القرآن كل سورة تحمل إما هدفا معينا وموضوعا محددا أو أكثر من موضوع، فلو كان القرآن برمته جملة واحدة وسورة واحدة ليس مفصلا ومقطعا كما هو عليه الحال الآن لشق على الناس معرفة هذه الفواصل أو هذه الموضوعات التي تحملها كل سورة.

الثالثة: التنبيه على أن الإعجاز يكون بالطوال ويكون بالقصار، ولا يظنن ظان أن إعجاز القرآن والتحدي به إنما يكون بالشيء الطويل منه بل يقال إن التحدي والإعجاز الذي كان بسورة البقرة أيضا موجود مثله في سورة الكوثر التي هي أقصر سور القرآن.

الرابع: التدرج في التعليم، عندما يتعلم الإنسان ويقرأ سورة ثم ينتهي منها يشعر أنه أخذ القرآن شيئا فشيئا، انظر إلى الأطفال عندما يبدأ بهم مثلا بسورة الإخلاص ثم ما وليها من السور القصيرة يكون ذلك أنشط لهم وأيسر في تعلمهم.

أيضا أن العادة جارية بتقسيم الكتاب إلى فصول وأبواب، والقرآن الكريم جاء على هذا المنهاج الذي جرت به العادة لأنه أيسر في الفهم وأدعى إلى النشاط كما سيأتي.

أيضا التنشيط في التلاوة، القاريء عندما يقرأ فيقرأ مرحلة ثم ينتهي منها ينشط في قراءة المرحلة الثانية لكن لو كان يقرأ قطعة كاملة متصلة من أولها إلى آخرها فإنه قد يكل ولا يجد من النشاط ما يدعوه إلى أن ينتقل من مرحلة إلى أخرى.

ومن ذلك أيضا اعتقاد الحافظ بلوغ منزلة من القرآن يعظِّم ذلك في نفسه يقول أنس -رضي الله تعالى عنه- (كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظمت منزلته فين) هذا الحديث رواه الإمام أحمد عن أنس ابن مالك -رضي الله تعالى عنه- ، فالحافظ عندما يحفظ قطعة من القرآن يقول معي سورة كذا وسورة كذا، فيحس بأن معه شيئا كبيرا من كلام الله سبحانه وتعالى ومعروفا من هذا القرآن.

هناك بعض المتفرقات نختم بها، أعظم سورة في القرآن هي سورة الفاتحة وقد ثبت ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث يعلى بن أمية (أي سورة معك من كتاب الله أعظم) أطول سورة في القرآن هي البقرة، أقصر سورة هي سورة الكوثر، هل يقال سورة صغيرة أو سورة قصيرة؟ أبو العالية الرياحي وجماعة من التابعين يكرهون أن يقال سورة صغيرة لأنه ليس في القرآن صغير بل كل القرآن كبير وإنما يقولون سورة قصيرة، وقد ورد عن ابن عمر أنه نهى عن تسمية المفصل بالمفصل، وقال: قولوا قصار السور أو صغار السور مما يدل على جواز تسمية السورة بسورة صغيرة أو قصيرة كما ذكر ذلك السيوطي -رحمه الله تعالى-، هل يقال سورة خفيفة؟ قال بعض السلف: لا يقال سورة خفيفة لأن القرآن كله ثقيل لقول الله تعالى (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً)[المزمل: ٥]، فهذا من الأدب في اللفظ ألا يقال في سورة من القرآن إنها سورة خفيفة.

القراءة في الصلاة بسورة كاملة هو الأفضل يعني أن يقرأ سورة كاملة إما في الركعتين أو يقرأ سورة كاملة في الركعة الأولى وسورة كاملة في الركعة الثانية، وهذا هو الأكثر من فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- في صلاته النافلة أو الفريضة فإن الأغلب أن يقرأ بسورة كاملة إما في الركعتين يقسمها عليهما أو يقرأ بسورة كاملة في الركعة الأولى وسورة كاملة في الركعة الثانية، ومع ذلك لو قرأ آية أو آيات في إحدى الركعات فلا شيء فيه لثبوت ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

هل التسوير خاص بالقرآن أو أن الكتب السابقة أيضا كانت فيها سور؟ الصحيح كما قال السيوطي -رحمه الله تعالى- أن الكتب السابقة كان فيها سور، فقد ورد أن الزبور كان فيه مائة وخمسون سورة وكان في الإنجيل سورة يقال لها الأنفال.

موضوع السورة - يعني العلماء -رحمهم الله تعالى- اجتهدوا في البحث عن موضوعات سور القرآن الكريم، فمن السور من تكون ذات موضوع واحد، مثلا سورة الشرح موضوعها نعم الله المعنوية على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، سورة الضحى موضوعها نعم الله الحسية على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأحيانا تكون السورة تحمل أكثر من موضع أو فيها الحديث عن أكثر من قضية كسورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء وغيرها من السور.

يقول: هل البسملة آية من كل سورة؟

البسملة ليست آية من كل سورة، ولذلك لا يكتب عندها رقم «١» ، ولكنها على الصحيح آية يؤتى بها للفصل بين السور كما قال ابن عباس كنا لا نعرف فصل السورة من السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم، وقد اختلف العلماء في البسملة من سورة الفاتحة هل هي آية منها أو ليست كذلك على أقوال قوية معروفة عند أهل العلم، الذي يترجح عندي منها أن البسملة ليست آية من سورة الفاتحة لأدلة كثيرة منها الحديث الذي في صحيح مسلم (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي) فبدأ بالحمد لله رب العالمين، وأيضا لأنه لا يجهر بها أيضا مع الفاتحة على الصحيح من أقوال أهل العلم، وأيضا لأنه قال (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) ومعنى قوله نصفين أن ثلاث آيات منها ونصف لله وثلاث آيات ونصف للعبد ولو جعلنا بسم الله الرحمن الرحيم معها لما جاءت في هذه السورة والأدلة على ذلك كثيرة.

جرت العادة أن نوجه سؤالين ونذكر بعنوان الدرس القادم.

أما السؤال الأول من الأسئلة التي نطالبكم بأن تبحثوا عن إجابة لها من خلال درسنا: ما الحكمة في تسوير القرآن؟

السؤال الثاني: اذكر موضوع السور الآتية؟ هذا من باب النشاط لكم أيها الأحبة حتى تعرفونا بمدى تفاعلكم مع الدرس: سورة النحل وسورة الشرح وسورة النور، ما موضوع هذه السور لأن كل سورة منها لها موضوع أو أكثر فما الموضوعات التي تتحدث عنها هذه السور؟

أما درسنا القادم إن شاء الله فهو عن آيات القرآن بعد أن تحدثنا عن السور نتحدث عن الآيات، والله أعلم.

الدرس الرابع عشر

آيات القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد أيها الأحبة فدرسنا في هذا اليوم هو الدرس الرابع عشر من دروس علوم القرآن وهو في موضوع آيات القرآن، وقد جرت عادتنا إن شاء الله بأن نقدم بذكر مجموعة من الأسئلة مراجعة للدرس الماضي:

فالسؤال الأول: تنقسم السور من حيث التسمية إلى ثلاثة أقسام اذكرها؟

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما، الإجابة على هذا السؤال من حيث تنقسم القسم الأول ما له اسم واحد مثل سورة الأنعام وسورة الكهف وسورة مريم وسورة طه وسورة الأنبياء، ماله أكثر من اسم مثلا اثنان مثل سورة محمد وتسمى أيضا سورة القتال، وما له ثلاثة أسماء مثل سورة غافر تسمى سورة غافر وسورة المؤمن وسورة الطول، وما له أكثر من ثلاثة أسماء مثل سورة التوبة تسمى سورة التوبة والفاضحة والمقشقشة وسورة براءة، وما له أكثر من ذلك مثل سورة الفاتحة نحو خمس وعشرين اسما وأيضا نعم لها أكثر من خمس وعشرين اسما تقول من أسماءها، سورة الفاتحة وسورة الحمد وسورة الكافية والشافية والسبع المثاني والقرآن العظيم يعني أكثر من خمس وعشرين اسما تقريبا هذا بالنسبة لأقسام السور من حيث التسمية .

أحسنت، جزاك الله خيرا.

السؤال الثاني: يقسم العلماء سور القرآن من حيث الطول إلى أربعة أقسام اذكرها؟

القسم الأول: السبع الطول والمئون والمثاني والمفصل

أحسنت السبع الطول والمئون والمثاني والمفصل هذه أقسام القرآن من حيث الطول.

السؤال الثالث: لم سمي المفصل بذلك وما أقسامه؟

سمي المفصل بذلك لكثرة فواصله وله ثلاثة أقسام الطوال والأواسط والقصار طوال وأواسط وقصار، طوال تبدأ من أين؟ من سورة ق إلى سورة المرسلات وأواسطه من عم يتساءلون إلى الضحى إلى الضحى أو إلى نهاية الليل وقصاره قصاره من الضحى إلى آخر سورة الناس.

وقيل سمي المفصل بذلك لأنه محكم يعني فصل محكم، ما دليل من قال بأن ترتيب سور القرآن توقيفي؟ قال جماعة من أهل العلم وهو الذي رجحناه بالأمس إن ترتيب سور القرآن توقيفي من النبي -صلى الله عليه وسلم- بم استدل هؤلاء؟

الدليل الأول ترتيب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لمصحف عثمان بن عفان واتفاقهم عليه الثاني: حديث أوس بن حذيفة .

أحسنت إذن الدليل الأول ترتيب الصحابة لمصحف عثمان واتفاقهم على هذا المصحف يدل على أن هذا الترتيب كان توقيفيا من النبي -صلى الله عليه وسلم-، والدليل الثاني الذي استدلوا به في هذه المسألة وعلى ترجيح هذا القول هو حديث أوس بن حذيفة الذي ذكرناه بالأمس عندما قال: (أبطأ علينا النبي -صلى الله عليه وسلم- ذات ليلة فلما جاء قلنا: أبطأت علينا يا رسول الله، فقال: إنه طرأ على حزبي من القرآن فكرهت أن آتي حتى أتمه، فسألنا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: نقرأ ثلاثا وخمسا وسبعا وتسعا

وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده) مما يدل على أن هذا الترتيب كان موجودا في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وأدلة أخرى أيضا ذكروها في هذا الميدان.

ننتقل بعد هذا يا إخواني إلى ذكر السؤالين الذين ختمنا بهما الدرس الماضي السؤال الأول: ما حكمة تسوير القرآن؟ ما الحكمة من تسوير القرآن؟

الإجابات: تقول: الإجابة تيسير حفظه ومدارسته، الدلالة على موضوع السورة وأهدافها، التنبيه على أن الإعجاز يكون بالطوال ويكون بالقصار، التدرج في التعليم، التنشيط في التلاوة

السؤال الثاني: اذكر موضوع السور الآتية: سورة النحل ـ الشرح ـ النور؟

تقول: سورة النحل: الشكر على النعم، سورة النور: شرع الله هو نور المجتمع، سورة الشرح: نعم الله على الرسول -صلى الله عليه وسلم-

سورة الشرح نعم الله على رسوله -صلى الله عليه وسلم-، هناك إجابات أخرى؟

تقول: من حكم تسوير القرآن الكريم تيسير حفظه ومدارسته وفهمه، الدلالة على موضوع السورة وهدفها، التنبيه أن الإعجاز يكون بالسور الطوال وبالقصار، أيضا التدرج في التعليم، أن العادة جرت بالتقسيم التنشيط في التلاوة، اعتقاد الحافظ بلوغ منزلة من الحفظ تعظم بها مكانته ومنزلته

إجابة السؤال الثاني: النحل: الشكر على النعم فهي من السور المكية وهي سورة مليئة بنعم الله تعالى، الشرح: تتحدث عن مكانة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومقامه الرفيع عند الله رب العالمين، النور: شرع الله هو نور المجتمع، سورة النور سورة مدنية تهتم بالآداب الاجتماعية عامة وآداب البيوت خاصة.

أحسنت فيما أجابت.

تقول في إجابة السؤال الأول: تيسير الحفظ على الناس وتحملهم على الدراسة، وعندما يتجاوز سورة أو عدة سور يشعر بأنه قد أنجز عملا فيكون حافزا له، سورة الشرح: بيان نعم الله تعالى المعنوية على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، سورة النحل: بيان نعم الله وما سخره لعباده وتسمى سورة النعم، سورة النور: بيان حكم القذف وكيفية اللعان

قولها سورة النور بيان حكم القذف واللعان هذه موضوعات داخلية ضمن سورة النور، فلو أنها قالت مثلا آداب اجتماعية عامة أو الحديث عن حفظ العورات وحفظ البيوت في الإسلام وأيضا الحديث عن المنافقين لكان أولى مما ذكرت.

اليوم درسنا أيها الأحبة كما قدمنا قبل قليل عن آيات القرآن الكريم، ومناسبة الحديث عن آيات القرآن هو أننا تحدثنا في الدرس الماضي عن سور القرآن، وتعلمون أن الذي جرنا إلى الحديث عن سور القرآن أننا لما تحدثنا عن جمع القرآن أردنا أن نبين هل سور القرآن على هذا النحو من اجتهاد الصحابة ونظمهم وتأليفهم أو أن ذلك كان منصوصا من النبي -صلى الله عليه وسلم- وموقفا من عنده؟ ولما تحدثنا عن السور ناسب أن نتحدث أيضا عن موضوع الآيات، آيات القرآن الكريم . وهذا الموضوع ليس بالطويل لكننا نذكر مايتيسر بإذن الله سبحانه وتعالى فيه ليتم لنا بذلك العلم بكل النقاط والقضايا التي يهم طالب العلم معرفتها في هذا الباب.

أول ما نبدأ به في آيات القرآن تعريف الآية، الآية في اللغة: تطلق على ستة معان، المعنى الأول: المعجزة، المعنى الثاني: العلامة، والمعنى الثالث: العبرة، والمعنى الرابع: البرهان، والمعنى الخامس: الأمر العجيب، والمعنى السادس: الجماعة، يعني هذه جملة ما تطلق عليه كلمة الآية في لغة العرب، فتطلق على المعجزة والعلامة والعبرة والبرهان والأمر العجب والجماعة، وعندما تنظر إلى هذه المعاني تجد أنها مقاربة إلى ما يراد منها في المعنى الشرعي، أما في المعنى الشرعي أو التعريف الشرعي: طائفة ذات مطلع ومقطع، طائفة من كلمات القرآن ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن، طائفة ذات مطلع ومقطع يعني بداية ونهاية

مندرجة في سورة من القرآن الكريم، وقولنا مندرجة في سورة من القرآن الكريم لنفرق طبعا بين الآية والسورة؛ لأن كلا من الآية والسورة طائفة ذات مطلع ومقطع، لكن بما أن هذه قلنا فيها مندرجة في سورة من القرآن الكريم فقد فرقنا بين الآية وبين السورة.

النقطة الثانية أيها الأحبة هي الحديث عن ترتيب آيات القرآن الكريم. ترتيب آيات القرآن الكريم لم يقع فيها خلاف كما وقع خلاف في ترتيب سور القرآن الكريم، فترتيب السور كما ذكرنا بالأمس فيه خلاف على ثلاثة أقوال، أما ترتيب الآيات فقد حكى الإجماع جماعة من أهل العلم على أن ترتيب الآيات على هذا النحو توقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم- تلقاه عن جبريل عن رب العالمين.

وقد ذكر السيوطي -رحمه الله تعالى- في الإتقان كلاما نقرأه يقول فيه، «فصل، الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، وأما الإجماع فنقله غير واحد، منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر ابن الزبير في مناسباته، وعبارته يعني عبارة أبي جعفر ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه -صلى الله عليه وسلم- وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين» انتهى كلامه، وسيأتي من نصوص العلماء ما يدل عليها، وأما النصوص ـ يعني من السنة النبوية ـ فمنها حديث زيد السابق (كنا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- نؤلف القرآن من الرقاع) أي نجمعه من الرقاع ـ الجلود ـ ، ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: (قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول؟ فقال عثمان: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض ما كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل في المدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطول) هذا حديث ابن عباس عن عثمان -رضي الله تعالى عنه- والحديث فيه كلام تكلم عليه الشيخ أحمد شاكر وضعفه، قال: ومنها ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال: (كنت جالسا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى)[النحل: ٩٠]،) إلى آخره، ومنها ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: (قلت لعثمان (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا)[البقرة: ٢٣٤]، قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه) مما يدل على أن هذا القرآن على هذه الصورة التي وصل إلينا بها هو كذلك في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: ومنها ما رواه مسلم عن عمر قال : (ما سألت النبي -صلى الله عليه وسلم- -صلى الله عليه وسلم- عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه في صدري) كلمة أصبع تقال بعشر لغات(بأصبعه في صدري وقال: تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء) فقوله: تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء دل على عدد من المعاني:

أولا: أن من القرآن ما هو صيفي وما هو شتائي كما بينا في موضوع المكي والمدني وأيضا في قوله التي في آخر سورة النساء يبين أن وضع الآيات مواضعها المعروفة بين أيدينا الآن كان من توقيف النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال: ومنها الأحاديث في خواتيم سورة البقرة، قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (من قرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه) إذن فالآيتين الأخيرتين اللتين نص النبي -صلى الله عليه وسلم- عليهما هما في هذا الموطن من وضع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومنها ما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعا (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) وفي لفظ عنده أي عند مسلم (من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف) ولفظ الأوائل أرجح من الأواخر.

قال: ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالا ما ثبت من قراءته -صلى الله عليه وسلم- لسور عديدة كسورة البقرة وآل عمران والنساء في حديث حذيفة والأعراف في صحيح البخاري أنه قرأها في المغرب وقد أفلح أي سورة المؤمنون، روى النسائي أنه قرأها في الصبح حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أخذته سعلة فركع، مما يدل على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد رتب هذا القرآن ولم يكن للصحابة فيه اجتهاد، وكان يتلوه على أصحابه،

ويقرأ به في صلاته على هذا النحو الموجود بين أظهرنا اليوم، قال: والروم روى الطبراني أنه قرأها في الصبح و(الم تَنزِيلُ) و(هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ) روى الشيخان أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأهما في صبح الجمعة، وسورة ق في صحيح مسلم كان يقرؤها النبي -صلى الله عليه وسلم- في الخطبة، والرحمن كما في المستدرك وغيره أنه قرأها على الجن، والنجم في الصحيح قرأها بمكة على الكفار وسجد في آخرها، والسجدة الآن موجودة في آخرها، واقتربت أي سورة القمر عند مسلم أنه كان يقرأها مع سورة ق في العيد والجمعة، والمنافقون كما في صحيح مسلم أنه كان يقرأ بها في صلاة الجمعة، ثم ذكر الشيخ جملة من الآثار والأحاديث الدالة على هذا المعنى ثم قال: نقل بعض كلام أهل العلم في هذه المسألة فقال: وقال مكي وغيره - مكي ابن أبي طالب القيسي -: قال: ترتيب الآيات في السور بأمر من النبي -صلى الله عليه وسلم- ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة وقال القاضي أبو بكر يعني ابن الباقلاني في الانتصار «ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا» وقال أيضا: الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله -صلى الله عليه وسلم- من آي السور، لم يُقدم من ذلك مؤخر ولا أخِّر منه مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ترتيب آي كل سورة ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة، وأنه يمكن أن يكون الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد رتب سُوره، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده ولم يتول ذلك بنفسه، قال: وهذا الثاني أقرب، هذا ترجيح ابن الباقلاني في موضوع السور وقد تقدم.

قال: وعن ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول: إنما أُلف القرآن يعني جمع القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وقال البغوي في شرح السنة: الصحابة -رضي الله تعالى عنه- جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئا، وخوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته فكتبوه كما سمعوه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من غير أن قدموا شيئا أو أخروه، ووضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل من القرآن على الترتيب الذي هو عليه الآن في مصاحفنا لتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة. وقال ابن حسار: ترتيب السور ووضع الآيات في مواضعها إنما كان بالوحي، كان الرسول -صلى الله عليه وسلم يقول: (ضعوا آية كذا في موضع كذا)، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف» انتهى كلامه -رحمه الله تعالى- .

يقول: فضيلة الشيخ هل كان جمع أبي بكر مخالف أم مماثل لجمع عثمان من حيث ترتيب السور؟

ذكرنا نحن في جمع أبي بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- أنه جمع الألواح والرقاع واللخاف التي كتبت في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، ووثقها أيضا مما نقلوه وشافهوا به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- . وقد كان في عهد أبي بكر مرتب الآيات باتفاق، وقد اختلف هل رتبت السور أو لم ترتب؟ خلاف بين العلماء على قولين.

وأما جمع عثمان فإنه قد أجمع الناس على أنه على الترتيب الذي وصل إلينا، وهذا النحو الذي بين أيدينا.

يقول: هل الآيات المتكررة نزلت بتكرار وما الحكمة؟

الآيات المكررة وكل شيء في القرآن نزل على النحو الذي بين أيدينا، ونقرأه في كلام ربنا سبحانه وتعالى، والتكرار له حكم كثيرة جدا، وقد كتب فيه العلماء كتبا منها كتاب الكرماني -رحمه الله تعالى- في أسرار تكرارالقرآن، وهو كتاب مشهور، وأيضا في كتب علوم القرآن يفردون موضوع التكرار بمبحث خاص، وله في كل موطن حكمة خاصة، ففي سورة الرحمن تكررت (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) ثلاثا وثلاثين مرة، وفي سورة المرسلات تكرر قوله سبحانه وتعالى: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) إحدى عشرة مرة، وكل موطن من هذه المواطن له حكمة خاصة يمكن للأخ أن يرجع إليها في كتب التفسير على سبيل القرب وفي كتب علوم القرآن على سبيل التحقيق والنظر والكلام في هذا الأمر.

يقول: هل صحيح أن سورة النور تسمى بسورة الأخلاق؟

لا أعرف هذا الاسم لسورة النور.

هناك سؤال كان في حلقة الأمس فضيلة الشيخ يسأل عن تنكيس القرآن، قراءة القرآن من آخر آية إلى أعلى آية؟ وهنا سؤال قريب من هذا يقول: ما حكم تقديم آية في الصلاة على آية مثل من يقرأ آخر سورة البقرة في الركعة الأولى وفي الركعة الثانية آية الكرسي؟

سنتكلم عن هذا في درس اليوم.

نقول تنكيس القرآن على نوعين:

ـ النوع الأول: تنكيس القرآن بمعنى تنكيس الآيات أن يقرأ السورة من آخر آية إلى أول آية فهذا حرام عند العلماء، ولا إشكال فيه لأنه مخالف للوضع الذي عليه القرآن الكريم.

ـ النوع الثاني: تنكيس السور، وقلنا إن هذا لا بأس به، بمعنى أن يقرأ سورة قبل التي بعدها أو السورة المؤخرة أولا ثم يقرأ السورة التي قبلها، فهذا جائز ولا شيء فيه، وقد ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يدل عليه، وإن كان استعماله على وجه الدوام خلاف الأولى لكن إذا فعله الإنسان أحيانا فإن هذا جائز لا إشكال فيه، بقي ما سأل عنه الأخ قبل قليل وهو أن يقرأ آيات من سورة معينة، وفي الركعة الثانية يقرأ آيات قبلها، فهذا أيضا لا بأس به وليس حراما؛ لأن المقصود بتنكيس الآيات هو أن يقرأ السورة من آخر آية إلى أولها ويعكس نظام السورة، فهذا هو الذي نص العلماء على تحريمه، أما إن قرأ آيات من السورة ثم طرأ عليه في الركعة الثانية أن يقرأ آيات قبلها كما فعل صاحبنا، يقول: قرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة وفي الركعة الثانية قرأ آية الكرسي وهي قبلها في آيات سورة البقرة، فهذا لا شيء فيه وإن كان خلاف الأولى.

ننتقل بعد ذلك إلى طريق معرفة بداية الآية ونهايتها، هل هذه الآيات التي بين أيدينا بداية ونهاية قد جائتنا هكذا بتوقيف من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو أن هذا كان محل اجتهاد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؟ قولان لأهل العلم في هذه المسألة:

القول الأول: أنه توقيفي للنصوص الواردة في ذلك وهي كثيرة جدا، تلونا بعضها قبل قليل، من قرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، فكونه ينص على أنهما آيتان من سورة البقرة يدل ذلك على أن هذه الآيات بهذا التقسيم وبهذه الطريقة موجودة في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أيضا من قرأ أو حفظ عشر آيات من سورة الكهف (من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال) كيف نعرف هذه الآيات العشر الأول والنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يبينها للأمة؟ فهذا يدل على أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد بين هذه الآيات بيانا شافيا للأمة، ومثلها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا قام من نوم ليل فإنه عليه الصلاة والسلام يقرأ العشر الآيات الأخيرة من سورة آل عمران، ومثله قول الله سبحانه وتعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)[الحجر: ٨٧]، فقد بينت الآية أن سورة الفاتحة سبع من المثاني، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- عن سورة الفاتحة (إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)، ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم- سورة ثلاثون آية شفعت لصاحبها يعني بذلك سورة (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ)، مما يدل على أن تقسيم هذه السور إلى آيات محددة معروفة البداية والنهاية هي من فعل رسول -صلى الله عليه وسلم-، ثم أيضا استدل العلماء -رحمهم الله تعالى- على ذلك بأمر آخر، وقالوا: مما يدل على أن هذا الترتيب توقيفي أننا إذا لاحظنا أن الحروف المقطعة ـ الم ـ في كل مواردها في القرآن جاءت آية مستقلة، بينما ـ الر ـ في كل مواردها في القرآن الكريم لم تأت آية مستقلة مما يدل على أن هذا بتوقيف من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنها لو كانت اجتهادية لجعلوا جميع الحروف المقطعة على قياس واحد ونمط معين مما يدل على أنها بتوقيف ونص من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومثال آخر في الطواسين طسم الشعراء وطسم القصص هذه جاءت آية آية وطس في سورة النمل وهي بينهما لم تجعل آية مستقلة بل جعلت بعض آية مما يؤكد لنا هذا المعنى أيضا، ومثله أيضا في يس وطس، يس جعلت آية، وطس وهي على نمطها وقياسها لم تجعل آية، فهذا يبين أن وضع هذه الآيات بهذه الصورة التي بين أيدينا توقيفي من النبي -صلى الله عليه وسلم- معروف بداية كل آية ونهايتها وليست اجتهادية، هذا قول كثير من أهل العلم.

وقال بعض العلماء إن معرفة بداية الآية ونهايتها منه ما هو سماعي وهو الذي ثبت لدينا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه حدده، ومنه ما هو قياسي، والراجح ما تقدم لقوة أدلته وظهور الأمر فيه.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى فوائد معرفة الآيات القرآنية، ما هي الفائدة من معرفة الآيات القرآنية؟ نقول: ذكر العلماء عددا من الفوائد ......

أولا : العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبي -صلى الله عليه وسلم- وفي حكمها الآية الطويلة، ذلكم أن الله سبحانه وتعالى قد بين في القرآن أو تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثله، وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر مكونة من ثلاث آيات، فكل ثلاث آيات في القرآن يقع بها الإعجاز والتحدي ويقع في نظيرتها أو في مثلها إذا كانت الآية طويلة.

إذن معرفة أو تحديد موقع الإعجاز من كلام الله سبحانه وتعالى يكون في ثلاث آيات فأكثر.

الثاني: بين العلماء -رحمهم الله تعالى- أن الوقوف على رأس الآية سنة متبعة، يعني كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقف على رؤوس الآي، وفي صلاته عليه الصلاة والسلام.

إذن فعلينا أن نتعرف على نهايات الآيات أو على كل آية على حدة، ونعرف حدها بداية ونهاية حتى نقف على رأسها لنتبع بذلك السنة الثابتة.

الثالث: ذكر السيوطي -رحمه الله تعالى- أن هناك جملة من الأحكام الفقهية تترتب على معرفة الآيات، منها مثلا عند الشافعية مَن جَهِل الفاتحة، قال: وجب عليه سبع آيات من القرآن الكريم بدلها، قال: إن هذا واجب عند الشافعية، إنسان لا يعرف الفاتحة وليس عنده أحد يعلمه الفاتحة لكن عنده قطعة من القرآن يقرؤها، فنقول: يجب عليك أن تحفظ سبع آيات منها حتى تصلى بها ولا تلجأ إلى أذكار أخرى تقولها في صلاتك.

فضيلة الشيخ إذا أذنت لي من النقطة السابقة هل قولهم في تعريف التجويد أنه إتقان الحروف ومعرفة الوقوف؟

الوقوف أعم من رؤوس الآية لأن الوقوف يكون في رؤوس الآية وهو سنة متبعة ويكون في أثناء الآية أيضا فقد يكون في الآية عشر مواقف أو أكثر من ذلك وهذا تعريف لعلي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه- .

ومن الأحكام الفقهية أيضا وجوب قراءة آية كاملة، ويكفي شطرها إن كانت طويلة في الخطبة عند بعض العلماء فإن بعض العلماء يرى أن من الواجب على الخطيب في خطبة الجمعة أن يقرأ آية كاملة من القرآن الكريم أو شطر الآية إذا كانت الآية طويلة، وأن الخطبة لا تصح إلا بهذا وهذا قول عند جماعة من الفقهاء، ومن ذلك من الأحكام الفقهية قراءة الآيات منكسة وقد تبين لنا قبل قليل إذا عرفنا الآيات وعرفنا المتقدم منها من المتأخر والمبدوء به والمختوم وقانا ذلك أن نقرأ آيات القرآن منكسة وأن نقدم بعضها على بعض، ومن ذلك أيضا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ في صلاة الصبح ما بين الستين إلى المائة، إذن كيف نعرف المقدار مقدار قيام النبي -صلى الله عليه وسلم- في صلاة الصبح إذا لم نكن نعرف هذه الآيات وتحديد بداياتها ونهاياتها، حتى أيضا مقدار ما بين الأذان والإقامة كان الصحابة يقدرونه بخمسين آية مما يدل على أن التقدير بالآيات كان معروفا عند الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

ومن ذلك أيضا اعتبارها في قيام الليل في قراءة قيام الليل، فقد ورد حديث عند ابن السني أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين) ، وقد علق الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- على هذا الحديث، فقال وجدت جزئي تبارك وعم يعدلان ألف آية، يعني من قام بهذين الجزئين فقد تحقق له هذا الفضل العظيم الذي ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث، وهو أنه من قام بألف آية كتب من المقنطرين أي أصحاب القناطير.

إذن بهذا نعرف أن معرفة الآيات مهم ومفيد لطالب العلم ولقاريء القرآن والمسلم بشكل عام.

نأخذ مجموعة من الأسئلة: هل الآيات من حيث ترقيمها وعددها وترتيبها بالسور اجتهادي أم توقيفي أم أن هناك شطر اجتهادي وشطر توقيفي؟

بينا قبل قليل أن معرفة الآيات تحديدها توقيفي على الصحيح طبعا، ترتيب الآيات توقيفي بلا إشكال وقد بينا ذلك بكلام طويل قبل قليل قد قرأناه من كلام السيوطي -رحمه الله تعالى-، وتحديد هذه الآيات بداية ونهاية الصحيح أيضا أنه توقيفي، أما عملية الترقيم فهذا شيء أُحدث بعد ذلك لتسهيل معرفة أرقام الآيات والرجوع إليها ولم يكن موجودا في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنما الذي كان موجودا هو بداية الآية ونهايتها.

كيف يكون بتر الآية وإذا مر شخص بمسجد وألقى التحية على شخص آخر وكان يقرأ في إحدى آيات القرآن فهل يقطع ليرد السلام أو يكمل حتى نهاية الآية؟

بتر الآية المقصود به أن يقطع عند مكان لا يصح فيه القطع، مثلا لو قرأ (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا)[المائدة: ١٧]، مثلا مثل هذا لا يصلح فيه الوقف، أو (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ)، لا يصلح هنا أن تقف لتفعل مثل هذا الأمر كرد السلام أو غيره، فهذا يسمى من البتر لكن لو وقف عند مكان يصح الوقوف عليه فرد سلاما أو نحو ذلك فلا شيء في ذلك مثل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ)[البقرة: ٢٨٢]، هنا تم المعنى، فبإمكان الإنسان أن يتكلم أو يشرح الآية أو يفعل ما يريد، وإن كان الأولى والأدب مع القرآن الكريم ألا يقطع الإنسان الآية حتى يتمها، لكن لو ألجئ إلى ذلك أو أراد شرح الآية فالأمر في هذا واسع لكن يقف عند مكان يصح فيه الوقوف، كما أنه لا يصح له أن يبدأ من مكان لا يصح فيه البدء مثل ما ذكرنا في الآية لو قال إنسان (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)، (إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) لا يجوز، ولذلك العلماء يضعون بابا في كتب التجويد باسم ماذا؟ الوقف والابتداء، الوقف يعني معرفة الوقف عند ما يتوقف الإنسان والابتداء عندما يريد أن يبدأ من أين يبدأ.

ومن فعل شيئا من ذلك وقف وقوفا غير مناسب ماذا يلزمه هل يعود ويقرأ الآية كله نعم إذا وقف وقوفا غير مناسب فليعد وليقرأ من حيث يتم المعنى ويفهم.

يقول: فضيلة الشيخ متى كان وضع الأرقام على رؤوس الآيات؟

لا أعرف ذلك.

يقول: ما هو عدد الآيات التي تجزيء مع الفاتحة في الركعتين الأوليين من الصلاة لأن من الناس من يقول بثلاث آيات قياسا على أقصر سورة؟

الواجب في قراءة الصلاة هو قراءة سورة الفاتحة، وما زاد على ذلك فهو سنة، فلو قرأ آية أو أكثر فقد قام بهذه السنة، وإن كان الأولى كما ذكرنا بالأمس أن قراءة الصلاة ينبغي أن تكون في الأعم الأغلب بالسور، إما أن يقسم السورة بين ركعتين أو يقرأ في كل ركعة بسورة كاملة وهو أفضل من قراءة آيات أو آية بعينها دون أن تكون سورة؛ لأن السورة أكمل في ذكر القضية والموضوع الذي يراد الحديث عنه.

بعد ذلك أيها الأحبة نتحدث عن عدد آيات القرآن الكريم. أجمع العلماء على أن آيات القرآن الكريم لا تقل عن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا بعد ذلك في الزيادة، فمنهم من قال إنها ستة آلاف ومائة وسبعة وسبعين آية، وأكثرهم زادوا على ستة آلاف ومائتين، ولم أجد ستة آلاف ومائة وسبعة وسبعين آية إلا في قول ذكره الزركشي عن عطاء، وأما أكثر أهل العلم العادِّين لآيات القرآن الكريم فقد عدوها أكثر من ستة آلاف ومائتي آية، فمنهم من قال ستة آلاف ومائتين وأربعة، ومنهم من قال ستة آلاف ومائتين وأربعة عشر، ومنهم من قال ستة آلاف ومائتين وخمسة وعشرين، ومنهم من قال ستة آلاف ومائتين وستة وثلاثين، وسبب اختلافهم في هذا معلوم كما قال الزركشي -رحمه الله تعالى- قال: لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقف على رأس الآية ليعلمهم برأس الآية، وكان أحيانا يصل الآية بما بعدها ليتم المعنى.

فيظن من يسمع القراءة الثانية أن الآية لم يأتي رأسها بعد، إذن كان يقف أحيانا على رأس الآية ثم يقرؤها مرة أخرى عليه الصلاة والسلام مرتبطة بالآية التي بعدها ليتم المعنى، فكان بعضهم يظن أن الآية لم تتم فيقرن بين آيتين، أضف إلى ذلك أيضا بسبب اختلافهم في عدد الآيات أن منهم من يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من كل سورة وردت فيها، وهذا قول مشهور عند أهل العلم، الشافعية رأوا أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من سورة الفاتحة ومن كل سورة وردت فيها، وكثير من أهل العلم لا يعدونها آية مستقلة من السور التي وردت فيها، وهذا هو الصحيح فلأجل هذا اختلف العلماء في عدد الآيات.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى عدد كلمات القرآن وحروفه.

ـ بما أننا تحدثنا عن الآيات فنتحدث عن الكلمات والحروف، عدد الكلمات كما ذكر بعض أهل العلم سبعة وسبعون ألفاً وأربعمائة وتسعة وثلاثون ،أو تسعة وثلاثون وأربعمائة وسبعة وسبعون ألفا، هذا عدد الكلمات، وقيل بدل تسعة وثلاثين سبعة وثلاثين، وقيل أقل وأكثر، وذلكم أن الحجاج بن يوسف كلف الحسن البصري وثلاثة آخرين معه أن يقوموا بعد كلمات القرآن وحروفه فعدوها ووصلوا إلى هذا، وبقوا في هذا العمل كما ذكر ذلك ابن أبي داوود في المصاحف أربعة أشهر يقومون بهذا العمل، وكانوا يعدون بحب الشعير، كلما تجاوزوا حرفا وضعوا حبة من حبات الشعير حتى يضبطوا العدد، وأما عدد الحروف فهو ثلاثمائة وثلاثة وعشرون حرفا وخمسة عشر حرفا، وقيل غير ذلك وعلى كلٍ الاشتغال بهذا والانشغال به وجعله قضية لا شك أنه ليس من المقاصد لكن نحن ذكرناه لنبين عظم اهتمام أهل العلم وسلف هذه الأمة بكتاب ربها حتى ضبطوا فيه كل شيء، واستفرغوا فيه جهودهم وأوقاتهم، وصنعوا ما يعجز المتأخرون عن عمل مثله بإمكاناتهم التي كانت بسيطة لكنهم كانوا مجدين ومجتهدين في العناية بكلام الله سبحانه وتعالى.

وسبب الاختلاف في عد الكلمات أيها الأحبة أن الكلمة لها رسم ولها لفظ، فبكل واحد من هذين يقع الاعتبار، وهذا سبب الاختلاف في الكلمات وسبب الاختلاف في عد الحروف أن منهم من يعد البسملة آية من القرآن ومنهم من لا يعدها آية من القرآن وكذلك أحرف المد منهم من يعدها ومنهم من لا يعدها، فمثلا لو جئت إلى مثلا قول الله سبحانه وتعالى (سَبَّحَ لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ)[الحديد: ١]، منهم من يعد الحروف المنطوقة فقط ومنهم من يعد الحروف المكتوبة، فيقع الخلاف بين هؤلاء وهؤلاء، ويقول السيوطي في هذا الباب «والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته» يعني فلا ينبغي للإنسان أن يجهد نفسه في مثل هذا الأمر الذي لا يترتب عليه شيء، لماذا لا يترتب عليه شيء؟ لأن القرآن مضبوط كله من أوله إلى آخره فلسنا بحاجة إلى أن نضبط عدد حروفه أو كلماته خشية أن يزاد فيه شيء أو ينقص منه شيء، هو مضبوط لا يمكن لأحد أن يزيد فيه شيئا أو ينقص منه شيئال فلسنا في بحاجة بحمد الله تعالى إلى الاشتغال بذلك، لكن بعض الناس أيها الأحبة يرغب في العد من أجل أمر آخر وهو الترغيب في معرفة الأجر الذي يحصله من يقرأ القرآن الكريم، فإنه إذا قلنا أن من قرأ حرفا فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، وكان الإنسان إذا قرأ القرآن قرأ ثلاثمائة وثلاثة وعشرين وخمسة عشر حرفا فاحسب بعد ذلك كم يحصل الإنسان من الحسنات، اضربها في عشرة تصبح ثلاث ملايين ومائتين وثلاثين ألفا وخمسة عشر ألف حسنة، فهذا شيء كثير يرغب الإنسان بأن يقرأ القرآن ويجتهد فيه، هذا على القول بأن المقصود بالحرف هو واحد حروف الكلمة، وإذا قلنا المقصود بالحرف هو الكلمة فيكون الإنسان قرأ بذلك سبعة وسبعين ألفا وزيادة، يعني إذا قرأ القرآن حصل سبعة وسبعين ألف حسنة مضروبة في عشرة، فهذا خير كبير وأجر عظيم ينبغي لكل إنسان أن يحرص عليه ولا يفوته على نفسه.

مداخلة بسيطة ألا يدخل ذلك أيها الشيخ في قضية الإحصاء لا تحصى فيحصي الله عليك وإنما تترك لرحمة الله عز وجل ففضله واسع مهما كان الإنسان يعد فرحمة الله عز وجل أوسع

لا شك أن فضل الله أوسع مما يتوقعه الإنسان، وقد يؤتى الإنسان على نيته أكثر مما يؤتى على عمله لكنه إذا كان العمل معروفا وأراد الإنسان أن يضبطه ليعرف ما فيه من الخير حتى ينشط و يزداد من الخير هذا يكون شيئا طيبا ولا شيء فيه، وأما حديث (لا تحصى فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك) إنما ذكر في باب النفقة؛ لأن الإحصاء في النفقة قد يدعو الإنسان إلى البخل والإمساك، فأمر الإنسان ألا يحصى حتى يمن الله سبحانه وتعالى عليه بالأجر الكثير والخير العميم.

ننتقل بعد هذا إلى آخر ما لدينا في هذا الدرس الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا به إلى جملة من الفوائد: منها أولا أعظم آية، ما هي أعظم آية في القرآن؟ هي آية الكرسي، ولماذا كانت أعظم آية؟ نعم.. نحن نسأل لماذا كانت في الحديث أعظم آية لماذا نص علي أن آية الكرسي أعظم آية؟

لاشتمالها على توحيد الله

نعم .. لأنها قد استوعبت في توحيد الرب سبحانه وتعالى بأنواع التوحيد الثلاث، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وقد ذكر فيها من أسماء الله خمسة، وذكر فيها من صفات الله أزيد من خمس وعشرين صفة، وليس فيها شيء آخر غير ذكر الرب سبحانه وتعالى وأسماءه وصفاته، فمن أجل ذلك كانت هذه الآية أعظم آية في القرآن الكريم، وقد سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- أبي بن كعب فقال: (يا أبا المنذر أي آية معك من كتاب الله أعظم؟ فقال آية الكرسي، قال ليهنك العلم أبا المنذر) يعني مدحه على ما آتاه الله من علم عندما استنبط أن آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله؛ لأن التوحيد هو أعظم شيء يقوم به المسلم ويتقرب به إلى ربه سبحانه وتعالى، وهكذا يا إخواني في سائر المواطن نجد الآيات والسور التي تشتمل على التوحيد والتأكيد عليه تكون أعظم من غيرها. انظر إلى سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لأنها خالصة في ذكر الرب سبحانه وتعالى ليس فيها شيء آخر ولذلك سميت سورة الإخلاص.

ما أطول آية في القرآن؟ سؤال لكم أنتم أيها الأحبة .

آية الدين في سورة البقرة آية الدين في سورة البقرة فهي أطول آية باتفاق العلماء، وهنا يا إخواني لفتة لطيفة نقولها في هذا المجال، وهي أننا نلاحظ أن جملة من الآيات الطويلة جاءت في تنظيم حياة المسلمين وبيان معاملاتهم، والتدقيق في أحوالهم حتى تنتظم أمورهم، ولا يقع بينهم شحناء ولا شقاق، فهذا ننظر لآية الدين كلها في الأموال وفي توثيقها وكتابتها وضبطها والإشهاد عليها من أجل ألا يقع بين المسلمين خلاف ولا شقاق، انظر إلى آيات المواريث آيات طويلة، لم يدع الله سبحانه وتعالى قسمة الأموال لأحد، وإنما قسمها بنفسه سبحانه وتعالى؛ لأن المال عصب الحياة وقريب إلى قلوب الناس، ومن أجله تقع كثير من الخلافات، فجعل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات طويلة لتنظم حياة الناس المالية، وكذلك آيات العدد والطلاق وغيرها لتكون حياة الناس منتظمة طيبة قليلة الخلاف والشقة والنزاع.

أقصر آية في القرآن ما هي؟ يقول العلماء: إنها والضحى، والفجر، هذه أقصر آية من آيات القرآن الكريم، وأما أطول كلمة في القرآن فما هي؟

فسيكفيكهم الله، لا هذه تسعة حروف، أنلزمكموها هذه عشرة حروف، هناك واحدة مكونة من أحد عشر حرفا هي الوحيدة في القرآن أتعرفونها؟

في سورة الحجر فأسقيناكموه، هذه مكونة من أحد عشر حرفا.

قد يكون للآية اسم وقد لا يكون، بخلاف السورة وهذا أحد أهم الفروق بين الآية والسورة كيف ذلك؟ من الآيات ما له اسم مثل آية الكرسي وآية الدين، ومن الآيات ما ليس له اسم معين ككثير من آيات القرآن الكريم، أما السور فلابد لكلم سورة من اسم خاص بها أو أكثر من اسم كما بينا في الدرس الماضي، وهناك آيتان في القرآن جمعتا حروف المعجم يعني حروف الهجاء كاملة فما هي؟ آية واحدة جمعت حروف المعجم وآية أخرى جمعت حروف المعجم؟

آخر آية من سورة الفتح أو (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ)[الفتح: ٢٩]، آخر آية من سورة الفتح (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)، آخر آية من سورة الفتح قد اجتمعت فيها حروف التهجي كاملة، وكذلك قول الله سبحانه وتعالى (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ)[آل عمران: ١٥٤]، في سورة آل عمران فهاتان الآيتان قد جمعت كل واحدة منهما حروف المعجم.

ما حكم مس المحدث للوح الذي فيه الآية؟ الصحيح أنه يجوز للإنسان أن يمس اللوح أو يحمل الورقة التي فيها آية لأنه ليس قرآنا ولا مصحفا، وبهذا يجوز، لكن بعض أهل العلم يقولون: لا يجوز له أن يباشر مس الآية بيده.

إذن فهناك فرق بين المصحف وبين الصحيفة التي فيها المصحف، ننبه أيها الأحبة إلى أن الاستعاذة ليست آية من القرآن بل هي ذكر يقال قبل قراءة القرآن الكريم؛ لأن الله قال: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[النحل: ٩٨]، فهو ذكر يقال قبل قراءة القرآن الكريم، وبذلك نحن نقول لا ينبغي لمن يقرأ القرآن ـ إذا أراد أن يستعيذ ـ أن يستعيذ بنفس التلاوة التي يقرأ بها القرآن الكريم، بل يقول مثلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذكر يقال قبل قراءة القرآن الكريم، ثم يرتل ما يريد أن يقرأه من كلام الله سبحانه وتعالى.

عندي سؤال بسيط في بعض الطبعات الباكستانية في القرآن فيه حرف عين صغير في هامش الصفحة بعض الناس قالوا هذا انتهاء موضوع وبداية موضوع آخر وبعضه قالوا ـ لا ـ نهاية الركوع وبداية ركوع ثان فما صحة هذه الأقوال ؟

بالنسبة لأقصر آية ذكر الشيخ أنها والضحى أوالفجر فيه آيات تعتبر مرقمة مثل طه والحواميم ما أدري لو توضح فضيلة الشيخ؟

يقول: يسأل عن حرف عين الموجود في بعض المصاحف سواء المصاحف التي طبعت في باكستان أوغيرها، هذه علامة كانت معروفة قديما على مواضع الركوع يعني المواضع التي يريد أن يركع عندها القاريء الذي يقرأ مثلا في قيام الليل أو غيره، ويريد أن تكون مواضع ركوعه على معان جيدة بحيث ما يقطع القصة أو نحو ذلك، فهذه مواضع الركوع أو هذا الحرف وضع لهذا المعنى، وهو الركوعات في القرآن الكريم، والعلماء -رحمهم الله تعالى- قد نوعوا في هذا الباب فوضعوا أحزابا وأثمانا وأرباعا وأعشارا، واجتهدوا في هذا الباب كثيرا من أجل إعطاء القاريء فرصة لكي يقف عند المكان الذي يريد أو عند المكان القريب منه أو يصلى بما شاء في قيام الليل لأجل هذا الغرض، فهي علامة على كلمة ركوع أخذ الحرف الأخير منها ووضع لهذا الغرض .

وأما قوله والفجر والضحى فنقول إنه في كتاب البرهان وفي كتاب الإتقان ذكروا أن أقصر آية هي والفجر والضحى، ولماذا لم يذكروا الحروف المقطعة؟ لا أدري حقيقة لكن قد يكون والله أعلم إما لأنها حروف أو لأن كل واحد منها ليست كلمة واحدة بل هي أكثر من كلمة فمثلا حم هي كلمتان في الحقيقة حاء وميم، وهكذا حم عسق كتبت في القرآن على أنهما آيتان لكنها مكونة من عدد من الكلمات والله أعلم.

تقول: ما حكم قول: اشتريت مصحفا مع العلم أني سمعت أن هذا لا يجوز بل نقول استوهبت فهل هذا هو الصحيح

لا بأس شراء المصحف وقول الإنسان أو تعبيره بأنه اشترى مصحفا لا شيء فيه، فالصحيح جواز بيع المصاحف وشراؤها، وأن العمل هذا لا شيء فيه لأن الإنسان لا يبيع القرآن وإنما يبيع الورق والمداد والجلادة التي وضع فيها القرآن الكريم فلا شيء في هذا إن شاء الله، أما اشتريت القرآن فهذا هو الذي لا ينبغي لأن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى .

لو قلنا يا شيخ اشتريت قرآنا منكرة

لا ، ما يصلح، يقال مصحف، المقصود به الصحف والجلادة والورق.

يقول من كان يقرأ أثناء الصلاة من محفوظه ووقف عند آية لم يستذكرها هل يجوز له أن يتجاوز وينتقل إلى التي تليها أم يتوقف؟

نعم لا شيء في ذلك ما دام الذي منعه من قراءتها نسيانها وعدم استذكارها فإنه لا شيء في ذلك حيث ينتقل إلى الآية التي تليها؛ لأنه لو توقف قد يحرم نفسه بقية القراءة في الصلاة كلها فيقال له انتقل لأن القراءة في هذا لا شيء فيها.

يقول: فضيلة الشيخ هل صحيح أنه يجوز لمن لا يستطيع حفظ سورة الفاتحة أن يصلى بالباقيات الصالحات؟

نعم إذا لم يستطع حفظ الفاتحة ولا شيء من القرآن فإنه يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ونحو ذلك مما تقوم بها صلاته، وهذا في محل الضرورة لكن حتى يتعلم فاتحة الكتاب التي تجب على كل مصلى.

تقول: بعد دراستنا لهذه المادة وبفضل الله شعرنا بأهمية هذا العلم، وهل من الواجب علينا دراسة هذا العلم، وما هو القدر المطلوب لعامة الناس الاطلاع عليه في علوم القرآن وتسأل عن كتاب مبسط لهذه الفئة من الناس؟

بالنسبة لعلوم القرآن بينا في مقدمة الدروس حكم تعلم علوم القرآن، فقلنا هو فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الاثم عن الباقين، وأما أقل ما ينبغي معرفته من علوم القرآن فهو أن يعرف الإنسان قراءة القرآن الكريم ومعرفة أهم المعاني فيه، وأن يعتقد أن هذا كلام الله سبحانه وتعالى أنزله على رسوله، وأن الذي نزل به جبريل، وهذا كله جاء في القرآن الكريم، أما أن يتعلم الآيات والسور والمكي والمدني فهذا ليس بلازم على كل مسلم بل إذا بقي في المسلمين من يعرفه فإنه لا حرج على المسلمين في عدم تعلمهم لكن ينبغي أن يكون المسلم على حب تام لكتاب الله سبحانه وتعالى، ومن دلائل محبته لكلام الله أن يتعرف على هذا الكلام وأن يتبصر في نزوله، وجمعه وترتيبه، والمتعلم خير من الذي لا يتعلم (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ)[الزمر: ٩]، والكتاب المبسط من الكتب الميسرة في علوم القرآن كثيرة لكن منها وهو كتاب جيد، مقدمة في أصول التفسير لفضيلة شيخنا العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى رحمة واسعة- كتاب ميسر وسهل الفهم ويمكن للطالب أن يقرأه وأيضا قليل الصفحات.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هل يصح لي أن أقف على آية يعني في نصف الآية هي مناسبة للوقف لكن لم يوضع عليها علامة؟

تقفي على رأس آية أم على وسط الآية؟ في المنتصف لا ينبغي ليس هذا من الأدب، من الأدب ألا يقف الإنسان إلا عند نهاية الآية وهذا من حكمة تقطيع السورة إلى آيات حتى يقف الإنسان عند نهاية الآية لكن لو اضطر الإنسان إلى عطاس أو لأمر آخر فلا شيء في ذلك، أما أن يقطع التلاوة عند نصف الآية ولا يكمل الآية مع أن الآيات غالبها لا تتجاوز سطرين أو سطرا ونصف أو ثلاثة أسطر بالكثير غالب الآيات فهذا يعتبر من عدم الأدب مع كلام الله سبحانه وتعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عند قراءة القرآن في غير الصلاة ومررنا بآيات السجدة هل هناك ذكر وارد يقال عند الانتهاء من الآية أو نمر من الآية إلى التي تليها هل فيه ذكر معين للقاريء لأن أحدهم قال سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير؟ قبل السجود يقال هذا الدعاء إذا كانت غير الصلاة فلا أسجد فهل هناك ذكر يقال أثناء التلاوة أثناء التلاوة أم أثناء السجود أثناء السجود أنا لن أسجد يعني أثناء التلاوة

لا ما ورد في ذلك شيء لكن الأولى بالإنسان أن يسجد لأن السجود سنة مؤكدة وبعض أهل العلم مثل الحنفية يرون وجوب سجدات التلاوة، وشيخ الإسلام يرى أيضا وجوب سجود التلاوة خصوصا في المواطن التي ورد الأمر فيها بالسجود مثل قوله الله سبحانه وتعالى (كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)[العلق: ١٩]، فلا ينبغي للإنسان أن يترك السجود ما دام قادرا ومستطيعا، والصحيح الذي عليه أهل العلم أنه سنة وليس بواجب لكن لا يترك الإنسان هذا الأمر لأن فيه فضيلة عظيمة، السجود أقرب ما يكون الإنسان من ربه وهو ساجد، والشيطان يندم أشد الندم ويتحسر أعظم التحسر عندما يسجد ابن آدم فيقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد وأمرت بالسجود فلم أسجد أو فعصيت، يحرص الإنسان على السجود قدر استطاعته، وأما الذكر الذي يقوله الإنسان في السجود، هذه فائدة يمكن نقولها للإخوة المشاهدين، فإنه أولا يبدأ بقوله: سبحان ربي الأعلى لأنه لما نزل قول الله تعالى: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى)[الأعلى: ١]، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (ضعوها في سجودكم) ويقول أيضا (سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته فتبارك الله أحسن الخالقين)، وورد أيضا في حديث عند أبي داود (اللهم اكتب لي بها أجرا وضع عني بها وزرا واجعلها لي عندك زخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داوود)، فهذا إذا قاله كله فهذا أكمل ولو اقتصر على بعضه فلا بأس بذلك.

يا شيخ لو اقتصر على التسبيح فقط يجزيء لا بأس به .

هل يجب استقبال القبلة في سجود التلاوة؟

سجود التلاوة اختلف العلماء هل هو صلاة أو ليس بصلاة ؟ فمن قال إنه صلاة اشترط له ما يشترط للصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة والطهارة وغير ذلك، والصحيح والله أعلم أن سجود التلاوة ليس بصلاة، فعليه لا يشترط له ما يشترط للصلاة، وإن كان الأكمل أن يؤديه الإنسان مستقبل القبلة ساتر العورة متطهرا من الحدث.

أسأل: قال الشيخ بعضه سماعي وبعضه قياسي ما المقصود بذلك؟

السؤال الثاني: أكثر العلماء قالوا قراءة الحائض للقرآن جائز لكن هل قراءتها تعبدية يعني لها حسنات؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: تعلم أن المنظومات أسرع حفظا من النثر هل في هذا العلم منظومات مسهلة وميسرة شملت هذا العلم ؟

تسأل ما معنى كلمة سماعي وقياسي؟ سماعي يعني شيء مسموع عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وتوقيف عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يعني قد وقف الإنسان عند حدود ما سمع ولم يجتهد، وقياسي بمعنى اجتهادي يعني يقيس الناس ويجتهدون فيه بحيث يضعون حدودا للآيات أو حدودا للسور. هذا معنى كلمة سماعي أي شيء مسموع ليس للإنسان فيه دور إنما ينقله بأن يكون مسموعا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وقياسي أي اجتهادي.

وقولها المرأة الحائض أكثر أهل العلم على جواز قراءتها، نعم الصحيح من أقوال أهل العلم أن الحائض يجوز لها أن تقرأ القرآن الكريم لكن لا يجوز لها أن تمس المصحف، فتقرؤه من وراء حائل، وإذا قرأت فلها أجر كما لغيرها من القراء أجر، لا فرق بين من تقرأ وهي حائض أو يقرأ وهو محدث أو متطهر من حيث حصول الأجر لكل واحد منهم.

تشير إلى قضية الفرق بين القراءة التعليمية بعض الناس يفرق يقول هذه قراءة تعليمية وهذه قراءة تعبدية

قراءة القرآن الكريم ينبغي أن تكون في كل الأحوال عبادة لله سبحانه وتعالى وإذا كان الإنسان يعلم بها فحصل له عبادتان: عبادة التلاوة وعبادة التعليم، فيحصل بذلك أجرين كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى) يعني من نوى في العمل الواحد شيئين أجر أجرين ومن نوى فيه ثلاثة أمور أجر ثلاثة أجور وهكذا.

يسأل عن المنظومات الحقيقة.. لا أستحضر منظومات جيدة في هذا الفن ومعتبرة مأثورة عند أهل العلم، ولكن من المنظومات الموجودة منظومة للزمزمي، نظم فيها كلاما يسيرا للسيوطي في علوم القرآن، هي منظومة يسيرة، وقد شرحها الشيخ عبد الكريم الخضير في إحدى الدورات العلمية في هذه السنة، وهناك أيضا منظومة أخرى ولكني لم أطلع عليها لفضيلة الشيخ سعود الشريم، فلعل الأخ يبحث عنها ويطلع عليها، غير ذلك لا أستحضر.

هل قراءة سور القرآن الكريم في الصلوات من ناحية طواله ومثلا في الفجر وأوساطه في صلاة العشاء وقصاره في صلاة المغرب يعني واجب وجائز أم أنه فيه اختلاف وخصوصا أنه ثبت عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه قرأ سورة الأعراف في صلاة المغرب

أحسنت، طبعا قلنا في المفصل إن له طوالا وقصارا وأوساطا، وقلنا إن فائدة معرفة ذلك أن قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصلاة كانت مقيسة على هذه الطوال والأوساط والقصار، فكان في الفجر يقرأ غالبا من طوال المفصل، وفي العشاء والظهر والعصر من أوساط المفصل وفي المغرب غالبا من قصار المفصل ، لكن هذا الغالب قد يكون له ما يخالفه كما حصل من النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما قرأ في المغرب بالمرسلات، وقرأ أيضا في المغرب بالطور، وقرأ أيضا في المغرب بسورة الأعراف وهي طولى الطوليين، وتبلغ جزءا وزيادة، فهذا لا يمنع أن يقرأ الإنسان كما قرأ النبي -صلى الله عليه وسلم- وثبت عنه أنه قرأ في الفجر بالمعوذتين في حديث عقبة بن عامر، فهذا يدلنا على أن هذا هو الأكثر من فعل النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أقصر آية في القرآن ترد عليها بعض الأسئلة أو كذا هناك في بعض الروايات مثل رواية ورش أو بعضها ليست آية مثل طه ويس هل يعتبر ذلك غير متفق على آياتها أم لا؟ أيضا عندي اقتراح لو علمتنا شيئا من حكم الوقفات بارك الله فيك الوقف بدون الآيات

بالنسبة لاختلاف العلماء في العد هناك علم مستقل يدرس في كليات القرآن الكريم في الجامعات اسمه علم عد الآي، فالبصريون والكوفيون لهم طريقة في العد، والمدنيون لهم طريقة في العد، فهذا محله ذاك العلم فلسنا نخوض فيه ولكن مرت هذه الفائدة علينا قبل قليل في كلامنا حول أقصر آية من أجل التوقيف هذا العلم فقط لا غير، وأما بالنسبة لموضوع الوقوف فإننا نحيل الأخ إلى ما كتبه العلماء -رحمهم الله تعالى- في موضوع الوقف والابتداء، وهو علم أيضا مستقل ويدرس ضمنا في كتب التجويد ولعل الوقت ما يسعف بهذا فنرجيء إن شاء الله الكلام فيه.

نذكر بعنوان الدرس القادم ونأخذ الأسئلة

بالنسبة للدرس القادم سيكون بإذن الله تعالى عن علم القراءات، قراءات القرآن الكريم، وأما بالنسبة للسؤالين:

فالسؤال الأول: ما سبب الاختلاف في عد الآي؟

هذا السؤال الأول وأما السؤال الثاني: ما دليل من قال إن معرفة أول الآية وآخرها توقيفي ؟

الدرس الخامس عشر

القراءات القرآنية والقراء

إن الحمد له نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

فهذه - أيها الأحبة- هي المحاضرة الخامسة عشرة من دروس علوم القرآن. أسأل الله- تعالى- أن ينفعنا بها وأن يجعلها زاداً لنا إلى رضوان الله وجناته.

جرت عادتنا - أيها الأحبة- بأن نقدم بذكر أسئلة لنراجع بها ما تم ذكره في آخر محاضرة.

في الدرس الماضي تحدثنا عن آيات القرآن الكريم نسأل أربعة أسئلة:

السؤال الأول: تطلق الآية في اللغة عدة إطلاقات اذكرها؟

تطلق الآية في اللغة على عدة معان وإطلاقات منها: المعجزة والعلامة والعبرة والبرهان والأمر العجب والجماعة جاء القوم بآيتهم أي: بجماعتهم، أحسنت بارك الله فيك

السؤال الثاني: اذكر بعض فوائد معرفة الآيات؟

أولاً: العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبي -صلى الله عليه وسلم- وفي حكمها الآية الطويلة.

ثانياً: معرفة حرمة قراءة الآيات منكسة.

ثالثاً: أن من جهل الفاتحة وجب عليه بدلها سبع آيات عند الشافعي .

وغير ذلك من الفوائد التي ذكرناها في الدرس الماضي.

السؤال الثالث: هل ترتيب الآيات توقيفي أو اجتهادي؟

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الإجابة: أن ذلك توقيفي بالإجماع وكذلك أيضاً الراجح أنه توقيفي.

ترتيب الآيات توقيفي بالإجماع ولم يختلف العلماء في هذا بخلاف ترتيب السور فقد وقع فيه الخلاف.

السؤال الرابع والأخير: هل الاستعاذة التي يقولها القارئ قبل بدء القراءة آية من القرآن الكريم؟

لا.. ليست آية من آيات القرآن الكريم

أحسنت. هي ذكر يقدم بين القراءة وليست بآية قال الله - عز وجل- (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[النحل: ٩٨]، أحسنت جزاكم الله كل خير.

في الدرس الماضي طبعاً ختمنا بذكر سؤالين من أجل أن يراجع الإخوة المشاهدون المشاهدات معنا هذا الدرس:

فالسؤال الأول: قلنا: ما سبب الاختلاف في عد الآي؟

والسؤال الثاني: ما دليل من قال: إن معرفة أول الآية وآخرها توقيفي؟

إجابات الأسئلة: تقول: أجمع العلماء أن عدد الآيات لا تقل عن ستة آلاف آية ثم اختلفوا في الزيادة وأكثر العلماء على أنها ستة آلاف ومائتي آية ومنهم من قال: إنها ستة آلاف ومائتين وأربع آيات ومنهم من قال: إنها ستة آلاف ومائتي وستة وعشرين آية. والسبب في ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقف على رأس الآية ليعلمهم بها وكان أحياناً يصل الآية بما بعدها ليتم المعنى فيظن من يسمع أن الآية لم تتم بعد فيقرن بين آيتين ومنهم من يعد البسملة آية في كل سورة وكثير لا يعدها آية وهذا هو الصحيح إجابة جيدة.

السؤال الثاني: ما دليل من قال: إن معرفة أول الآية وآخرها توقيفي؟

تقول: الدليل على ذلك قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- (من قرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة...) فكون النبي -صلى الله عليه وسلم- ينص أنهما آيتان من سورة البقرة يدل على أن هذه الآيات بهذا الترتيب وهذه الطريقة موجود في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكرت أدلة أخرى

تقول: أجمع العلماء أن عدد الآيات لا تقل عن ستة آلاف آية ثم اختلفوا في الزيادة، وهي إجابة ممثالة لما قبلها، إجابة السؤال الثاني: تقول الدليل على ذلك قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- (من قرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة،) الآية. كذلك إجابة مماثلة

يقول: سبب الاختلاف في عدد آي القرآن أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقف مرة على رأس الآية ليعلِّمهم بها أو ليعلمهم بها ويصلها بما بعدها تارة أخرى ليتم المعنى فمن سمعه في الحالة الثانية ولم يسمعه في الأولى ظن أنها آية واحدة وأن بعض أهل العلم عد- بسم الله الرحمن الرحيم- آية من كل سورة. نفس الإجابة

اليوم درسنا كما أخبرناكم - أيها الأحبة- في خاتمة الدرس الماضي عن:

القراءات القرآنية والقراء

والحقيقة أن هذا الموضوع طويل جداً ولو فصلنا فيه وذكرنا ما ينبغي أن يذكر في مثله لاحتجنا إلى عدد من المحاضرات، ولكن- كما يقول- الناس يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، فنحن نذكر مهمات في هذا الباب ليتعرف عليها طالب علوم القرآن ومن أراد الزيادة فعليه بالرجوع إلى الكتب المتخصصة في مجال القراءات، فإن علم القراءات علم مستقل وفيه مؤلفات كثيرة جداً كما سنبين بعد قليل، لكن نحن في هذه المحاضرة نذكر بعض المصطلحات وبعض المهمات التي لا يستغني عنها طالب علوم القرآن فنسأل الله - سبحانه وتعالى- التوفيق والإعانة والسداد:

أولاً: تعريف القراءات: القراءات جمع قراءة والقراءة - كما بينا في تعريف القرآن- تأتي في اللغة بمعنى: الجمع والضم أو بمعنى التلاوة يقال: ما قرأت الناقة سناً قط يعني: ما جمعت في بطنها جنيناً وتكون أيضاً بمعنى التلاوة.

وأما في الشرع: فتعرف القراءات عند علماء القراءات بأنها: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله. تأمل هذا التعريف، علم بكيفية أداء كلمات القرآن: كيف تؤدى كلمات القرآن؟ والاختلاف الواقع في هذا الأداء، بين الرواة الذين اشتهرت عند الأمة قراءاتهم معزواً كل ذلك إلى ناقله فيقال: قراءة عاصم كذا وقراءة حمزة كذا وقراءة ابن عامر كذا وقراءة ابن كثير كذا ويذكر كل قراءة مع قارئها الذي قرأ بها ورويت عنه القراءة بها.

فهذا هو المقصود بعلم القراءات، ويراد بالقراءات - أيها الأحبة- أحياناً علم الدراية وأحياناً علم الرواية يعني: تجد كتاباً يتحدث عن القراءات القرآنية فتظن أنه يتحدث عن اختلاف القراء في كيفيات النطق بالكلمات القرآنية بينما هو يتحدث عن هذا العلم كيف نشأ ومن أين بدأ؟ وما هي المؤلفات فيه؟ فنقول: إن كلمة القراءات أو علم القراءات مصطلح يراد به أحياناً علم الدراية: معرفة كيف تم هذا العلم؟ ومن أين بدأ ؟ ومن هم القراء؟ ومن هم الرواة عن القراء؟ وما هي الطرق إلى هؤلاء القراء والأسانيد والصحيح منها والمقبول من هذه الأسانيد والمردود والمؤلفات في هذا العلم؟ وكيف وصل إلينا هذا العلم؟ وأول من ألف فيه؟ هذا يسمى علم الدراية.

وأما علم الرواية فالمقصود به: هو كيفية أداء كلمات القرآن معزواً كل ذلك لناقليه ومذكوراً فيه الرواة، فأحياناً يراد بعلم القراءات الدراية وأحياناً يراد بعلم القراءات الرواية ففرق بين الاثنين مثل لو يقال لك: فلان تعلم التجويد قد يراد به تعلم التجويد تطبيقياً لكنه لا يعرف مصطلحات علماء التجويد من إظهار وإدغام ومدود وغنن وغيرها وقد يقال: فلان تعلم التجويد ويراد بذلك أنه أخذ العلم المعروف عند أهل العلم بعلم التجويد فعرف الإظهار والإدغام والمد اللازم والمنفصل والمتصل والغنن وغيرها مما يعرف في علم التجويد.

بعد هذا - أيها الأحبة- نحتاج إلى أن نعرف أنفسنا بشيء مهم جداً في هذا الباب وهو أن علماء القراءة اصطلحوا في هذا الفن على عدد من المسميات، هذه المسميات إذا قرأتها أو إذا سمعت من يقرأ بالقراءات ستلاحظ هذه المصطلحات وتحتاج إلى معرفتها مثال ذلك: أنت الآن عندما تأخذ المصحف يقال: هذا المصحف برواية حفص عن عاصم ما معنى كلمة رواية؟ ولما يقال لك: هذه قراءة عاصم أو قراء نافع أو قراءة حمزة أو قراءة ابن كثير فهناك مصطلح اسمه قراءة وهناك مصطلح آخر اسمه رواية وهناك مصطلح ثالث اسمه طريق وهناك مصطلح رابع اسمه وجه ومصطلح خامس اسمه اختيار، فدعونا نذكر تعريف كل واحد من هذه المصطلحات الخمسة ونبين ما يريده علماء القراءة بكل واحد من هذه المصطلحات:

فالقراءة: ما نسب إلى أحد الأئمة- أئمة القراءة- مما اجتمعت عليه الروايات والطرق عنه، فما ينسب إلى الإمام مما اجتمعت الروايات والطرق عنه يقال له: قراءة.

الثاني الرواية: الرواية: ما نسب إلى الآخذ عن الإمام ولو كان ذلك بواسطة. فالذي يرويه الراوي عن الإمام يسمى رواية ولذلك يقال عندنا: رواية حفص عن عاصم، رواية شعبة عن عاصم رواية ورش عن نافع رواية قالون عن نافع، لأن ورش وقالون تلميذان من تلاميذ نافع فيسمى ما قرآ به عن الإمام يسمى رواية.

الثالث الطريق: وهو ما ينسب إلى الآخذ عن الرواي وإن نزل فكل من أخذ عن حفص ولو نزل أو عن شعبة ولو نزل أو عن ورش ولو نزل أو عن قالون ولو نزل يقال له: طريق.

والرابع الوجه: وهو ما نسب إلى تخير القارئ من قراءة يثبت عليها وتؤخذ عنه.

فإذا ثبت القارئ على وجه معين مما روى وأخذ عنه يقال: هذا وجه.

المصطلح الخامس في هذا الموضوع: هو الاختيار: وهو أن يختار القارئ من بين مروياته أو الرواي من بين مسموعاته أو الآخذ عن الراوي من بين محفوظاته وكل واحد من هؤلاء مجتهد في اختياره. ولعلنا نمثل بمثال يتضح به هذا الأمر ولو بشكل يسير مثلاً في سورة الروم قال الله - سبحانه وتعالى- (اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً)[الروم: ٥٤] هذه كلمة: ضعف فيها قراءتان: (اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ)، والثانية (مِن ضُعْفٍ) وهكذا في سائر الآية في كل موارد الضَعف والضُعف في الآية فكلمة ضعف بالفتح هذه قراءة حمزة اتفق الرواة كلهم عن حمزة بقراءتها ضَعف وهي رواية شعبة عن عاصم يعني: ما رواه شعبة عن عاصم رواها بفتح الضاد قال: ضَعف وهي طريق عبيد بن الصباح عن حفص عن عاصم فسمينا هذا طريقاً وسمينا ما ذكره شعبة أو ما جاء به شعبة عن عاصم رواية، وسمينا ما جاء عن حمزة قراءة.

فهذه المصطلحات ينبغي للطالب معرفتها حتى يتبين له الفرق بين ما يذكر من القراءات من الروايات من الأوجه من الطرق من الاختيارات.

ما هو موضوع علم القراءات؟ موضوع علم القراءات هو الكلمات القرآنية يعني: مجال البحث في القراءات القرآنية هو كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها وكيفية أدائها، فالموضوع هو ما يدور عليه العلم ويبحث فيه فما يدور عليه علم القراءات هو كلمات القرآن وكيفية النطق بها.

بعد ذلك نأخذ حكم تعلم القراءات، تعلم القراءات- كما ذكر بعض أهل العلم- فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين تعلماً وتعليماً سقط الإثم عن الباقين والحمد لله مازالت الأمة قائمة بهذا العلم تتعلمه وتعلمه وتنشره بين الناس وإن كان يقل في زمن لكن الأمة في الجملة قائمة بهذا العلم محافظة عليه محافظتها على كتاب ربها - سبحانه وتعالى.

هناك أسئلة: فضيلة الشيخ ذكرتم أن حكم تعلم القراءات فرض كفاية فهل هذا في مجتمع يكون كبيراً أم يكون في قرية أم في مدينة أم دولة وهكذا؟

المقصود: في المسلمين من يتقن هذه العلوم لتحفظ هذه القراءات وتروى وتبقى في المسلمين وتؤخذ مشافهة ولا يضيع شيء من كتاب الله - سبحانه وتعالى- فإذا قام في المسلمين من يؤدى هذا الدور وأدى فرض الكفاية عنهم سقط الإثم عن الباقين ولا يلزم أن يكون في كل قرية أو في كل مدينة أو في كل بلد من يتولى هذا الأمر لكن لا شك أن وجود واحد في كل أهل بلد أو في كل أهل ريف أوقرية يقوم بهذا الدور أنه خير لا شك في ذلك.

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى فائدة علم القراءت ما هي الفائدة التي نجنيها من تعلم علم القراءت؟ فنقول: هناك عدة فوائد نذكر شيئاً منها:

أولاً: العصمة من الخطأ في التلاوة فإننا إذا عرفنا علم القراءات عصمنا أنفسنا من الخطأ في تلاوة القرآن الكريم حيث إن الوارد في القراءات والمروي فيها محدود مضبوط فلا يجوز تعديه فمن تعدى شيئاً من هذا المضبوط المروي فقد زاد في القرآن وتعدى وظلم، فمثلاً قول الله - عز وجل-: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[الفاتحة: ٤]، فيها قراءاتان: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) و(مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) لكن لو جاء إنسان وقرأ (مَلَكَ يَوْمَ الدِّينِ) قلنا: هذه ليست بقراءة ثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فلا تجوز القراءة بها ولا يجوز لك تلاوتها في الصلاة ومن تلا بها في الصلاة فصلاته باطلة لأنه لم يقرأ هذه الآية كما وردت أو كما أنزلت على محمد -صلى الله عليه وسلم-.

الفائدة الثانية: التمييز بين ما يقرأ به وما لا يقرأ به من قراءات القرآن الكريم، فإن هذا العلم هو الذي يعرفنا ما تصح القراءة به وما لا تصح القراءة به.

الفائدة الثالثة: زيادة المعنى للآية القراءات من فوائدها أنها تزيد معنى الآية فمثلا في قول الله - سبحانه وتعالى- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ) [المائدة: ٦]، تأملوا يا إخواني (وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ) هذه مجرورة بالباء (وَأَرْجُلَكُمْ) هذه معطوفة على قوله: (وُجُوهَكُمْ) يعني: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلَكم إلى الكعبين لأنها معطوفة على منصوب هناك قراءة أخرى أيضاً ثابتة وصحيحة، (وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ) كيف نوجه هذه القراءة ؟ وجهها العلماء على أن الرجل أو الرجلين من بين سائر أعضاء الوضوء يحصل فيها شيئان: الغسل والمسح الغسل إن كانت مكشوفة والمسح إن كانت مستورة بالخفين ونحوهما.

فجاءت هذه القراءات لتبين هذين المعنيين مع أن اللفظ واحد لكن اختلف الإعراب فاختلف المعنى فحصل بذلك زيادة معنى في الآية.

- أو تبين المعنى في الآية (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ)[البقرة: ٢٢٢]، (وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) هذه قراءة الجمهور وفي قراء أخرى ثابتة وسبعية (وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطَّهَّرْنَ) فبينت هذه القراءة معنى قراءة الجمهور لأن قراءة الجمهور (حَتَّى يَطْهُرْنَ) يحتمل أنه حتى ينقطع عنهن الدم ويحتمل أن يكون معناها: حتى يطهرن أي يتطهرن بالاغتسال فجاءت هذه القراءة لتبين المعنى المراد من قوله (حَتَّى يَطْهُرْنَ) أي معناه: حتى يغتسلن ينقطع عنهن الدم ويغتسلن بعد ذلك.

إذن: القراءات فيها زيادة معنى وفيها في الوقت ذاته أيضاً بيان للمعنى في بعض القراءات.

الفائدة الرابعة: الاطلاع على يسر الشريعة وتيسير القرآن للتالين فإن ألسنة الناس لا تطاوعهم لو كان القرآن قد نزل برواية واحدة بقراءة واحدة، حيث إن نطق بعض الآيات قد يشق على بعض التالين خصوصاً مثلاً من العرب أو حتى من العجم ففي قراءة القرآن متسع للناس ويسر عليهم وهذه إحدى المسائل التي من أجلها اشتكى النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى جبريل عندما قرأ عليه القرآن بحرف واحد فقال:(إن أمتي لا تطيق ذلك) فاستزاده فزاده حرفاً ثانياً ثم ثالثاً ثم رابعاً ثم خامساً حتى وصل إلى سبعة أحرف، فمثلا بعض الناس يشق عليه أن ينطق بالهمزة في قوله مثلا (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)[البقرة: ٣] ما تواتيه حنجرته أو لسانه في أن ينطق بالهمزة ويأتي بها في وسط الكلمة لكنها موجودة في قراءة ثابتة سبعية عن النبي -صلى الله عليه وسلم- (الَّذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ) وهكذا في سائر المواطن.

الفائدة الخامسة: فيها بيان حفظ الله للقرآن فإن القرآن مع هذه الروايات ومع هذه القراءات المختلفة قد حفظ كله وجاء إلينا لم يزد فيه شيء ولم ينقص منه شيء مما يؤكد لنا المعنى الذي ورد في قول الله - سبحانه وتعالى- (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[الحجر: ٩].

الفائدة السادسة: من فوائد هذه القراءات فضل هذه الأمة وتعظيم أجرها: فضلها: حيث جعل الله- سبحانه تعالى- لها هذه الخصيصة بأن أنزل القرآن على هذه الأوجه فحفظت هذا القرآن وقامت به خير قيام فما زالت الأمة إلى اليوم تحفظ هذه القراءات وتثبتها وترويها وتنقلها وتؤلف فيها وأيضاً تعظيم أجرها بكثر التلاوة والتعلم والتفرغ لمثل هذا الأمر فإن ذلك يزداد به شرفها وتعلوا به منزلتها ويعظم به أجرها بإذن الله - سبحانه وتعالى-.

مصدر هذه القراءات:

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى مصدر هذه القراءات ما مصدر هذه القراءات ؟ لا شك أن مصدر هذه القراءات هو التوقيف والوحي قال الله - سبحانه وتعالى- (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي)[يونس: ١٥] فكل ما جاء في القرآن ليس من عند النبي -صلى الله عليه وسلم- شيء إنما أنزل هكذا فتلاه علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بهذه القراءات وبهذه الروايات وبهذه الطريقة التي نحن نتلوه بها ونقلتها الأمة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا لم يتغير شيء بحمد الله - سبحانه وتعالى- وكذلك قول الله -جل وعلا- (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ(٤٤)لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) [الحاقة: ٤٤: ٤٦]، مما يدل دلالة صريحة على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يتدخل في النص القرآني إنما كان دوره أن يبلغه للأمة كما قال الله - جل وعلا-: (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ(٣٨)وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ(٣٩)إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)[الحاقة: ٣٨: ٤٠] فهو رسول مرسل برسالة بلغها كما بُلِّغ وأداها كما أعطي وأنزل عليه - عليه الصلاة والسلام- ويؤكد هذا ما روي في صحيح البخاري عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة) معنى ذلك: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن بوسعه أن يزيد شيئاً من عند نفسه حتى يستأذن جبريل في أن يزيده هو فزاده جبريل ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة حتى وصل إلى السابعة.

فهذا يؤكد على أن هذه القراءات مصدرها الوحي وهي توقيفية لم يتدخل فيها أحد هكذا أنزلت من عند الله - سبحانه وتعالى- وهكذا تلاها المسلمون.

وبهذا نعرف بطلان قول من قال: إن مصدر القراءات هو لهجات العرب يعني: العرب يقرؤون القرآن بلهجاتهم وهذا الاختلاف الذي حدث إنما هو من اختلاف لهجاتهم لم يقرئهم النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن بهذه الصورة التي قرؤوه بها وهذا قال به طه حسين ولا شك أن هذا قول باطل وغير صحيح.

وبهذا أيضاً نعرف بطلان قول من قال: إن مصدر هذه القراءات هو اجتهاد القراء كحمزة وعاصم وابن كثير وابن عامر وغيرهم من القراء المعروفين هو اجتهاد منهم فنقول: هؤلاء القراء لم يجتهدوا في هذا الباب من جهة

أنهم اخترعوا هذه القراءات أو جاءوا بهذه الصور في تلاوة القرآن الكريم وإنما حفظوها وألقوها إلى الأمة كما سمعوها لم يغيروا ولم يبدلوا، وممن قال بذلك ابن مقسم وعبد القاسم الخولي.

وأيضاً يتبين لنا بذلك بطلان من قال: إن مصدر الاختلاف في القراءات هو رسم المصحف فبسبب اختلاف الرسم أو كون الرسم محتملاً لعدد من وجوه التلاوة حصل الخلاف بين القراء وهذا قال به المستشرق جولد تسيهر وهو قول باطل رد عليه العلماء في كتب مستقلة وبينوا تهافت قوله فلو كان رسم المصحف- مجرداً- هو سبب الاختلاف لكانت عندنا مجالات واسعة ورحبة كثيرة جداً لاختلافات يمكن أن يتلى بها القرآن ومع ذلك لم يتل بها القرآن مثل ما ذكرنا لكم مراراً في قوله: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ)[آل عمران: ٢٦]، مالك الملك يمكن أن تقرأ ملك الملك ومع ذلك لم يقرأ بها (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ)[الناس: ١: ٢]، يمكن أن تقرأ مالك الناس ومع ذلك لم يقرأ بها مما يدل على أن الرسم وحده ليس كافياً في اختلاف هذه القراءات بل هي هكذا وردت وهكذا أنزلت وهكذا تلقتها الأمة وتوارثتها الأجيال.

نشأة علم القراءات:

بعد ذلك - أيها الأحبة- نتحدث عن نشأة علم القراءات، بينا فيما سبق من دروس علوم القرآن - بحمد الله سبحانه وتعالى- كيف نزل القرآن على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولسنا بحاجة إلى إعادة هذا الأمر، ثم بينا بعد ذلك أيضاً كيف تم جمعه في عهد الصديق أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- وكيف تم جمعه في عهد عثمان -رضي الله تعالى عنه- إن عثمان -رضي الله تعالى عنه- لما كتب المصاحف ووحدهم على حرف قريش وما يوافقه من حروف أخرى التي ثبتت في العرضة الأخيرة كتب سبعة مصاحف وأرسلها إلى الأمصار وأرسل مع كل مصحف قارئاً يعلم الناس فأخذ الناس القراءة من هؤلاء القراء ثم تتابع الناس يقرؤون القرآن ويروونه ويتلقاه جيل بعد الجيل واستمر الناس على ذلك. لما كثر القراء وكثر الرواة وأصبحت أعدادهم في المصر الواحد لا تكاد تحصر خشي المسلمون أن يأتي إنسان فيُدخل في هذه القراءات شيئاً ليس منها ويختلط الأمر على من يأتي بعد ذلك من هذه الأمة، فتداعى المسلمون إلى ضبط القراء المأمونين المعروفين بطول أعمارهم في أخذ القرآن واجتهادهم وتوثقهم وكونهم أخذوه من عدد من المصادر وتلقوه تلقياً متقناً مضبوطاً، فضبطوا قراءاتهم حتى يقولوا للناس: هذه هي القراءات الثابتة الواردة التي لا يصح للإنسان أن يتجاوزها أو يزيد عليها لأنه يأتي إنسان مثلاً ويقرأ مثلاً على الشامية ثم يذهب إلى الكوفيين فيقرأ عليهم ثم يذهب إلى المكيين فيقرأ عليهم ثم يقول مثلا أنا: قرأت على المكيين والكوفيين والشاميين ثم يختار من بعض حروف هؤلاء وقراءتهم ومن بعض حروف هؤلاء وقراءتهم ومن بعض حروف هؤلاء وقراءتهم وتكون له طريقة مستقلة وقد يختلط عليه الأمر أو يزيد أو ينقص ولا يعرف الناس شيئاً من ذلك فجاء العلماء فأخذوا يضبطون القراءات من خلال معرفة الإمام المضبوط المتقن للقراءة ويدونون قراءته تدويناً تاماً ويقولون للناس: هذه هي الروايات المجمع عليها المضبوطة المتواترة التي تلقتها الأمة بالقبول وكتبوا ذلك ودونوه لئلا يستطيع أحد بعد ذلك أن يزيد شيئاً أو ينقص شيئاً ثابتاً.

وكان أول من عرف عنه تدوين ذلك أبو عبيد القاسم ابن سلام -رحمه الله تعالى- وهو من علماء القراءة فدون كتاباً في القراءة لم يصل إلينا لكنه ذكر خمسة وعشرين قارئاً أو أزيد من ذلك قد يبلغون الثلاثين أكثر من خمسة وعشرين قارئاً من قراء الأمصار الذين اتفقت الأمة على تلقي قراءتهم بالقبول وعرفوا بهذا الشأن وتناقل الناس عنهم القراءة وقرأ عنهم أمم بعد أمم فكان أول من عرف أنه ضبط هذه القراءات وأثبتها هو أبو عبيد القاسم ابن سلام ثم تتابع الناس بعده على ضبط هذه القراءات فجاء أحمد بن جبير الأنطاكي -رحمه الله تعالى- توفي عام ثمانية وخمسين بعد المائتين وجمع كتاباً ذكر فيه خمس قراءات، ثم جاء من بعده علماء آخرون حتى جاء ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى- توفي عام عشرة بعد الثلاثمائة فألف كتابه في القراءات وذكر فيه أكثر من عشرين قارئاً وجاء بعدهم أئمة ذكروا أكثر من ذلك بلَّغوها خمسين قارئاً وثلاثين قارئاً ونحو هذه الأعداد.

ثم جاء من بعد ذلك الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي المتوفي عام ثلاثمائة وأربعة وعشرين من الهجرة النبوية وتحرى فيما جمع الدقة والضبط والإتقان وكون من يثبتهم في كتابه هم أكثر من تلقت عنهم الأمة ومن انتشرت قراءاته في الأمصار فجمع سبعة قراء ولعله أراد أن يوافق عدد المصاحف التي كتبها عثمان وفرقها في الأمصار فجمع سبعة قراء، سنذكرهم بعد قليل ونبين أسماءهم، جمع هؤلاء السبعة وضبط قراءاتهم في كتاب سماه: السبعة.

ومن بعدها انتهت قراءات من سواهم فلم تعرف ولم تذكر وصار الذين يُعرفون بالقراءة وتروى قراءاتهم بعد ابن مجاهد سبعة قراء وسبب اختياره للسبعة كما ذكرنا هو كما يقول بعض أهل العلم: هو تعدد المصاحف التي نشرها عثمان في الأمصار لكن بعض أهل العلم تمنى لو أن ابن مجاهد زاد واحدة أو نقص واحدة حتى لا يختلط الأمر على الأمة فتظن أن القراءات السبع هي الأحرف السبع التي سنتحدث عنها- إن شاء الله تعالى- في درس مستقل لأن كثيرين من الناس الآن إذا ذكر الأحرف السبعة ظنوا أنها هي القراءات السبع وبينهما فرق سنبينه- إن شاء الله تعالى.

يقول القسطلاني -رحمه الله تعالى- «ثم لما كثر الاختلاف فيما يحتمله الرسم وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لأحد تلاوته وفاقاً لبدعتهم كمن قال من المعتزلة: (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)[النساء: ١٤٦]، قرؤوها (وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَى تَكْلِيمًا) ليجعلوا المكلِّم هو موسى لينفوا بذلك الكلام عن الله - سبحانه وتعالى- قال ومن الرافضة قوله: (وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)[الكهف: ٥١]، قرؤوها (الْمُضلَّينِ عَضُدًا) يعنون بذلك: أبا بكر وعمر، رأى المسلمون بعد ذلك أن يجمعوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم فاختاروا من كل مصر وجه إليه مصحف أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدراية وكمال العلم أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء واشتهر أمرهم وأجمع أهل مصر على عدالتهم فيما نقلوا والثقة بهم فيما قرؤوا ولم تخرج قراءاتهم عن خط مصحفهم» هذا سبب عناية العلماء بضبط القراءات في كتب مستقلة حتى لا يعتدي على هذه القراءات أحد من الناس.

وأما ابن مجاهد -رحمه الله تعالى- الله يقول الدكتور فهد الرومي- حفظه الله- في كتابه دراسات في علوم القرآن: «وأخذ بعض العلماء على ابن مجاهد اختياره للسبعة لما في ذلك من الإيهام بحديث الأحرف السبعة فقال أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي: لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءت هي المذكورة في الخبر- أي حديث الأحرف السبعة- وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة. وقد علل مكي بن أبي طالب سر اختياره سبعة فقال: ليكون على وفق مصاحف الأمصار السبعة وتيمناً بأحرف القرآن السبعة ثم قال: على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمنع ذلك إذ عدد القراء أكثر من أن يحصى» عدد القراء المأمونين المعروفين المضبوطين الضابطين كبير جداً كما بينا أن أبا عبيد القاسم ابن سلام قد اختار منهم أكثر من خمسة وعشرين وغيره اختار قرابة الخمسين كانوا كثيرين جداً لكن ابن مجاهد -رحمه الله تعالى- فعل ذلك لقصد يقول: « وقد دافع كثير من العلماء عن ابن مجاهد -رحمه الله تعالى- في ذلك بأنه لم يقتصر على هؤلاء السبعة إلا بعد اجتهاد طويل ومراجعة متأنية في الأسانيد الطوال وكان موفقاً في اختياره الذي حظي بموافقة جمهور العلماء والقراء وتأييدهم لأن الناس بعد ذلك قد ثبتوا على هؤلاء السبعة وزاد بعض القراء ثلاثة فكملوا بهم العشرة فصار القراء المأمونون المعروفون بضبط القراءة وتؤخذ عنهم قراءة القرآن هم هؤلاء السبعة ومعهم أولئك الثلاثة. قال: حيث إن كثرة الروايات في القراءات أدت إلى ضرب من الإضراب عند طائفة من القراء غير المتقنين فقد حاول بعضهم أن يختار من القراءات لنفسه خاصة فينفرد بها فقطع ابن مجاهد عليهم الطريق ودرأ عن القراءات كيدهم وعن القراء اضطرابهم ومما يدل على نزاهته -رحمه الله تعالى- وحسن قصده أنه لم يسعَ إلى أن يختار لنفسه قراءة تحمل عنه فيقال: قراءة ابن مجاهد مما يدل على أنه كان يريد أن يجمع القراءات التي كثرت في الأمة وكثر الآخذون لها وعرف أصحابها بالضبط والإتقان والدقة وحين سئل عن ذلك -رحمه الله تعالى- أجاب قال: نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا. »

وبعد ابن مجاهد -رحمه الله تعالى- كثرت المؤلفات في علم القراءات فمن أهم المؤلفات في علم القراءت كما ذكرنا كتاب ابن مجاهد -رحمه الله تعالى-: السبعة وهو متوفى عام أربعة وعشرين بعد الثلاثمائة ثم كتاب التذكرة لابن غلبون المتوفي عام تسعة وتسعين بعد الثلاثمائة ثم المبسوط في القراءات العشر ثم الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفي عام سبعة وثلاثين بعد الأربعمائة ثم جاء أبو عمرو الداني- رحمه الله تعالى- المتوفي عام أربعة وأربعين بعد الأربعمائة هجرية وألف كتابه المشهور في هذا الباب واسمه التيسير في القراءات السبع، ثم جاء من بعد الداني الشاطبي- رحمه الله تعالى- المتوفى عام سبعين بعد الخمسمائة وألف منظومته العجيبة في هذا الباب والتي يضرب بها المثل في الدقة والإتقان والضبط وأصبحت مرجع القراء بعد الشاطبي فمن أراد أن يتقن القراءات السبع فلا بد له من حفظ متن الشاطبية، وألف هذه المنظومة وسماها: حرز الأماني ووجه التهاني المعروفة بالشاطبية ثم جاء بعدهم خاتمة المحققين والقراء ابن الجزري -رحمه الله

تعالى- فألف كتابه المسمى: النشر في القراءات العشر فزاد على ما ذكروه السابقين بأن ضمن كتابه القراءات العشر وألف بعد ذلك منظومته المشهورة وهي طيبة النشر في القراءات العشر، وهي منظومة في القراءات العشر كلها، وابن الجزري توفي عام ثلاثة وثلاثين بعد الثمانمائة.

يقول: هل تصح صلاة من يجعل العين ألفاً كأن يقول: أنأمت أليهم؟

لا تصح الصلاة إذا بدل الإنسان حرفاً بحرف وكان قادراً على أن ينطق بالحرف بصورته الصحيحة فلا يجوز إبدال العين همزة ولا الضاد مثلاً زاياً كأن يقول: مثلاً ولا الظالين مثلاً ولا الذال زاياً يقول: صراط اللزين هذا كله لا يجوز مع القدرة أما من لا يقدر أبداً فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها لكن يقال له: اجتهد في أن تعدل لسانك وتنطق بالحرف كما أنزل.

هل علم التجويد من فروض الكفاية أم عيني؟

الحديث في علم التجويد هل هو فرض عين أو فرض كفاية؟ الحقيقة محل خلاف طول بين أهل العلم لكن نقول: ينبغي للإنسان أولاً أن يقرأ القرآن عربياً صحيحاً كما أنزل هذا أوجب شيء في الأمر فإذا قرأه عربياً صحيحاً كما أنزل بأن أخرج الحروف من مخارجها ولم يلحن في ضبط القرآن وإعرابه فإنه قد أدى القرآن بهذه الطريقة أداءً صحيحاً معتبراً فإن زاد على ذلك بأن أداه بالطريقة المروية بأن أعطى القرآن أو الحروف حقها ومستحقها وجاء بالغنن والمدود وغير ذلك فلا شك أنه أتى بالقراءة الصحيحة لكن هل هذا واجب أو مسنون خلاف كبير بين أهل العلم ليس هذا محل بيانه.

تسأل عن عبيد بن الصباح تقول: ذكرها بتخفيف الباء وهي تقرأها بالتشديد صحيح كلامها صحيح أنا قلت: الصبَاح وهي الصبَّاح.

يقول: هل للقاريء أن يلتزم بقراءة واحدة في الصلاة أو في غيرها أم يمكن له تنويع القراءات؟

تنويع القراءات لا بأس به ويسمى هذا عند العلماء تلفيق القراءات فلو قرأ مثلاً في صلاة بقراءة وفي صلاة أخرى بقراءة فهذا جائز بالإجماع، لكن إذا قرأ آية بعد آية. آية بقراءة وآية بقراءة أخرى فمن العلماء من يمنعه والصحيح جوازه بشرط ألا تترتب إحدى القراءتين على الأخرى مثال ذلك (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ)[البقرة: ٣٧]، تقرأ (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ) وتقرأ (فَتَلَقَّى آدَمَ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٌ) فلو جاء إنسان وقال (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٌ) هذا لا يحل لأن إحدى القراءتين ترتب على الأخرى أما إن لفق القراءات بحيث لم يخل بهذا الأمر فلا شيء فيه على الصحيح كما يقول ذلك جماعة من المحققين من أهل القراءة وغيرهم قد قرره ابن الجزري -رحمه الله تعالى- في كتابه النشر.

في حالة دخول مأموم المسجد ووجد إماماً يصلي بالناس ولكن لا يقيم القراءة فهل يصلي خلفه أم يصلى منفرداً ؟

إذا كان هذ الذي لا يقيم القراءة في الفاتحة فإنه لا تصح الصلاة خلفه، أما إن كان في غير الفاتحة فالصلاة صحيحة مع كراهة أو يجب أن لا يؤم مثل هذا الناس، لكن قد يضطر بعض الناس إلى إمامة مثل هذا لأنه لا يوجد أحسن منه فيقال: إن هذا تجوز الصلاة خلفه خصوصاً في غير الفاتحة أما في الفاتحة فلا.. لأن الفاتحة ركن الصلاة الأعظم.

معنى كلمة الرواية والدراية يقول الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى- في كتابه عن هذا الكلام فتح القدير هل هو يقصد معنى الذي بينتموه أم ماذا؟

يقول فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير الرواية يعني ما روي عن السلف الصالح ولذلك هو في تفسير كل آية أو مقطع من القرآن الكريم يأتي بالمرويات في آخر الآية عن ابن عباس وابن مسعود وغيره من الصحابة والتابعين ممن تروى عنهم التفاسير والدراية يعني ما فسر أو ما يذكره تفسيراً بالاجتهاد ويذكر من

ورائه الأحكام المتعلقة بالآية والنسخ والناسخ والمنسوخ والاستنباط من الآية وغير ذلك فهذا يسمى دراية وذاك يسمى رواية.

أقسام القراءات:

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى أقسام القراءات، القراءات تنقسم إلى عدد من الأقسام ولكن نكتفي منها بنوعين من الأقسام فنقول: القراءات تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين:

القسم الأول: القراءة المقبولة وهي كل قراءة صح سندها ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ووافقت أحد الأوجه العربية فهذه قراءة يقال لها: مقبولة ومن هذه القراءات المقبولة ما يكون متواتراً ومقبولاً عند الأمة وتصح الصلاة به ومنها ما يكون مشهوراً صحيح الإسناد ولم يصل إلى حد التواتر وقد اختلف أهل العلم هل يصلى به أم لا يصلى؟ ومنها ما يكون صحيح الإسناد لكنه آحاد لم يصل إلى حد الشهرة يعني: روي بطريق الآحاد فأقول: هذه شروط القراءة المقبولة:

الشرط الأول: أن يصح سندها وهو الشرط الأعظم في شروط القراءة المقبولة لأنه إذا لم يصح السند لن تصح القراءة بها ولن تعد قرآناً ولا يجوز أن يصلى بها أو تتلى على أنها قرآن مثل قراءة (مَلَكَ يَوْمِ الدِّينِ) هذه قراءة لم تصح إسنادها ومثل قراءة (إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ)[فاطر: ٢٨]القراءة الصحيحة هي (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) العلماء هم الذين يخشون الله - سبحانه وتعالى- ففي قراءة موضوعة (إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ)، فالله هو الذي يخشى، ولا شك أن هذه لا تحل القراءة بها.

قال: ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً لابد أيضاً لتصح القراءة وتكون مقبولة أن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو كانت هذه الموافقة احتمالاً لأن الموافقة نوعان: موافقة صريحة بأن تطابق القراءة الكتابة. وموافقة احتمالية والموافقة الاحتمالية أن يكون اللفظ المكتوب في المصحف العثماني يحتمل أن يقرأ بهذ الصورة مثل (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) مكتوب في الرسم العثماني ميم لام كاف بدون ألف فهذا موافق صراحة لقراءة (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) وموافق احتمالاً لقراءة (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) لأنه يزاد ألف صغيرة بعد الميم فتكون (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) فهذا معنى قولنا ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية فإذا لم توافق الرسم فإنها لا تقبل ولا تصح قراءتها ولا يجوز أن يقرأ بها في الصلاة وأن يتعبد الله - سبحانه وتعالى- بها مثل قراءة (والذَّكَرِ وَالأُنْثَى)[الليل: ٣]، في سورة الليل (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١)وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢)وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) يقرؤها بعض الصحابة (والذَّكَرِ وَالأُنْثَى) فهذه قراءة لا توافق الرسم العثماني المثبت عندنا فهي قراءة صحيحة الإسناد لكننا لا نقرأ بها لأنها لا توافق الرسم العثماني.

والشرط الثالث: ووافقت أحد أوجه العربية ولو كان هذا سواء كان فصحياً أو أفصح مجمعاً عليه أو مختلفاً فيه المهم أن توافق وجهاً في العربية، يقول ابن الجزري -رحمه الله تعالى- وقد نظم هذه الشروط:

وصح إسناداً هو القرآن*** فهذه الثلاثة الأركـــان

أي: هي أركان القراءة المقبولة. ويندرج في القراءة المقبولة القراءة المتواترة- كما أسلفنا- وهي ما رواها جمع يستحيل في العادة عليهم التواطؤ على الكذب عن جمع إلى منتهى الإسناد وأسندوه إلى شيء محسوس ويدخل فيها القراءة المشهورة وهي التي لم تبلغ حد التواتر لكن رواها جماعة من الناس والأحادية أيضاً الموافقة للعربية والتي صح إسنادها وليس فيها علة أو شذوذ وخالفت الرسم فإن هذه القراءة تعتبر مقبولة.

القسم الثاني: القراءة المردودة ويدخل فيها ما اختل فيه واحد من الضوابط السابقة بأن لم يصح إسنادها أو لم توافق رسم أحد المصاحف العثمانية أو لم توافق العربية بوجه من الوجوه.

- ومن الأنواع القراءة المردودة القراءة المدرجة وهي التي يذكرها القاريء إدراجاً للتفسير والبيان مثل قول الله- تعالى-: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ)[البقرة: ١٩٨]، هكذا في القرآن الكريم في رواية عن ابن عباس صحيح إسنادها (في مواسم الحج) فهذه يقول العلماء: إنها مدرجة لبيان المعنى، ومثلاً قوله في الحديث الوارد عن سعد بن أبي وقاص (وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ)[النساء: ١٢]، يقرأ: من أم. فهذه يقال: مدرجة مع صحة إسنادها لأن المراد بها إيضاح المعنى ، ولذلك أجمع العلماء على أن المراد بالأخ والأخت هنا هو الأخ والأخت من أم.

- ويدخل فيها القراءة الشاذة والقراءة الشاذة قال بعض العلماء: هي التي لم يصح إسنادها، وقال بعضهم: بل هي التي لم توافق الرسم العثماني سواء صح إسنادها أو لم يصح إسنادها فتسمى شاذة مثل قراءة (والذكرِ والأنثى) فإنه يقال فيها: إنها شاذة وإن كان إسنادها صحيحاً لأنها لم توافق الرسم العثماني ومثلها قراءة ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- (فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ)[المائدة: ٨٩] قرأ: متتابعات. وهذه صحيحة الإسناد عن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- لكنها لم توافق الرسم العثماني فيعدها العلماء شاذة.

- ومما يدخل في القراءة المردودة القراءة الموضوعة يعني المكذوبة التي ليس لها إسناد يعرف بل هي موضوعة مكذوبة باطلة لا تحل روايتها ولا تحل القراءة بها ولا جعلها قرآناً مثل ما ذكرنا فيمن روى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ)،قرؤوها بهذه الصورة والآية (إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ) ومثل (مَلَكَ يَوْمَ الدِّينِ).

تنقسم القراءات أيضاً - أيها الأحبة- من حيث اتحاد المعنى وتعدده إلى نوعين: قراءات متحدة المعنى يعني اختلفت ألفاظها لكن اتحد معناها وهذه كثيرة جداً في القراءات إذا اختلفت أصول القراء يعني أحدهم يقرأ والضحى والثاني يقرأ والضحى أحدهم يقرأ الصلاة والثاني يقرأ الصلاة ، فأصلح فأصلح هذه اختلفت الألفاظ أو طريقة الأداء لكن المعنى متفق وأحياناً حتى حروف الكلمة تختلف لكن المعنى متفق مثل (وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ)[البقرة: ٨٥]، هكذا نقرؤها وفي قراءة حمزة (وَإِن يَأْتُوكُمْ أَسْرَى) فهذه لا اختلاف بينها.

النوع الثاني: مختلفة المعنى لكن اختلاف المعنى هنا ليس اختلاف تضاد ولا يوجد- بحمد الله- بين القراءات اختلاف تضاد تختلف معانيها لكن هذا الاختلاف اختلاف تنوع يزيد المعنى ويبينه ولا يكون بينه تضاد- بحمد الله تعالى- مثل قول الله -سبحانه تعالى-: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)[التكوير: ٢٤]، موجودة في مصحفنا الذي نتلوا به: بضنين بالضاد ومعنى بضنين أي ببخيل أي لا يبخل بالوحي الذي أوحاه الله إليه أن يبلغكم إياه وقرئت أيضاً: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) بالظاء التي عليها عصا فهذه القراءة قراءة صحيحة متواترة ومعناها: وما هو على الغيب بمتهم ليس بمتهم -صلى الله عليه وسلم- على الغيب بأن يزيد فيه شيئاً أو ينقص منها شيئاً فانظروا - أيها الأحبة- جاءت هذه الآية بقراءتين ولكل قراءة معنى بخيل ومتهم لكن ليس بينهما تضاد أو اختلاف ومثلها أيضا (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ)[البروج: ١٥]، (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) فالمجيد مرة صفة للعرش ومرة صفة لله -سبحانه وتعالى- فهذا استفدنا منها فائدتين.

القراء من الصحابة ومن بعدهم:

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى القراء من الصحابة ومن بعدهم.

تقول: هل يحبب من أئمة المساجد أن ينوعوا بين قراءاتهم في الصلوات بين الحين والآخر ليعتاد الناس على هذه القراءات؟

تنويع القراءات إن كان عند العامة والعامة لا يطيقون هذا وقد يجهلون من يقرأ به لا ينبغي لأن هذا يصيب الناس بفتنة ويجعل الناس يتشككون في القرآن الكريم وقد يرد بعضهم على القارئ في الصلاة وتكون الصلاة مجالاً للاختلاف والتغير وكثرة الرد فهذا لا ينبغي أما إذا كان المستمعون يعلمون من القاريء أنه يقرأ بقراءة مغايرة أو هم من طلاب العلم لأن جميع ما ورد على وجوه متعددة في الشريعة الأكمل أن يؤدى على جميع تلك الوجوه المتعددة فإن هذا أكمل في اتباع السنة فلو قرأ مثلا في صلاة التراويح يوماً برواية ورش وفي اليوم الثاني

برواية قالون والثالث برواية حفص والرابع برواية شعبة فهذا شيء جيد إذا كان الذين يستمعون لـه ممن يدركون هذا الأمر وأمنت الفتنة.

بالنسبة إذا كنت أقرأ خالية أو في الصلاة فهل يجوز لي القراءة بقصر المد المنفصل إذا كنت أقرأ من طريق الشاطبية بقراءة حفص عن عاصم وذلك لضيق النفس فقط أم يجب أن أتعلم جميع طرق قصر المد المنفصل؟

السؤال الثاني: بعض المصاحف يكون مكتوب فيها لفظ الجلالة أو الأسماء الحسنى وكلمة رب بلون مخالف للون الكتاب الأصلي فما حكم هذا؟

بالنسبة للقراءات السبع هل فيه قراءة تميز عن قراءة أو قراءة أفضل من قراءة؟ والقراءة الآن القراءة المشهور قراء حفص عن عاصم هل هي أفضل من سائر القراءات ؟

أريد أن أسأل عن درس سابق وهو درس الوحي والفرق بين كلمة المَلَك لأن الملك مقصود به ملك الوحي جبريل والمِلِك لغوياً واصطلاحاً أو شرعاً؟

السؤال الأول: ما هو منشأ القراءات الشاذة؟ وهل لأنها شاذة لا يجوز القراءة بها في صلاة ولا في غيرها؟

السؤال الثاني: كيف نوجه رد الطبري لبعض القراءات المتواترة في تفسيره؟

سألت عن القراءة بقصر المفصل تقول: هل يصح لي أن أقرأ بقصر المفصل من طريق الشاطبية طبعاً من طريق الشاطبية الذي ورد هو مد المنفصل وليس قصر المنفصل، فنقول بناء على ما أجبنا به قبل قليل: من أن للإنسان أن يقرأ أو يلفق القراءات ولا شيء في ذلك ما لم يترتب إحداها على الأخرى فلو أنها تقرأ من طريق الشاطبية وقصرت المنفصل فلا شيء في ذلك- إن شاء الله- لأنه لا يترتب على ذلك خلل في القراءة وكله قرآن، ما ورد برواية حفص وشعبة وورش وقالون كله قرآن منزل من عند الله - سبحانه وتعالى- إنما ضبط العلماء هذه الروايات من أجل أن تعرف فلا يزاد عليها أو ينقص منها فلو خلط الإنسان بين قراءتين أو بين روايتين ولم يكن في الخلط بينهما إشكال أو تغيير للمعنى أو أن تكون إحداهما مترتبة على الأخرى فلا شيء في ذلك- إن شاء الله تعالى- خصوصاً عند الحاجة مثلما تذكر الأخت من أن ذلك يكون فيه سبب في زيادة النفس أو نحو ذلك.

سؤالها الثاني: قضية تغيير اللون لا شيء في هذا بمعنى: أن تكتب لفظ الجلالة أو أسماء الرب - سبحانه وتعالى- بلون مغاير لا شيء في هذا- إن شاء الله تعالى-.

يسأل عن التفاضل بين القراءات، القراءات كلها جاءتنا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ليس هناك فضل لإحداها على الأخرى وإنما التفاضل فيها بحسب اليسر بالنسبة للقارئ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فنقول: اقرأ بالأيسر عليك سواء هو الذي تعلمته في بلدك أو الأوفق للسانك وطريقتك وما تستطيع أن تنطق به وأما هذه القراءات فكلها ثابتة وكلها صحيحة وكلها واردة وقد كان بعض العلماء يتخير في القراءات ويفضل بعضها على بعض كما روي عن الإمام أحمد أنه كان يفضل قراءة أهل المدينة على قراءة من سواهم لأن القرآن فيهم نزل والرواة فيهم أكثر ونحو ذلك فهذا لون من ألوان التخيير لكن كل هذه القراءات ثابتة وصحيحة ولا شيء في القراءة بها ولا فضل لأحد على الآخر من جهة الأجر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ما حكم الصلاة خلف إمام لا يفرق بين الضاد والظاء في الفاتحة في قوله تعالى (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) وبارك الله فيك؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. هل يجوز الكتابة على المصحف من معاني كلمات القرآن أو فوائد الآيات وما شابه ذلك من معانٍ مما نأخذه في التفسير؟

الفرق بين الملك والملك، المَلِك هو الذي يملك والمَلَك يا أخي هو واحد الملائكة الملائكة مفردهم ملك وأما الملك فيقال: على من يملك البلاد ويقال أيضاً: على الله - سبحانه وتعالى- ملك الملوك وهكذا ومَلَك أصلها مأخوذة من ملأك والملأك مأخوذة من الألوكة وهي الرسالة فهي مصطلح آخر غير الملك فهذا هو الفرق بينهما.

تقول: ما مرجع القراءات الشاذة؟ القراءات الشاذة: بعض العلماء يقول: هي القراءات التي لم يصح إسنادها وبعضهم يقول وهذا أقرب: هي كل قراءة لم توافق رسم المصحف العثماني سواء صح إسنادها أو لم يصح. وشذوذها من جهة أنه قد تركت القراءة بها ولم تكتب في المصاحف العثمانية فمن هنا جاء الشذوذ وهذا أقرب في التعبير لأن من الشاذ ما يكون صحيحاً ومنه ما لا يكون صحيحاً، وهذا الشاذ لا تجوز القراءة به في الصلاة ولا يصح التعبد به على أنه من القرآن لكن إن صح سنده جاز الاستفادة منه في الأحكام الشرعية وجازت روايته أيضاً مثل قوله: فصيام ثلاثة أيام متتابعات، نأخذ منها حكم التتابع وغير ذلك مما ذكر من القراءات الشاذة التي صح إسنادها؛ لأنها لا تقل في هذه الحالة عن حكم حديث الآحاد الذي صح إسناده.

تسأل كذلك كيف نوجه رد الطبري لبعض القرءات المتواترة؟ هذا في نظري- والله أعلم- مذهب لبعض العلماء في كونهم يردون بعض القراءات بناء على أنه لم يثبت عندهم تواترها فهم يرون أن هذه القراءة يقدح فيها من جهة المعنى لأنها لم يثبت تواترها فنحن نقول: متى ثبت تواترها عند غير ذلك الإمام وجب قبولها والأخذ بها وعدم ردها لأن الإمام قد تثبت عنده القراءة من وجه واحد يظنه مثلا آحاداً ويكون عنده أن هذه القراءة مشكلة في المعنى أو في الإعراب أو نحو ذلك فيقوي ذلك ردها عنده فنقول: متى ثبتت من طرق أخرى ودلت الروايات على أنها متواترة وجب قبولها والأخذ بها وعدم التعرض لها بالرد لأنها قراءة ثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه إجابة لبعض أهل العلم وبعض أهل العلم أجاب بإجابات أخرى يمكن للأخت أن ترجع إليها في رسائل مستقلة مطبوعة وموجودة في المكتبات.

يسأل عن حكم الصلاة خلف إمام لا يفرق بين الضاد والظاء في ولا الضالين؟ نقول: من كان يعرف الفرق بينهما وجب عليه التفريق بينهما في القراءة فيقول في الظاء ظاء وفي الضاد ضاداً ومن كان لا يعرف الفرق بينهما ولا يميزه لأنه من العامة أو أشباه المثقفين فإن العلماء -–رحمهم الله تعالى- وكثير من الفقهاء قد جوزوا الخلط بينهما لمن كانت هذه حاله وقد ذكر ذلك ابن كثير -رحمه الله تعالى- في مقدمة تفسيره وذكرها أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في المسائل الماردينية لتشابه كبير بين الحرفين ذكروا ولأن التفريق بينهما يعسر في اللفظ وفي السمع فقالوا: لا بأس بذلك. هذا هو الذي يترجح عندي والله أعلم.

تسأل عن كتابة معاني الكلمات والتعليق على المصحف؟

إن كان المصحف خاصاً فلا بأس بذلك أما مصاحف العامة فيجب أن يميز كلام الله - سبحانه وتعالى- عن كلام ما سواه ولا يدخل على القرآن شيء غيره. لكن مصحف الإنسان الخاص به يكتب بقلم مغاير وبشيء لا يلتبس مع كلام الله لا بأس به سواء كان ذلك ملاحظات في التجويد أو كان ذلك بياناً لبعض المعاني أو تنبيهات أو لطائف أو غير ذلك فلا بأس بذلك.

حتى الكتابة على الهامش لا.. المقصود داخل الآيات أما إذا كان على الهامش إذا كان متميزاً فلا شيء فيه- إن شاء الله-.

بقي معنا جزئية أو محور في هذا الدرس

القـــراء: بقي معنا بعد أن تحدثنا عن القراءات نتحدث عن القراء والحديث عن القراء لو أردنا أن نستوعبه لطال بنا المقام لكن نأخذ نبذة يسيرة لكي لا يخلو طالب العلم من معرفة هذا الأمر فنقول: الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- كثير منهم أخذ القرآن عن النبي -صلى الله عليه وسلم- سواء أخذه كله أو أخذ جزءاً منه وتلقى الباقي عن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- لكن الذين حفظوه في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- قد ذكر منهم عدد كبير، بعضهم يقول: أربعة عشر صحابياً جمعوا القرآن في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كاملاً وأما الذين حفظوه بعد ذلك فهم كثير من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أما الصحابة الذين اشتهرت قراءاتهم وتلقى الناس الرواية عنهم وقعدوا للإقراء واتصلت بنا أسانيدهم فهم سبعة من الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- هم عثمان وعليّ من الخلفاء الراشدين وابن مسعود وأُبي وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وأبو الدرداء هؤلاء الصحابة هم الذين اتصلت أسانيدنا بهم وتلقى الناس عنهم القراءة عنهم القراءة واشتهروا بالإقراء وانتشرت الرواية عنهم ثم ما زالت الأمة تتلقى هذا القرآن جيلاً عن جيل حتى وصلوا إلى المرحلة التي أرادوا فيها أن يضبطوا القراء المتقنين حتى لا يُدخَل في القراءات ما ليس منها فجاء ابن مجاهد -رحمه الله تعالى- فضبط القراء السبعة، القراء السبعة هم:

- نافع المدني وهو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي أصله من أصفهان وتوفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة.

- وابن كثير وهو عبد الله بن كثير المكي وهو من التابعين وتوفي بمكة سنة عشرين ومائة.

- وأبو عمرو البصري وهو زبان بن علاء بن عمار المازني البصري وقيل: اسمه يحيى وقيل: اسمه هو كنيته توفي بالكوفة سنة أربعة وخمسين بعد المائة.

- وابن عامر الشامي وهو عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك ويكنى أبا عمران وهو من التابعين توفي بدمشق سنة ثماني عشرة ومائة.

- وعاصم الكوفي وهو عاصم بن أبي النجود الذي نقرأ القرآن بقراءته ويقال: ابن بهدلة ويكنى: أبا بكر وهو من التابعين توفي بالكوفة سنة ثمانٍ وعشرين ومائة.

- وحمزة الكوفي وهو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي ويكنى: أبا عمارة وتوفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ست وخمسين ومائة.

- والكسائي الكوفي وهو على بن حمزة النحوي المعروف ويكنى: أبا الحسن وقيل له: الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء، وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة.

هؤلاء هم السبعة وزاد عليهم العلماء بعد ذلك ثلاثة أتموا بهم العشرة وكل هؤلاء العشرة قراءتهم صحيحة معتبرة مقبولة عند الأئمة.

الثامن: هو أبو جعفر المدني يزيد بن القعقاع توفي بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة.

التاسع: يعقوب البصري وهو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي توفي بالبصرة سنة خمس ومائتين.

وعاشرهم: خلف وهو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي توفي سنة تسع وعشرين ومائتين ولكل واحد من هؤلاء العشرة راويان معتبران مثلاً نافع: قالون وورش، ولعاصم: شعبة وحفص وهكذا كل واحد من العشرة له راويان معتبران.

ما حكم القراءة بقراءة هؤلاء العشرة؟

من العلماء من قصر صحة القراءة على السبعة فقال: هي القراء الصحيحة وما زاد عليها فلا. ومنهم من قال: العشرة كلها متواترة صحيحة وهذا هو الصحيح فقراءتهم متواترة صحيحة تلقتها الأمة بالقبول. ومنهم من قال: بل القراءة الصحيحة هي كل قراء اجتمعت فيها الشروط الثلاثة التي ذكرناها قبل قليل بأن كانت صحيحة الإسناد موافقة للرسم العثماني ولو احتمالاً وموافقة لوجه من الوجوه العربية سواء كان فصيحاً أو أفصح مجمعاً عليه أو مختلفاً فيه سواء كان في هذه السبعة أو في العشرة أو فيما زاد عليها ما دامت هذه الضوابط موجودة فيها وهذا أصح الأقوال- والله أعلم-.

هناك قراء أربعة تعرف قراءاتهم بالقراءات الشاذة وهي:

- قراءة ابن محيصن.
- وقراءة اليزيدي.
- وقراءة الحسن البصري.
- وقراءة الأعمش.

هذا جملة ما ينبغي معرفته في هذا الموضوع. أسأل الله - سبحانه وتعالى- لي ولكم الفهم والسداد والتوفيق والعلم والإيمان إنه ولي ذلك والقادر عليه.

نوجه أسئلة هذا الدرس وموضوع الدرس القادم

نعم السؤالان هما:

السؤال الأول: مثل لآية اختلفت القراءات فيها واختلف المعنى من غير تضاد؟

السؤال الثاني: من هم القراء الأربعة الزائدون على العشرة ؟

أما درسنا القادم- إن شاء الله تعالى- سيكون عن الأحرف السبعة. أسأل الله لي ولكم التوفيق.

الدرس السادس عشر

الأحرف السبعة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أيها الأحبة محاضرتنا هذا اليوم هي المحاضرة السادسة عشرة نسأل الله سبحانه وتعالى أن نزداد بما نسمع في هذه الدروس علما وإيمانا وهدى وتوفيقا وأن يجعل الله سبحانه وتعالى هذا العلم حجة لنا لا حجة علينا وأحب أن أذكر أيها الأحبة بأمر قد ذكرنا فيه أكثر من مرة في ما مضى من هذه الدروس وينبغي لنا أن نذكر به أنفسنا في كل مرة وهو أمر الإخلاص في طلب العلم الشرعي فإن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال (من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا لينال به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة أي ريحها وإن عرفها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)

فعلى المسلم أن يستحضر حسن النية في طلب العلم الشرعي لأنه إن أحسن النية أجر أجرا عظيما وإن أساء النية خسر خسرانا مبينا وليس طلب العلم الشرعي كطلب أي علم آخر من علوم الدنيا فإن من طلب شيئا من علوم الدنيا يريد به الآخرة أجر وإن أراد به الدنيا نال به الدنيا ولم يأثم فعلى كل مسلم أن يستحضر نية طلب العلم الشرعي لينال بذلك الفوز والرضوان من الله سبحانه وتعالى والأجر في ذلك كما تعلمون كبير لا يقادر قدره ولا يعلم مداه إلا الله جل وعلا فعسى الله أن يأجرني ويأجركم ويجعل نياتنا جميعا خالصة لوجهه الكريم.

جرت عادتنا أيها الأحبة بأن نراجع ما أخذناه في الدرس الأخير أو الدرس الماضي ونطرح بعض الأسئلة في الموضوع السابق فبالنسبة لموضوعنا السابق حول القراءات والقراء نطرح هذه الأسئلة:

السؤال الأول: من أول إمام معتبر ألف في علم القراءت؟

هو الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام أحسنت هو الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام وأحب أن أوضح أنه ذكرت كتب قبل أبي عبيد لكن يظن أن هذه الكتب ألفت على قراءة أو على حروف معينة أما أبو عبيد فقد جمع قراءة أكثر من خمس وعشرين قارئا اختارهم -رحمه الله تعالى- وهو من أئمة هذ الشأن.

السؤال الثاني: ما الفرق بين القراءة والرواية؟

القراءة هي ما نسب إلى أحد الأئمة الذين اجتمعت إليهم الروايات أما الرواية ما نسب إلى الآخذ عن الإمام ولو بواسطة

أحسنت القراءة ما نسب إلى الإمام الذي اجتمعت عليه الروايات وأما الرواية فهي ما نسب إلى الآخذ عن الإمام فيقال قراءة عاصم ورواية حفص عن عاصم وقراءة نافع ورواية ورش عن نافع.

السؤال الثالث: من أول من سبع السبعة؟

أول من سبع السبعة هو أبو مجاهد

أول من وضع القراءة السبعة واختارهم وجمع قراءتهم في كتاب سماه السبعة هو ابن مجاهد وقبل ذلك كان القراء كثرا وليسوا سبعة لكنه أراد أن يضبط هذا الأمر ويحد من دخول شيء من القراءة ليس مرويا أو ثابتا عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

السؤال الرابع: ما شروط القراءة المقبولة؟

شروط القراءة المقبولة ثلاثة وهي صحة سندها ولو احتمالا

صحة سندها ما يقال ولو احتمالا، الثاني وموافقتها للرسم العثماني ولو احتمالا وأيضا موافقتها لوجه من الوجوه العربية

سواء كان فصيحا أو أفصح مجمعا عليه أو مختلفا فيه ، أحسنت بارك الله فيك.

ننتقل بعد هذا إلى السؤالين الذين طرحناهما في خاتمة الدرس الماضي.

السؤال الأول: مثل لآية اختلفت القراءات فيها واختلف المعنى من غير تضاد؟

السؤال الثاني: من هم القراء الأربعة الزائدون عن العشرة؟

نستعرض إجابات الإخوة والأخوات: يقول:إجابة السؤال الأول :المثال في قوله تعالى (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)[التكوير: ٢٤]، وفي قراءة أخرى (بِظَنِينٍ)فالأولى تعني بخيل والثانية تعني متهم، القراء الأربعة الزائدون على العشرة والذين تعد قراءتهم شاذة هم ابن محيسن والحسن البصري والأعمش واليزيدي أحسنت بارك الله فيك إجابة صحيحة.

تقول: إجابة السؤال الأول: قال الله تعالى (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا)[يوسف: ١١٠]، بتخفيف الذال وتشديدها فالمعنى على قراءة التشديد ظن الرسل أن القوم كذبوهم فالضمائر الثلاثة للرسل والظن اليقين والمعنى على قراءة التخفيف ظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا عليهم فالضمائر الثلاثة للمرسل إليهم والضمير شك.

القراء الأربعة ابن محيسن المكي اليزيدي يحيى بن مبارك الحسن البصري الأعمش سليمان ابن مهران جزاها الله خيرا إجابة صحيحة.

تقول: إجابة السؤال (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) قرءتان اختلف فيهما المعنى ولكنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وهكذا كل القراءات الاختلاف فيها اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد لأن القرآن كله من عند الله سبحانه وتعالى (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرً)[النساء: ٨٢].

إجابة السؤال الآخر: القراء الأربعة الحسن البصري ابن محيسن يحيى اليزيدي الشمبوذي

لا الشمبوذي ليس معهم خارجا عن الأربعة لكن تعد قراءته وقراءة أبو السمال وابن السميفع وغيرهم من القراءات الشاذة.

يقول: إجابة السؤال الأول: قال الله تعالى (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) أي ببخيل هذه قراءة وفي القراءة الأخرى (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بظَنِينٍ) أي بمتهم.

القراء الأربعة الذين تعرف قراءتهم بالشاذة هم ابن محيسن اليزيدي الأعمش الحسن البصري

إجابة السؤال الأول: قال الله تعالى (وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ)[المائدة: ٦]، (وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ) بنصب وأرجلكم ففي قراءة النصب بيان لحكم غسل الرجل وقراءة الجر وأرجلكم بيان لحكم المسح على الخفين حيث يكون العطف على معمول فعل النصب (وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ)

نحن هنا أيضا ندعوا الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياهم لكل خير وأن يزيدنا وإياهم علما وهدى وتوفيقا ونبشرهم بأن (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة).

موضوعنا أيها الأحبة في هذا اليوم إن شاء الله هو عن الأحرف السبعة وموضوع الأحرف السبعة من أكثر موضوعات علوم القرآن إشكالا وتعقيدا بل هو أكثرها بلا منازع لأن الكلام فيه شائك والروايات فيه كثيرة وضبطها ومعرفة المراد بها وحل إشكالها وبيان إجمالها من أشق الأشياء خصوصا وأن العلماء -رحمهم الله تعالى- اختلفوا في هذا الباب اختلافا بينا كما سيأتي معنا في إن شاء الله في هذا الدرس.

وقبل أن نخوض في معنى الأحرف السبعة نبين معنى كلمة أحرف ومعنى كلمة السبعة لأنه ينبني عليها ما بعدها، فنقول الحرف هو الطرف الحرف هو طرف الشيء وحده وجانبه ومنه حروف الهجاء لأنها تكون هي أطراف الكلمة وفي الاصطلاح يطلق الحرف على حروف الهجاء فيقال حرف الألف حرف الباء حرف الدال حرف الضاد إلى آخره وتطلق أيضا على حروف المعاني وهو الحروف التي يؤتى بها لتعدية فعل مثلا إلى اسم أو يؤتى بها بين اسمين جاء محمد من السوق ركب محمد على السيارة على وعن ومن وفي والباء وغيرها فهذه تسمى أيضا في الاصطلاح حروفا.

وتطلق أيضا على الكلمة التي تقرأ بوجوه متعددة فيقال هذه الكلمة بحرف قريش كذا أو بحرف ابن مسعود كذا أو هذا الحرف يقرؤه ابن مسعود هكذا يقصدون بذلك الكلمة، فلها في الاصطلاح عدة إطلاقات تطلق على حرف الهجاء وعلى حروف المعاني وتطلق على الوجه من وجوه القراءة في الكلمة.

وأما في الشرع فإن الحرف إذا ورد في الشرع يراد به الكلمة ولا يراد به الحرف من حروف الهجاء ومن ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (من قرأ القرآن فله بكل حرف حسنة لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف فله بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)، يظن بعض الناس أن المقصود بالحرف هو أحد أجزاء الكلمة فمثلا قول الحمد يظنونه مكونا من خسمة حروف فيقولون لك بها خمس حسنات مضروبات في عشرة يعني لك بها خمسون حسنة ونقول المراد بالحرف في هذا الحديث هو الكلمة لأن الحديث فسرها بذلك حيث قال (ألف حرف ولام حرف وميم حرف) فلو كان المراد به واحد الحروف من أجزاء الكلمة لكانت ألف فيه ثلاث حروف ولام فيها ثلاث حروف وميم فيها ثلاث حروف إذن فالمراد بها الكملة الحمد حرف ورب حرف والعالمين حرف والرحمن حرف والرحيم حرف ومالك حرف وهكذا وهذا يدلنا أيها الأحبة على أن الإنسان ينبغي له أن لا يحمل المعاني الشرعية على الاصطلاحات الحادثة أو العرف الحادث المتأخر فإن الناس تعارفوا في الأزمنة المتأخرة على أن الحرف يراد به هو الجزء من الكلمة فقط، ولكنها كانت تستعمل فيما سبق على ما هو أعم من ذلك فننتبه لهذا الأمر وهو من أهم الأمور التي ينبغي لطالب العلم اليقظة لها والانتباه لأمرها هذا بالنسبة للحرف الأحرف جمع حرف والحرف بينا معناه في اللغة وفي الاصطلاح بقي عندنا السبعة، السبعة هو العدد المعروف الذي بين الستة والثمانية هذه هي حقيقته ويطلق أيضا عند العرب على معنى آخر وهو إرادة الكثرة في العشرات كما تطلق السبعين على إرادة الكثرة في العشرات والسبعة في الآحاد والسبعمائة في المئات فإن هذا معروف عند العرب (إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَّغْفِرَ اللهُ لَهُمْ)[التوبة: ٨٠]، هل مراد الله سبحانه وتعالى أنك لو استغفرت واحدا وسبعين لغفر الله لهم ليس كذلك بل المراد إن تستغفر لهم قدرا كثيرا وعددا كبير لن يغفر الله سبحانه وتعالى لهم فالمقصود بالسبعين الكثرة وليس المقصود بها العدد المحدد وما هو المراد في الحديث وفي كلامنا هنا؟ من العلماء من حمل السبعة على أن المراد بها الكثرة وهذا قول مردود لأن نص الأحاديث التي سنقرأها بعد قليل يبين أن المراد به العدد المعروف الذي بين الستة والثمانية ولذلك نجد كثيرين من أهل العلم اطرحوا هذا القول ولم يعتبروا به.

ننتقل بعد هذا أيها الأحبة إلى الأدلة على نزول القرآن على سبعة أحرف:

الأدلة على نزول القرآن على سبعة أحرف كثيرة جدا من السنة النبوية بل إنها قد تواترت وحكى التواتر في ذلك عدد من أهل العلم منهم أبو عبيد عن قاسم ابن سلام ومنهم السيوطي -رحمه الله تعالى- ومنهم ابن الجزري وغيرهم من الأئمة الذين تتبعوا هذه الأحاديث وذكروها فهي أحاديث متواترة بل عدد الذين روو ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من الصحابة قد بلغوا سبعة وعشرين صحابيا روو نزول القرآن على سبعة أحرف فهذا يبين أن حديث الأحرف السبعة حديث متواتر لا مطعن فيه من جهة الصحة والإسناد وتعرفون أن المتواتر هو الذي

يرويه جماعة يستحيل تواطئهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهى السند ويسندوه إلى شيء محسوس ثم إن العلماء -رحمهم الله تعالى- قد اختلفوا في المراد بهذه الأحرف السبعة، وقبل أن نذكر اختلافهم وسبب الاختلاف نقرأ هذه الأحاديث ليكون عندنا إلمامة بشيء مما ورد في هذا المعنى وممن استوعب ذكر الأحاديث ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى- في مقدمة تفسيره الماتع المعروف بتفسير ابن جرير الطبري حيث ذكر أكثر الروايات ومن جاء بعده اعتمد عليه في نقل هذه الروايات بأسانيدها وممن ذكرها أيضا ابن أبي شامة المقدسي أو أبو شامة المقدسي في كتابه المرشد الوجيز ولعلنا نقرأ بعض الأحاديث التي ذكرها أبو شامة -رحمه الله تعالى- تفضل:

قال أبو شامة المقدسي: «الفصل الأول سرد الأحاديث وفيه فصول الفصل في سرد الأحاديث في ذلك ففي الصحيحين عن ابن شهاب قال: (حدثني عبيد الله ابن عبد الله أن عبد الله ابن عباس حدثه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: أقرأني جبريل عليه السلام على حرف واحد فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنا حتى انتهى إلى سبعة أحرف) وفيهما عن ابن شهاب قال: (أخبرني عروة ابن الزبير أن المسور ابن مخرمة وعبد الرحمن ابن عبد القاري حدثاه أنهما سمعا عمر ابن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- يقول: سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال: أقرأنيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت كذبت فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لهشام اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كذلك أنزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كذلك إنزلت إن هذ القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه) واللفظ للبخاري زاد مسلم (قال ابن شهاب بلغني أن تلك السبع الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام) وأخرجه النسائي في سننه الكبرى وقال: (وقرأ فيها حروفا لم يكن نبي الله أقرأنيها) وفي صحيح مسلم (عن أبي ابن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل فصلى فقرأ قراءة أنكرتها ثم دخل آخر فقرأ قراء سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقر) وفي رواية (ثم قرأ هذا سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقرأ فحسن النبي -صلى الله عليه وسلم- شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا فكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا، فقال: يا أبي ربي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه يهون إلى أمتي فرد إلى في الثالثة اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم) -صلى الله عليه وسلم- وأخرجه أبو جعفر الطبري في أول تفسيره بسنده عن أبي قال (دخلت المسجد فصليت فقرأت النحل ثم جاء آخر فقرأها على غير قراءتي ثم دخل رجل آخر فقرأ بخلاف قراءتنا فدخل في نفسي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية فأخذت بأيديهما فأتيت بهما النبي -صلى الله عليه وسلم- فقلت يا رسول الله استقرأ هذين فقرأ أحدهما فقال أصبت ثم استقرأ الآخر فقال أحسنت فدخل قلبي أشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب فضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صدري وقال أعاذك الله من الشك وخسأ عنك الشيطان ففضت عرقا فقال: أتاني جبريل فقال اقرأ القرآن على حرف واحد فقلت إن أمتي لا تستطيع ذلك حتى قال سبع مرات فقال لي اقرأ على سبعة أحرف)

نعم قد ذكر الإمام أبو شامة المقدسي عددا كبيرا من الأحاديث في هذا الخصوص ولكن نكتفي منها بهذا القدر الذي يبين المقصود والأحاديث كما ذكرت لكم كثيرة ويكفي أنها وردت عن سبع وعشرين من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قد يقول قائل ما سبب الخلاف الذي ستذكره في معنى الأحرف السبعة؟

فنقول سبب ذلك أولا صلة هذا الموضوع بالقرآن الذي هو دستور المسلمين وكتاب الله سبحانه وتعالى الذي يرجعون إليه الناس متلهفون لمعرفة ما يتصل به ولذلك اجتهدوا وخاضوا غمار البحث في هذا الموضوع الشائك.

الثاني أن الأحاديث لم يبين فيها كيف كان اختلاف الصحابة يعني مثلا سمعنا قبل قليل حديث أبي ابن كعب عندما اختلف عنده اثنان فقرؤوا بقراءة غير قراءته وكذلك هشام ابن حكيم عندما قرأ بقراءة أنكرها عليه عمر لم يذكر لنا عمر ما هي الأحرف التي قرأها هشام وأنكرها عليه كل ما في الأمر أنه أنكر عليه القراءة وأنه سمع من شيئا لم يسمعه عمر من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهذا أحد أهم ما جعل القضية مشكلة لدى العلماء وجعلهم يحارون في فهم المراد من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم.

الحقيقة أن الأقوال قد بلغت عند العلماء أو عدها العلماء أكثر من خمسة وثلاثين قولا بل أوصلها السيوطي -رحمه الله تعالى- في كتابه الإتقان إلى أربعين قولا وهذه الأقوال لو أردنا أن نسردها واحدا واحدا ونستدل لها طال بنا المقام ولكن بعض الباحثين قد قسموا هذه الأقوال إلى أربع طوائف، هناك أقوال في الحقيقة متهافتة لا يعتد بها حتى أحيانا تذكر كاحتمالات ولا يعرف من قال بها وهناك أقوال أخرى لها شيء أو حظ من النظر فبعض الباحثين جعلوها في مجموعات، مجموعات كل مجموعة من الأقوال تدور حول معنى معين أو طريقة في فهم هذه الأحاديث متقاربة فلدينا الآن أربع مجموعات سنأخذها واحدا واحدا، لكن قبل ذلك إن كان فيه أسئلة ممكن نأخذها.

يقول هل قواعد الضبط في المصحف تلتزم بقراءة واحدة دائما أم أن هناك طبعات للمصحف تكون فيها قواعد الضبط لأكثر من قراءة ؟

هناك طبعا مصاحف كتبت لما يوافق بعض القراءات وذلك تجد مثلا المصحف المكتوب برواية ورش عن نافع والمصحف المكتوب عندنا الآن برواية حفص عن عاصم وجزء من هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف المصاحف العثمانية، هناك اختلافات لكن هذه الاختلافات يسيرة جدا ولا تكاد تذكر.

تقول: فضيلة الشيخ هل تنصح بأن تسعى طالبة العلم لأن تأخذ القراءات السبع أو العشر من باب حفظ العلم في الصدور وحفظ هذا العلم الذي قد لا يطلبه الكثيرون من طلاب العلم؟

نعم ينبغي أن يكون في المسلمين وفي المسلمات من الشباب والشابات من يطلب هذا العلم ويحفظه ويتقنه ويلقيه على المسلمين ويعلمهم إياه وقد بينا بالأمس أن تعلم القراءات من فروض الكفايات ومن قام بفرض الكفاية نال أجر الأمة كلها في حفظه لفن من الفنون التي يمكن أن تندثر لولا أن يقوم بها وينتصب لها من يحسنه ويتقنها.

فضيلة الشيخ بالنسبة للقراءات هل كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأها على أصحابه حال نزول الوحي أم كان يكتبها كتاب الوحي ثم يقرؤونها على الصحابة ؟

القراءات كما بينا والأحرف السبعة كلها وحي من الله سبحانه وتعالى نزلت من السماء أو أنزلت على النبي -صلى الله عليه وسلم- ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد بلغها لأمته ولذلك لا يجوز لأحد أن يزيد من عند نفسه ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لأصحابه (اقرؤوا كما علمتم) كما علمتم يعني كما تلقيتم من عندي وأنا تلقيت من جبريل وجبريل تلقاها من عند الله سبحانه وتعالى فليس لأحد أن يزيد في هذا الوحي أو ينقص منه شيء.

ننتقل يا إخواني إلى ذكر هذه المجموعات أو الطوائف التي اختلفت في معنى الأحرف السبعة المجموعة الأولى وهم الذين أولوا مدلول الأحرف السبعة ولهم في ذلك قولان كما كتب ذلك الدكتور فهي الرومي في كتابه دراسات في علوم القرآن:

القول الأول أن هذا الحديث من المشكل المتشابه الذي لا يعلم معناه وذلك لأن الحرف مشترك لفظي يصدق على معان كثيرة ولم يعين المراد منها في الحديث وقد قال بهذا القول ابن سعدان النحوي ونقول هذا القول باطل لماذا؟ لأن الأحرف السبعة نزلت وعمل بها ورواها الصحابة وقرؤوا بها القرآن وأقر النبي -صلى الله عليه وسلم- القارئين بها فكيف يقال إنها من المشكل الذي لا يعرف معناه؟!

القول الثاني من هذه المجموعة ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد وإنما المراد إنما هو رمز إلى ما ألفه العرب من معنى الكمال في هذا العدد وهو إشارة إلى كمال القرآن في لغته وبيانه ومعانيه وإعجازه ونقول هذا القول

أيضا باطل ولا ينبغي القول به لأنه يخالف ألفاظ الأحاديث الواردة فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد بين أنه استزاد جبريل في أن يقرأه على حرفين ثم ثلاثة ثم أربعة ثم خمسة ثم ستة حتى وصل إلى السبعة ولا معنى لذلك إلا المعنى المعروف الذي هو حقيقة العدد سبعة الذي بين الستة والثمانية وأما أن يقال المراد به الكثرة أو الكمال فهذا لا يكون متوافقا مع ألفاظ الروايات الواردة في هذا الباب.

المجموعة الثانية من أهل العلم رأو رأيا آخر في موضوع الأحرف السبعة فيقولون هذه الأحرف التي وردت في الأحاديث ليس المقصود بها اختلاف في الألفاظ والقراءات وإنما اختلاف في المعاني وقد اختلفوا على ثلاثة أقوال منهم من قال إن المراد بها سبعة معان أمر وزجر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فهذه سبعة معان القرآن يدور على هذه السبعة المعاني لا يخرج عنها ومنهم من قال: لا السبعة وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج، وجماعة أخرى من هؤلاء يقولون بل هي سبعة معان محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص وغير ذلك من الأقوال التي تدور حول هذا المعنى وهو أن الأحرف ليس المقصود بها اختلاف في الألفاظ والقراءة وإنما اختلاف في المعاني في كتاب الله سبحانه وتعالى ولا شك في بطلان هذه الأقوال وأنها ضعيفة ولا تنسجم مع الروايات، لماذا؟ يقول ابن عطية: «وهذا أيضا ضعيف لأن هذه لا تسمى أحرف» يعني هذه المعاني حلال حرام وعد وعيد محكم متشابه ناسخ منسوخ ما تسمى في اللغة أحرف وأيضا فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحريم حلال يعني لما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (اللهم أسألك معافاتك إن أمتي لا تطيق ذلك) هل مراده أنها لا تطيق أن تبقى كلها على الحلال فانقلها إلى الحرام أو على الحرام فانقلها إلى الحلال وأن الأمة مخيرة بين سبعة أحرف يعني مخير الإنسان بين أن يأخذ الحلال ويدع الحرام أو يجعل حراما مكان حلال أو وعدا مكان وعيد هذا لا يليق بكلام الله سبحانه وتعالى ولا يليق بمعاني هذه الأحاديث التي هي أوضح من أن تكون بهذا المعنى البعيد.

ويقول ابن قتية في الرد على هذه الأقوال «ليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل» ونقل السيوطي -رحمه الله تعالى- عن قوم قولهم «إن سياق تلك الأحاديث تأبى حملها على هذا بل هي ظاهرة في أن المراد أن الكلمة تقرأ على وجهين وثلاثة إلى سبعة تيسيرا وتهوينا حتى إن النبي -صلى الله عليه وسلم- شكا إلى ربه أن في أمته الصبية والمرأة والشيخ العاسي الفاني الذي لا يستقيم لسانه بالقراءة فكيف يقال إن المراد بها مجموع معاني سبعة» ثم مما يدل على تهافت هذا القول وهذه الأقوال بجملتها أنهم لم يحددوا هذه المعاني إلا بنوع من التحكم يعني بعضهم يقول هي حلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج وبعضهم يقول لا محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ فهذا نوع من التحكم لم يدل عليه دليل.

المجموعة الثالثة ممن فسر المراد بالأحرف السبعة رأو أن المراد بالأحرف السبعة هي الوجوه التي يقع بها التغاير والاختلاف في الكلمات القرآنية ولا يخرج عنها وقد اتفقوا على أن هذه الوجوه التي يقع بها الاختلاف والتغاير هي سبعة فهم يقولون جميع ما يقع فيه الخلاف في التلاوة في تلاوة القرآن وروايته هي سبعة وجوه لا يمكن أن تتجاوز هذه السبعة بحال من الأحوال وقد اختلفوا في تحديد هذه الوجوه فمثلا ابن قتيبة -رحمه الله تعالى- وهو من القائلين بهذا القول قال: الوجوه السبعة هي الاختلاف في إعراب الكلمة بما لا يغير معناها كقوله تعالى (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)[هود: ٧٨]، وفي قراءة (هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ) إذن اختلاف في إعراب الكلمة لم يغير معناها.

النوع الثاني الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها يعني اختلاف في الحروف دون الإعراب مثل قول الله سبحانه وتعالى (كَيْفَ نُنْشِزُهَا)[البقرة: ٢٥٩]، وفي القراءة الأخرى (كَيْفَ نُنْشِرُهَا) .

النوع الثالث من الاختلاف: الاختلاف في إعراب الكلمة بما يغير المعنى مثال ذلك قال مثل قول الله سبحانه وتعالى (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)[سبأ: ١٩]، وفي القراء الثانية (رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) فهذا اختلاف في إعراب الكلمة غير معنى الكلمة قال هذا هو حرف من الحروف السبعة المرادة في الحديث.

الرابع: الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتابة ولا يغير معناها، بما يغير صورتها في الكتابة والمعنى متحد مثل (إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً)[يس: ٢٩]، وفي قراءة ابن مسعود وهي قراءة أصحبت شاذة بعد جمع عثمان (إِن كَانَتْ إِلاَّ زقيةً وَاحِدَةً).

الخامس الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها كقوله سبحانه وتعالى (وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ)[الواقعة: ٢٩]، وفي قراءة (وَطَلْع نضِيد) فهذا أزال الصورة وأزال المعنى.

السادس الاختلاف بالتقديم والتأخير كما في قول الله تعالى (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ)[ق: ١٩]، وفي القراءة الأخرى (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بالْمَوْتِ).

السابع: الاختلاف بالزيادة والنقصان كقوله تعالى (فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)[الحديد: ٢٤]، وفي قراءة (فَإِنَّ اللهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).

هذه سبعة وجوه يرى ابن قتيبة أنها هي المرادة بالأحرف السبعة هناك من يقول بمثل قول ابن قتيبة لكن يخالفه في طريقة توجيه هذه الأحرف فمثلا هناك قول لأبي الفضل الرازي قال النوع الأول اختلاف الأسماء من إفراد وجمع وتذكير كقوله (وَكُتُبِهِ)، وفي قراءة أخرى (وكِتَابِهِ) (وَلاَ يُقْبَلُ) وفي قراءة (وَلاَ تُقْبَلُ) والثاني: اختلاف في تصريف الأفعال والثالث: اختلاف في وجوه الإعراب والرابع: اختلاف في الزيادة والنقص والخامس: اختلاف في التقديم والتأخير والسادس: اختلاف في الإبدال كقوله تعالى (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ)[الجمعة: ٩]، وفي قراءة (فامضو) والسابع اختلاف اللغات كالفتح والإمالة كقول الله تعالى (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى)[النازعات: ١٥]، و (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسِى) فهاتان طريقتان من طرق العرب في القراءة في هذا الحرف.

ابن الجزري -رحمه الله تعالى- ممن يوافق هؤلاء في المبدأ وإن كان يخالفهم أيضا في التفصيل والغريب أن ابن الجزري -رحمه الله تعالى- من شدة استشكاله لمعنى الأحرف السبعة ذكر أنه بقي أزيد من ثلاثين عاما يفكر في معنى هذا الحديث حتى اهتدى إلى القول بهذا الذي سنذكر خلاصته الآن بين أيديكم فيقول: «إن وجوه الاختلاف التي نزل عليها القرآن أو الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن هي هذه الوجوه السبعة المذكورة أولا: اختلاف الحركات بلا تغير في المعنى والصورة كقوله تعالى (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ)[النساء: ٣٧]، وفي قراءة (بِالْبَخَلِ).

الثاني اختلاف الحركات مع تغير في المعنى كقوله تعالى (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ)[البقرة: ٣٧]، وفي قراءة (فَتَلَقَّى آدَمَ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٌ).

الثالث: اختلاف الحروف بتغير المعنى لا الصورة كقوله تعالى (هُنَالِكَ تَبْلُو)[يونس: ٣٠]، وفي قراءة (تتلوا)بالتائين.

الرابع اختلاف الحروف بتغير الصورة فقط كقوله تعالى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ)[الفاتحة: ٦]، وفي قراءة (السراط) الخامس الاختلاف في المعنى والصورة كقوله تعالى (فاسعو) وفي قراءة (فامضو).

السادس التقديم والتأخير كقوله تعالى (فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ)[التوبة: ١١١]، وفي قراءة (فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ).

السابع الزيادة و النقصان كقوله تعالى (وَوَصَّى)، والقراءة الأخرى(وَأَوْصَى)»

هذه الطائفة لها جملة من الأدلة لكن أيضا يعترض على قولهم هذا بعدة اعتراضات فمن الاعتراضات التي ذكرها العلماء على هذا القول أن هذه الوجوه السبعة المذكورة التي استقرأها هؤلاء الأجلة من العلماء هي وجوه اختلاف القراءات الموجودة لكن لا يلزم من ذلك أن تكون الأحرف السبعة هي المرادة بهذه الاختلافات وتفسير الأحرف بهذه الوجوه ادعاء لم يقم عليه دليل.

الثاني أن أصحاب هذا القول قد اختلفوا فيما بينهم في تحديد هذه الأوجه كما رأينا ابن قتيبة أبو الفضل الرازي ابن الجزري -رحمه الله تعالى- كل واحد منهم قد جعلها سبعة لكن بطريقة مغايرة لطريقة صاحبه.

الثالث: لا تنهض بعض هذه الأوجه المذكورة إلا بأمثلة من القراءات الشاذة أو الضعيفة بل حتى المنكرة وقد صرح بذلك ابن الجزري حيث قال: «قد تتبعت صحيح القراءات شاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هو يرجع إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها».

الرابع: أن الحكمة من تعدد الأحرف السبعة ما هي يا إخواني؟ الحكمة كا بينا أو كما بان في الحديث هي التوسعة على الأمة والتخفيف على طوائف من هذه الأمة يشق عليها التعلم وبهذا الاختلاف الذي ذكروه والأوجه التي حملوا عليها أحاديث الأحرف السبعة لم يقع بها تيسير ولم يرفع بها مشقة عندما تتأمل فهناك مشقة حاصلة كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يخشى منها ويريد أن يدرأها عن أمته لا يمكن أن تتحقق بما ذكروه فقط.

إذن هذا القول الذي ذكروه لا يسلم لهم من كل وجه وقد اعترض عليه جماعة من أهل العلم.

المجموعة الرابعة من أقوال أهل العلم في هذه المسألة يرون أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب ثم اختلفوا في المراد على قولين مشهورين:

القول الأول: وهو قول لأبي عبيد القاسمي ابن سلام وهو من أئمة هذا الشأن يقول إن المراد بها أن سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن بمعنى أن كلمات القرآن لا تخرج عن هذه اللغات التي هي أفصح لغات العرب فكأن القرآن لم ينزل على لغة قريش وإنما نزل على لغات سبع اختلفوا في تحديدها هذه اللغات أيضا لغة من هل هي لغة قريش وثقيف وهوازن وتميم والقبيلة الفلانية كل منهم يقول بقول فهم جماعة أيضا قد اختلفوا في تحديد المراد بهذه اللغات فيرون أن القرآن كله مكون من سبع لغات لكن لا تجتمع هذه اللغات في كلمة واحدة وإنما ترد هذه الكلمة في الموطن الفلاني على لغة قريش والكلمة الأخرى في الآية الأخرى على لغة ثقيف والكلمة الثالثة في الآية الرابعة على لغة هوازن وهكذا.

وممن ذهب إلى هذا القول مع أبي عبيد ثعلب وابن صيدا والأزهري واختاره ابن عطية وصحه البيهقي في شعب الإيمان وهذا القول معترض عليه بعدد من الأمور:

سمعنا قبل قليل حديث عمر -رضي الله تعالى عنه- عندما سمع هشام ابن حكيم يقرأ هشام ابن حكيم رجل قرشي ومع ذلك قرأ هشام ابن حكيم سورة الفرقان بطريقة أنكرها عليه عمر فلو كان المراد أن هشام ابن حكيم قرأ بلغة مغايرة ما كان لعمر أن يعترض عليه ولذلك يقول هنا مخالفته لحديث عمر وهشام -رضي الله تعالى عنهما- الله عنهما فكلاهما من قريش ولسانهما واحد فلو كان المراد بالأحرف اللغة لما وقع بينهما اختلاف لأن كلا الرجلين من قبيلة واحدة.

الثاني هذا القول حقيقة لاتتحقق به الحكمة العظمى من نزول القرآن على أحرف سبعة وهي التيسير على الأمة وليس للقاريء أن يختار منها حرفا واحدا معنى ذلك أن كل إنسان مجبر على أن يقرأ بهذه الحروف كلها في عرض القرآن وطوله وهي موجودة مبثوثة في عرض القرآن وطوله.

الثالث أن هذا القول فيه زيادة مشقعة على الناس لأن القاريء من العرب يلزمه أن يقرأ بحرف قريش وثقيف وهوازن وتميم وغيرها من قبائل العرب بدل أن يقرأ بما يوافق لغته ولهجته التي طبع عليها .

ثم مما يدل على تهافت هذا القول اختلاف العلماء القائلين بهذا القول في تحديد هذا اللغات فمنهم من يقول هي لغة قبيلة كذا وقبيلة كذا وقبيلة كذا ويخالفه الآخر في تحديدها مما يدل على عدم انضباط هذا القول وعدم صحته بالتالي .

القول الثاني من هذه المجموعة التي ذكرناها هو ما ذهب إليه أكثر أهل العلم يعني هو قول جمهور العلماء سلفا وخلفا وأكثر من ينسب إليه هذا القول والانتصار له ومن انتصر له انتصار شديدا حتى إنه يعزى إليه هو الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى- قد ذكر ذلك في مقدمة تفسيره وأطال النفس في تقريره والرد على المخالفين فيه وممن ذهب إليه سفيان ابن عيينة وابن وهب والإمام الطحاوي ورجحه جماعة آخرون من أهل العلم.

والقول هذا المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد يعني الكلمة الواحدة تأتي على سبع لغات من لغات العرب كيف تأتي على سبع لغات من لغات العرب؟ يعني إذا كان العرب مختلفون في نطق هذه الكلمة مع اتفاق المعنى على سبع لغات جاءت الكلمة على سبع لغات فإن كان اختلافهم على ست جاءت على ست وإن كانت على خمس جاءت على خمس وإن كانت على أربع جاءت على أربع يقولون لأن العربي كان

يستعمل كلمة واحدة في أدء المعنى الذي يريد تجد عند بعض العرب أقبل وعند آخرين هلم وعند قوم آخرين تعال وهكذا كل طائفة أو كل قبيلة يستعملون كلمة كما هو الآن شائع بين قبائل العرب والعرب في بلادهم فإن بعضهم تجد عنده بعض المفردات التي لا تكاد تسمعها أو تجدها عند الآخرين.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- اشتكى إلى ربه من ضيق هذا الأمر على الأمة لو نزل القرآن كله على حرف واحد ولغة واحدة قد لا يفهمها الآخرون من العرب فوسع الله على هذه الأمة بأن جعل لهم سبعة أحرف في الكلمة الواحدة لا تزيد على السبعة بمعنى أنه يمكن أن تنزل الكلمة الواحدة المختلفة عند العرب على سبع لغات من لغاتهم.

واختلفوا في تحديد هذه اللغات السبع فقيل قريش وهزيل وتميم وهوازن وكنانة وثقيف واليمن وقيل قريش وهزيل وتميم وهوازن والأزد وربيعة وغير ذلك مما قيل وممن قال بهذا الرأي القاسم ابن ثابت الذي قال مقررا: «ونقول وبالله التوفيق الذي صحت به الآثار وتواطأت عليه الأخبار وتأوله من أهل التفسير من لا يدفع نقله ولا يتهم نظره أن الله تبارك وتعالى بعث نبيه -صلى الله عليه وسلم- والعرب متناؤون في المحال والمقامات متباينون في كثير من الألفاظ واللغات ولكل عمارة لغة ذلت بها ألسنتهم يعني لكل قبيلة وعشيرة لغة قد تطوعت بها ألسنتهم وفحوى قد جرت عليها عادتهم ففيهم الكبير العاسي والأعرابي القح ومن لو رام نفي عادته وحمل لسانه على غير ذربته تكلف منه حملا ثقيلا وعالج منه عبئا شديدا ثم لم يكسر غربه ولم يملك استمراره إلا بعد التدريب الشديد إلى آخر ما قال» ليبين أن هذا القول هو الذي يتفق مع حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف ممن قال بهذا القول أبو جعفر الطحاوي يقول كانت هذه السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غيرها لأنهم كانوا أميين لا يكتبون إلا القليل منهم فكان يشق على كل ذي لغات منهم أن يتحول إلى غيرها من اللغات ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة فوسع الله لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفق مثلا (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ)،فامضوا (قُلْ تَعَالَوْ) قل هلموا قل أقبلوا قل إيتوا إلى آخره مما يكون مختلفا في اللفظ متفقا في المعنى.

ومن أدلتهم على ذلك أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم تمارو في القرآن فخالف بعضهم بعضا في نفس التلاوة دون ما في ذلك من المعان يعني الخلاف كان في التلاوة وليس في المعاني وهذا فيه الرد على من قال بأن المراد بالأحرف معاني.

الثاني أنهم احتكموا فيه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فاستقرأ كل رجل منهم ثم صوب جميعهم في قراءتهم على اختلافهم ولو كان اختلافهم فيما دلت عليه تلاوتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد وما أشبه ذلك لكان مستحيلا أن يصوب جميعا يعني هذا يحلل وهذا يحرم في قراءته ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم- قراءة كل واحد منكم صواب هذا لا يمكن.

الثالث يؤيد هذا حديث أبي بكرة -رضي الله تعالى عنه- (أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الأحرف السبعة أنه قال كلها شاف كاف وفيه أيضا كقولك هلم وتعال) فقد أوضح نص هذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو في اختلاف الألفاظ كقولك هلم وتعال باتفاق المعان لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام ومما يؤيد هذا ما صح من الأخبار عن جماعة من السلف والخلف كقول ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- (فإن ما هو كقول أحدكم هلم وتعال) هذا تفسير من ابن مسعود وهو من القراء المعروفين من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقوله أيضا من قرأ على حرف فلا يتحولن منه إلى غيره فمعلوم أن عبد الله ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- لم يعني بقوله هذا من قرأ ما في القرآن من الأمر والنهي فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من الوعد والوعيد ومن قرأ ما فيه من الوعد والوعيد فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من القصص والمثل ولكن هذا القول أيضا لم يسلم من اعتراضات ذكرها بعض أهل العلم عليها فمن الاعتراضات التي اعترضت على هذا القول أنه قصرها حيث الأحرف السبعة على بعض معانيها فحسب لأنه قصر إنزال القرآن على سبع لغات على ما كان من الألفاظ المتفاوتة الموضوعة لمعنى واحد بين لغات القبائل دون هيئة النطق يعني لم يتطرق هذا القول إلى الاختلاف في هيئات النطق وطريقة الأداء مثل موسى وموسى ومثل فأصلح وأصلح ومثل الصلاة والصلاة وغير ذلك من الاختلافات.

الثاني أن هذا القول لا يسعف تخريج القراءات وتعليم وجودها واختلافها يعني عندما نقول بالأحرف نقطع الصلة بالقراءات الموجودة تماما.

الثالث أن هشام ابن حكيم قرشي فلا داعي لإنكار عمر عليه لأنه قرشي مثله يقرأ على لغته.

الرابع: أن الاختلاف بين لغات العرب ليس بشديد التباين حتى يجهل بعضهم بعضا أو يجهل بعضهم ما عند بعض في الأكثر وإنما هو أن قريش استعملت في عبارتها شيئا واستعملت هزيل شيئا غيره في ذلك المعنى وهكذا باقي اللغات.

يبقى عندنا إن شاء الله الترجيح لعلنا نعود إليه بعد قليل.

نستعرض مجموعة من الأسئلة: يقول: هل كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرأ الصحابة الآيات على أحرف مختلفة حال نزولها أم كان يقرؤها لصحابي على حرف وللآخر على حرف آخر تبعا للسان قبيلته أم كيف كان اختياره -صلى الله عليه وسلم- لتحديد هذا الأمر؟

هذا هو محل الإشكال الذي ذكرنا لكن الواضح جدا من أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يعلم كل صحابي بحرف ولذلك نجد أن أبي ابن كعب وجد اثنين من الصحابة يقرئان بأحرف لم يتعلمها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعمر تعلم سورة الفرقان من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بحرف وأخذها منه عليه الصلاة والسلام ووجد هشام ابن حكيم يقرؤها بحرف آخر مما يدل على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلم هذا بحرف ويعلم ذاك بحرف قد يكون ذلك على اختلاف لغاتهم وقد يكون ذلك حفظا لهذه الأحرف حسب الأقوال التي قربناها قبل قليل.

تقول: هل الأحرف الستة الباقية ما زالت موجودة أم ليس لها أثر وكذلك تذكر صعوبة في التفريق بين الأحرف والقراءات ؟

أما بالنسبة للأحرف الستة فهذا سنذكره بعد قليل ولكن أذكر الآن خلاصتها وهو أن من العلماء من يرى أنه لم يبق من الأحرف السبعة إلا حرف واحد وهو حرف قريش الذي أقره عثمان في جمعه وأن الأحرف الستة قد ذهبت وزالت ولم يبق لها ذكر ولا أثر.

وآخرون من أهل العلم يقولون بل كتب القرآن في عهد عثمان أو في جمعه على حرف قريش وكان مجردا بحيث يوافق أو يدخل فيه ما يوافقه من الأحرف الستة بمعنى أن ما خالف حرف قريش في الكتابة والصورة فإنه لا يمكن أن يكون موجودا أما ما وافقه في الصورة فقد بقي وهو موجود يقرأ به.

القول الثالث لأهل العلم في هذه المسألة وهو أن الأحرف السبعة كلها موجودة في ما بين أيدينا من خطوط المصاحف، وأصوب هذه الأقوال والله أعلم هو القول الثاني وهو أن الذي بقي حرف قريش وما يوافقه من الأحرف الأخرى بحيث أن القرآن قد كتب على نحو مجرد يحتمل أحرفا أخرى.

سألت الأخت قبل قليل عن صعوبة التفريق ليس هناك صعوبة في الفرق بينهما إذا قررنا أن الراجح هو القول الأخير الذي ذهب إليه جمهور العلماء أو قلنا إن هذا أقرب الأقوال أو الذي له دلائل كثيرة وقال به علماء كثيرون فإن الفرق بينها واضح جد وذلك أن القراءات الموجودة هي قراءات لما هو موجود من الحرف الذي تلقته الأمة أو أجمعت عليه يعني طرق في أداء ذلك الحرف وهذه القراءات السبع هي الحقيقة ليست قراءات سبع هي عشر بل أكثر من عشر ولذلك جاء ابن مجاهد لما خشي أن تتوسع الأمة في القراءات فحدها في سبع وليته كما يقول بعض العلماء زاد واحدا أو نقص واحدا حتى لا يختلط الأمر على عامة الناس فيظنون أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة فالأحرف السبعة مختلفة تماما في طريقتها ومختلفة في حكمتها ومختلفة في أصلها ونشأتها عن القراءات السبع التي هي إما أن تكون طرقا لأداء حرف واحد من الأحرف السبعة.

الشيخ قال: لا أقل الم حرف فنجد الأمة نوعا ما فترت الهمم لنرفع الهم نذكر الحديث هذا نبين لهم كل حرف عليه حسنة والحسنة بعشر أمثالها فأنا اختلف على الآن أريد أن أفهم معنى الحديث، وهناك شيء آخر ما المراد بقوله شاف كاف وعندي اقتراح الشيخ يقول أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ الصحابة يقرؤون عنده وهو يصوب لهم، كلام غير مفهوم.............٥٩:٠١

بالنسبة للكتب التي تكلمت عن علوم القرآن أود لو أعرف أفضلها من حيث الإيجاز ومن حيث التفصيل الكتب التي تكلمت عن علوم القرآن مفصلا وعلوم القرآن وبشكل موجز وخصوصا الأحرف السبعة

تسأل عن التفصيل في اعتبار الأحرف هل هي جزء من الكلمة أم ماذا؟

هذا القول الذي ذكرناه هو قول ابن الجزري -رحمه الله تعالى- وهو قول ابن كثير وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المحققين وهو الذي يدل عليه معنى الحديث ولا شيء في ذلك لسنا بهذا نحجر الأجر الأجر في قراءة القرآن عظيم عظيم جدا ليس في حسنة أو عشر حسنات ألم تسمعي قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان فيأتي بناقتين كوماوين من غير إثم ولا قطيعة رحم قالوا كلنا يا رسول الله قال: لأن يغدوا أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يتعلم آيتين خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل) فالقرآن تعلمه وتعليمه وتلاوته فيها فضل كبير جدا ليس مقصورا على ما ذكر في هذا الحديث المختلف حتى في رفعه ووقفه وصحته.

فنقول إن معنى الحرف في الحديث كما يظهر وكما بينا أن المقصود به الكلمة وليس واحد الحروف من الكلمة وبالنسبة لإيجاد نماذج من القراءات الشاذة أمس ذكرنا بعض النماذج لكن لا بأس أن نذكر بعضا منها لكن كأنها لها اقتراح آخر يعني تذكر ما هي القراءات النبوية ويذكر نماذج، إذا أسعفنا الوقت يمكن أن نذكر شيء من ذلك وإن كان الإخوة المختصون في القراءة أولى مني بهذا.

يسأل عن كتب علوم القرآن، إذا كان يريد كتابا مختصرا سهلا يمكن للمبتدأ أن يقرأه فأنا أوصيه بقراءة كتاب مقدمة في تفسير القرآن أو في أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين وإن كان يريد ما هو أوسع من ذلك فعنده كتابان مشهوران كتاب مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان وكتاب دراسات في علوم القرآن للدكتور فهد الرومي وكتب علوم القرآن كثيرة جدا وغالبها يعني متقارب في الطرح والبحث منها كتاب محاضرات في علوم القرآن للدكتور غانم قندوري حمد وغيرها من الكتب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أنا أعتمد على قراءة واحدة وهي قراءة حفص ابن عاصم مع العلم أني أستطيع أن أقرأ بجميع القراءات لكني أعتمد على هذه القراءة هل هناك إشكال يا شيخ؟

لا ما فيه إشكال العلماء مجمعون يا أخي على أن الإنسان لو قرأ بقراءة واحدة عمره كله فقد أحسن وأجزأ وجاء بما ينبغي له أن يأتي به، لكن لو زاد على ذلك فهذا خير إلى خير.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أريد أن أسأل ما هي أهم المراجع التي أرجع لها وهل الكتب الدراسية هي شاملة أو هي كمقدمة لهذا العلم وهل يحتاج أني أقرأ وأثقل قراءتي على شيخ وما هي الطريقة الأفضل لتمكني من هذا العلم وخاصة أني معلمة قرآن؟

بالنسبة لموضوع القراءات والقراءة وأخذ هذا العلم لا يؤخذ من الكتب إنما يؤخذ بالتلقي والمشافهة ولا يصح لأحد أن يتعلم القراءات من خلال قراءته لكتاب أو أي كتاب من المراجع المعروفة المأثورة عند أهل العلم فالقراءات وتجويد القرآن وتلقيه وتلاوته إنما تؤخذ بالتلقي والمشافهة ولذلك سميت قراءات سميت قراءات لأن الإنسان يقرؤها قراءة على المشايخ المتقنين الذين تلقوها عمن قبلهم وهكذا، نعم قد يستعين الإنسان بالكتب أو لابد له من الكتب ليستعين بها ويحفظ ما قرأ على المشايخ لكن الأصل في ذلك والعمدة فيه هو أن يتلقى هذا العلم عن الأشياخ المتقنين ولذلك العلماء يقولون لا يؤخذ العلم من صحفي ولا القرآن من مصحفي يعني ممن أخذ القرآن من المصحف، بل القرآن يؤخذ من أفواه المشايخ.

تقول: هل نزل مصحف عثمان بحرف واحد وإذا كان كذلك فكيف حفظت الأحرف الباقية ؟

مصحف عثمان ما نزل من السماء على عثمان مصحف عثمان إنما أراد به عثمان -رضي الله تعالى عنه- أن يجمع الناس على مصحف واحد لأن لا يتفرقوا لأن أبا بكر جمع ما كان متفرقا في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان كل واحد من الصحابة يقرأ بما أقرأه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما خشي عثمان أن تختلف

الأمة في القرآن جمع الناس على مصحف واحد وعلى حرف أيضا واحد وهو حرف قريش وما يوافقه من الأحرف السبعة الأخرى التي كانت في العرضة الأخيرة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وألزم الناس بالقراءة بذلك وإلغاء ما سوى ذلك مما كان بين أيدي الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فالمصاحف التي كانت بين يدي الصحابة كتبوها في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنفسهم كلها قد ألغيت بل أحرقت وأتلفت ولم يبق منها شيء ولم يبق إلا مصحف عثمان.

يقول: هل عندما كان جبريل ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم-كان يعلمه القراءات السبع مرة واحدة وهل كان معه صحيفة؟

نعم كان يعلمه القراءات السبع بحسب ما يقتضيه المقام ولا يظن أحد منا يا إخواني أن المقصود بالأحرف السبعة أن كل آية تردد سبع مرات على أوجه مختلفة بل كل ما اقتضى أن يكون فيه سبعة أحرف أو ثلاثة أو خمسة أو أربعة حسب ما هو واقع من لغات العرب فإنه يؤذن للنبي بالقراءة بها وما سوى ذلك فلا وهو فيما يظهر أكثر القرآن لكن ترد بعض الحروف وبعض المواقع على سبعة أحرف أو ثلاثة أو خمسة أو اثنين حسب ما هو مختلف عند العرب والله أعلم.

ما رأيكم في دورة مكثفة في القراءات العشر تدوم ثلاثة أشهر بحيث يتم فقط قراءة الفروق الموجودة بين القراءات وتعطى إجازة بعد ذلك هذا يتم عبر الإنترنت أي أن الصوت باللاقط وقد يكون غير واضح أليس هذا تنقيصا من كتاب الله أرجوا تقديم رأيكم

أولا علم القراءات من العلوم التي تحتاج إلى دربة وجلوس طويل وثني ركب ففي كليات القرآن يجلس الطالب أربع سنوات وهو يقرأ القراءت العشر ويحفظها ويضبطها على المشايخ فلا ثلاثة أشهر ولا عشرة ولا سنتين تكفي لأخذ القراءات واستيعابها بل نحتاج إلى وقت أطول من ذلك فلا تظني أن هذا بهذه السهولة.

الشيء الثاني: أن القراءات ليست كما تظنين يعني اختلاف بضنين وبظنين و (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ) و(المجيد) هذا يسمى الفرش وهو قليل وسهل أقوى منه وأشد في القراءات الأصول التي يختلف فيها القراء هذا ورش له أصول مختلفة عن أصول حفص وهكذا سائر القراء كل واحد منهم له أصول مختلفة، فرش الحروف يأخذها القراء في وقت يسير أما أصول القراءة فإنها تحتاج إلى وقت طويل.

ما رأيك في الإخوة الذين يقرؤون في الصلاة بالقراءات هل هذا جائز؟

تحدثنا عن هذا بالأمس نقول نعم إذا كان لا يترتب على ذلك فتنة ولا إشكال بين الناس والناس يعرفون هذا الأمر فلا بأس به وهذا هو الأفضل والأتبع وإن كان يترتب عليه شيء من هذه المفاسد فإنه لا ينبغي القراءة بذلك عند الناس لأن لا يحصل بذلك تشويش وفتنة لبعض العامة.

ذكرنا الأقوال كما تقدم وبقي الترجيح والحقيقة أن من أصعب الأشياء الترجيح في هذه المسألة الشائكة التي اختلف العلماء فيها هذا الاختلاف البين وقد بينا أن كل قول له أدلة وعليه اعتراضات ولكن عزائنا أننا نقول يمكن أن نذكر أقرب الأقوال إلى عامة هذه النصوص وما يمكن أن تجتمع به كثير من الأحاديث الواردة في هذا الباب إذا علمنا أن أحاديث الأحرف السبعة تدل على أمرين:

الأمر الأول: أن الأحرف السبعة في القراءة وليست في المعنى وهذا أمر ينبغي أن نسلم به وبهذا تسقط جملة من الأقوال التي لا ينبغي الاعتداد بها.

الثاني: أن الحكمة من الأحرف السبعة هي التخفيف والتيسير على الأمة والرحمة بهم فإن هاتين المقدمتين تدعونا إلى أن نقول إن أقرب الأقوال في هذه المسألة هي أقوال المجموعة الثالثة والمجموعة الرابعة بل لا مانع أن نقول إن القول الصحيح مؤلف من أقوالهم تقريبا جميعا، المجموعة الثالثة والقول الثاني من المجموعة الرابعة وهو قول الطبري -رحمه الله تعالى- فإن هذه الاختلافات أو الوجوه التي ذكروها وأيضا نزول القرآن على لغات متعددة من لغات العرب في المعنى الواحد مختلفة الألفاظ ومعناها واحد هو ما يظهر أنه جاءت عليه الأحرف

السبعة ولذلك يقول ابن حجر -رحمه الله تعالى- «يمكن الجمع بين القولين بأن يكون المراد بالأحرف تغاير الألفاظ مع اتفاق المعنى مع انحصار ذلك في سبع لغات» فهذا والله أعلم هو أقرب الأقوال وهو الذي قال به جماعة كثيرة من أهل العلم وخصوصا أن كثيرين منهم من المحققين المعروفين المختصين في هذا العلم.

بقي أن نقول ما الذي بقي من الأحرف السبعة؟ أجبنا عن هذا قبل قليل في سؤال إحدى الأخوات فلا داعي إلى الإعادة.

بعد ذلك ننتقل أيها الأحبة إلى حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف أول الحكم وأجلاها أيها الأحبة كما قدمنا قبل قليل هو التيسر على الأمة والرحمة بهم وقد صور ابن قتيبة حال العرب الذين نزل فيهم هوى القرآن فقال «فكان من تيسيره أن أمره بأن يقرأ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولن يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات ومتصرفا في الحركة » ولاحظوا الآن يا إخواني عوام الناس إذا أردنا أن نقرأهم القرآن يشق عليه أحيانا بعض طرائق الأداء، بعض العامة لو أردته أن ينطق الهمزة في وسط الكلمة ما استطاع ولا أطاق ولو أطاقها في بعض الكلمات بوجه من الصعوبة لم يطقها في سائر الكلمات.

الثاني من الحكم أيها الأحبة: تحقيق انتشار الدعوة الإسلامية فإن نزول القرآن على أحرف سبعة لمن يكن بمكة لأن أهل مكة كانوا على لغة واحدة وإنما نزل والله أعلم بالمدينة عندما دخل في الإسلام أقوام وقبائل ووفد على النبي -صلى الله عليه وسلم- وفود العرب فاحتيج إلى أن يقرأ القرآن بأحرف تناسب هؤلاء القوم الذين لا يحسنون إلا ما عهدوا وهذا يدل على أن الدعوة انتشرت وأن الدين قد اتسع ذكره وأمره في الآفاق.

الأمر الثالث: الإيجاز والإعجاز وانظروا أيها الأحبة تعدد الأحرف كمال الإعجاز في غاية الإيجاز إذ أن كل حرف بالنسبة للآخر بمنزلة آية مستقلة ولا يخفى أن تنوع المعاني تابع لتنوع الألفاظ ولو كان كل حرف آية مستقلة لكان في ذلك إطالة وإطنابا يتعارضان مع جمال الإيجاز وبقاء الإعجاز هذا إعجاز عظيم أن ينزل آية واحدة وتقرأ على سبع لغات أو ست أو خمس لغات من لغات العرب.

أيضا من حكم نزول القرآن على أحرف سبعة الدلالة على أن مصدر القرآن هو الله سبحانه وتعالى وأنه وحي من عنده وذلك أن تعدد القراءات وتعدد الأحرف كما يقول الدكتور فهد الرومي واتساق بعضها مع بعض وترابطها من غير اختلاف فضلا عن التضاد أو التنافي يدل على أنه من عند حكيم خبير (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرً)[النساء: ٨٢].

أيضا من حكم ذلك توحيد لغات العرب ووحدة الأمة الإسلامية لأن القرآن نزل على سبعة أحرف تمهيدا لأن تتعلم القبائل اللغة والحرف الذي استقر عليه الأمر في عهد أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأن ألسنتهم قد طاوعتهم بعد ذلك بعد التعلم و التلقين والتلاوة.

السادس الأحرف السبعة من خصائص هذه الأمة المحمدية فلم يكن لأمة قبلها ومما يعظم الله سبحانه وتعالى به أجورها وهو أيضا من خصائص هذا القرآن فلم يكن لكتاب سبق هذا الكتاب أن نزل على سبعة أحرف والعلم في ذلك عند الله وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد.

تأمل إعادة القراء السبعة

دعونا نذكر القراء السبعة:

نافع وهذا المدني وبعده ابن كثير ابن كثير المكي وأبو عمرو العلاء البصري وابن عامر الشامي وعاصم ابن أبي النجود الكوفي وحمزوة الكوفي والكسائي هؤلاء سبعة هم القراء السبعة الذين أجمعت الأمة على تلقى رواياتهم بالقبول ويزاد عليهم أيضا ثلاثة تتمة العشرة.

نستعرض أسئلة الدرس القادم وعنوانه

الدرس القادم إن شاء الله نقول عندنا سؤالان:

السؤال الأول: ما درجة أحاديث الأحرف السبعة؟

السؤال الثاني: كيف يرد على من قال إن عدد السبعة يقصد به الكثرة والكمال؟

وأما موضوعنا إن شاء الله في الدرس القادم فهو فضائل القرآن وآداب تلاوته.

الدرس السابع عشر

فضائل القرآن وآداب تلاوته

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد:

فهذه المحاضرة هي المحاضرة السابعة عشرة من محاضرات علوم القرآن في هذه الأكاديمية المباركة وحديثنا اليوم سيكون عن موضوع مهم قد لا تكفيه محاضرة واحدة لكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق إنه عن فضائل القرآن وآداب تلاوته وقد جرت عادتنا- بحمد الله سبحانه وتعالى- أن نراجع ما أخذناه في الدرس الماضي ونسأل الإخوة الحاضرين معنا في هذا المكان الطيب المبارك.

السؤال الأول: ما معنى الحرف في اللغة؟

معنى الحرف في اللغة هو الطرف والجانب والحد

أحسنت. هو طرف الشيء وجانبه وحده (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ)[الحج: ١١]، إلى آخر الآية.

أحسنت- بارك الله فيك- ومنه سمي الحرف الذي يكون في الكلمة حرفاً لأنه يكون على طرف في تلك الكلمة.

السؤال الثاني: ما سبب اختلاف العلماء في الأحرف السبعة؟

يوجد لهذا ثلاثة أسباب: السبب الأول: أن الموضوع متصل بالقرآن الكريم.

السبب الثاني: أن الأحاديث جاءت مجملة.

السبب الثالث: أن قصص الصحابة- رضوان الله عليهم- لم يذكر فيها موضوع الخلاف.

أحسنت. قصص الصحابة التي رويت لنا لم يذكر فيها في أي شيء اختلفوا، وكذلك الأحاديث التي وردت في ذكر نزول القرآن على أحرف سبعة جاء مجملة لم يبين فيها معنى هذه الأحرف فمن أجل ذلك اختلف الناس في هذه الأحرف على أقوال كثيرة بلغت أربعين قولاً كما ذكر ذلك السيوطي -رحمه الله تعالى-.

السؤال الثالث: كم بقي من الأحرف السبعة؟

الأحرف السبعة التي بقيت على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه بقي حرف واحد.

والقول الثاني: أنه بقي ما يتحمله رسم المصحف الشريف.

القول الثالث: بقيت الأحرف كلها.

أحسنت. القول الأول: بقي حرف واحد وجميع الأحرف الأخرى قد انتسخت وزالت ولم يبق منها شيء.

القول الثاني: أنه بقي حرف واحد وما يحتمله مرسوم المصحف من الحروف السبعة الأخرى.

القول الثالث: أن الأحرف السبعة باقية لم يتغير منها شيء وهي موجودة في رسم المصحف الذي بين أيدينا.

السؤال الرابع والأخير: ما حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف؟

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: الحكمة من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف:

التيسير والتخفيف على الأمة وأيضاً الرحمة وكذلك تحقيق انتشار الدعوة الإسلامية وفيه أيضاً الإعجاز والإيجاز وأيضاً تنوع المعاني يكون تابعاً لتنوع الألفاظ وأيضاً الدلالة على أن مصدر القرآن الكريم من الله- تبارك وتعالى- الحكيم الخبير وكذلك توحيد لغات العرب وكذلك من خصائص الأمة المحمدية هذه الأحرف السبعة ومن خصائص القرآن الكريم.

أحسنت- بارك الله فيك - إجابة وافية.

بعد ذلك جرت العادة بأن نطرح سؤالين في خاتمة كل محاضرة ونستمع إلى إجابتهما من الإخوة ونقدم الإخوة الذين يتابعوننا عن طريق الإنترنت.

السؤال الأول: ما درجة أحاديث الأحرف السبعة؟

السؤال الثاني: كيف يرد على من قال: إن عدد السبعة يراد به الكثرة والكمال؟

الإجابات وصلت من الإخوة الدارسين والدارسات: تقول: الإجابة الأحاديث الواردة في الأحرف السبعة كلها أحاديث متواترة قد نقلها جمع من الصحابة كثير فهي قوية رصينة لا مجال للشك فيها أو الزيغ وقد زاد عدد الصحابة الذين رووا هذا الحديث عن خمسة وعشرين صحابياً عن ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أقرأني جبريل على حرف واحد فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى زادني سبعة أحرف) أو كما قال -عليه الصلاة و السلام-

وردت عن سبع وعشرين صحابياً كما ذكر ذلك السيوطي -رحمه الله تعالى- بارك الله فيها إجابة صحيحة.

السؤال الثاني: الرد على من قال: إن العدد سبعة يقصد به الكثرة والكمال:

أن هذا قول باطل لا يعتد به لأنه يخالف ألفاظ الأحاديث الصحيحة المتواترة التي نصت على أنها سبعة أحرف بالعدد لقوله -صلى الله عليه وسلم-:(فما زلت أستزيده ويزيدني حتى زادني سبعة أحرف)

نعم. ألفاظ الأحاديث ناصَّة على أن المراد بالعدد السبعة هو العدد المعروف لأنه قال: (نزل القرآن على حرف فما زال يزيده جبريل على حرفين ثم ثلاثة حتى وصل به إلى سبعة) مما يدل على أن هذا الرقم هو المقصود في الحديث وليس المقصود به مجرد الكثرة كما هو معروف أحياناً في بعض كلام العرب.

كذلك الإجابة الأولى حديث الأحرف السبعة متواترة فهي من أعلى درجات الصحة.

والإجابة الثانية: نرد عليهم بأن قولهم هذا يخالف ألفاظ الحديث الواردة في ذلك وذكر حديث ابن عباس الماضي.

كذلك الأخت أجابت السؤال الأول: نزول القرآن على سبعة أحرف رواها جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب.

وإجابة السؤال الثاني: أن هذا باطل ويخالف ما جاء في الأحاديث الظاهرة التي تدل على حقيقة العدد وانحصاره في سبعة

كذلك الأخ أجاب إجابة قريبة من ما ذكر سابقاً ذكر حديث ابن عباس.

أحسنتم، وبارك الله فيكم وفيهم وفيمن يتابع معنا في هذه الدروس المباركة نسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا حجة لنا لا حجة علينا فإن القرآن- كما تعلمون- تعلمه يكون للإنسان شفاعة يوم القيامة كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (القرآن شافع مشفع وماحل مصدق) يعني مجادل عن صاحبة يوم القيامة مصدق عند الله - جل وعلا.

اليوم حديثنا- كما أسلفنا- عن فضل تلاوة القرآن وآداب تلاوته وآداب حملته فسيكون الحديث في موضوعين:

الموضوع الأول: فضائل القرآن وفضائل آياته وسوره.

الموضوع الثاني: آداب تلاوته وآداب حملته.

ونسأل الله - سبحانه وتعالى- أن نوفق للصواب في هذا كله.

الموضوع الأول: فضائل القرآن وفضائل آياته وسوره

أولاً: - أيها الأحبة- نتحدث عن فضل تلاوة القرآن:

لا يخفى على مسلم عظم أجر تلاوة القرآن الكريم وأنها من أعظم الأعمال الصالحة أجراً عند الله - سبحانه وتعالى- وقد وردت أحاديث كثيرة جداً تدل على فضل قراءة القرآن وعظم أجر تاليها ولسنا بحاجة إلى أن نذكرها جميعاً لكن نشير إلى جملة منها قال الله- تعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ(٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ)[فاطر: ٢٩: ٣٠] وفي الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) وهذا الحديث لو تأمله المسلم لوجد فيه فضيلة عظيمة تحثه على حفظ القرآن والمسارعة في تلاوته والصلة به؛ ذلكم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنه يقال لصاحب القرآن: (اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤه)

وقد بينت بعض الآثار أن منازل الجنة على عدد آيات القرآن الكريم فبقدر ما تجمع من القرآن في صدرك وبقدر ما تكون به من أهل القرآن تكون منزلتك عند الله يوم القيامة في الجنة يقال لك (اقرأ وارتق) في درجات الجنة(ورتل كما كنت ترتل في الدني). وهذا يدلنا على أهمية أن يقرأ الإنسان مبينا موضحا على تؤدة وتمهل (كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك) يعني في الجنة (عند آخر آية تقرؤه) فمن جمع القرآن كله في صدره ستة آلاف وأكثر من مائتي آية فهو في المنزلة العالية ومن أخذ منه جزءاً أو جزئين أو سورة أو سورتين فهو دون ذلك وكل منهم على خير.

نسأل الله - سبحانه تعالى- أن يجعلنا من أهل المنازل العالية، لكن ينبغي أن ينتبه الإنسان إلى قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (يقال لصاحب القرآن) وصاحب القرآن لا يسمى صاحباً له حتى يكون من أهله العاملين به المعظمين له، المؤمنين به التالين له غير الغالي فيه ولا الجافي عنه كما ورد في بعض الأحاديث،قد قال النبي - صلى الله عليه وسلم- (إن لله من الناس أهلين قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)

فهذا فيه دلالة على الترغيب في هذا الأمر العظيم وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- (أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان) وفي رواية (أو قال: العقيق) وهما واديان قريبان من المدينة (فيأتي بناقتين كوماوين من غير إثم ولا قطيعة رحم) وفي رواية (فيأتي بناقتين كوماوين زهراوين من غير إثم ولا قطيعة رحم ؟ قالوا: يا رسول الله كلنا يحب ذلك قال: لأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يتعلم آيتين خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل) وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: "الم" حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) فكلما استزاد الإنسان استزاد من الحسنات بأقل كلفة وأعظم أجر- لا إله إلا الله- ما لنا نرى أنفسنا ونرى الناس قد زهدوا في هذا الأجر العظيم الذي جعله الله بين أيديهم وتخلوا عنه وجعلوا القرآن خلف ظهورهم أو في جانب من اهتماماتهم ليس هو الأصل في حياتهم؟!!

ومنه أيضاً الأحاديث الدالة على تعلم القرآن وعلى فضل الجلوس في مجالسه وفضل استماعه وهي أحاديث كثيرة من فضل الله - سبحانه وتعالى- بل منها أحاديث تأمر أمراً بتعلم القرآن كحديث عقبة بن عامر -رضي الله تعالى عنه- قال: (تعلموا كتاب الله وتغنوا به) وفي رواية (تعلموا كتاب الله وتعاهدوه وتغنوا به واقتنوه) يحث النبي -صلى الله عليه وسلم- الصحابة على التغني به وعلى تعاهده وعلى تعلمه وعلى الحرص عليه وكان الناس فيما مضى في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أول ما يسلم الرجل يقوم النبي -صلى الله عليه وسلم- فيعلمه القرآن ولما كثر الناس صار يجعل هذه المهمة لعدد من أصحابه يقرئون الناس القرآن ويعلمون الصحابة ما تيسر لهم من كتاب الله - سبحانه وتعالى-.

ننتقل بعد هذا إلى فضل استماع القرآن:

القرآن أيضاً كما أن الأجر يكون بتلاوته يكون أيضاً باستماعه ويكفي في هذا قول الله- تعالى-: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[الأعراف: ٢٠٤] ولعل -كما يقول القرطبي-: من الله واجب، وقد ورد مثل هذا عن كثير من السلف.

إذن: فمن أراد رحمة الله أن تنزل عليه وتخالط بشاشة قلبه وتكون ضياء له في حياته فعليه أن يستمع للقرآن وقد طبق النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا عملياً في حياته (فمر على ابن مسعود مرة وقال له: اقرأ. قال: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري فأخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- يستمع وابن مسعود يقرأ عليه من سورة النساء قال: حتى قال لي: حسبك لما بلغ قول الله - جل وعلا- (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا)[النساء: ٤١]، تأملوا قال ابن مسعود: فالتفت فإذا عيناه تزرفان) -عليه الصلاة و السلام-.

ومن ذلك أيضاً قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي موسى الأشعري (لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود فقال: لو كنت أعلم بمكانك يا رسول الله لحبرته لك تحبير) مما يدل على أن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- كانوا يجتهدون في تلاوة القرآن وفي ترتيله والتمهل في أدائه وتحسين الصوت به والتغني به.

ثم ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى فضل حفظه: لأن صاحب القرآن أو أولى الناس بأن يكون من أهل القرآن ومن أصحابه الذين جمعوه في صدورهم قال الله - سبحانه وتعالى- (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)[العنكبوت: ٤٩]، فسمى الذين جمعوا القرآن في قلوبهم سماهم من أهل العلم ونسبهم إليه مما يدل على أن عماد العلم وأهم ركيزة فيه وأعظم أساس فيه أن يكون القرآن موجوداً في صدر طالب العلم. ومع الأسف ونقولها بكل حرقة أن بعض طلاب العلم يبلغ في العلم ما يبلغ وهو لا يحفظ من القرآن إلا قليلاً، فكيف يكون للإنسان حظ في العلوم الشرعية وحظه من كتاب الله - سبحانه وتعالى- قليل أو ضعيف وقد تيسر له هذا الأمر لكنه أعرض عنه واستبدل به غيره ولذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) وفي الحديث الآخر قال: (وليؤمكم أكثركم قرآن) فكيف يكون أكثر قرآناً إلا وقد جمع من القرآن أكثر مما جمع أصحابه وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- لعظم منزلة القرآن عنده وتعريفه أصحابه بهذا الأمر كان إذا أراد أن يخرج سرية للغزو أمَّرَ عليهم أكثرهم قرآناً وإذا قتل أحد من أصحابه في غزوة وأراد أن يدفن اثنين في قبر واحد فإنه يقدم في القبر أكثرهم قرآناً مما يدل- يا إخواني- على عظم منزلة حامل القرآن ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (إن

من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه) هذا من إجلال الله أن يكرم صاحب القرآن الذي يحمل في صدره القرآن وحامل القرآن (إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه) الغالي فيه من هو؟ الذي اقتصر على القرآن وترك بعض ما أوجب الله عليه وأهمل بعض الحقوق والواجبات فغلا. والجافي عنه الذي أعرض عنه ولم يهتم به ولم يجعله ديدنه ومحلاً لتلاوته.

ننتقل بعد هذا إلى فضل الاجتماع لمدارسته: ويكفي في ذلك الحديث الوارد في صحيح مسلم (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) ولو حصَّل المدارسون لكتاب الله واحدة من هذه الأربع لكان خيراً كثيراً فكيف بهم وقد جمع الله لهم هذه الأربعة ؟!! ذلكم أن القرآن هو الذي يزيد به الإيمان وهو الذي يحصل الإنسان به شرف العلم والمعرفة بالله وبأسمائه وبالدار الآخرة ومحبة الله ومحبة رسوله -صلى الله عليه وسلم.

ننتقل بعد هذا إلى فضل تعلم القرآن وتعليمه: يكفي في هذا قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي يرويه أبو عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنهم جميعاً- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وفي رواية (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه) فتأملوا يا إخواني قال أبو عبد الرحمن السلمي بعد أن روى هذا الحديث (وهذا الذي أقعدني هذا المقعد) أتدرون كم قعد؟ لقد قعد أبو عبد الرحمن السلمي أربعين عاماً يقرئ الناس القرآن ليس له شغل إلا تعليم الناس كتاب الله - سبحانه وتعالى- ذلكم أن عثمان لما أرسل المصاحف بعث مصحفاً مع أبي عبد الرحمن السلمي لأنه كان ممن تلقى القرآن على عثمان وعلى علي وعلى أبي وابن مسعود فذهب به إلى الكوفة وفتح هناك مقرأة يقرئ الناس حتى إنه كان يطوف عليهم على حمار له من كثرة الحلق التي كان يشرف عليها ويقوم بها أبو عبد الرحمن السلمي. حديث واحد عمل به هذا الرجل وأقعده أربعين عاماً (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى ضد ما ذكرناه من الأمر بتعلم القرآن والاهتمام به وفضل تلاوته واستماعه وحفظه ومدارسته وهو:

النهي عن هجر القرآن والتحذير من ذلك: قال الله - جل وعلا-: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا)[الفرقان: ٣٠] وهذه الآية نزلت- حقيقة- في قوم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهم أهل مكة الذين هجروا القرآن بأن أعرضوا عنه وقالوا: (لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)[فصلت: ٢٦]، فكانوا يحذرون أشد الحذر من استماع القرآن لعلمهم بأن القرآن له أثر ماض في قلوب هؤلاء القوم لا يستطيعون له رداً بحيث إذا سمعه الإنسان آمن بما جاء فيه وإن جحده بلسان وكذب به وأعرض عنه، فالهجر الوارد في الآية إنما يراد به- حقيقة- من هجر القرآن بأن أعرض عنه ولم يؤمن به ولم يعلم بما جاء فيه فلم يتحاكموا إليه، لكن قد يكون للإنسان نصيب من هذا الهجر بقدر ما، المسلم لا يمكن أن يكون هاجراً للقرآن ما دام مسلماً لا يمكن أن يكون هاجراً للقرآن لماذا ؟ لأنه لابد أن يقرأ فيه في كل يوم يصلي خمس صلوات يقرأ في كل صلاة الفاتحة مرتين أو ثلاث أو أربع مرات فلا يكون بذلك هاجراً للقرآن جملة وتفصيلاً لكن قد يصيبه الهجران بنوع ما. ذلكم - أيها الأحبة- أن اسم الهجر يمكن أن يكون على الشيء كلية كما هو بالنسبة للكافر بأن هجر الإيمان والعمل وأعرض عن القرآن كلية فهذا هو الهجر الذي ينطبق عليه اسم الهجر تماماً ويمكن أن يكون على إنسان يهجر القرآن بمعنى أنه يؤمن به لكن يعمل به أحياناً ويترك العمل به في بعض مسائل الدين فهذا هجر دون هجر.

النوع الثالث: أن يكون عاملاً به مؤمناً به لكنه قد يقصر في تلاوته فهذا نوع من الهجر الذي هو هجر تلاوة القرآن والقيام به حق القيام.

وبهذا نقول: إن الأول: ترك مقام الإسلام، والثاني: ترك مقام الإيمان والثالث: ترك مقام الإحسان. وأكمل هؤلاء من قام بالقرآن حق القيام إيماناً وعملاً وتلاوة وتدبراً ودعوة إليه وصبراً على الأذى فيه فهذا هو الذي يستحق أن يكون من أهل القرآن ويستحق أن يكون من أهل الله الذين هم أهل الله وخاصته وأيضاً يستحق أن يكون- كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا) ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم- (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) من هم أصحابه؟ أصحابه الذين كانون يؤمنون به ويعملون بآياته ويتلونه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار قال النبي -صلى الله

عليه وسلم-: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار) فالمقصود بالحسد هنا: الغبطة يعني: لا غبطة إلا في هذين الأمرين وهوأن يكون الإنسان منفقاً باذلاً للمال أو يكون قبل ذلك من أهل القرآن الذين يتلونه آناء الليل وأطراف النهار.

إذن: تبين لنا بهذا معنى الهجران وليس المقصود بالآية ولا بالهجران الذي يذكر هو أن يكون الإنسان قد ترك تلاوة القرآن التي تكون في اليوم والليلة فإن هذا ليس فيه هذا الوعيد وليس فيه إثم بفضل الله - سبحانه وتعالى- لأنه لا يمكن أن يكون الإنسان مسلماً إلا وهو يتلو شيئاً من القرآن لكن قد يناله شيء من اسم الهجر الذي يكون نقصاً في مرتبة الإيمان أو مرتبة الإحسان.

بقي في حديثنا حول فضل تلاوة القرآن الحديث عمَّا جاء في نسيان القرآن:

نسيان القرآن إن كان المقصود به - أيها الأحبة- أن تذهب الآية عن ذهن الإنسان فهذا لا يلام عليه الإنسان لأنه لا يكاد أحد يسلم من هذا حتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقع له شيء من ذلك في صلاته فقد ترك شيئاً من الآيات فلما سلَّم قال: (أين أُبيّ ؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله. قال: ما منعك أن تفتح علي فإني قد نسيت آية كذا وكذا ؟) فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قد يحصل له شيء من ذلك وما ورد من الأحاديث في أن نسيان القرآن يعتبر ذنباً. كلها أحاديث ضعيفة منها حديث: (عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أوتيها رجل ثم نسيها) هذا حديث ضعيف رواه أبو داود والترمذي ومنها حديث آخر رواه أبو داود (ما من امرئٍ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله- عز وجل- يوم القيامة وهو أجذم) فمن قرأ شيئاً من القرآن أو نسيه فلا إثم عليه لكن يكره له هذا المقام لأنه يعتبر نوعاً من الحور بعد الكور.

فعليه: لا إثم على من حفظ شيئاً من القرآن ثم نسيه لكن ينبغي على المسلم أن يتعاهد القرآن وأن يحرص على مدارسته، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً أو تفصياً من الإبل في عقلها)وقال: (مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن تركها فلتت منه) أو كما قال -عليه الصلاة و السلام-.

هناك أسئلة بخصوص العناصر الماضية: تقول: هل يأثم من عنده القدرة على تعلم قراءة القرآن الكريم وتجويده وهو في الأصل قراءته ضعيفة وغير صحيحة؟

القراءة بالتجويد واجبة على من قدرعلى ذلك يعني: من قدر على أن يجود القرآن فيقرأه عربياً كما أنزل واجبة ومن لم يستطع فإنه لا يجب عليه من هذا إلا بقدر ما استطاع، فالأعجمي الذي لا يستطيع أن يقيم لسانه أو العامي الكبير في السن أو غير ذلك هذا يقال له: اقرأ القرآن بقدر استطاعتك ولا يلزمك أكثر من ذلك ولك أجر بقدر ما قرأت قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) فقد يقول قائل: هل هذا أفضل من الأول؟ نقول: لا.. بأن تكون مع السفرة الكرام البررة خير من أن تكون صاحب أجرين وهذا مثل الحديث الوارد الذي فيه (أن رجلين أصابتهما جنابة فأحدهما تيمم والآخر أعاد الصلاة والأول لم يعد فقال في حق أحدهما: إنه أصاب السنة وقال في حق الآخر: إن له أجرين) فالذي أصاب السنة أفضل من الذي له أجران.

هناك عدة أسئلة عن ارتباط آيات القرآن بدرجات الجنة يقول: هل درجات الجنة بعدد آيات القرآن برواية واحدة بمعنى: هل إذا تعلم المسلم القراءات تزيد درجته في الجنة عن إذا حفظه برواية واحدة.

وكذلك يا شيخ تقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هل صحيح أن عدد درجات الجنة بعدد آيات القرآن؟

الذي يظهر من هذا الحديث الذي تلوناه وهو حديث صحيح (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤه) يدل على هذا المعنى وذكر الخطابي -رحمه الله تعالى- أنه ورد عن السلف آثار تدل على أن منازل الجنة بعدد آيات القرآن الكريم ولا شك أن الذي يتعلم القرآن برواياته أفضل من الذي يتعلم برواية

واحدة لأنه ثبت لدينا أن تعلم السنن الواردة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- والإتيان بها أفضل من تعلم سنة واحدة والاقتصار عليها، لكن هذا لمن يقدر على ذلك ويطيقه أما من لا يقدر على ذلك بحيث تورثه تعلم هذه القراءات نوعاً من الخلط بينها وعدم ضبطها فنقول له: اقرأ القرآن برواية واحدة فذلك خير وأزكى.

هل الحديث (اقرأ ورتل وارتق فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤه) يقتصر على الذين يحفظون آيات القرآن أم أنه يشمل حتى الذين لا يحفظونه يعني فيه دلالة على أنه يجب أن يحفظ القرآن حتى أنه يقرؤه يوم القيامة ويرتقي في الجنة ؟

لا أدري- والله- هل معنى قوله:(لصاحب القرآن) يعني: حافظه وحامله، أو أنها تشمل صاحب القرآن حتى الذي يصحبه في الدنيا، هذا أقرب لكن - الله أعلم- هل هذا هو المراد في الحديث؟ لا أدري.

هناك سؤال بخصوص الحفظ أنا لا أعلم سنأتي إليه- إن شاء الله- في العناصر لكن هذا تقول: ما هي الطريقة المثلى لحفظ كتاب الله وعدم نسيانه مرة أخرى ؟

لا توجد طريقة تؤمن الإنسان من نسيان القرآن مرة أخرى؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (تعاهدوا هذا القرآن) فلابد من المعاهدة، لابد من المدارسة والإعادة والتكرار وهذا هو الفرق - أيها الأحبة- بين القرآن وبين غيره من سائر الكلام فإن غير القرآن من سائر الكلام سواء كان أبياتاً شعرية أو أمثالاً أو قصصاً يحفظها الإنسان مرة وتبقى معه في صدره وأحياناً حتى إنه لا يراجعها إلا بعد سنين ويعيدها أما القرآن فلا لماذا؟ هذا من عزة القرآن فإنه لا يبقى في قلب من لا يهتم به ويعتني به، لا يبقى في قلب من لا يلقي له بالاً ويجعله محط اهتمامه وهذه آية عجيبة يلاحظها أهل القرآن يحفظون أبياتاً من الشعر فلا ينسونها ويحفظون آيات القرآن إذا تركوها أياماً بدا عليها التفلت لماذا؟ هذه- والله أعلم- أسرار هذه القضية لأن القرآن عزيز لا يبقى في قلب من يهمله ولا يهتم به، ومع ذلك نحن نقول للأخت: هناك كتب في هذا الباب تعين الإنسان على أن يكون حفظه متقناً لكن أهم شيء في ذلك- في نظري- التكرار، التكرار التكرار لآيات القرآن الكريم، في هذ العصر قلَّ من يكرر القرآن التكرار الصحيح، يقرؤون الآية ثلاث مرات أو أربع فيأنس الإنسان منهم أنه قد حفظها فيعيدها ثلاثة مرات أخرى ويظن أنه قد أتقنها ما يقر الحفظ بهذه الطريقة قال بعض العلماء: حفظ حرف وتكرار ألف وكان بعض مشايخنا يقول: لا نقول للإنسان حافظ إلا إذا كرر الآيات بعد حفظها مائة مرة. فهؤلاء يقر القرآن في قلوبهم فلا يزول بإذن الله - سبحانه وتعالى- وأدنى تعاهد يعيد القرآن إلى قلب ذلك الحافظ.

أشكل عند البعض. هل الأحرف السبعة هي من باب الأفضلية والاستحسان أم أنها من باب الإباحة والتخفيف على الأمة؟

الأحرف السبعة إنما أنزل القرآن عليها تخفيفاً وتيسيراً على هذه الأمة لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- (لما نزل عليه جبريل وقال: إن ربك يأمرك أن تقرئ القرآن على حرف قال: أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك فما زال يستزيده حتى أوقفه على سبعة أحرف) فالمقصود بها التخفيف والتيسير على هذه الأمة هذا في الأحرف. أما القراءات فلها شأن آخر وقد بينا الفرق بين الأحرف والقراءات في الدرس الماضي مما أغنى عن إعادته.

نعود إلى درسنا.

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى فضائل سور القرآن وآياته:

بعد أن تحدثنا عن فضائل القرآن استماعاً وتلاوةً وحفظاً واجتماعاً لمدارسته وتعلماً وتعليماً وأمراً بتعاهده وتحذيراً من هجره ونسيانه.

ننتقل بعد ذلك - أيها الأحبة- إلى فضائل سوره وآياته:

هذه من القضايا التي نرى فيها تساهلاً عند كثيرين من الناس؛ ذلكم - أيها الأحبة- أن الآيات والسور التي وردت لها فضائل خاصة قليلة جداً في القرآن الكريم خلاف ما هو شائع عند كثير من الناس فنحن نرى في المساجد ونرى في المدارس ذكر فضائل كثيرة لسور وآيات لم يصح فيها شيء من ذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والذي صح من ذلك قليل جداً بالنسبة للذي لم يصح وبالنسبة إلى مجمل القرآن وذلكم لأن القرآن كله مطلوب أن يقرأ وأن يتلى وأن يصلى به وأن يتعبد الله - سبحانه وتعالى- به ولا يعني ذلك أنه لا توجد فضيلة لبعض السور على بعض فالقرآن- على الصحيح من أقوال أهل العلم - يتفاضل والدليل على ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حكم بأن أعظم سورة هي سورة الفاتحة وأن أعظم آية هي آية الكرسي وأن " قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن فالقرآن كله كلام الله لكن بعضه قد يكون أفضل من بعض. الآية التي تتحدث في صفات الرب وأسمائه وتعلق المؤمن به وتوحيده ليست كالآية التي تتحدث في أمر آخر وكله قرآن وكله عظيم وكله شريف وعالي القدر وجليل المنزلة لكن لا يمنع ذلك من أن يتفاضل بعض كلام الله على بعض كما أن الرسل تتفاضل والبقاع تتفاضل والأزمنة تتفاضل وكل ذلك بأمر الله - سبحانه وتعالى- (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ)[القصص: ٦٨].

الآن نقرأ كلاماً جميلاً لابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتاب خصصه لمعرفة الأحاديث الضعيفة من الصحيحة أو لبيان الأحاديث الضعيفة اسمه: المنار المنيف. تكلم فيه عن هذه القضية كلاماً جميلاً يحسن بنا- أيها الإخوة- جميعاً من الحاضرين والمشاهدين أن نستمع إليه، تفضل:

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- < فصل: ومنها ذكر فضائل السور وثواب من قرأ سورة كذا فله أجر سورة كذا منها>

أي: من الأحاديث الضعيفة والموضوعة المشتهرة على ألسنة الناس ما سيذكره في هذا الفصل.

< من أول القرآن إلى آخره كما ذكر ذلك الثعلبي والواحدي في أول كل سورة والزمخشري في آخرها قال عبد الله بن المبارك: أظن الزنادقة وضعوها >

إذن: هناك حديث مشهور موجود في تفسير الثعلبي وموجود في تفسير الوسيط للواحدي وموجود أيضاً في تفسير الزمخشري. الثعلبي والواحدي ذكروه في مقدمات السور والزمخشري ذكره في خاتمة كل سورة في فضل كل سورة سورة يذكرون من قرأ سورة كذا فله من الأجر كذا وأعطاه الله كذا وكذا هذا الحديث بتمامه وبرمته حديث موضوع باطل كما قال هنا: لعله من وضع أو بعض هذه الأحاديث من وضع الزنادقة،

١. < والذي صح في أحاديث السور حديث فاتحة الكتاب وأنه(لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثله) وحديث البقرة وآل عمران (أنهما الزهراوان) وحديث آية الكرسي وأنها (سيدة آي القرآن) وحديث الآيتين من آخر سورة البقرة (من قرأهما في ليلة كفتاه) وحديث سورة البقرة (لا تقرأ في بيت فيقربه شيطان) وحديث العشر آيات من أول سورة الكهف (من قرأها عصم من فتنة الدجال) وحديث (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) (وأنها تعدل ثلث القرآن) ولم يصح في فضائل سورة ما صح فيها وحديث المعوذتين (وأنه ما تعوذ المتعوذون بمثلهم) وقوله -صلى الله عليه وسلم- (أنزل علي آيات لم يُرَ مثلهن ثم قرأهم) ويلي هذه الأحاديث وهو دونها في الصحة حديث (إذا زلزلت تعدل نصف القرآن) وحديث (قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن) وحديث (تبارك الذي بيده الملك هي المنجية من عذاب القبر) ثم سائر الأحاديث بعدُ كقوله: من قرأ سورة كذا أعطي ثواب كذا فموضوعة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد اعترف بوضعها واضعها وقال: قصدت أن أشغل الناس بالقرآن عن غيره وقال بعض جهلاء الوضاعين في هذا النوع: نحن نكذب لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا نكذب عليه. ولم يعلم هذا الجاهل أنه من قال عليه ما لم يقل فقد كذب عليه واستحق الوعيد الشديد >

انتهى كلام ابن القيم -رحمه الله تعالى- وقد أحسن صنعاً عندما حصر الأحاديث تقريباً لأنه لم يستوعبها تماماً لكن أراد أن يحصر الأحاديث الصحيحة الثابتة في فضائل سور وآيات معينة يعني أن ما سوى ذلك فاعلم أنه ضعيف أو موضوع ومن ذلك مثلاً الأحاديث الواردة في الآيات الأخيرة من سورة الحشر والآيات الواردة في فضل سورة يس أو في فضائل سورة الدخان أو بعض سور القرآن فكلما وجدت شيئاً من هذا فاعلم أن الأصل فيه

أنه ضعيف ما عدا هذه الآيات والسور التي ذكرها ابن القيم وأشياء أخرى تزاد عليها يصححها بعض أهل العلم فننتبه لهذا الأمر ونتيقظ له ولا نروج لتلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يذكرها بعضهم في هذا المقام.

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى آداب تلاوة القرآن الكريم:

آداب تلاوة القرآن كثيرة لكن نأخذ أهمها:

الأول: الطهارة ونقصد بالطهارة طهارة البدن وطهارة الثوب وطهارة المكان فهذه أمور ثلاثة. طهارة البدن تشمل أن يكون البدن ليس عليه شيء من النجاسة وتشمل أيضاً أن يكون الإنسان قد رفع الحدث وارتفاع الحدث نوعان:

إن كان حدثاً أصغر فهذا فاضل وليس بواجب فللإنسان أن يقرأ القرآن، ولا أقول: يمس المصحف ولوكان محدثاً وهذا بإجماع العلماء إذا كان الحدث حدثاً أصغر بمعنى أنه خرج منه بول أو غائط أو ريح- أكرم الله الجميع.

وأما إن كان عليه حدث أكبر فإن كانت جنابة فلا يقرأ شيئاً من القرآن ما دام جنباً فإنه لا يحل للجنب أن يقرأ شيئاً من القرآن بل يتطهر ثم يقرأ.

وأما الحائض فاختلف فيه تبعاً لاختلاف الأحاديث في ذلك والصحيح أن لها أن تقرأ القرآن لكن لا تمس المصحف.

وأما طهارة الثوب فهو ألا يكون على الثوب شيء من الدنس.

وقبل أن نأتي إلى طهارة الثوب أيضاً من طهارة البدن طهارة كمالية وهي طهارة الفم بأن يكون الفم طيب الريح لأنه منه يخرج القرآن فعلى المسلم أن يطيب فمه ويستاك قبل أن يقرأ القرآن قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) فسماه مطهرة وجعله مرضاة للرب - سبحانه وتعالى.

ثم طهار الثوب بأن لا يكون نجساً. وطهارة البقعة بأن لا تكون بقعة فيها نجاسة أو تكون بقعة خبيثة لا ينبغي للإنسان أن يذكر الله - سبحانه وتعالى- بقراءة القرآن فيها مثل أن يقرأ الإنسان القرآن في دورة المياه أو في مكان- والعياذ بالله- تفعل فيه الفواحش والمنكرات في بار خمر أو محل فجور أو شيء من ذلك فإن القرآن منزه عن أن يقرأ في مثل هذه المواطن التي تكون خبيثة وموئلاً للشياطين.

آداب التلاوة:

أولاً: الاستعاذة قال الله -عز وجل-: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[النحل: ٩٨]، وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة وليست بواجبة ومنهم من يرى وجوبها تبعاً للأمر في هذه الآية (فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) فإذا كان الإنسان يريد أن يقرأ القرآن سواء من أول السورة أو من وسط السورة فليستعذ قبل أن يقرأ فالاستعاذة ذكر يقدم بها بين يدي تلاوة القرآن الكريم وصفة الاستعاذة - أيها الأحبة- أن يقول الإنسان: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أو أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم أو يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وردت صيغ كثيرة للاستعاذة وعلى الإنسان أن يحرص عليها لأن الشيطان ما يفرق من شيء مثل فرقه من قراءة القرآن ولا يشغل الإنسان عن شيء مثل إشغاله عن قراءة القرآن ولا يفر من شيء فراره من قراءة القرآن حتى إنه لا يبقى في البيت الذي يقرأ فيه القرآن أو تقرأ فيه سورة البقرة فينبغي على الإنسان أن يستعيذ بالله من الشيطان لئلا يشغله عن قراءة القرآن.

ثانياً: البسملة:

ومن الآداب وهو يتصل بهذا أن يقرأ" بسم الله الرحمن الرحيم" في بداية السورة والصحيح أن البسملة إنما تقرأ في بداية السورة حيثما كتبت وأما في وسط السورة فالأولى ألا يقرؤها ولو قرأها فلا حرج- إن شاء الله- في ذلك لكن ينبغي التزام مرسوم المصاحف وهو أن تقرأ حيثما كتبت ولم تكتب البسملة إلا في بداية السور إلا في سورة النمل فتلك آية أخرى لها شأن آخر.

ثالثاً: تحسين الصوت:

تحسين الصوت بالقرآن قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (زينوا أصواتكم بالقرآن) وقوله (من لم يتغن بالقرآن فليس من) وقوله (من لم يتغن بالقرآن فليس من) وقوله حمله العلماء على أحد معنيين:

- منهم من قال: من لم يتغن يعني: لم يستغن بالقرآن ويكون مستغنياً به مقتصراً عليه في الإيمان وعدم الالتفات إلى ما عند الناس.

- ومنهم من قال: يتغنى بمعنى يحسن صوته به وهذا أقرب المعنيين لورود أحاديث تدل على ذلك ولو حمل الحديث على المعنيين لكان ذلك أفضل وأولى.

وقد ورد في حديث أبي موسى الأشعري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له : (لو رأيتني وأن أستمع إلى قراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود فقال: يا رسول الله لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيرا) مما يدل على أن تزيين الصوت بالقرآن أمر مستحب، لكن ينبغي للإنسان أن يعرف أن ذلك له قدر بألا يكون مشغلاً أو محرفاً للقرآن على هيئته التي أنزل عليها وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به) أو كما قال -عليه الصلاة و السلام-.

رابعاً: الترتيل:

وهنا نبين - أيها الأحبة- أن الترتيل غير تحسين الصوت. الترتيل هو التمهل والتؤدة في القراءة وألا يقرأ القرآن هذرمة أو بسرعة وأن يأتي به الإنسان معرباً فالواجب على الإنسان إذا قرأ القرآن أن يعربه بمعنى أن يفصح في ألفاظه ويبين حروفه ويخرجها إخراجاً صحيحاً وألا يقرأ قراءة سريعة تلتبس فيها الحروف وتختلط فيها الكلمات فإن هذا لا ينبغي من الإنسان ولذلك جاء رجل إلى ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- فقال: إني قرأت المفصل البارحة في ركعة قال: هزاً كهز الشعر أو نثراً كنثر الدقل؟ ثم أمره أن يقرأ القرآن بتؤدة وتمهل وهكذا ورد ذلك عن ابن عباس وعن غيره من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبينوا أن قراءة آيات من القرآن ولو كانت قليلة مع التمهل والتؤدة أفضل من قراءة القرآن كله بسرعة وهذرمة ويكفي في ذلك قول الله -سبحانه وتعالى-: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً)[الإسراء: ١٠٦]، فعلى الإنسان أن يقرأ القرآن بتمهل وتؤدة وأن يجتهد في ذلك قام النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلة بآية وقام رجل من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلة بـ" قل هو الله أحد" يرددها حتى أنكر ذلك صاحبه فجاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يخبره كأنه يتقال هذه السورة قال: (أما شعرت أنها تعدل ثلث القرآن) أو كما قال -عليه الصلاة و السلام- مما يدل على أهمية أن يقرأ الإنسان القرآن بتمهل وتؤدة (٣٢. وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)[الفرقان: ٣٢]، وقال الله -عز وجل-: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً(٢) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً(٣)أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً)[المزمل: ١: ٤]، أي: اقرأه بتمهل وتؤدة ليكون أوقع في قلبك (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً)[المزمل: ٦].

خامساً: الخشوع والبكاء:

أيضاً من آداب التلاوة الخشوع والبكاء عند تلاوة القرآن:

فقد مدح الله - سبحانه وتعالى- الذين يخشعون عند تلاوة القرآن، بل ذم الذين لا يخشعون فقال: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)[الحديد: ١٦]، وقال - جل وعلا- في الثناء على أهل العلم: (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً(١٠٨)وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا)[الإسراء: ١٠٧: ١٠٩]، فانظروا إلى حالهم كانوا يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم القرآن خشوعاً وقال - جل وعلا-: (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَّشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)[الزمر: ٢٣]، وقال في سورة مريم لما ذكر الأنبياء والمرسلين قال: (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا)[مريم: ٥٨]. ولذلك بعض السلف لما قرأ هذه الآية قال: هذا السجود- لأن فيها سجدة التلاوة - فأين البكاء؟ كانوا يندبون حظهم أو يندب الواحد منهم حظه في ألا يكون من الباكين. والبكاء المقصود به ما جاء على السجية تأثراً بالقرآن لا بغيره لأن بعض الناس قد يتأثر بصوت القارئ أو يتأثر بأن هذه الآية ذكرته بفلان من أقربائه الذين افتقدهم فهذا لا ينبغي وخصوصاً إذا كان في الصلاة.

أما التباكي فإنه لم يرد حديث صحيح في الأمر بالتباكي بمعنى أن الإنسان يفتعل البكاء ويتصنعه والحديث الوارد في ذلك (فإن لم تبكوا فتباكو) حديث ضعيف لا يصح في هذا المقام بل الوارد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يكظم البكاء وكان يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء -عليه الصلاة و السلام- فالبكاء الذي يغلب الإنسان ويأتيه مع قراءة القرآن بسجية وغير تكلف هذا مطلوب وأما إن كان الإنسان يتكلفه ويحاول أن يبكي فلا، نقول: استمع وألق قبلك ألق سمعك أحضر قلبك ويكفي ذلك وإن أنزل الله على قلبك الخشوع والطمأنينة ودمعت عينك فذلك خير وإلا فابق على ما أمرت به وإياك أن تتكلف منزلة لم تبلغها.

سادساً: استحضار أنه مخاطب بما يقرأ:

استحضار أنه مخاطب بما يقرأ وهو التفاعل مع الآيات، لا يقرأ الإنسان الآيات هكذا سبهللاً دون أن يتوقف عند آية العذاب أو آية الرحمة أو آية المسألة أو آية التعوذ بل إذا مر بآية تعوذ تعوذ وإذا مر بآية مسألة سأل وإذا بآية رحمة سأل الله من فضله وإذا مر بآية عذاب تعوذ بالله - سبحانه وتعالى- من ذلك الشر الذي مر ذكره كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يفعل (قام معه حذيفة وابن مسعود فقرأ -عليه الصلاة و السلام- سورة البقرة والنساء وآل عمران والنساء إذا مر بآية سؤال سأل وإذا مر بآية رحمة سأل وإذا مر بآية تعوذ تعوذ)-عليه الصلاة و السلام- وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتفاعل مع الآيات حتى إنه إذا مر ببعض الآيات جاء بما فيها من الأمر (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى)[الأعلى: ١]، يقول: سبحان ربي الأعلى؛ لأن الله أمره (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) في آخر سورة القيامة (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى)[القيامة: ٤٠]؟ بلى وأنا على ذلك من الشاهدين. حتى إن النبي -صلى الله عليه وسلم- (أنكر على الصحابة عندما قرأ عليهم سورة الرحمن قال: إن الجن كان ردهم خيراً من ردكم كلما قرأت عليهم: (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، قالوا: لا.. ولا بأي نعمة من نعمك ياربنا نكذب. وأنتم لم تقولوا شيئاً من ذلك) مما يبين أنه ينبغي للإنسان أن يستشعر أنه مخاطب بالقرآن وأن يتفاعل مع هذه الآيات. وهل هذا مقصور على ما ورد به النص؟ الصحيح أنه ليس مقصوراً على ما ورد به النص لكن لا ينبغي أن يزيد فتكون كل الآيات فيها شيء من ذلك بل ما كان مناسباً يفعله الإنسان ولو لم يرد به النص ما دام من آيات المسألة أو آيات الرحمة أو آيات التعوذ أو نحو ذلك- والعلم في ذلك عند الله.

نرجو أن تبين التفصيل في مراتب التجويد الحدر والتحقيق وما حكم كل منها؟

قول ابن الجزري -رحمه الله تعالى-:

والأخذ بالتجويد حتم لازم*** من لم يجود القرآن آثم.

من لم يطبق التجويد فعلاً يأثم أم ماذا؟

السؤال الثاني: درجة صحة حديث أول عشر آيات من سورة الكهف نريد أن نعلمها؟

السؤال الأول: الحديث الذي ذكرته قبل قليل (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق) هل من حفظ القرآن ثم نسيه يدخل في هذا الحديث يعني يرتقي باعتبار أنه كان حافظاً للقرآن؟

السؤال الثاني: هل هناك مثال حرف من الأحرف السبعة لكن لا يتفق مع القراءات؟

السؤال الثالث: بالنسبة لـ "الم" ذكرت يا شيخ أنها كلمة كيف تكون كلمة والرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا أقول: الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) يعني حرف باعتبار الكتابة ليس مثلا باعتبار ألف ولام وميم لا باعتبار الكتابة ؟

السؤال الرابع: عن سورة الملك أنها وردت أنها تشفع لصاحبها في القبر أو نحو ذلك هل هذا حديث غير وارد وإذا قرأها الإنسان يومياً هل يأثم؟

السؤال الأول: ما حكم النية في تلاوة القرآن؟

السؤال الثاني: هل ثواب قراءة القرآن يصل إلى الميت إذا نوى القارئ ذلك؟

ذكرتم أنه لا يجوز قراءة القرآن في أماكن البارات والأماكن التي يكون فيها فجور فهل يجتمع الغناء والقرآن في قلب العبد فقد وردت مقولة في ذلك؟ وما حكم سماع الأغاني؟

ما حكم وضع المصحف على الأرض عند صلاة النوافل؟ أو إسناده إلى الحائط والقراءة منه؟

الأسئلة كثيرة كما ترى ولكن نختصر الإجابة عليها:

أولاً: بالنسبة لأنواع التلاوة هي ثلاثة ذكرها المجودون الحدر ثم الترتيل ثم التحقيق يعني أسرعها الحدر ثم أقل منه الترتيل ثم التحقيق وأهل التجويد مختلفون في هذا أيها أفضل؟ لكن يقال: هي كلها مما يدخل في قول الله- تعالى-: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً)[المزمل: ٤]، لكن هذا الترتيل يختلف باختلاف صاحبه فمنهم من يسرع قليلاً فيسمى حدراً ومنهم من يبطئ كثيراً فيسمى تحقيقاً فهذا هو المقصود وأيها أفضل؟ هذا محل خلاف لكن المقصود أن الإنسان يأتي بالقرآن معرباً مبيناً فصيحاً لم يأكل منه شيئاً أو يذهب شيء من حركاته وحروفه. هذا أهم شيء في الموضوع وكلما تأنى الإنسان في تلاوته كان أفضل.

السؤال الآخر يقول: ما حكم التجويد؟ كقول ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم

نقول: إن كان المقصود بالتجويد هو إقامة القرآن عربياً كما أنزل فهذا لازم وواجب وكل الواجبات إنما تكون على حسب الاستطاعة قال الله - سبحانه وتعالى-: (لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا)[البقرة: ٢٨٦]، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم-: (ما أمرتكم به فأتوا من ما استطعتم) فمن استطاع أن يأتي به وجب عليها ومن لم يستطع لم يجب عليه إلا بقدر ما أطاق وأما إن كان المراد به ما زاد على ذلك من القيام بأداء الغنن والمدود ونحو ذلك فهذا وقع فيه الخلاف بين أهل العلم منهم من يلزم به الناس ومنهم من يرى أنه مستحب ليس بواجب خلاف طويل ولا زال العلماء مختلفون فيه إلى هذا اليوم.

السؤال الثالث يقول: في حديث سورة الكهف أول عشر آيات منها هذا في صحيح مسلم: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال) وفي رواية أخرى (من آخر سورة الكهف) لكن الرواية الأصح والأصوب أنه(من أول سورة الكهف) وقد ورد في سورة الكهف في حديث آخر أنه (من قرأها يوم جمعة أضاء له نور ما بين الجمعة إلى الجمعة التي تليه)

في حديث (يقال لصاحب القرآن) هل هذا يقال أيضاً لمن قرأ القرآن أو حفظ القرآن ثم نسيه لا يظهر ذلك إن كان ممن هجر القرآن لأن المقصود بالصحبة هي الملازمة وليس المقصود بالصحبة أن يكون من المؤمنين به أو ممن قرؤوه يوماً ما في حياتهم بل المقصود بصاحب القرآن الذي لازم القرآن وكان معه حتى فارق الدنيا.

في سؤال عن الأحرف السبعة أو مثال عن الأحرف السبعة: الأحرف السبعة لو كان عندنا مثال عليها ما وقع الخلاف فيها فالأحرف السبعة- فيما يظهر- ليست موجودة، الموجود هو هذا المصحف الذي بين أيدينا والناس مختلفون هل هذه القراءات جزء من تلك الأحرف السبعة أو ليست كذلك وقد ذكرنا هذا الخلاف في الدرس الماضي لكن ورد عن بعض الصحابة كابن مسعود وغيره ما ينبئ بنوع المثال قال: كقولك أقبل وهلم وتعال وأتِ وفي قراءة ابن مسعود (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ) فامضوا، (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ)[البقرة: ٢٠]، وفي قراءة لأبي: ساروا فيه أو نحو ذلك، فلعلّ الخلاف هو من مثل هذا أو الأحرف من مثل هذا- والله أعلم-.

تسأل عن" الم" تقول: إنك قلت: إنها كلها حرف.

أنا قلت: ألف حرف ولام حرف وميم حرف كما ورد في الحديث لكن ما معنى الحرف؟ هل هو واحد حروف الهجاء المعروفة المصطلح عليها الآن أو أن المقصود بالحرف الكلمة؟ المقصود بالحرف- فيما يظهر من سياق الحديث- هو الكلمة فالحمد حرف ولله حرف ورب حرف والعالمين حرف كذلك "الم" ألف حرف ولام حرف وميم حرف وأما رسمها هكذا فلا صلة له بنطقها ولو كان كل واحد من حروف الهجاء حرفاً لكان يقول: "آ" حرف و"لَ" حرف و"فَ" حرف من ألف. ولام أيضاً لَ حرف وأ حرف ومَ حرف وهكذا.

في سورة الملك الحديث فيها صحيح فثبت أنها تشفع لصاحبها- كما قرأنا قبل قليل- من كلام ابن القيم -رحمه الله تعالى .

قال السائل: ما حكم النية في تلاوة القرآن؟ قراءة القرآن عبادة وكل عبادة لا يثاب الإنسان عليها حتى ينوي لكن ما هي النية؟

النية: هي استحضار ذلك العمل في القلب وليست النية شيئاً يتلفظ به باللسان، فمتى قرأ الإنسان القرآن يريد بذلك الأجر والمثوبة أو يريد أن يتعاهد حفظه أو يحفظ شيئاً من القرآن فهذه هي النية المرادة، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (إنما الأعمال بالنبيات) وهذا يشمل جميع الأعمال قولياً كان أو فعلياً أو كان ذلك من أعمال القلوب.

وعن هل يصل ثواب قراءة القرآن للميت؟ هذه مسألة تنازع الناس فيها نزاعاً شديداً لأن الأعمال التي تصل للميت نوعان: نوع ثبت به النص ونوع مقيس عليه:

فما ثبت به النص: مثل الصدقة والدعاء والحج هذا يثبته العلماء ولا يختلفون فيه- بحمد الله- بقي بقية الأعمال الصالحة مثل قراءة القرآن هل تصل أم لا تصل؟ محل خلاف بين أهل العلم حتى إنك تجد من أهل العلم من يكون له في المسألة قولان كابن القيم -رحمه الله تعالى- فعليه نقول: هذه المسألة مما اختلف فيه لكن عندنا هنا اللجنة الدائمة للإفتاء التي كان يرأسها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز تفتي بأن ثواب قراءة القرآن لا يصل إلى الميت لعدم ورود النص بها؛ لأن هذا من العبادات والعبادات مبناها على التوقيف وينبغي أن نقف عند ما وقف به النص وهو الصدقة والدعاء والحج ونحو ذلك.

السائلة تقول: ما حكم سماع الأغاني وقراءة القرآن في أماكن الفجور والبارات؟

نقول: لا يجوز أن يقرأ القرآن في هذه الأماكن الخبيثة وأما سماع الأغاني فالصحيح أنه محرم والنصوص في ذلك كثيرة ومنها قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (يأتي على الناس زمان يستحلون فيه الحرَ والحرير والخمر والمعازف) وهذا صريح في تحريم ذلك.

أما السائلة التي تقول: ما حكم وضع المصحف على الأرض؟ فهذا- إن شاء الله- سيأتي في درس الغد في أحكام المصحف- بإذن الله جل وعلا-.

سابعاً: عدم قطع التلاوة بكلام الآدميين:

من آداب التلاوة أيضاً - أيها الأحبة- ألا يقطع التلاوة بكلام الآدميين، بعض الناس وهو يتلو يقف أو يتحدث أو يكلم الناس بكلام ليس مضطراً إليه أو محتاجاً إليه فنقول: لا ينبغي بل ينبغي أن يعظم الإنسان القرآن قال الله- تعالى-: (ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)[الحجر: ٣٢].

ثامناً: مراعاة أحكام التلاوة:

أيضاً مراعاة أحكام التلاوة والوقف والابتداء هذا أيضاً من آداب التلاوة وهو أن يراعي الإنسان أحكام التلاوة وأيضاً الوقف والابتداء.

تاسعاً: ترك جمع القراءات في التلاوة لغير غرض التعليم:

بعض الناس يجمع القراءات وهو يصلي أو يجمع القراءات وهو يتلو القرآن فنقول: لا.. إن لم يكن مقصوداً بذلك التعلم والتعليم فلا ينبغي ذلك بل عده جماعة من أهل العلم من البدع المحدثة.

عاشراً: ترك القراءة بالشاذ.

فإن بعض الناس يقرأ بالشاذ وهذا محرم على الصحيح، لا يجوز التعبد لله - سبحانه وتعالى- بما شذ ولم يكن في مصاحف المسلمين أو ثبتت تلاوته بأسانيد معتبرة عند أهل العلم.

الحادي عشر: ترك التكلف والتقعر:

أيضاً من آداب التلاوة ترك التكلف والتقعر خلافاً لما نسمعه من بعض القراء- هداهم الله- حيث يقرأ الواحد منهم القرآن كأنما ينحته من صخر يتكلف فيه تكلفاً تمجه الأسماع فنقول: مثل هذا لا ينبغي وينبغي أن يصان القرآن عنه بل ينبغي أن تكون قراءة الإنسان قراءة سهلة سمحة غير متكلفة (ما خير النبي -صلى الله عليه وسلم- بين أمرين إلا اختار أيسرهم) وقد بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- بالحنيفية السمحة، ونهينا يا إخواني عن التنطع بكافة صوره وأشكاله.

الثاني عشر: التحذير من تنكيس آيات القرآن:

يعني في السورة الواحدة أن يقرأ السورة منكسة أما تنكيس السورة بأن يقرأ سورة مقدمة أو مؤخرة على سورة مقدمة فهذا لا شيء فيه وقد ثبت فعله عن النبي -صلى الله عليه وسلم.

آداب حملة القرآن

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى آداب حملة القرآن ونلخصها لأن أكثرها- بحمد الله- معلوم لدى العامة والخاصة:

الأدب الأول: التخلق بأخلاق القرآن عامة ولذلك لما سئلت عائشة عن خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالت: (كان خلقه القرآن) في صيامه وقعوده وضحكه ونومه وصلاته وغير ذلك من هديه -عليه الصلاة و السلام-.

الأدب الثاني: العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه متى ما ثبتت آية لدى الإنسان وعرف معناها عمل بها وإذا التبس عليه معناها رد علمها إلى الذين يعلمونها كما قال الله - سبحانه تعالى-: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا)[آل عمران: ٧].

الأدب الثالث: الحرص على إقرائه وتعليمه: كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

الأدب الرابع: الحرص على قيام الليل: القرآن نزل بالليل (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[القدر: ١]، وأفضل ما يقرأ فيه القرآن هو وقت الليل لقول الله- تعالى-: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً)[المزمل: ٦]، فهناك ارتباط بين القرآن وبين الليل ذلكم أن النهار هو محل الشغل وعدم اجتماع القلب على القرآن وينبغي لمن أراد أن يقرأ القرآن أن يقرأه في الوقت والمكان الذي يجتمع قلبه عليه فيه وأفضل ذلك ما كان بعد القيام من النوم كما قال الله- تعالى-: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) أي مواطأة للقلب (وَأَقْوَمُ قِيلاً).

الأدب الخامس: ألا يتأكل بالقرآن قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اقرؤوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به) رواه الإمام أحمد و الحديث إسناده صحيح.

الأدب السادس: تعاهده وعدم نسيانه:- كما قدمنا قبل قليل في الأحاديث الواردة في ذلك- ومن ذلك توقي استعمال آياته في أمور الدنيا لا كما يفعله بعض الناس- نسأل الله العافية والسلامة- عندما يستعملون آيات القرآن في مناسبات دنيوية لا تليق بمقام القرآن الكريم، فيستعملون الآية بمناسبة وغرض لا يليق بالقرآن الكريم فهذا لا يجوز وهو حرام عند كثير من أهل العلم لأنه استعمال للقرآن في غير ما أنزل به ولأن ذلك يعرض القرآن للسخرية منه ويقلل العناية به ولأن ذهن الإنسان قد يرتبط عندما يقرأ تلك الآية بتلك المناسبة التي قيلت فيه، مثلاً أن يقول الإنسان لصاحبه: (آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) [الكهف: ٦٢]، هذا لا ينبغي لأن هذا- يا إخواني- يصرف القرآن إلى غير ما أنزل به ويقلل تعظيم المسلم لكتاب ربه - سبحانه وتعالى- أما إن استعمله في مجال جاد أو في أمر صحيح فلا شيء في ذلك مثل أن يتعلق قلبه بابنه مثلاً أو يرى ابنه يكاد يسقط فيقول: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ)[التغابن: ١٥] فهذا تأويل صحيح واستعمال للقرآن في محل جاد فلا شيء في ذلك.

الأدب السابع: عدم الاختلاف فيه والتفرق. عند وقوع ذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه) أو فتفرقوا أوكما قال -عليه الصلاة و السلام- في الحديث الذي في صحيح البخاري فمتى ما اختلفت أنت وأصحابك في القرآن سواء في ألفاظه أو في معانيه وبدأ الجدال والنقاش والمراء في كتاب الله فينبغي للناس أن يتفرقوا لأن هذا من الشيطان.

الأدب الثامن: الحذر من الغلو والجفاء:

الغلو: بأن يجعل الإنسان القرآن مقدماً على كل شيء حتى ينسى به الحقوق الواجبة وما هو ألزم من تلاوة القرآن المجردة.

والجفاء: هو أن يجفو الإنسان عن كتاب الله - سبحانه وتعالى- فلا يتلوه، تمر به الأيام والليالي وهو معرض عنه لا يمر عليه ولا يأخذ منه شيئاً من الورد أو الحزب الذي ينبغي للمسلم أن يقرأ به.

هذه جملة مختصرة في هذا الباب والذي يريد أن يرجع في هذا الباب يرجع إلى الكتب المفصلة في مثل هذا المقام مثل كتاب: التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي فهو كتاب جامع في هذا الباب يحسن بنا أن نقرأه.

ومن الكتب المعاصرة الكتب التي خرجت في الآداب الإسلامية مثل موسوعة الآداب الإسلامية للأستاذ: عبد العزيز ندى فإنه كتاب جيد جامع في هذا المقام، وكتب علوم القرآن غالبها تذكر فصلاً أو باباً في ذكر آداب حملة القرآن وآداب تلاوته وفضائله فعلى الإنسان أن يرجع في ذلك إلى هذه المراجع والله أعلم.

لعلنا نطرح سؤالي هذا الدرس بالإضافة إلى تذكيرنا بعنوان الدرس القادم

أما السؤالان اللذان عهدنا ختم كل درس بهما فنقول:

السؤال الأول: اذكر بعض الأدلة في الترغيب في حفظ القرآن؟

وأما السؤال الثاني: ما حكم استعمال القرآن في أمور الدنيا ؟

أما درسنا القادم بإذن الله - سبحانه وتعالى- فسيكون عن المصحف وأحكامه وهو آخر- بإذن الله تعالى- في هذه الدورة. فنسأل الله أن يختم لنا ولكم بالخاتمة الحسنى في الدنيا والآخرة.

الدرس الثامن عشر

تاريخ المصحف وأحكامه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً- .

أما بعد - أيها الأحبة- فهذه المحاضرة هي المحاضرة الثامنة عشرة من دروس علوم القرآن وهي ختام ما قرر تدريسه في هذا الفصل الدراسي الذي نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يبارك لنا ولإخواننا المتابعين معنا فيهز

وجرت عادتنا - أيها الأحبة- أن نتحدث في بداية كل درس حول الدرس السابق عبر أسئلة نطرحها على إخوانا الحاضرين:

السؤال الأول: ما درجة الأحاديث التي وردت في إثم من نسي شيئاً من القرآن؟

درجة الأحاديث التي وردت في إثم من نسي شيئاً من القرآن: ضعيفة .

أحسنت لم يثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في تأثيم من حفظ شيئاً من القرآن ثم نسيه شيء من الأحاديث.

السؤال الثاني: متى يجب القيام من درس القرآن الكريم ؟

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة و السلام على رسوله -صلى الله عليه وسلم- يجب القيام من درس القرآن الكريم: حينما يحدث التفرق والخلاف والفرقة.

أحسنت. يجب القيام إذا حصلت خلاف في ألفاظ القرآن أو في معانيه وصار هناك مراء وجدال فإنه في تلك الحالة ينبغي على الناس أن ينفضوا لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:]اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه) أو كما قال -عليه الصلاة و السلام- والحديث في صحيح البخاري.

السؤال الثالث: ما حكم التباكي عند قراءة القرآن الكريم؟

بلا شك أن حكم التباكي عند قراءة القرآن الكريم: لا ينبغي وكما هو معلوم أن التباكي هو افتعال البكاء عند قراءة القرآن الكريم

أحسنت. البكاء محمود ومطلوب وقد ورد مدحه في كتاب الله -سبحانه وتعالى- ومدح أهل العلم والصالحون من عباد الله والأنبياء بالبكاء عند تلاوة كلام الله أما التباكي وهو افتعال البكاء فإن هذا من التكلف المذموم وما ورد من الأحاديث في الدلالة على الأمر به أو طلبه فهي أحاديث ضعيفة لا تصح في هذا المقام.

السؤال الأخير: اذكر ما يدل على فضل مدارسة القرآن الكريم.

الحديث الوارد في صحيح مسلم قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-:]ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)

يعني: أربع خصال يحصلها من يجلسون في مجالس القرآن الكريم والأحاديث الواردة في حضور مجالس الذكر والعناية بها والاهتمام وترغيب الناس في ذلك كثيرة جداً وفيها فضائل أكثر مما ورد في هذا الحديث مثل

المغفرة لأصحابها كما في الحديث يقول الله:]قوموا مغفوراً لكم، فيقال: إن فيهم فلاناً إنما جلس لحاجة أو إنما جاء لحاجة فيقول الله -سبحانه وتعالى- وهو أعلم: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) وهكذا أحاديث أخرى في هذا المقام يمكن للإنسان أن يرجع إليها في كتب الأذكار ككتاب الأذكار للإمام النووي، والترغيب والترهيب للإمام المنذري ورياض الصالحين للإمام النووي وغيرها من الكتب في هذا المقام.

بعد ذلك - أيها الأحبة- نأتي إلى ذكر السؤالين الذين ختمنا بهما محاضرتنا الماضية:

السؤال الأول: اذكر بعض الأدلة في الترغيب في حفظ القرآن الكريم؟

السؤال الثاني: ما حكم استعمال القرآن في أمور الدنيا؟

إجابات الأسئلة: تقول: من الأدلة في ترغيب حفظ القرآن قول النبي -صلى الله عليه وسلم-]عندما توفي أحد الصحابة في غزوة بدر فسألهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أكثرهم قرآناً حفظاً ليصلي عليه؟ وقال -صلى الله عليه وسلم- وليأمكم أكثركم قرآن) ومن الأدلة أيضاً أن من جمعه في صدورهم هم من أهل العلم، وأيضاً من إجلال الله إكرام حافظ القرآن

إجابتها صحيحة لكن الأول لما قالت: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قدم في الصلاة حافظ القرآن هذا فيه إشكال فمن يعرف محل الخلل فيه؟

قدم أحداً وهو موجود كيف يقدم أحداً والنبي -صلى الله عليه وسلم- موجود

لا.. قالت: إنه قدم الذي قتل في الصلاة عليه إذا كان أكثر قرآناً.

كلهم سواسية في الصلاة

الإجابة- يا إخواني- الشهيد لا يصلى عليه، إنما قدم -عليه الصلاة والسلام- في الدفن عندما أراد أن يدفن أكثر من ميت وذلك في غزوة أحد- فيما أعلم- قدم أكثرهم قرآناً كذلك إذا كانوا في سرية أمر عليهم أكثرهم قرآناً وقال:]وليأمكم أكثركم قرآناً) وقالت أيضاً الحديث:]إن من أجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن) إلى آخره.

إجابة السؤال الثاني لا يجوز استعمال القرآن في أمور الدنيا لأنه أحياناً تكون بعض المناسبات ليست لائقة ولا في مستوى قراءة القرآن

نعم إجابة صحيحة، لكنه قيل أيضاً: إنه إذا استعمل في أمر جاد وصحيح فإنه لا بأس بذلك أما استعماله في أمر قد يتخذ على نحو من السخرية والهزل فإن هذا لا يجوز أبداً.

تقول: الأدلة في الترغيب في حفظ القرآن الكريم قال الله- تعالى-: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)[العنكبوت: ٤٩]،

ممتاز استدلال جميل وفي مكانه وهذه هي الآية الوحيدة التي أعرفها تدل على فضل حافظ القرآن وأنه من أهل العلم يعني حافظ القرآن الحامل له قد سمي في القرآن من أهل العلم.

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-]يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله - عز وجل-)

وفي رواية أخرى]أكثرهم قرآن)

وقال -صلى الله عليه وسلم-]إن من إجلال الله –تعالى- إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الغالي عنه وذي السلطان المقسط) وقال -عليه الصلاة و السلام- يوم أحد]احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا في القبر الاثنين والثلاثة وقدموا أكثرهم قرآناً)

أحسنت.

إجابة السؤال الثاني: هذا الأمر محرم عند كثير من العلماء لأنه لا يليق بمقام القرآن الشريف ومكانته العظيمة. والله أعلم

جزاها الله خيراً على إجابتها المتقنة واستدلالتها الموفقة.

يقول: إجابة السؤال الأول قال الله- تعالى-: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)[فاطر: ٣٢]، قال أيضاً (اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)[الأنعام: ١٢٤]، وقال- تعالى-: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) وعن عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:]خيركم من تعلم القرآن وعلمه) رواه البخاري وعن عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-]الماهر في كتاب الله مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) رواه البخاري.

وفي رواية]مثل الماهر بالقرآن وهو حافظ له) ففيها تفسير لما ورد هنا من الماهر بالقرآن من هو الماهر؟ الماهر الذي يحفظ القرآن.

الجواب الثاني: استعمال القرآن في أمور الدنيا المباحة حرام لأنه لم ينزل من أجل ذلك وفيه إهانة للقرآن وفي الأمور المحرمة من الكبائر.

لكن في الأمور الجادة كما بينا رخص فيه كثير من أهل العلم، وأنا أشكرك يا أخي- جزاك الله خيراً- على إفصاحك في الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- فإن كثيرين من الناس يتهاونون عندما ينطقون الصلاة يقولون: صسلم أو شيئاً من هذا، والأجدر بالإنسان إذا صلى على النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يفصح بالصلاة لأن هذا دعاء وعبادة ويؤجر الإنسان عليها]من صلى على صلاة -صلى الله بها عليه عشراً) فعلى الإنسان أن يعود نفسه على الإفصاح بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أنا أثني بالدعاء لهم ولكل الإخوة الذين يشاركون معنا من الحاضرين والمشاهدين والمشاهدات القريبين والبعيدين وأسأل الله- تعالى- أن يرزقهم العلم النافع والعمل الصالح ويجعل هذا الدرس وغيره من الدروس بركة عليهم وعلى المسلمين وفي هذا مصداق لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-]أمتي كالمطر لا يدرى خير أوله أم آخره) أو كما قال -عليه الصلاة و السلام- فهذا - يا إخواني- مما يبين أن هذه الأمة مباركة فانظروا - يا إخواني- كيف أن الدرس يلقى في مكان وأمة محمد تستمع إلى هذا الدرس من أقطاب الدنيا هذا لا شك خير عظيم يفرح قلب كل مسلم محب للخير.

اليوم درسنا - أيها الأحبة- عن تاريخ المصحف وأحكامه:

وقبل أن نبدأ هذا الدرس مررنا بالأمس في فضائل القرآن وآداب تلاوته على قضية أحببت أن أؤكدها في هذا اليوم وقلت: إن من آداب حامل القرآن ألا يتأكل بالقرآن وأقصد بذلك ألا يجعل القرآن سبباً من أسباب التأكل به وغرضاً من أغراض طلب العيش بمعنى أن يكون لا يقرأ ولا يقرئ ولا يقدم شيئاً ولا ينفع إلا بما يقدم له من أعراض الدنيا وتكون هذه نيته ويكون هذا قصده فهذا لا ينبغي - يا إخواني- وهذا يجرنا إلى الحديث عن أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم فنقول: إن أخذ الأجرة على قراءة القرألا تجوز ولا شك في هذا بمعنى ألا يقرأ الإنسان القرآن ولا يتلوه للناس إلا بأجرة هذا لا يجوز لأن هذه عبادة محضة لا يجوز أن ينال بها الدنيا أما تعليم القرآن وأخذ الأجرة عليه فقد وقع فيه الخلاف بين أهل العلم والخلاف فيه مشهور وكل من طوائف العلماء أو كل من قال بقول منهم قد استدل بأدلة كثيرة في هذا المقام لكن الذي يترجح وهو الذي عليه عمل أكثر المسلمين أن

أخذ الأجرة على تعليم القرآن جائزة لصحة الأدلة في هذا المقام ومنها قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي في البخاري]إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله) وهذا حديث صريح في المسألة فيأخذ الإنسان أجراً على تفرغه على تعليم القرآلانه لو لم يعطى أجراً على ذلك لن يتفرغ وانشغل بطلب العيش وهذا يدعو إلى ألا يتعلم الناس القرآن وألا يبقى فيهم من يقرئ القرآن الكريم.

وكذلك من الأدلة على ذلك حديث:]الصحابة الذين مروا بقرية فلم يقرهم أهل القرية) يعني: لم يضيفوهم]فلدغ سيد تلك القرية فسعوا له بكل شيء لا ينفعه، فجاءوا إلى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: هل فيكم من راق؟ فقال أحدهم: أنا أرقيه ولكنكم لم تقرونا فلا أرقي لكم إلا بجعل) يعني: شارطهم على أجرة]فشرطهم على قطيع من الغنم فقرأ على سيدهم الفاتحة فقام كأنما نشط من عقال، فأخذوا هذا القطيع وذهبوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخبروه) فأخبرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنها مباحة لهم وقال:]وما أدراك أنها رقية اضربوا لي معكم بسهم) وكذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في أمر الجهاد:]الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم) مما يدل على أن الإنسان إذا عمل قربة يريد بها وجه الله -سبحانه وتعالى- وأخذ ما وضع لأصحابها عادة من الأجرة مقابل تفرغه لهذا العمل فإن هذا لا شيء فيه لكن ينبغي للإنسان أن يحسن النية بأن يقصد بذلك العبادة لله -سبحانه وتعالى- وتعليم المسلمين ونشر علوم القرآن ليحصل له أجر الآخرة ويكون أجر الدنيا تبعاً له أما أن يكون لا يقرئ ولا يقرأ إلا بأجرة ويشارط على ذلك ويشدد فيه فإن هذا مذموم عند أهل العلم ولا ينبغي للإنسان أن يتخذ من القرآن محلاً للحرفة.

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى موضوع درسنا اليوم وهو تاريخ المصحف وأحكامه، والحقيقة أن الموضوع طويل لكن سنحاول أن نجعله في عناصر مختصرة لعل الله -سبحانه وتعالى- أن ييسر لنا الإلمام بهذا الموضوع وأطرافه.

بينا فيما سبق - أيها الأحبة- أن المصحف كتب في عهد عثمان -رضي الله تعالى عنه- وأرسلت المصاحف إلى الأمصار وكانت كتابتهم له على النحو الذي ذكرنا وكانوا قد جردوه من كل شيء، لم يدخلوا في المصحف أي شيء ليس من القرآن فكانوا يكتبون مثلاً بسم الله الرحمن الرحيم (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إلى أن يأتي (وَلاَ الضَّالِّينَ) بسم الله الرحمن الرحيم (الم) وهكذا من أول المصحف إلى آخره ولم يدخلوا في المصحف أي شيء ليس من القرآن الكريم وكانوا يوصون بتجريد المصحف قال ابن مسعود:]جردوا القرآن) ومثل ذلك روي عن ابن عمر وغيرهم من السلف الذين كانوا يشددون في أمر تجريد القرآن وألا يخلط بغيره لئلا يلتبس كلام الله بكلام من سواه.

واستمر الأمر على ذلك حتى دخل في الإسلام أعاجم كثير وكانوا لا يحسنون القراءة بالعربية وتختلط عليهم الكلمات وإعراب الحروف، فجاء زياد بن عبيد الله لما كان والياً على العراق وذلك في عهد الدولة الأموية وأمر أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو المتوفى عام تسعة وستين من الهجرة النبوية أمره أن يضع ما يدل الناس على إعراب كلمات القرآن المرفوع منها والمنصوب والمخفوض وغيره وما يبين طريقة نطق الكلمة بما يسمى عندنا في هذا العصر بالشكل، شكل الكلمات فرفض أبو الأسود أن يقوم بهذا الأمر هيبة للقرآن؛ لأنهم كانوا يشددون في أمر الإضافة إلى كتاب الله -سبحانه وتعالى- وذات يوم سمع أبو الأسود رجلاً يقرأ آية من كتاب الله -سبحانه وتعالى- على نحو غريب يقرأ قول الله: (أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهُ)[التوبة: ٣]، فقال: أعوذ بالله وهل يبرأ الله من رسوله؟! فعند ذلك رجع إلى زياد وقال له: الآن أريد أن أضع ما يدل الناس على معرفة كيف يضبطون القرآن الكريم فوضع ما يسمى عند العلماء بنقط الإعراب، ونقط الإعراب جاء به أبو الأسود وضع نقطاً تدل على حركة كل حرف من الكلمة فالفتحة نقطة فوق الحرف والضمة نقطة بين يدي الحرف والكسرة نقطة تحت الحرف وضبط القرآن من أوله إلى آخره على هذا النحو فانضبط الأمر لدى الناس.

ثم لما مضى زمن وجاء الخليفة عبد الملك بن مروان أمر الحجاج أن يكلف من علماء العراق من يقوم بنقط الإعجام ونقط الإعجام هو النقط على الحروف لأن هذه الحروف التي بين أيدينا منقوطة لم تكن كذلك في الكتابة الأولى ولم تكن معروفة عند العرب منقوطة يعني التاء والثاء والباء كلها تكتب بصفة واحدة، وتميز بالسياق وكذلك الذال والدال. والصاد والضاد كلها إنما يميز بينها الناس بالسياق فقط، فكلف الحجاج يحيى بن يعمر العدواني ونصر بن عاصم الليثي المتوفي عام تسعين من الهجرة النبوية أن يقوما بهذا الأمر فقاما به فماذا فعلا؟

وضعا نقطاً على الحروف التي تسمى عند العلماء نقط الإعجام، وهو يسمى عند المتأخرين ضبط الحروف، فتأملوا هذا الأمر جيداً ذاك الأول يسمى نقط الإعراب وهذا يسمى نقط الإعجام.

لما استمر الأمر على هذا اختلط على الناس ما فعله أبو الأسود الدؤلي وما فعله هذان الإمامان نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر لأن أبا الأسود نقط وهؤلاء نقطوا أيضاً فاختلطت النقط علماً بأن أبا الأسود كان يضع نقطاً باللون الأحمر تمييزاً لها عن أي شيء آخر وعن كتابة القرآن لكن شق ذلك على الناس بأن يكتبوا بلون آخر غير اللون الذي يكتبون به حروف المصحف عند ذلك جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب الابتكارات العلمية فغير نقط الإعراب إلى أن وضع هذه الطريقة الموجودة بين أيدينا في شكل الكلمات فوضع بدل النقطة الفوقية على الحرف وضع فتحة ألفاً يعني مائلة وتحت الحرف مكان الكسرة خطاً تحت الحرف ومكان الضمة واواً صغيرة فوق الحرف، وزاد على ذلك بأن وضع على الحرف المسكن رأس خاء صغيرة كأنه يقول: هذا حرف خفيف خاء فوضع رأس الخاء وزاد أيضاً حركة للحرف المشدد بأن وضع أول حرف من كلمة شدة رأس الشين ووضع أيضاًعلامات للروم والإشمام- رحمة الله عليه رحمة واسعة- واستقر على هذا العلم في المسلمين إلى هذا اليوم فهذا الضبط الذي نراه في كتاب الله وفي غيره الذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي وأما نقط الإعجام فاستمر على ما وضعه ذنك الإمامان: يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم الليثي.

ثم تتابع العلماء -رحمهم الله تعالى- على إدخال تحسينات على المصحف وزيادات يكمل بها معرفة وقوفه ونهاية آياته وتعرف فيه أحزابه وأجزاؤه وأعشاره وأخماسه وأرباعه وأثمانه وغير ذلك تفننوا في هذا تفنناً عظيماً وجاءوا بأشياء كثيرة كل ذلك خدمة لمن يتلو كتاب الله -سبحانه وتعالى- وتعريفاً له بهذا القرآن بداية ونهاية ومقاطع وفواصل وغير ذلك هذه الآيات أيضاً كان الصحابة لا يضعون علامة عند انتهاء الآية ثم وضعوا ثلاث نقط في نهاية كل آية ثم تدرج الأمر أن يضعوا دائرة ثم وصل الحال بعد ذلك إلى أن وضعوا في وسط الدائرة رقماً يدل على رقم الآية في سورتها.

بعد هذا - أيها الأحبة- قام علماء -رحمهم الله تعالى- بجهود عظيمة في تجزئة المصحف فجزؤوا القرآن إلى ثلاثين جزءاً وهذه التجزئة ليست ثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا عن الصحابة ولا عمن تقدم من سلف هذه الأمة إنما هو اجتهاد اجتهده أهل العلم من أجل ترغيب الناس في تلاوة القرآن وبيان أقسام القرآن أقساماً متساوية لمن أراد أن يكون له حزب أو ورد يومي من كتاب الله -سبحانه وتعالى- فقسموا القرآن إلى ثلاثين جزءاً على عدد أيام الشهر القمري وجعلوا كل جزء منه مساوياً لبقية الأجزاء ليستوي الوقت في قراءة هذه الأجزاء للتالين فيقرأ الإنسان كل يوم جزءاً حتى يختم القرآن خلال شهر وأخذوا هذا من أصول وقواعد عرفوا فيها رغبة الشارع في تجزئة القرآن الكريم من ذلك: ما قاله النبي -صلى الله عليه وسلم- لعبد الله بن عمرو:]اقرأ القرآن في كل شهر مرة ثم قال: إني أطيق أكثر من ذلك قال: اقرأه في كل عشرين ثم نزل به إلى كل عشرة ثم في كل أسبوع ثم قال: فاقرأه في كل ثلاث من قرأه في أقل من ثلاث لم يفقهه) مما يدل على أن السلف كانوا يحزبون القرآن ويجزئونه، ورد في بعض الروايات أنه قال:]اقرأه في أربعين ثم نزل به إلى خمس وعشرين ثم خمسة عشر ثم عشر ثم وقف به عند سبع).

ومجموع هذه الروايات تدل على أن تجزئة القرآن وتقسيمه إلى هذه الأقسام هذا أمر جائز ومحل اجتهاد ولذلك نجد الناس يختلفون فيه، ثم استقر العمل الآن في المصاحف الموجودة إلى تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءاً وجعل كل جزء مقسوماً إلى حزبين وكل حزب مقسوم إلى أربعة أرباع وكل ربع مقسوم إلى عُشرين ويوجد في بعض المصاحف وضع علامة على كل خمس آيات ليعرف التالي أنه قد تجاوز خمس آيات، خمس آيات وذلك إنما وضعوه في الزمن الأول لأنه لم تكن أرقام الآيات موجودة فلما وجدت أرقام الآيات استغنى الناس عن الأخماس وعن الأعشار.

هذه - أيها الأحبة- نبذة عن كيف حصل لهذا المصحف حتى وصل إلينا بهذه الطريقة المضبوطة المنقوطة المشكولة وصار على هذه الصفة التي نعهدها هذا اليوم.

والعلماء مختلفون هل هذه الطريقة التي وضع عليها أفضل أم التقسيم بالسور كما كان الأمر عليه في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- أفضل؟

شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- يرى أن تحزيب القرآن بالسور كما كان عليه الأمر في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- أفضل لأن هذه الأحزاب التي وضعت أحياناً توضع في نصف القصة أو في آية ما بعدها يكون تماماً لها، مثل قول الله - عز وجل- في نهاية الجزء الثالث وبداية الرابع (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ)[النساء: ٢٤]، والمحصنات عطف على ما قبلها وهي بداية جزء جديد فيقول: الأولى أن يكون تقسيم القرآن بالسور وقراءة النبي -صلى الله عليه وسلم- المأثورة المعروفة إنما كانت بالسور يقرأ السورة كاملة لا يقطعها.

وعلى كل هذا محل اجتهاد لأهل العلم وقد استقر عليه العمل بين العلماء ولا شيء فيه ومن أراد أن يقف على خواتيم السور فهو أفضل ومن أراد أن يسير على هذه الأجزاء التي وضعت في المصاحف فلا شيء فيه.

نستعرض مجموعة من الأسئلة: يقول: فضيلة الشيخ هل يجوز الصلاة والمصحف خلفك؟ وكذلك يسأل عن المصحف الممزق ماذا نفعل به؟ وهل الصحائف التي في زمن الصحابة كانت منقطة ؟

الصحائف التي كانت في زمن الصحابة لمن تكن منقطة كما أخبرنا قبل قليل وإنما التنقيط جاء بعد ذلك، وأما بالنسبة للصلاة والمصحف خلفك إن كان المصحف خلف ظهر الإنسان ليس بينه وبينه حائل فإن هذا لا ينبغي بل ينبغي أن يكون القرآن مصوناً ومقدماً أو في مكان مكرم فإن بقاءه خلف ظهر الإنسان أو أمام رجله لا يجوز على الصحيح لكن لو كان بينه وبينه حائل مثل أن يكون في صندوق أو مخزن أو غير ذلك فلا شيء في ذلك.

سؤاله الثاني:

المصحف الممزق ماذا نصنع به؟

المصحف الذي تمزق سيأتينا- إن شاء الله الحديث عنه- ولكن نقول: يحرق ثم يوضع في أرض طيبة طاهرة يؤمن معها أن ينال بسوء.

يقول: نود من فضيلتكم تقديم نصيحة لنا تتعلق بعلاقاتنا بكتاب الله - عز وجل- ،هذا لعلنا نرجعه إلى آخر الحلقة إذا كان هناك وقت.

تقول لدي سؤال تقول: قرأت في أحد المصاحف في آداب التلاوة أن من وصل في التلاوة إلى سورة الضحى فليكبر بعد كل سورة حتى تختم المصحف هل هذا وارد في السنة؟

هذا محل خلاف بين القراء والمحدثين، ففي قراءة ابن كثير في رواية البذي عنه يقرأ بما يسمى بتكبير الخاتمة منذ أن يختم سورة الضحى إلى أن يختم القرآن يكبر بين كل سورتين، وقد اختلفوا في صفة التكبير والمحدثون يرون أن الأحاديث الواردة في هذا أحاديث ضعيفة لا تقوم بها حجة والقراء ومن يقرأ بقراء ابن كثير يرون أن القراءة بذلك ثابتة والعلم في ذلك عند الله.

يقول: هناك بعض الناس في المساجد أثناء الصلاة الجهرية عندما يمر الإمام على كلمة فيها لفظ الجلالة الله يقولون بصوت عال: لا إله إلا الله وهناك بعض الأئمة يركز على هذه اللفظة من أجل أن يردوا عليه الناس بقول: لا إله إلا الله فما حكم هذه الفعلة فضيلة الشيخ؟

هذا لا ينبغي الذي ورد السؤال عند آية السؤال والاستعاذة عند آية الاستعاذة وأما ذكر الله عندما يمر ذكر اسم من أسماء الله -سبحانه وتعالى- فهذا لم يرد ولو كان خيراً لسبقونا إليه خصوصاً أنه كثير واستعماله بهذه الصورة التي يذكرها الأخ السائل فيه مشغلة للتالي وللسامع وللمصلين عامة.

فأما إن كان في الفريضة فهذا يجب النهي عنه وأما إن كان في النافلة فينبغي ألا يستعمل.

نأخذ أسئلة الإخوة الحاضرين

فضيلة الشيخ لقد اعتاد البعض وضع المصحف في مقدمة السيارة وفوق طاولات مكان الوظيفة وأحياناً في غرف النوم في مكان بارز اعتقاداً منهم أن هذا القرآن يحفظهم من حوادث الزمن فما حكم هذا العمل؟

القرآن لم ينزل لهذا ولا يجوز استعماله لهذه النية وهذا القصد إنما أنزل ليتلى ويتدبر ويعمل به فالذين يضعونه من أجل التبرك بوضعه، حتى إن بعضهم يضع المصحف على تابلوه السيارة ومن أجل ألا يتحرك المصحف يضربه بمسمار حتى يثبته، فهذا عمل فيه إهانة للقرآن الكريم وفيه استعمال للقرآن في غير ما وضع له مثل الذين يكتبون القرآن أيضاً بكتابات مزخرفة لا يكاد يميزها من يقرؤها ويزينون به مجالسهم أو بعض الستائر التي عندهم فهذا لا ينبغي؛ لأن القرآن ما أنزل لمثل هذا (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ)[ص: ٢٩].

أما كتابة الآية للتذكير بمعنىً في الآية من أجل أن من قرأها يتذكر ذلك المعنى بصورة واضحة ولا يراد بها شيء غير ذلك فلعل ذلك- إن شاء الله- لا بأس به.

بسم الله الرحمن الرحيم بالنسبة ذكرنا فيمن نسي أو أنسي اللفظة الحقيقية نقول: نسي القرآن أو أنسيه؟ وما حكم قول: لفظ صدق الله العظيم بعد نهاية قراءة القرآن الكريم؟

بالنسبة لقوله: نسيت آية كذا ورد النهي عنها في الحديث الصحيح:]لا يقل أحدكم: نسيت آية كذا بل هو نُسي) يعني يقول: أُنسيت آية كذا أو نُسيت آية كذا لأن الذي أنساه هو الله -سبحانه وتعالى- ولأن قوله: نسيت فيها معنى الإهمال والترك وهذا لا يليق بالمسلم.

وأما قوله: صدق الله العظيم فهذه الكلمة صحيحة في معناها لكن ختم التلاوة بها وتثبيت ذلك لم يثبت لا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا عن أصحابه فلا ينبغي التزامها بل التزامه يعتبر من البدع لأن التزام أي ذكر ولو كان هذا الذكر من الذكر الوارد في القرآن أو في السنة في مكان لم يرد وضعه فيه فإن ذلك يكون من البدع يعني لو قال غير صدق الله العظيم لو قال عند نهاية كل قراءة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كلنا يعلم أن هذا ذكر مشروع وقد ثبت الترغيب فيه لكن وضع هذا وجعله مناسبة لهذا الذكر هذا نوع من أنواع الابتداع في الدين لكن من قالها مرة أو شيئاً عارضاً فلا شيء فيه- إن شاء الله- أما أن يلتزمه فهذا من البدع.

نعود مرة أخرى إلى درسنا ما حكم هذه الزيادات؟

اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- في هذه الزيادات التي وضعت في المصحف:

أولاً: زيادات النقط والشكل:

من العلماء من منعها لئلا يخلط بالقرآن غيره ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:]لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن) ولأنه ثبت عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما من السلف الصالح أنهم قالوا: جردوا القرآن. وكان النخعي والحسن وغيرهما يكرهون أن تنقط المصاحف.

ثم استقر العمل عمل المسلمين على تحسين هذا العمل لما فيه من المصلحة ولما فيه من درء المفسدة عن كتاب الله -سبحانه وتعالى- وبقي الأمر على ذلك.

المسألة الثانية - أيها الأحبة- تجزئة القرآن ووضع الأحزاب فيه والأجزاء والأثمان والأرباع ونحوها فهذا أيضاً فيه قولان:

منهم من أجاز ذلك مطلقاً ومنهم من منع ذلك مطلقاً للحيثيات التي ذكرناها قبل قليل.

ومن العلماء من توسط فقال: ما كان من هذه الزيادات داخل نص القرآن الكريم وبين الآيات فإنه لا يجوز ويجب أن يجرد القرآن من كل شيء زائد على كلام الله -سبحانه وتعالى- وما كان خارج إطار هذه الآيات على هوامش المصحف فإنه إن أمن فيها اللبس جاز وضعها مثل وضع أرقام الأجزاء وأرقام الصفحات والأثمان

وعلامات السجدات والأرباع والأعشار والأخماس ونحوها فإن مثل هذا جائز إذا كان خارج الآيات في هامش المصحف وأمن معه اللبس أن يكون من كلام الله -سبحانه وتعالى-.

وفي مصحف مجمع الملك فهد المسمى بمصحف المدينة النبوية راعوا هذه القضية ولم يثبتوا داخل الآيات إلا شيئاً واحداً وهو اسم السورة للتمييز بين كل سورة والتي تليها وغير ذلك جعلوه في الهوامش، عدد الآيات واسم الجزء والثمن والربع وغيرها كله أخرجوه من إطار آيات القرآن الكريم لئلا يخلط بالقرآن غيره واتباعاً لما أثر عن سلف الأمة من الأمر بتجريد القرآن الكريم.

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى مراحل طباعة المصحف: كان الناس فيما سبق يكتبون المصحف بأيديهم ويستنسخونه وهناك نساخ متفرغون لنسخ المصاحف وبيعها وأيضاً أحياناً إجارتها ونحو ذلك وما زال العمل على ذلك حتى ظهرت الطباعة، ظهرت آلات الطباعة عام خمسة وثلاثين وثمانمائة من الهجرة النبوية يعني عام ألف وأربعمائة وواحد وثلاثين ميلادية وكانت الطباعة منبضة يعني لم تكن طباعة يمكن أن تكون موافقة للرسم العثماني تكتب بخط اليد ثم تطبع للناس وإنما كانت منبضة بحروف بارزة تجمع ثم تكون الطباعة على إثرها.

أول طبعة ظهرت للمصحف كانت في إيطاليا في البندقية عام تسعمائة وسبعة وثلاثين من الهجرة النبوية وهذه الطبعة لما علمت بها الكنيسة أجمعوا على وجوب إحراقها فأحرقت ثم قام هنكل مان في ألمانيا عام ألف ومائة وستة من الهجرة النبوية بطبعة للمصحف الكريم ثم تلاه من بعده مراكي في إيطاليا عام ألف ومائة وعشرة من الهجرة النبوية وهذه الطبعات الثلاث فيها أخطاء فاحشة ولا يكاد يوجد منها شيء إلا طبعة هنكل مان يوجد منها نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود ونسخة أخرى في دار الكتب المصرية وفيها أخطاء كثيرة فاحشة ولذلك المسلمون أعرضوا عن هذه الطبعات فضلاً عن كون هذه الطبعات أيضاً كانت بالرسم أو لم تكن موافقة للرسم العثماني تماماً.

أما أول طبعة إسلامية فقد كانت عام واحد ومائتين وألف للهجرة النبوية يعني عام ألف ومائتين وواحد طبعت في روسيا بتكليف وأمر من الدولة العثمانية.

ثم في عامي ألف ومائتين وأربعة وأربعين وألف ومائتين وتسعة وأربعين طبعت طبعتان في إيران ثم طبع طبعة اشتهرت في الدول الغربية طبعها المستشرق يوجل وقد طبعها بالرسم الإملائي الحديث ولم يلتزم الرسم العثماني ولذلك فرح بها الغربيون ولم يحفل بها المسلمون لأنها خالفت مرسوم المصاحف المعهود عند المسلمين ثم طبع في قازان عاصمة التتار عام ألف ومائتين وخمسة وتسعين من الهجرة النبوية ولم تكن هذه الطبعة ولا التي قبلها ملتزمة بالرسم العثماني.

ثم قام الشيخ رضوان بن محمد الشهيرة بالمخللاتي عام ألف وثلاثمائة وأحد عشر من الهجرة النبوية بكتابة المصحف بخط يده كتابة موافقة للرسم العثماني واشتهرت هذه الطبعة وتلقاها الناس بالقبول ثم بعد ذلك أمر الملك فؤاد الأول كلف لجنة من الأزهر أن تقوم بكتابة المصحف وضبطه ورسمه رسماً موافقاً للرسم العثماني فشكلت لجنة من كبار علماء الأزهر وكتب مصحف كامل سمي المصحف الملكي ثم اشتهرت هذه الطبعة وتداولها الناس وتلقوها بالقبول ثم طبع عام ألف ثلاثمائة وأربعة وستين بمكة المكرمة بما يسمى مصحف مكة المكرمة.

واستمرت بعد ذلك وانتشرت طبعات القرآن طبعات تجارية بعضها مضبوط ضبطاً متقناً وبعضه فيه خلل وأخطاء وبعضها قد لا يكون الخلل في الكتابة والرسم والضبط وإنما يكون في الطباعة أو في الملازم ونحو ذلك.

حتى فتح الله -سبحانه وتعالى- وشرح صدر خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى رحمة واسعة- لإنشاء مطبعة أو مجمع الملك فهد لطباعة المصحف عام ألف وأربعمائة وأربعة من الهجرة النبوية، وكان هذا المجمع فاتحة خير على الأمة الإسلامية لأنه قد وضع فيه من المواصفات لطباعة المصحف ومراجعته ما جعل هذه الطبعة طبعة لا تفوقها أي طبعة سبقتها في تاريخ الأمة الإسلامية حتى إنهم قبل أن يصدروا الطبعة الأولى راجع علماء القراءات والتفسير واللغة والضبط والرسم هذه الطبعة قرابة مائتي مرة حتى لا يقع في كتاب الله -سبحانه وتعالى- أي شيء من الخلط والخطأ والغلط صيانة لكتاب الله من التحريف ثم زيد على ذلك مراجعة القرآن أثناء طباعته وأثناء صفه وأثناء تجليده وأثناء توزيعه وغير ذلك حتى يؤمن مع ذلك أن يكون في أي نسخة

من نسخ القرآن شيء من الخطأ والغلط وكان هذا لا شك من الفتوحات على الأمة- بفضل الله سبحانه وتعالى- وقد التزم المجمع أن يطبع في كل عام قرابة عشرة ملايين نسخة من القرآن الكريم وقد طبع إلى اليوم ما يزيد على مائتي مليون نسخة من القرآن الكريم ولا شك أن هذه منقبة لهذه الدولة وللملك فهد -رحمه الله تعالى رحمة واسعة- .

بعد هذا - أيها الأحبة- ننتقل إلى طريق معرفة رسم المصحف هل هذا الرسم الذي بين أيدينا رسم توقيفي من النبي -صلى الله عليه وسلم- أم هي الكتابة المعهودة المعروفة عند أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- رسموه على النحو الذي كان مألوفاً لديهم؟ قولان لأهل العلم أرجحهما- والله أعلم - أن هذا الرسم رسم اصطلاحي يعني: على ما كان معروفاً ومألوفاً في عهد أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يكن توقيفياً من النبي -صلى الله عليه وسلم- .

ننتقل بعد هذا - أيها الأحبة- إلى التزام رسم المصحف، هل يجب على المسلمين أن يلتزموا هذا الرسم الذي بين أيديهم وهو الذي يسمى الرسم العثماني أو يجوز لهم تخطيه وتركه بحيث يرسمونه بأي رسم يشاءون ما دام ذلك موافقاً لقراءته الصحيحة اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

جمهور أهل العلم بل حكي إجماعاً على وجوب التزام الرسم العثماني وممن أفتى بذلك هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية ومجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي أفتت بوجوب التزام الرسم العثماني وعدم تعديه، وذلك لأن هذا الرسم هو الذي أجمع عليه الصحابة ولأن فتح المجال بكتابته بأي رسم إملائي يعرض القرآن للخلاف بين الناس لأن الإملاء يتطور في كل دهر وفي كل زمن بل حتى اليوم نجد أن مصر لديها إملاء يختلف عن الإملاء الموجود في بلاد الشام ويختلف عن الإملاء الموجود في العراق وهكذا كل أهل بلد لهم إملاء يخصهم فتصور لو أن القرآن في كل بلد كتب بطريقة تغاير البلد الآخر لأشكل ذلك على القارئين، ثم إن هذا الرسم روعي فيه أيضاً اختلاف القراءات، ووضع بطريقة توافق مجمل القراءات التي تصح كما بينا ذلك في طريقة الجمع العثماني فكتابته بالرسم الإملائي تفوت هذه المصلحة ولغير ذلك - أيها الأحبة- من الأسباب التي دعت كثيرين من أهل العلم للقول بوجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصاحف لكن هل هذا يلزم حتى في كتابة الآيات على السبورة أو في المؤلفات وغيرها؟ نقول: لا لا يلزم لكن من أراد أن يكتب مصحفاً ليبثه في الناس فلا بد له أن يلتزم الرسم العثماني.

القول الثاني: جواز كتابته بالرسم الإملائي وكل أمة تكتبه برسمها ولا شيء في ذلك ما دام موافقاً لتلاوة القرآن الصحيحة.

القول الثالث: أن هذا يجوز فيما يكتب للعامة وللمتعلمين لا فيما يكتب من المصاحف.

وقد بينت أن القول الذي عليه جماهير العلماء سلفاً وخلفاً وحكى أبو عمرو الداني -رحمه الله تعالى- الإجماع عليه هو أن التزام الرسم العثماني واجب ولا يجوز كتابته بغير ذلك فيما يكتب للناس من المصاحف.

تقول: يقول البعض: إن دعاء ختم القرآن الذي في نهاية المصحف بدعة هل هذا صحيح؟ وما هو الدعاء الذي نستطيع أن نقوله بعد الختام؟

دعاء ختم القرآن نوعان:

أما إن كان الدعاء عندما يختم الإنسان القرآن بعد أن تلاه خارج الصلاة فهذا قد ثبت في حديث صحيح موقوف على أنس -رضي الله تعالى عنه- من فعله أنه:] كان إذا ختم جمع أهل ودع) فلا شيء في ذلك، والدعاء بعد العمل الصالح مشروع.

أما إن كان في الصلاة فقد اختلف العلماء فيه على قولين مشهورين:

أحدهما: وهو المروي عن كثير من السلف جواز ذلك وقد روي ذلك عن الإمام أحمد وجماعة من المتقدمين. وبعض العلماء يرون أن هذا من البدع قالوا: لأن هذا الدعاء لم يثبت فعله عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا عن سلف الأمة فهو من البدع المحدثة فمن أراد أن يدعو خارج الصلاة ولأن الصلاة توقيفية لا يجوز الزيادة عليها إلا بدليل ظاهر وعلى كل لا ينبغي أن تكون مثل هذه المسألة محل إشكال عند الناس بحيث يتهاجرون لأجلها من فعل فله سلف وله أئمة يقتدي بهم ومن ترك فله سلف وعنده أئمة يقتدي بهم ومن لم يتضح له الأمر فعليه أن يحتاط فلا يدعو داخل الصلاة ويدعو خارجها- والله أعلم-.

بقي معنا أحكام المصحف يمكن أن نأخذها قبل الفاصل خمس دقائق

لا يمكن ولكن نأخذ جزءاً منها ونكمل الباقي بعد الفاصل- إن شاء الله-.

ننتقل بعد ذلك إلى الجزء الثاني من هذه المحاضرة وهي أحكام المصحف الكريم:

أحكام المصحف - أيها الأحبة- كثيرة جداً ومن أجمع ما رأيت فيها كتاب: المتحف من أحكام المصحف للدكتور صالح الرشيد الأستاذ بكلية المعلمين في الرس وهو مجلد كبير يقع في أكثر من ستمائة صفحة، وقد جمع فيه كل ما يتصل بأحكام المصحف واجتهد في ذلك وهو كتاب بديع في بابه وقد كتب في هذا المجال كتب أخرى لكن هذا من أوعبها، وأحكام المصحف كثيرة جداً لا يسع المقام للورود عليها كلها ولكن نمر على جملة منها:

أولاً: حكم التطهر لمسه، جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على وجوب التطهر لمس القرآن وأن المحدث حدثاً أصغر لا يمس القرآن إلا بعد أن يتطهر وأما المحدث حدثاً أكبر فإنه أيضاً لا يمس القرآن إلا بعد أن يتطهر بالاغتسال يعني الطهارة الكاملة فلا يجوز مس القرآن للمحدث حدثاً أصغر كما لا يجوز مس القرآن للمحدث حدثاً أكبر، أن يكون جنباً وهذا قول جمهور العلماء ودليلهم على ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في كتاب عمرو بن حزم]وألا يمس القرآن إلا طاهر) وفي رواية]وألا تمس القرآن إلا وأنت طاهر) أو كما ورد في الحديث واستدل بعض القائلين بهذا بقول الله -سبحانه وتعالى-: (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ(٧٥)وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(٧٦)إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ(٧٧)فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ(٧٨)لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ)[الواقعة: ٧٥: ٧٩]، فقالوا: هذا في القرآن لا يمسه إلا المطهرون أي: المتطهرون ولكن الاستدلال بهذا فيه نظر من جانب وفيه صحة من جانب فالمطهرون الصحيح أن المراد بهم هنا هم الملائكة وليسوا بني آدم والكلام هنا إنما هو عن اللوح المحفوظ فنقول: إذا كان القرآن الذي في اللوح المحفوظ قد ذكر الله من صفات الذين يمسونه أنهم مطهرون ففي هذا التنبيه على ألا يمس القرآن الذي أنزله الله- تعالى- إلا من كان في أكمل الأحوال وكان متطهراً من الحدثين الأكبر والأصغر ولذلك ذكر الله هذا القرآن في سورة عبس بقوله: (كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ(١١)فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ(١٢)فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ(١٣)مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ(١٤)بِأَيْدِي سَفَرَةٍ(١٥)كِرَامٍ بَرَرَةٍ)[عبس: ١١: ١٦]، فذكر أنها مطهرة دل ذلك على أن التطهر لمس المصحف مما ينبغي أن يكون عليه الإنسان.

المسألة الثانية: مسه من وراء حائل هل المحدث يمسه من وراء حائل؟ نقول: نعم المحدث حدثاً أصغر أو حدثاً أكبر إذا أراد أن يحمل المصحف يمسه من وراء حائل مثل أن يكون على يديه شراط أو مداسيس كما يسمى عند بعض الناس أو قفاز فيحمل المصحف أو يضع بينه وبين المصحف خرقة ونحو ذلك فيحمله أو يقرأ فيه لكن لا يباشر أوراق المصحف بيده.

المسألة الثالثة: أخذ الفأل من المصحف:

يشتهر عند بعض الناس إذا أراد أن يعرف هل هذا العمل جيد أو غير جيد أو ما يريد أن يقبل عليه أو أمر محبوب أو غير محبوب بأن يأخذ المصحف ويفتحه ويقرأ أول آية يقع عليها نظره فيأخذ منها الفأل فإن كنت آية يتفاءل بها أقدم وإن كانت آية فيها عذاب أو عقوبة أو غير ذلك أحجم فنقول: أكثر العلماء على كراهة هذا الأمر والمنع منه هو الأولى لأن هذا فيه تشبه بالاستقسام بالأزلام والفأل الذي كان يحبه النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الذي يأتي اتفاقاً كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد أن يخرج لسفر أو يفعل شيئاً فسمع كلمة طيبة تفاءل واستبشر -عليه الصلاة و السلام- لا أن يذهب ليفتح المصحف أو يفعل شيئاً يتشبه به بأفعال الكفار الذين كانوا يستقسمون بالأزلام.

المسألة الرابعة: الاتكاء على المصحف وتوسده:

لا إشكال بين أهل العلم أن الاتكاء على المصحف وتوسده ووطؤه إن كان على وجه الإهانة فهو كفر يخرج الإنسان من الملة.

وأما إن كان لا على وجه الإهانة فهذا الصحيح فيه أنه حرام ولا يجوز لأن هذه صورة ظاهرة في الإهانة التي تخالف ما يجب للقرآن من التعظيم، وقد بين الله -سبحانه وتعالى- أن هذا القرآن مرفوع (فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ(١٣)مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ) وقد ثبت عن السلف اهتمامهم بالقرآن ورفعه حتى عن الأرض ما يوضع في الأرض يرفع عنها ويكرم.

أيضاً من المسائل إتلاف المصاحف:

إذا تعطلت منفعتها أو وقعت عليها نجاسة -لا قدر الله- أو كان فيها خلل طباعي أو نحو ذلك ماذا يصنع بها؟ هذه المصاحف تمزق تمزيقاً جيداً والأولى من ذلك أن تحرق ثم توضع في مكان طاهر وتدفن فيه، وأما دفنها هكذا فإن هذا قد يعرضها أيضاً مرة أخرى لأن تثار فتهان ويكون ذلك سبباً لإعادة الإهانة عليه.

أيضاً من أحكام المصحف وجوب احترامه وتعظيمه:

فيجب احترام المصحف وتعظيمه وتوقيره وفعل كل فعل يكون فيه احترام لهذا القرآن لكن من دون غلو مثال الغلو ألا ينام الإنسان في غرفة فيها مصحف أو إذا أراد أن يخرج من غرفة فيها مصحف لا يخرج إلا وهو يمشي على قفاه فهذا من الغلو الذي لم يرد عن السلف -رضوان الله تعالى عليهم- أما الوارد فمن أمثلته عن السلف:

أنهم كانوا يرفعون المصاحف ولا يضعون على المصحف شيئاً فوقه ورد عن عكرمة بن أبي جهل الصحابي أنه كان يأخذ المصحف ويضعه على جبهته ويقول:]كلام ربي كلام ربي) ونحو ذلك من الأفعال التي تدل على التكريم والتعظيم لكن من دون غلو ولا إفراط.

نحن مكفوفون مصاحفنا مكتوبة بحروف ناثرة فهل تعامل معاملة المصحف أم لا؟

السؤال الثاني: المصاحف المكتوبة بالرسم الإملائي العادي فهل تجوز هذه الكتابة أم يجب أن تغير إلى الرسم العثماني؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هل يجوز تقبيل المصحف؟ وهل النظر في المصحف هل هو عبادة؟ وإذا كان ذلك فالنظر في الوسائل الإلكترونية الموجودة الآن كالكمبيوتر والهاتف النقال للمصحف كاملاً فهل هو أيضاً عبادة؟ وهل يجوز وضع المصحف على الأرض لحاجة؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال ناس نحسبهم من أهل الخير يقولون: أثناء طهونا للطعام حصل خلط للمقادير ثم قمنا بقراءة سورة قريش ثم أصبح طعم الطعام لذيذاً بعد قراءتنا لهذا السورة السؤال: هل لسورة قريش فضائل خاصة؟ وإذا كان ليس لها فضائل خاصة هل من يعتقد أن لها تأثيراً خاصاً يكون آثماً ومبتدعاًُ؟

السؤال الثاني: ما هي فضائل سورة يس؟

يسأل عن كتابة المصحف بطريقة برايل وهي الحروف الناثرة وهي برسم إملائي غير الرسم العثماني

هذه الطريقة إنما لجئ إليها أو اضطر إليها من أجل معالجة هذه المشكلة التي يعاني منها هؤلاء نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يزيدنا وإياهم بصيرة فلا شيء في كتابتها لهم لأن أصل الكتابة كانت للحاجة والضرورة فتكتب بما ييسر عليهم وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم-]ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهم) ولا شك أن الأيسر على أمثال هؤلاء الذين يعانون من مثل هذه العاهة كتابته بالرسم الإملائي أرفق بهم فلا شيء في ذلك على الصحيح- إن شاء الله تعالى-.

وأما بالنسبة لمس القرآن المكتوب بخطهم فأرى أنه يعامل معاملة المصحف من وجوب احترامه وعدم مسه إلا لمن كان متطهراً وغير ذلك من الأحكام التي ذكرت أو تذكر في هذا المضمار.

يسأل عن تقبيل المصحف والنظر في المصحف هل هو عبادة؟

النظر في المصحف عبادة وقد كان أكثر السلف يرون أن القراءة في المصحف أفضل من القراءة غيباً ويرون أن قراءة الإنسان من المصحف من العبادات بل ورد فيه أحاديث لكنها لا تصح كما ورد في الحديث]من سره أن يرضى الله عنه فليقرأ في المصحف) ولكن لا يصح في القراءة من المصحف حديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلكم لأن المصاحف إنما وجدت بعد عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كان الذي بيد الناس إنما هي رقاع ولخاف فيها آية أو آيات مجموعة.

فالصحيح أن النظر إلى المصحف عبادة وهل هو أفضل من القراءة حفظاً هذا محل خلاف بين أهل العلم الصحيح فيه- والله أعلم- أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يخشى ويتأمل الآيات ويتدبرها حفظاً أكثر من إذا قرأ في المصحف كان ذلك أحق وأولى في حقه ومن كان يتدبر من قراءته من المصحف فالقراءة من المصحف تكون في حقه أفضل.

هذا بخلاف الصلاة أما الصلاة فالأفضل أن يقرأ الإنسان حفظاً لأنه يترتب على مسك المصحف تحريك أو حركة لا تتفق مع ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من قلة الحركة في الصلاة.

بعض الناس ينظر فقط بدون قراءة

حتى النظر أيضاً لأن الإنسان في الصلاة مأمور أن ينظر إلى محل سجوده، فالأولى به ألا يقرأ من المصحف، لكن لو لم يكن عنده شيء محفوظ أو محفوظه قليل يريد أن يطيل الصلاة وهي صلاة النافلة فلا بأس أن يقرأ من المصحف فقد قال بذلك جماعات كثيرة من السلف.

أيضاً سؤاله عن تقبيل المصحف، تقبيل المصحف والقيام له بعض العلماء يمنعه لأنه لم يرد عن السلف فعله وقال شيخ الإسلام كلاماً جميلاً في هذا الباب قال: لم يرد عن السلف لا مدحه ولا ذمه ولكن لم يكن السلف يقوم بعضهم لبعض في مجالسهم فعليه إذا كان الناس لا يقوم بعضهم لبعض في المجالس فلا يقومون للمصحف وكذلك التقبيل وأما إن كانوا يقوم بعضهم لبعض فالمصحف أولى من ذلك فما وضعه الناس من تعظيم بعضهم لبعض ينبغي أن يكون مثله للمصحف لأنه أولى بذلك التعظيم وذلك التقبيل وقد ورد عن عكرمة أنه كان يضع المصحف على جبهته ويقول: كلام ربي كلام ربي.

فضيلة الشيخ كلام شيخ الإسلام هل هو عن تقبيل المصحف أو القيام له؟

عن القيام له وعن تقبيله سأل عن المسألتين.

إذا وقع المصحف من على صندوق في الأرض يقوم بعضهم يقبله فكيف أفعل إذا سقط مني المصحف هل أضعه بدون تقبيل؟

لا بأس إذا وضعته مباشرة فلا بأس وإذا قبلته فلا أرجو أن يكون به- إن شاء الله- بأس.

ما حكم مد بعض المصلين رجله أمام المصحف ينتظرون الصلاة يوم الجمعة نرى أنه يمد رجله أمام المصحف ما حكم ذلك؟

السؤال الثاني: ما حكم مس المصحف لمحدث استدليتم بحديث عمرو بن حزم وأكثر أهل العلم يضعفون هذا الحديث

صحيح.

السؤال الثالث: هل يجوز ترجمة القرآن إلى لغات أخرى ؟

بالنسبة لسؤال الأخ عن مد الرجل إلى المصاحف فهذا سيأتي بعد قليل لكن نذكر فيه شيئاً، إذا كانت المصاحف أمام رجل الإنسان فإن هذا لا يجوز للعلماء فيه قولان: الكراهة والتحريم والصحيح أن ذلك محرم ولا يجوز خصوصاً إذا كانت المصاحف مساوية للرجل أما إذا كانت أرفع فهذا لا بأس به والأولى تركه.

أما بالنسبة لحديث عمرو بن حزم فالصحيح أن أسانيد هذا الحديث ضعفيه لكن الأمة تلقته بالقبول من حيث العمل به ولأنه وردت فيه سنن وأمور عمل الناس بها وتلقوا ذلك بالقبول، فعليه العمل بذلك لا بأس به- إن شاء الله-.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لدي سؤالان:

السؤال الأول: بالنسبة لعلامات الوقف من الذي وضعها؟

السؤال الثاني: هل مسك المصحف باليد الشمال فيه إهانة للمصحف؟

فضيلة الشيخ قبل أن نأخذ الإجابة هناك تساؤل يسأل عن أثر القرآن على طهو الطعام وهل لسورة قريش خاصية معينة؟

لا نعرف لسورة قريش ولا لغيرها من سور القرآن خصائص معينة إلا ما ورد في الأحاديث النبوية لكن بعض أهل العلم يقولون: إذا علم أن إنساناً علم بالتجربة نفع آيات معينة بشيء معين من مرض أو وجدان ضالة فإن استعماله في هذا لا بأس به والعلم في ذلك عند الله -سبحانه وتعالى- فأنا لا أستطيع أن أجزم بحكم في هذه المسألة.

يسأل عن أول من وضع الوقوف، لا أعرف أول من وضع الوقوف لكن هذ الوقوف من وضع علماء المسلمين وهو اجتهاد منهم حتى يقرأ القارئ القرآن الكريم بطريقة سليمة ويعرف معانيه ويتدبره وقد اختلفوا في هذه المواقف اختلافاً كثيراً يعني كل إمام له طريقة في وضع هذه المواقف وله علامات خاصة لكن من أحسنها ما رأيناه الآن في مصحف المدينة النبوية.

ومسك المصحف باليد الشمال لا بأس به لكن لا شك أنه لو كان يطيق باليد اليمنى فلا بأس بذلك أو هو الأولى أن يمسكه باليمنى لأن اليمنى توضع للأشياء المكرمة لكن إذا كان الإنسان يراوح بين يديه فلا شيء في وضع المصحف في اليد اليسرى.

بالنسبة الآن لأجهزة الجوال يوجد بها المصحف الشريف يعني بعض البرامج يكون فيها وجود مصحف داخل جوال هل يدخل بها الخلاء ؟

نكمل الأحكام.

من أحكام المصحف إدخال المصحف لأماكن الخلاء:

فنقول: لا يجوز للمسلم أن يدخل المصحف لأماكن الخلاء وذلك المقصود به المصحف الذي ليس معه غيره لا يحل له أن يدخل به إلى مكان الخلاء تعظيماً واحتراماً كأن يخشى أن يسرق مصحفه أو يعتدى عليه أو يهان أو يعتدى على حامله لو يعلم أن معه مصحفاً فلا بأس أن يدخل به لكن بشرط أن يكون مستوراً محمياً هذا ما يقوله جماعة من الفقهاء.

أيضاً من أحكام المصحف إدخال المصحف القبر:

بعض الناس يدخل المصحف مع الميت في القبر فهذا لا يجوز وهو من البدع المحدثة في الدين لأن الميت بعد أيام سيصبح جيفة منتنة وتأكله الديدان وغيرها فهل يليق بالمسلم أن يضع المصحف في هذا المكان الذي أصبح مكاناً غير لائق بكتاب الله -سبحانه وتعالى- ؟ لا شك أن مثل هذا لا يليق.

أيضاً من أحكام المصحف - أيها الأحبة-، توريث المصحف: هل يورث المصحف إذا مات إنسان هذا المصحف يورث لورثته؟ نعم يورث للورثة ويكون من ضمن ما يرثه الورثة من الأموال لأنه ورد في الحديث في السبع التي يجري للميت أجرهن بعد موته قال:] أو مصحفاً ورثه) فسمى ما بقي من المصاحف لدى الإنسان ميراثاً فيعامل معاملة المواريث الأخرى.

تقبيل المصحف تقدم قبل قليل ذكره.

بيع المصحف: من السلف من كره أو نهى عن بيع المصاحف حتى قال ابن عمر:]وددت أن الأيدي تقطع في بيع المصاحف) والذي استقر عليه عمل المسلمين وأفتى به ابن مسعود وابن عباس وغيرهم من سلف هذه الأمة: أن بيع المصاحف جائز لأنهم لا يبيعون القرآن الذي هو كلام الله وإنما يبيعون جهدهم وأوراقهم ومدادهم وعمل أيديهم وهذا هو الصحيح الذي لا يسع المسلمين غيره لأننا لو حرمنا ذلك لما وجد في الناس من ينشط لكتابة المصاحف وطباعتها وتوزيعها للناس وبيعها لهم ولأصبح وجود مصحف عزيزاً على الإنسان.

من أحكام المصاحف وضع المصحف على الأرض:

وضع المصحف على الأرض إن كان على وجه الإهانة فهذا حرام بلا شك بل هو كفر وإن كان على غير وجه الإهانة فإن كان لمصلحة مثل أن يكون الإنسان يقرأ فوضع المصحف لأجل أن يسجد أو يتحرك فلا شيء فيه- إن شاء الله- وإن كان خلاف الأولى لأن الأولى بالإنسان ألا يضع المصحف إلا على شيء مرتفع هكذا كان هدي السلف -رحمهم الله تعالى-.

أما إن كان وضعه هكذا من دون مصلحة فنقول: لا ينبغي للإنسان أن يضع القرآن على ما توطأ به الأقدام ويسويه بمواطئ الأقدام فإن في هذا شيئاً من الإهانة، لا نقول: هي إهانة ولكن فيه شيء من الإهانة فينبغي للإنسان أن يتجنب ذلك.

مد الرجل للمصحف بينا حكمه قبل قليل، جعل المصحف في قبلة المصلي كان السلف ينهون عن جعل المصاحف في قبلة المصلي سواء كان على الحائط أو بين يدي المصلي قالوا: لأن هذا مشغلة وأيضاً قالوا: لأن هذا قد يفضي إلى أن يستقبله الإنسان وكان السلف ينهون عن أن يكون بين يدي المصلي أو في قبلة المصلي ما يقطعه عنها أو يشغله عنها وهذا قبل أن توجد المصاحف في المساجد وتكثر لأنه لم تكن في مساجد المسلمين مصاحف في قديم الزمان وأول من وضع المصاحف في مساجد هو الحجاج قبل ذلك لم تكن موجودة فالحاصل أن نقول: ما دامت المصاحف الآن وجدت فلا بأس بذلك لكن لا يتعمد الإنسان وضعها من أجل التعبد أو في الحالة الاختيارية، لا يضع المصحف أمامه لئلا يشغله.

أيضاً من الأحكام القراءة من المصحف: قدمنا أن جماهير السلف على أن القراءة من المصحف أفضل من القراء غيباً والأصح الذي عليه الإمام النووي وابن حجر وغيرهم من العلماء المحققين أن ذلك يختلف باختلاف

الأشخاص فمن كان يخشع أكثر مع قراءة المصحف غيباً فالأولى أن يقرأ غيباً ومن كان يقرؤه بخشوع أكثر إذا قرأه من المصحف فليقرؤه من المصحف ولا شك أن قراءته من المصحف فيها عبادة للسان والعين وفيها تهيؤ للتدبر أكثر وفيها إعمال للمصحف وإشغال له وقد قالت إحدى الأخوات: إذا كان عندي ثلاث مصاحف وأنا أقرأ بواحد منها فهل يكون هجراناً للمصاحف الأخرى؟ نقول: إذا كانت المصاحف الأخرى لا تستعمل فالأولى بالإنسان أن يتصرف في تلك المصاحف ويعطيها لمن ينتفع بها لئلا يكون في ذلك إهمال للقرآن.

أيضاً من الأحكام ترك المصحف منشوراً: أحياناً يقرأ الإنسان من المصحف ثم يدعه مفتوحاً ويذهب ليقضي حاجته أو يقوم بعمل من الأعمال فإن السلف قد كرهوا ذلك لأن فيه إعراضاً عن القرآن بل الأولى للإنسان إذا أراد أن يترك قراءة القرآن لعمل ما أن يغلق المصحف ثم يذهب لعلمه ثم إذا رجع فتحه مرة أخرى ولا يتركه منشوراً.

السفر بالمصحف إلى أرض العدو: ثبت النهي عن السفر بالمصحف في أرض العدو في صحيح البخاري لأن هذا قد يعرض القرآن إلى الإهانة فلا يجوز السفر بالمصحف إلى أرض العدو والمقصود بالعدو أرض المحاربين أما إذا كانوا كفاراً مسالمين يحترمون مصاحف المسلمين ولا يسيئون إلى المسلم أو إلى ما معه فلا بأس بالسفر بالمصحف إلى أرض الكفار.

أيضاً من الأحكام تصغير اسم المصحف: هل يصغر اسم المصحف كره ذلك بعض السلف كسعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى- فإنه قال: كل ما كان لله فهو عظيم جليل يعني فلا ينبغي أن يقال: مسيجد ولا مصيحف ولا ما هو في نحو ذلك مما هو شيء عظيم لا يصغر فلا ينبغي أن يصغر كما أنه لا يقال أيضاً بعضهم يقول: لا تقل: مصحف صغير لأنه ليس في المصاحف شيء صغير وإنما يقال: مصحف قليل يعني قليل الحجم أما صغير فهو ضد كبير والمصحف كبير كله هكذا يقولون وكذلك يقولون: لا يقال: سورة قصيرة وإنما يقال: سورة خفيفة كل هذا من السلف اجتهاداً في أن يكون القرآن على أجل ما يكون من التعظيم وإنزاله المنزلة اللائقة به.

والعلم في ذلك عند الله -سبحانه وتعالى-.